

# الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

## وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية الآداب والحضارة الإسلامية  
قسم التاريخ

جامعة الأمير عبد القادر  
للعلوم الإسلامية - قسنطينة -  
الرقم التسلسلي: .....  
رقم التسجيل: .....

# وهران في العصر الزياني

## دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية

اطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية  
تخصص: المدينة والحياة الحضرية في المغرب الإسلامي.

إشراف:

أ. د / ابراهيم بن مصيبة

إعداد الطالبة:

شوقي وردة

العضء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ. د / نصيرة محروودي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	رئيسا
أ. د / ابراهيم بن مصيبة	استاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	مشرفا ومقررا
د / عبد الجليل قريان	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا
د / مسعود بريكة	أستاذ محاضر	جامعة محمد لمين دباغين سطيف	عضوا
د / البشير بوقاعدة	أستاذ محاضر	جامعة محمد لمين دباغين سطيف	عضوا
د / فؤاد طوهارة	أستاذ محاضر	جامعة 08 ماي 1945 قالمة	عضوا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ / 2021-2022م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأميرة  
مركز العلوم الإسلامية

## إهداء

إلى من تحملت مشقة حملي وإنجابي وتربيتي وشاركتني أفراحي وأحزاني وبوجودها تزداد عزيمتي  
إليك أُمي الحبيبة.

إلى معلمي الأول وإليه يرجع الفضل في رعايتي وشحن طاقتي بكل ما أحتمه في هذه الحياة  
فإلى أعز ما فقدت في هذه الحياة الدنيا والذي (رحمه الله) فإلى روحك الطيبة "بابا علي".

إلى رفيق الدرب، والذي كان لي الرفيق والصديق والسند القوي في إتمام مشروع الدكتوراه  
فإليك زوجي "مكموش جمال" جزيل الشكر والامتنان.

إلى الغصون اليانعة، شموع الليالي الحالكة، وأماني أحلامي، ورواد سعادتني أمين يارب العالمين  
أبنائي الأعزاء: أماني، رائد إبراهيم، محمد أمين.

إلى أحبتي أهل البيت الكبير والصدر الرحب والابتسامة الدائمة فكان وجودهم رزقا ونعمة من المولى عز  
وجل.

إليك أخي الأزهر، وإلى أخواتي الجميلات، وإلى جميع أبناءهم.

إلى الأساتذة الكرام الدكتور شرقي محمد، وفيلالي عبد العزيز وجميع الأساتذة المؤطرين في مسار  
الدراسات العليا، وإلى صديقاتي وأخواتي الباحثات في مختلف جامعات الوطن، أهدي لهن هذا العمل،  
وخاصة إلى روح من فقدناها الباحثة المتميزة "زينب موساوي" رحمها الله.

## شكر وتقدير

الشكر لله من قبل، ومن بعد والشكر لله على نعمة إتمام الدراسة. فحمدا لله على هذا العطاء وعلى هذا الفضل.  
"ومن يتوكل على الله فهو حسبه"

جزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف "الدكتور إبراهيم بن مهية" على كل مجهوداته وتوجيهاته التي كان لها دور في إنجاز هذا البحث، فشكرا مرة أخرى أستاذي على تشجيعك ومتابعتك لكل مراحل البحث من بدايته إلى نهايته.

الشكر لكم أساتذة لجنة المناقشة على القراءة والملاحظات المقدمة.

الشكر والامتنان لكل من قدم لي المساعدة في إنجاز البحث.

- جدول المختصرات في الرسالة:

المختصرات	المعنى
تح	تحقيق
مج	مجلد
ح	جزء
تعر	تعريب
ط	طبعة
Sp	San page

بعض الملاحظات الخاصة بحالات في التهميش:

- وقد اتبعت في طريقة التهميش اعادة ذكر الكاتب كاملا إن وجدت كاتبين لهما نفس اللقب مثل (ابن خلدون). وأحيانا أعدت كتابة اللقب والاسم عند تباعد الاستشهاد بنفس التأليف.

- أعيد اسم التأليف في حالة أن المؤلف له عدة تأليف أخرى تم الاعتماد عليها في البحث وذلك حتى يتضح أي التأليف ثم تتبع بالمصدر السابق أو المرجع السابق.

- يذكر اسم التأليف مع ذكر معلومة أخرى حوله مثل دار النشر أو المحقق، وذلك أن بعض التأليف اعتمد على نسخها المخطوطة أو غير المحققة والأخرى تكون محققة كما أن بعض التأليف ترجم والنسخة الأخرى استعملنا لغتها الأصلية.

# حفظنا حقة

جامعة الأمير

بجاء القادر للعلوم الإسلامية

## مقدمة:

تعتبر الدراسة التاريخية للمدن من بين الدراسات العلمية الحية التي تضيفي سمة لقيم الحضارة الانسانية، وتساهم في بلورة ماضى انجلي زمانه وبدا مجهولا وغريبا لساكنة اليوم. فإعادة بناءه من جديد يمكننا اليوم محو الفواصل الضبابية في تاريخنا العريق وتصحيح السياقات التاريخية الأساسية لبلدنا والتي خضعت في توجيهها إلى أقلام الاستعمار الفرنسي، الذي لم يكتف من إراقة دماء الجزائريين بل تعداه إلى إراقة الخبر لتشويه تاريخنا<sup>1</sup>. ورغم أنه سخر الكثير من الجهود والوسائل للبحث في تراثنا وتاريخنا، إلا أن الأحكام المسبقة ونظرة التعالي بقيت تطغى على توجيه التاريخ لخدمة المصالح الإستعمارية وتمجيد العرق الأوربي<sup>2</sup>.

## - أهمية موضوع البحث والدراسات السابقة:

إن دراسة المدن الساحلية وتتبع تطورها، والاهتمام بإبراز بنيتها الاقتصادية والإجتماعية ضمن مجال زمني محدد من أواخر العصر الوسيط من شأنه أن يمكن الباحث من الكشف عن ماهية هذه المدن، ورصد أدوارها في فترة تميزت بكثرة الأحداث، وتشعبها بسبب تدخل القوى السياسية الفاعلة على جغرافية تقاطع فيها البحر مع الصحراء، وظهر ذلك جليا في التبادلات التجارية وحركية القوافل والتجار، ومسار الجيوش والأساطيل للسيطرة على قواعد الثراء والسيطرة على المدن والمسالك من جهة، وإخضاع القبائل المستوطنة في المناطق الحيوية وإجبارها على دفع الجبايات ودعم آلتها الحربية كلما خاضت حربا أو لمواجهة غزو من جهة ثانية؛ ووهران نموذج مثالي لفهم ذلك العصر بمعطياته الجزئية داخل أسوار المدينة، أو في مجالها الريفي القبلي الذي اتسع باتساع سلطة المدينة بعد تزايد أهميتها طيلة العهد الزياني. ومن وهران يمكن ملاحظة إشارات وإرهاصات التحول في ميزان القوى في الحوض الغربي للمتوسط بين ممالك إسلامية بدت تتقهقر وتراجع أمام تنامي قوة إسبانيا والبرتغال، وقبلهما الإمارات الإيطالية التي هيمنت بشكل ملفت على التجارة المتوسطية.

<sup>1</sup> وقد لجأت إلى هذا التعبير الأدبي لما له من بلاغة الوصف لما ارتكبه الإستعمار من جرائم في حق الشعب الجزائري وتاريخ الجزائر والعبارة مقتبسة (بتصرف) من رواية تاريخية للأديب، عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ط01. دار ميم للنشر، الجزائر سنة 2018. ص30.

<sup>2</sup> لفت انتباهي إصرار أحد الضباط الفرنسيين يعمل ضمن الدراسات التاريخية في الجزائر يعمل تحت قيادة العقيد بون فالي وهو القائد الأعلى لدائرة بجاية، وقد بدا متحمسا في تحقيق مخطوط وجد عند أحد الشيوخ من قبيلة بني يلا حول الاحتلال الإسباني لبجاية، فيذكر الصعوبات التي واجهته في الحصول عليه، ويصف ملاك المخطوط بالمستولين عليها. وهي نظرة غير مبررة فكيف يستولي على وثيقة هي من أملاكه وجزء من تاريخه. Revue africaine. volume 12. année1865p 246

ومن المعلوم أن المدينة العاصمة تحظى بأهمية البناء والتشييد، وتكون تحت رقابة مباشرة من السلطة، ولذلك فهي محصنة - ان صح التعبير - إلى أبعد حد ممكن أمام التغيرات المختلفة التي تحدث في حالة عدم الاستقرار والاضطرابات، فهي خاضعة للممانعة من طرف السلطة القبلية والسياسية المتحكمة والمنظمة للحياة داخل المجال الحضري، بينما المدن غير العواصم فتكون عرضة لتغيرات كثيرة تؤثر بشكل واضح في مجريات الحياة داخلها، فهي بذلك تعكس التحولات التي تشهدها المنطقة ككل. وتكون الحلقة الأولى في التغيير والخضوع للتحول خاصة الواقعة على حدود جغرافية وقبلية وحتى اقتصادية بين نمطين مختلفين للحضارة، وذلك مقارنة بالمدن العواصم التي تكون في مركز القوة السياسية والعسكرية، ومحمية بعصبية غالبية في منطقة تعرف بتركيبية قبلية مؤثرة، واقتصادها متنوع وشبه مستقر بسبب تموين المناطق والمدن لها، كما أن العاصمة عادة ما تكون حاوية للاختلافات خاصة إذا كانت عاصمة قبلية وذلك من منظور الغلبة للقبيلة أو القبائل المشكلة لها، فتظهر الاختلافات في بيوتات الأعراق الأخرى. ولتوضيح الصورة أكثر فدراسة نموذج مدينة تلمسان كعاصمة للدولة العبد وادية ومدينة وهران كمدنية ملحقة لها يمكن أن يقرب المفاهيم وخصوصية المدن الوسيطية في المغرب الأوسط.

### الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات السابقة فهي قليلة، حيث لا نجد من توغل في البحث ودراسة المدن غير العواصم في المغرب الأوسط بشكل مستقل ويمس مختلف الجوانب من تاريخها، وذلك يرجع لقلة المادة المعرفية التي تعنى بالتاريخ المحلي للمدن من جهة، وصعوبة إنجاز بحث معمق يغوص في جوانب مختلفة من حياتها من جهة ثانية. وهذا ما ينطبق على وهران، التي مازال جزء من تاريخها مغمورا في الفترة الوسيطية، ولكنه انتعش وأصبح مستقطبا لأقلام الباحثين في الفترة الحديثة بعد استرجاعها من طرف العثمانيين واختيارها لتكون عاصمة لبائلك الغرب الجزائري، ولكن هذا لا يعني عدم وجود بعض الدراسات الجادة في تاريخها الوسيط، والتي تحاول الكشف عن إرثها التاريخي، ومنها دراسة ماجستير سبق لي مناقشتها حول تاريخها المونوغرافي الوسيط من تأسيسها سنة 290هـ/902م إلى الاحتلال الإسباني لها، وقد حاولت الإمام بالأحداث التي عرفتها وتركيبتها البشرية، ونمط اقتصادها وغيرها من الإشكاليات. وهذه الدراسة ساهمت في توضيح المسارات الكبرى لتاريخها العريق ووفرت لي معرفة الخطوط العريضة لتاريخ وهران الوسيط.

ومن الدراسات المهمة، والتي خصت وهران بالبحث المستقل مقالات تاريخية وابتمولوجية منها



على سبيل المثال - لا الحصر - دراسة:

فريد برمضان معنونة بـ:

*De l'étymologie de Wahran , Revue Algérienne d'anthropologie et de sciences sociales , Insaniyeat*, وقد أبرزت الدراسة دلالات التسمية وعلاقتها بالكتابات الأجنبية، وقد ساهمت هذه الدراسة في توضيح انتقال مصطلح وهران من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية وما ترتب عنه من صيغ.

وفي مقال آخر لعبيد بوداود حول "وهران في العصر الوسيط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين"، جمع فيه الباحث ما كتب عن وهران من نظرة عدد من الرحالة والجغرافيين، مما سمح بتتبع الوصف العام لوهران وتحديد المتغيرات التي طرأت عليها.

ومن التأليف الأخرى التي خصصت لدراسة تاريخ وهران نجد كتاب "وهران فن وثقافة" لرشيد بورويبة، والذي قدم فيه جوانب من حياة وهران الوسيطة وأبرز تطورها السياسي، وعلاقتها التجارية مع مختلف المدن المتوسطية، وهذا الجزء الأكثر إثراء للموضوع لأن الدراسة السياسية لم تحمل الجديد. ومن الدراسات الأكاديمية نجد كذلك أطروحة دكتوراه لعبد الصمد حمزة والتي تناولت موضوع أهل الذمة في الدولة الزيانية (633 - 962هـ/1235 - 1554م) وهي دراسة سياسية، اقتصادية اجتماعية وثقافية. والموضوع يتقاطع مع دراستي حول وهران في عدة نقاط، بما أن أهل الذمة شكلوا جزء من ساكنة وهران، وساهموا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعي. وقد عززت دراستي دورهم المهم في المدن الزيانية، وخاصة في ربط العلاقات الاقتصادية بين ضفتي المتوسط.

ولا يمكن ذكر تاريخ وهران دون الوقوف على كتابات المؤرخ الجزائري القدير يحي بوعزيز الذي خصص جزء من دراساته وأبحاثه لتاريخ وهران، وقد أفادني في تتبع التاريخ المونوغرافي لوهران عبر العصر الوسيط، والتدليل على مواضع المناطق في وهران بين الماضي والحاضر.

وما يمكن ملاحظته من الدراسات السابقة أن الكثير منها قدم معلومات تاريخية مهمة عن وهران، ولكن مع ملاحظة تكرار المعلومات بنفس السياق والطرح، مما أضفى على الدراسات النمطية في المنهج وفي المادة المعرفية المقدمة وكأنها من المسلمات التي ترسخت بحجر ثابت على ما كتب من تاريخ وهران، لذلك حاولنا بجد تغيير هذه النمطية المملة في البحث بتجديد الآليات في تقديم المعلومات التاريخية بأرقام احصائية لدراسات أنجزت من مصادر أرشيفية، وأخرى قمت بإنجازها وتحويل بعض المعطيات الإحصائية إلى أشكال بيانية لأجل المقارنة بين المعلومات المتوفرة، كما حاولت ربط

الأحداث بظروفها، وتحليلها استنادا إلى الأبعاد الجغرافية والدلالية وغيرها. وقد فعلت الاستنتاج واستخلاص الأفكار التي يمكن أن تفرزها الأحداث والوقائع.

### - أسباب اختيار الموضوع:

إن أسباب اختياري لموضوع الرسالة، وتحديد الإشكاليات الرئيسية جاء لعوامل شخصية وأخرى موضوعية يمكن حصرها في النقاط التالية:

- معالم وهران كثيرة تنتمي لحضارات وروافد عديدة، ولكن روحها الدينية مجسدة برمزية ضريح الولي الصالح "سيدي الهواري"، كما أن جزء من عاداتها وتقاليدها وتراثها الشفوي يضرب بجذوره ويعود للفترة الزيانية، وأعتقد أن هذا يثير ويدفع بفضول أي باحث للعودة إلى هذه الحلقة من التاريخ الوطني. فهي تتعلق أساسا بسلالة بربرية محلية، سنحت لها الظرفية التاريخية الوصول إلى تكوين دولة خلّفت إرثا ماديا ولاماديا ساهم في إثراء الشخصية الجزائرية، وكذلك المدينة بعناصر متميزة ظلت صامدة ومتجذرة في حاضر كل مدينة ومنها وهران. ومحو الفواصل الضبابية لهذا المشهد التاريخي الذي من شأنه إعادة دفي الماضي لهذه المدينة التي ستتضح حياتها أكثر، وتصبح جزء من ذاكرة وهوية وهران خاصة والجزائر عامة.

وتربط هذه الدراسة التاريخ المحلي والوطني ضمن سياق علمي، يتصف بالموضوعية التي تناشد الاقتراب من الحقيقة التاريخية إلى أقصى حد ممكن، وتبتعد عن التأويل والروايات الشعبية في تاريخنا من جهة، وتهميش وطمس التاريخ الاسلامي للمدن الجزائرية من طرف المستعمرين<sup>1</sup> من جهة ثانية. وبالتالي المساهمة في تدوين الذاكرة الوطنية وإحياء فترات مهمة من تاريخنا المعغور.

- كما أن توفر مادة مصدرية ثرية ومتنوعة للفترة الزيانية، جذبتني لمواصلة البحث الذي بدأته في رسالة الماجستير عن مدينة وهران خلال العصر الوسيط، وذلك للتعلم أكثر في حياة هذه المدينة واستغلال المصادر والتأليف المختلفة في إثارة الإشكاليات الخاصة بتلك الفترة والإجابة على ما يمكن منها.

- الفضول المتزايد في معرفة تاريخ وإرث ثاني أكبر المدن الجزائرية في الوقت الحالي "وهران"

<sup>1</sup> وفي هذا السياق أتفق مع الدعوة التي وجهها المؤرخ يحي بوعزيز (رحمه الله) إلى الباحثين الجزائريين لإعادة كتابة تاريخ المدن الجزائرية التي تعرضت للطمس، والمسح والتشويه والتهميش لحضارتها العربية الاسلامية من طرف المستعمر، فالمسؤولية كبيرة وتحتاج إلى تخصيص دراسات جادة في ميادين مختلفة من تاريخ وعلم الآثار، وغيرها. من مقدمة كتاب، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2009. ص 05.

وما مدى انفتاحها على البحر وعلاقته بتاريخها الوسيط، وخاصة في فترته المتأخرة كما أن المجتمع الوهراني يتميز بخصائص مميزة منها خفة الروح، وحبهم للغرباء وتقديم المساعدة لهم في مدينتهم وهذا يفتح المجال أمام الباحث لطرح تساؤلات حول علاقة الخلفية التاريخية بالخصائص الأخلاقية للمجتمع الوهراني الذي صقله التاريخ وأحداثه بصفات ثابتة وأخرى متغيرة.

### - إشكالية البحث:

لا يزال تاريخ الدولة الزيانية يحمل العديد من الإشكاليات المتعلقة بطبيعة العلاقات بين العاصمة تلمسان والمدن التابعة لها، والتي تموضع بعضها على أطراف الدولة وكانت محاذية لقوى منافسة للزيانيين مما يجعلها في مواجهة مباشرة للتغيرات التي تطرأ على موازين القوى في الغرب الإسلامي. كما أن سقوطها أحيانا في يد قوى منافسة خاصة من المرينيين جعلها تتأثر بوجود سلطة جديدة معادية للسلطة المركزية للدولة الزيانية. هذه الأخيرة التي حاولت في كل مرة استرجاع مناطقها ومدنها عند تجديد الدولة انطلاقا من العاصمة تلمسان. وقد كانت وهران من بين هذه المدن التي يحرص الحكام الزيانيين في استرجاعها لحكمهم وسيطرتهم وذلك لأهميتها الاستراتيجية للدولة. وهذا ما يطرح تساؤل حول:

ما مدى ارتباط وهران الزيانية بالسلطة المركزية في تلمسان؟ وما طبيعة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في وهران طيلة الفترة الممتدة من (ق7هـ/13م الى ق10هـ/16م)؟

وانطلاقا من ذلك تبرز تساؤلات جزئية منها:

- ما طبيعة الحكم الزياني لمدينة وهران؟ وما أشكاله؟
- وهل تطور أو تغير طيلة الحكم الزياني أو حافظ على نفس النمط؟
- وإلى أي مدى ارتبطت وهران سياسيا بالسلطة المركزية في تلمسان خاصة بعد العودة من سلطة سياسية معادية؟
- وهل سلطة المدينة اقتصر داخل أسوارها أو تجاوزتها إلى ظهورها؟
- وما تأثير سقوط وهران في يد الإسبان على الدولة الزيانية. وعلى العالم الإسلامي عامة.
- ما طبيعة النشاط الاقتصادي لوهران؟. وما أهمية المدينة في الدورة التجارية الداخلية والمتوسطة؟.
- ما تركيبة المجتمع الوهراني. ودينامكية الهجرة من وإلى وهران؟.
- ما هي أهم المشاكل الاجتماعية؟. وكيف تم التعامل معها؟.

ولذلك يمكن الإشارة إلى أن خطة البحث خضعت لهذه الإشكاليات وليس لقوالب جاهزة.

### خطة البحث:

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة اتبعت خطة بحث تعتمد على مقدمة تتضمن أهمية الموضوع والدراسات السابقة، أسباب اختيار الموضوع، الإشكاليات المختلفة حول تاريخ وهران الزباني، خطة البحث، نقد المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، وصعوبات البحث. ثم أدرجت مدخل يعتبر مرجعية جغرافية وتاريخية لوهران قبل فترتها الزبانية 636هـ / 1238م. كما تضمن أصل التسمية ودلالاتها.

### الفصل الأول: ويعالج الإشكاليات السياسية التي تواكب فترة طويلة تقارب أربعة قرون من

تاريخ وهران السياسي الزباني، وما تتخلله من انقطاعات لصالح قوى أخرى، بداية من ظروف تأسيس الدولة الزبانية، ومحورية قائدها يغمراسن بن زيان وعلاقتها بالساحل، ثم حللت واقع الحياة السياسية لوهران من أحداث ووقائع تتقاطع فيها الصراعات والحروب بين قوى متنافسة (الزبانيين والمرينيين والحفصيين) وقبائل متناحرة وبحر يرمي بتغييراته على شواطئ ضفافه. كما تطرقت لتحليل السلطات السياسية في وهران طيلة فترتها الزبانية وفترات حكم المرينيين، وأبرزت تأثير مختلف الفاعلين في توجيه وعي ومواقف المجتمع الوهراني وفي آخر الفصل ركزت على القرصنة وأبعادها وحيثيات الغزو الصليبي المتنامي على المنطقة ووقوع وهران فريسة لاختلال توازن القوى بين عاملين مختلفين، عالم إسلامي بدأت تتلاشى حدوده وتتقلص في الجهة الغربية منه وعالم مسيحي بدى قويا ومسيطر على الضفة الغربية للمتوسط.

### أما الفصل الثاني: ويعنى بالحياة الاقتصادية لوهران في الفترة الزبانية، فعالجت مختلف الأنشطة

كالفلاحة، وأبرزت إمكانياتها الزراعية من توفر للأراضي الصالحة للزراعة والمياه وتوفر لثروة حيوانية معتبرة، مما جعل المنطقة تزخر بالإنتاج الفلاحي الذي وفر الحاجيات الغذائية للسكانه وصدر الفائض منه للأسواق الخارجية، كما استغل جزء منه كمادة أولية لصناعات عرفت بها المدينة وأريافها. كما وفر الموقع الساحلي للمدينة بروز صناعات خاصة بالساحل، وأعطى للمدينة أهمية في التجارة الخارجية للدولة الزبانية. وهذا الجزء من الفصل كان دسما لما توفر فيه من مادة أرشيفية وتاريخية قيمة، فحللت العلاقات الاقتصادية مع المدن المتوسطية ودور وهران في تجارة الترنزيت، وقد دعمت هذا الجزء بالمعطيات الاحصائية والبيانية وخرائط تفصيلية، مبرزة مختلف المنشآت الاقتصادية ووظائفها في الحركة التجارية مع رصد الجهاز الجمركي المتواجد في وهران. وفي آخر الفصل استعرضت بعض

المشاكل الاقتصادية المطروحة آنذاك.

**الفصل الثالث:** وهو الفصل الأخير من الدراسة، ويهتم بالمجال الاجتماعي وما يثيره من إشكاليات حساسة تمس المجتمع الوهراني بشقيه التمديني والريفي، ومتابعة التداخل والانفصال بينهما. ثم تتبعت حركية التعمير من بوابة البحر، وركزت على كرونولوجيا الهجرة المتوسطة، إنطلاقاً من الهجرات الأندلسية ودلالاتها في النسيج الاجتماعي لسكانه وهران، ثم بقية العناصر الأخرى من أهل الذمة، خاصة اليهود والذين ارتبطوا بالمنطقة الأندلسية - مغربية -، وبذلك كان لهم حضور معتبر في وهران وأوضحت كذلك الجاليات الأوروبية في وهران خاصة من التجار الجنوبيين والبنادقة والأراغونيين وغيرهم، ومن الإشكاليات التي تطرقت إليها جوانب من حياة المرأة الوهرانية ما بين جمالية الصورة ونشاطها وهمومها. كما حاولت من خلال المعطيات المتوفرة تحليل المشاكل التي طرحت بين الأسر الوهرانية.

خاتمة البحث تحمل النتائج والأفكار المستخلصة والتوصيات إضافة إلى الملاحق وفهارس مساعدة للولوج بسهولة لعناصر البحث.

#### - منهجية البحث:

إن موضوع الدراسة عن حياة وهران من ميادين مختلفة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية)، وفي ظرفية زمنية محددة من القرن (7هـ إلى ق 10هـ ومن ق 13م إلى ق 16م) وفر تراكم كمي للمادة المعرفية والتي تحتاج إلى منهجية علمية تستوعب شمولية الموضوع ومجالاته الجغرافية، وتتبع تطوره الزمني في الفترة المحددة للدراسة. هذا أوجب مراعاة اختيار مناهج متعددة يمكنها تفسير الترابط بين المجالات المختلفة للمجال المعرفي من سياسي، اقتصادي واجتماعي، وربطه بفضائه التاريخي والجغرافي للمنطقة ككل.

ومن الأطر المنهجية الرئيسية التي استخدمتها للإجابة عن الإشكاليات السابقة؛ المنهج الوصفي والذي يسمح بتاريخ ووصف الأحداث التي أراها مهمة في توضيح الصورة السياسية أو الاقتصادية لوهران وتأثير ذلك على مجالها الجغرافي المتعدد الأبعاد. وكذلك لإبراز ورصد التطورات والتغيرات التي نتجت وانعكست عنها.

كما لا يمكن للباحث الإستغناء على المنهج التحليلي الذي يبحث في حيثيات الظاهرة أو الحدث؛ فيفكك المعطيات التاريخية المختلفة، ويعيد تركيبها من جديد بهدف فهم الترابط ودرجة

التداخل بين البنيات المكونة لوهران؛ فهي مدينة يحدها سور يفصلها عن فضاء خارجي خضع لتأثيرات كثيرة أدت إلى تأثره وتأثيره في هذه المدينة وفي حياتها الاجتماعية من حيث بنيتها السكانية، كما أثر هذا الفضاء وحدد طبيعة نشاطها الإقتصادي، وعبر كذلك عن حقيقة الخضوع للهيمنة السياسية وطبيعة القوى المسيطرة على المجال القبلي المجاور له. لذلك تجدر الإشارة هنا أن محاور البحث الرئيسية عرفت تداخلاً في التحليل بسبب قوة الترابط والتقاطع بين البنيات المتعددة، مما يوضح حيوية المعطيات التاريخية؛ فلا يمكن فهم التاريخ دون التعمق وربط العلاقة بين عناصر الموضوع المعالج.

### - نقد المصادر والمراجع:

من بين الفترات التاريخية التي حظيت بكثرة التأليف وتنوعه مقارنة بالفترات السابقة، نجد الفترة الممتدة من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجري (ق 16/12م)، لذلك يمكن اعتبار أن وهران محظوظة، فقد استفادت من مادة معرفية تعددت روافدها وأصنافها بسبب موقعها الجغرافي والاثني وتصوفها في أواخر العهد الزياني. فالمعطيات المصدرية اختلفت من المختصة بوصف المكان ومعاينة العمران إلى المختصة بالزمان والتأريخ للملوك والدول. ولكن يبقى التنويه بأهمية المسح الأثري للمواقع العمرانية للمنطقة التي يمتد تاريخها إلى حضارات سابقة، فالتقنيات الجديدة من مسح جوي واستخدام نظم المعلومات الجغرافية، من شأنه الكشف عن حقائق مهمة تساعد على الدراسة التاريخية لاستجلاء المعلومات المغمورة عن وهران، وذلك لسد فجوات البحث والإحاطة بالإشكاليات الكثيرة.

### 1) كتب التاريخ:

تبقى المصادر التي أرخت لتاريخ وهران في الفترة الممتدة من إلحاقها بالدولة الزيانية إلى سنة 784هـ/1382م، وهو تاريخ إنهاء:

عبد الرحمان بن خلدون من مؤلفاته "العبر" محدودة الفائدة المعرفية مقارنة به لإنفراده بذكر مفصل لتاريخ المنطقة، وتوضيح المحطات الهامة التي عرفت. إضافة إلى ذلك فقد اهتم ابن خلدون بكشف القاعدة البشرية القبلية لظهير مدينة وهران بشكل يعكس فهمه لماهية المنطقة القبلية، وعلاقة ريفها وباديتها بالمجال التمديني، وهذا ينطبق على وصف غوتيه لكتاب ابن خلدون "بأنه يحمل برنس

صاحبه"؛ وذلك لمعرفة الحياة والملموسة<sup>1</sup> لتاريخ المنطقة وجغرافيتها، وطبيعة التداخل والتصادم في العلاقات بين القوى المسيطرة على حياة منطقة المغرب الأوسط. وقد أفادني من تاريخ ابن خلدون في توضيح الحوادث الخاصة بالدولة الزيانية وعلاقتها بوهرا ن خاصة في خضم الصراع الزياني المريني، كما أن ابن خلدون أفادني في مقدمته في تحليل الفكر القبلي وعلاقته بتأسيس الملك. ومن التأليف التي اهتمت بالحياة السياسية والإقتصادية، وحتى الإجتماعية لوهرا ن نجد مصادر تاريخية ونذكر منها:

**المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي عبد الواحد 647هـ/1249م**، والذي يقدم معلومات تاريخية عن المنطقة المغاربية في أواخر العصر الموحدية، ويصف المدن والطرق ولكن بإيجاز ومحدودية. وقد أفادني في إعطاء وصف لوهرا ن يعبر عن تراجع عمارتها وأوضح من جهة أخرى توفر ثروات معدنية في المنطقة القريبة من وهران.

**البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي أبو محمد عبد الله ت 712هـ/1313م**، وهو من التأليف التي تؤرخ للأحداث والمسارات الكبرى لبداية ونهاية الدول والفاعلين فيها، وقد أفادني المراكشي في توضيح بعض الحوادث التي شهدتها وهران وخاصة مقتل تاشفين المرابطي على يد الموحدين وما تبعها من تحالفات القبائل الفاعلة في المنطقة.

**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لابن خلدون لابي زكريا يحيى ( ت 780هـ/1378م)** من المصادر المباشرة لتاريخ الدولة الزيانية تضمن معلومات قيمة حول الدولة من التأسيس إلى ق 8هـ/14م على عهد فترة السلطان أبي حمو الثاني، وقد أورد معلومات عن وهران في معرض حديثه عن مجريات الأحداث بين الزيانيين والمرينيين ومحاولة الزيانيين استرجاعها، لكننا لم نفهم لماذا لم يخصص يحيى بن خلدون قلمه للمدن الزيانية في الوصف والرحلة وإبراز علاقتها بالسلطة المركزية، كونه من رجالات السلطة، ومطلع على خبايا السياسة الزيانية، ولكن يبدو أن الخوف من الأطراف المتنافسة على السلطة قيدت قلمه وأراءه، ورغم ذلك فقد ذهب ضحية لما تخوف منه، فقد قتل في خضم الصراع الأسري على ولاية وهران، ولكنه أفادني في توضيح العلاقات السياسية بين السلطة المركزية الزيانية ووهرا ن ومختلف الأخطار المرينية التي استهدفت وهران، وما شكلته من أهمية

1 أ. ف غوتيه ؛ ماضي شمال افريقيا، ترجمة هشام الحسيني، طبع الكتاب سنة 1970، مؤسسة تاولت الثقافية، سنة 2010.

لدى الحكام الزيانيين الذين يحاولون في كل مرة استرجاعها من قبضة المرينيين. تاريخ بني زيان ملوك تلمسان وهو مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لتنسي ابي عبد الله محمد (ت899هـ/1494م)، والكتاب يسمح للباحث بالإطلاع على الأحداث السياسية الخاصة بالدولة الزيانية ولكنه يهتم بالأحداث العامة والسلاطين الزيانيين، ولا نجد ذكر تفاصيل ومعلومات كثيرة عن حياة المدن الزيانية، والتي كانت شحيحة لا تفني بالعرض.

## 2) كتب الجغرافيا:

كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكري ت 487هـ/1113م. وهو من الموسوعات الجغرافية والتاريخية التي لا يستغني عنها الباحث لأهمية المرحلة التي تؤرخ لها فالتأليف يقدم الخلفية التاريخية لتأسيس المدن في المغرب الوسيط كما يبرز أهمية المسالك والطرق والمحلات القبلية والأحداث البارزة للمنطقة والمدينة وهران. وقد أفادني كثيرا في إعطاء الخلفية التاريخية لتأسيس مدينة وهران وعلاقتها بالدولتين الفاطمية والأموية كما أوضح التأليف موضع وموقع وهران على شبكة الطرق والمسالك الداخلية والساحلية.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدرسي ت 585هـ/1162م، وقد استفدت منه في توضيح الصورة الجغرافية للمدن وشبكة الطرق والمسالك البحرية والبرية وخاصة تموقع وهران والمسافات بين المدن وإمكانيات وهران الفلاحية.

الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ت 723/1323م أو 727/1327م ويعتبر مرجعية للمدن المغاربية فهو يعطي معلومات ملمة بتاريخها وجغرافيتها باختصار. واستفدت منه في توضيح إمكانيات وهران وإزدهارها الفلاحي.

إضافة إلى:

وصف افريقيا لحسن الوزان وكتاب افريقيا لكاربخال، وهما تأليفان متشابهان في عرض المادة الجغرافية والتاريخية، وتكمن أهميتهما للبحث في ذكرهما الكثير من المناطق والمدن والجبال وغيرها، وذكر حيثيات الغزو الاسباني للمرسى الكبير ووهران في ق 10هـ/16م. وقد أفادني في توضيح إمكانيات وهران ومنطقتها بالخصب والازدهار الاقتصادي، رغم بعض الصعوبات التي طرأت على رخاءها، كما رصدت كتابتهما تفاصيل الأخطار التي لحقت بوهران وأبرزت إنفصال وهران عن السلطة الزيانية في مرحلة من تاريخها.



### 3) كتب الرحلة:

الرحلة والتي ملأت الفراغات للتاريخ المحلي الخاص بالمدن على اعتبارها مكان للإستقبال والمرور لأغراض تعددت ما بين التجارة وطلب العلم، ونجدها تنفرد في ذكر بعض العادات والتقاليد لغرض الفرحة والترفيه، كما ركزت على وصف مستجدات الأحداث السياسية والاجتماعية والإقتصادية من وجهة نظر صاحبها، تاجرا أو عالما أو حاجا، فظهر من وصفهم حالة المجتمع الوهراني يتفاعل مع واقعه المعاش وموقفه من الحوادث التي عاصرتهم، ومن الرحالة الذين خصصوا جزءا مهما من كتاباتهم وشهاداتهم الحية عن وهران بنجد:

**العبدري (من أهل ق7هـ/13م)** ومن خلال ما كتب عن وهران خضنا في إشكالية تدهور حالها وتراجعها في القرن 7هـ/13م، وقد حاولنا تحليل المعطيات وما مدى تطابقها مع الواقع. ولذلك فإن ما كتبه العبدري عن وهران سلط الضوء عن تراجع عمارتها بشكل ملفت، مما أثر على الحياة الاجتماعية والثقافية داخل المدينة، وتأثيرها على تراجع ارباد المدينة والاستقرار فيها.

**ابن الصباح (ق8هـ/14م)**، والتأليف يقدم معلومات حية عن وهران، ويصف كرم أخلاق أهلها. فقد أفادني كثيرا في الإطلاع على حالة عدم الاستقرار والخوف في الطرقات للدولة الزيانية، وعكست كتاباته حالة الخصب الفلاحي في وهران، ووصف عادات الكرم وحسن أخلاق أهل وهران. **عبد الباسط (ت أواخر ق9هـ/15م)** ويعتبر تأليفه من المصادر الأساسية والمحورية في التأريخ لمدينة وهران، ففضله اتضحت العلاقة السياسية بين وهران والسلطة في تلمسان خلال القرن 9هـ/15م واستطعت استقراء بعض الأسماء لرجال وهران والفاعلين على الساحة السياسية، وخاصة وظيفة المشرف وما مدى درجة الترابط بين السلطة المركزية بتلمسان وممثلها بوهران، كما وقفت على حالة الخوف السائدة في وهران بسبب الأخطار البحرية، وخاصة القرصنة على سواحل المغرب الأوسط.

### القلصادي (ت 9هـ/15م):

ورغم أن رحلته تتصف بالإيجاز، وعدم الغوص في الجزئيات مقارنة بالرحل الحجازية الأخرى، إلا أن ميزته برزت في دقته في ذكر التأريخ لأحداث رحلته<sup>1</sup>، ومعلوماته تؤكد ما قدمه الرحالة عبد الباسط.

<sup>1</sup> علي إبراهيم كردي؛ أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، سنة 2013. دمشق (سوريا) ص 76.

وهذا ما ساعدني على تحديد الزمن المستغرق في السفر بين المدن الساحلية المغربية، كما استفدت منه في التعرف على بعض الشخصيات المستقرة في وهران.

#### 4) كتب النوازل: وأهمها

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندرلس والمغرب لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ/1508) وعلى الرغم من أنني لم أجد كلمة وهران في فهرسته العامة، إلا أنه أفادني في توضيح بعض مواقف عماء وهران من خلال النوازل والمسائل التي طرحت عليهم. ومن كتب المناقب والسير نجد:

تأليف لابن سعد التلمساني (ت 901هـ/1495م) في روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ومن خلاله اطلعت على تفاصيل مهمة في حياة متصوفة وهران، وعلاقتهم بالسلطة المركزية في تلمسان، وجزء من حياة المدينة فيما يخص استقلالها عن الدولة. وخاصة العالمين الهواري والتازي.

والملاحظ أن حقل الدراسة التاريخية تعزز كثيرا بمراجع مهمة خاصة بالفترة الوسيطية بسبب إدراجها ضمن اهتمامات البحث الأكاديمي في الجزائر، فنشطت وتعددت البحوث والرسائل العلمية، وبدأت تبرز معها جودة ونوعية بعض الدراسات الجادة في الكثير من الجامعات الوطنية، وذلك يعبر عن حرفية وكفاءة أساتذتنا الكرام وحسن توجيههم للطلبة من جهة، ومن جهة ثانية الاستغلال الأمثل لتراثنا المادي والمعنوي خاصة بعد كشف واستثمار التأليف المحلية، والاهتمام ببقية العلوم التي لديها صلة بالتاريخ. كما لا يمكن إغفال التأليف الأجنبية الحديثة، وخاصة التي اهتمت بالأرشيف وطوعته إلى مادة معرفية متاحة للباحث، وأشير هنا إلى بعض الدراسات الجادة مثل كتاب:

إسكان الغريب لأليفيا ريمي كونستابل<sup>1</sup>. وقد أفادني هذه الدراسة في توضيح حركية التجارة المتوسطية بين المدن الإسلامية والمسيحية، والعلائق الاقتصادية بين الدول المتوسطية.

كما أثنى نشر مخطوطات مهمة على - سبيل المثال لا الحصر- "كتاب العدوان"، كما أن له عناوين أخرى "عنوان الأخبار فيما مر على بجاية" الذي يعود للشيخ "أبي علي ابراهيم المريني البجائي"، وهو مخطوط تم نشره في المجلة الافريقية لسنة 1868 ضمن مقالة تحت عنوان "غزو مدينة

<sup>1</sup> إسكان الغريب في العالم المتوسطي (السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط) تعريب وتقديم، محمد الطاهر المنصوري، مراجعة محمد ياسين، ط01. الصيد دار الكتاب الجديد، سنة 2013.

بجاية من طرف الإسبان من خلال مخطوط عربي "للكتاب والمترجم" ل. شارل فيرو<sup>1</sup> يؤرخ لمحاولة سلطان بجاية مساعدة سكان وهران من الإحتلال الإسباني، ولكن محاولته باءت بالفشل مما عبر عن تراجع قوة الممالك الإسلامية بسبب الفتن الداخلية في ظل تنامي القوة الإسبانية على سواحل المغرب الأوسط.

ومن الدراسات الإسبانية المهمة التي أرخت لوهران والمرسى الكبير في نهاية القرن 16م (10هـ) العمل الوحيد لدييغو سواريز Suarez Diego، والذي تم نشره في نهاية القرن 19م (13هـ)، ويبدو أنه ظل المصدر الوحيد للمراجع والمؤرخين الإسبان والفرنسيين في كتاباتهم حول بداية الوجود الإسباني لوهران، وقد استغل هذا التأليف في توضيح عملية الغزو لمدينة وهران وسياساته بعد الغزو.

ومن الملاحظات التي سجلتها أن الكتابات الإسبانية والفرنسية كانت تحمل شحنة عاطفية بارزة تجاه ضم وهران إلى العالم المسيحي، وخاصة في وصف المشهد الذي يؤرخ لسقوط المدينة، بداية من تجهيز الحملة إلى سقوط وهران الدرامي، ونفس الملاحظة سجلتها عند المؤرخين الجزائريين الذين تفاعلوا مع استرجاع العثمانيين لوهران من يد الإسبان، فقد طغت عواطفهم على كتاباتهم وأشعارهم وهناك تأليف أخرى مهمة استفدت منها يمكن إيجادها في فهرسة المصادر والمراجع.

وما يمكن الإشارة إليه أيضا هو أن بعض الدراسات حملت عناوين وإشكاليات مهمة، إلا أنني لم أستفد من محتواها، الذي اختصرت فيه الإجابة عن الإشكالية في سطر أو سطرين، ويرجع ذلك لقلة المادة المصدرية أساسا من جهة، وعدم صياغة الإشكالية بما يتماشى مع المضمون من جهة ثانية.

#### - الصعوبات التي واجهت البحث:

إن البحث في المجال التاريخي لمنطقة عرفت تلاشي معالمها المادية وخاصة الأثار، والتي لم يبق منها إلا القليل يجعل البحث أكثر صعوبة ومشقة. كما أن ارتباط جزء من تاريخ وهران بالأرشيف المتوسطي للمدن التجارية التي ربطتها علاقات مع مدينة وهران؛ يجعل البحث أكثر ارتباطا بالرحلة والبحث الميداني، وهنا تبرز الصعوبات المتعلقة بظروف العمل، والتي تستهلك من الباحث ومن وقته

<sup>1</sup> وحسب مؤلف المقالة ومترجم المخطوط إلى الفرنسية فإن المخطوط قد أهدى له من طرف ضابط سامي في الجيش، وجدت عند أحد رجال الدين المسلمين من قبيلة بن يعلا من قسنطينة. وقد ورد في المجلد 12 لسنة 1868، العدد 70، ص، ص 256، 245.

وجهده الكثير، وتجعله منهكا، خاصة أن مجال وظيفتي لا يخدم البحث. وصعوبة التواصل مع المكتبات الجامعية في ظل البروتوكول الصحي الوقائي من انتشار جائحة كورونا. ومن الصعوبات كذلك أن التاريخ الوسيط عميق ومتشعب، وله علائق مع مختلف الشعوب والحضارات، ويتطلب الإلمام بعدة لغات أوروبية مثل الإيطالية والإسبانية والفرنسية وغيرها، والتي تحتاج إلى متخصص في هذه اللغات، ومدرك لتحولاتها اللفظية والدلالية. وهذا ما يفتح فجوة في التواصل بما احتوته هذه المادة المعرفية التاريخية من قيمة في البحث التاريخي في ظل غياب شبه كلي للترجمة العلمية والأكاديمية للكتب التاريخية الأجنبية سواء الوسيطة أو الحديثة. كما أن البحث الميداني باستعمال التكنولوجيا الحديثة يبقى منعما خاصة في مجال الكشف عن حدود المدن والمسالك، والتنقيب على الأودية الغامرة وتحليل تربتها لاستخلاص الأنشطة التي ارتبطت بالأودية.

المستطيل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1/جغرافية وهران و دلالة تسميتها:

1/1. موقع وهران :

1/1/1. الموقع الفلكي :

تقع مدينة وهران فلكيا على خط عرض "48 42 35 ° شمالا<sup>1</sup>، وعلى خط طول "38 57.2 ° غربا من خط غرينتش

2/1/1. الموقع الجغرافي:

تقع وهران إلى الشمال الغربي من الجزائر تطل شمالا على البحر المتوسط بواسطة الخليج الذي يحمل اسمها<sup>2</sup>، وميناء وهران في عمق الخليج الممتد من رأس فالكون (cap falcon) غربا إلى رأس الإبرة (cap de l'aiguille) شرقا<sup>3</sup>، وهذه الرؤوس تكون حادة وعارية ومفتوحة على الرياح<sup>4</sup> والخليج محمي جدا من الرياح الشرقية والغربية المتجهة جنوبا، وذلك بسبب الأراضي المرتفعة التي تحد الساحل. ومدينة وهران يتم تغطيتها بشكل مثالي من الجهة الشمالية الغربية عن طريق جبل مرجاجو<sup>5</sup>.

يحد وهران غربا جبل مرجاجو، وهضبة مولاي عبد القادر وشرقا الجروف الصخرية وهضبة بئر الجير، أما جنوبا السبخة الكبرى<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ED , Déchaud ; Les ports de l'Oranie ( extrait du bulletin de la société de géographe et d'archéologie de la province d'oran ) , tome xxviii , imprimerie typographique et lithographique .L.fouque place kléber .1908p06.

<sup>2</sup> وهو على شكل نصف دائري مثله عدة خلجان مثل أرزيو، بجاية، سكيكدة. حللمي عبد القادر، جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية واقتصادية)، ط01، سنة 1968. ص43

<sup>3</sup> ED , Déchaud ; op .cit .p06.

<sup>4</sup> بختاوي خديجة ؛ التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عمالة وهران ( 1870/1939)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية 1432/1433 2011/2012. ص19.

<sup>5</sup> وهذه الوضعية للمراسي والمدن الساحلية التي تتشابه في حمايتها من الجهة الشمالية الغربية من جبال تشكل دعم وحماية هي سمة لمختلف الموانئ الموجودة في الجزائر كما نوه بذلك المهندس الهيدوغرافي البارز م.ليوسو. M. Lieussou. يمكن الرجوع إلى ED , Déchaud ; op .cit .p 03 ..

<sup>6</sup> بوتشيشة (علي) ؛ "مدينة وهران من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية ص209.

وعلى بعد حوالي سبعة كيلومترات (7 كلم) من وهران نجد المرسى الكبير الذي يرجع له الفضل في إعطاء مكانة لوهران طيلة تاريخها الطويل، وذلك بسبب مميزاته وخصائصه المتعددة فإتساع خليجه من جهة وعدم وجود موضع متسع لإنشاء مدينة قربه من جهة ثانية بسبب صعوبة الطبوغرافية المحيطة به وخاصة اختراق ومحاصرة كتلة مرجاجو له<sup>1</sup> إضافة لغياب مصدر مائي كل ذلك جعل من موضع وهران أفضل مكان لإقامة مدينة دائمة يمكن أن تستفيد من خصائصه المميزة وخاصة في التجارة البحرية<sup>2</sup>. والصورة الجوية توضح اتساع المرسى الكبير وحصانته:



يشكل المرسى الامتداد البحري لجبل سانتو santo في البحر شبه جزيرة صغيرة اقيمت عليها حصن المرسى الكبير<sup>3</sup>.

ومن خصائص موقع وهران الجغرافي أنه متعدد الأبعاد فهي بوابة الغرب الجزائري، وعاصمته كما أنها تتوسط عدة مدن فهي على سبيل المثال - لا الحصر - تقع على نفس المسافة بين الجزائر<sup>4</sup>

<sup>1</sup> Augustin Bernard ; Oran ,étude de géographe et d'histoire urbaines Annales de géographie, t ,48 . N°274.1939.p 412.

<sup>2</sup> وسنحلل ذلك في الفصل الثاني أكثر.

<sup>3</sup> وخليج المرسى الكبير محمي طبيعيا من الرياح الشمالية الغربية وتصل سعته الإجمالية 500 هكتار، وهو قادر على إستقبال 30 سفينة من الحجم الكبير منها 20 سفينة بإمكانها الرسو بمحاذاة الحصن مباشرة .يمكن الرجوع إلى ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط02. البصائر للنشر والتوزيع (الجزائر).ص 138.

<sup>4</sup> الجزائر، ومعناها الجزر، والمدينة قديمة من بناء قبيلة مزغنة، ضمت حوالي أربعة آلاف كانون في عهد الوزان أسوارها رائعة ومتينة جدا، فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب .الوزان، المصدر السابق، ج02.ص 37.

العاصمة ومدينة سبتة<sup>1</sup> (حوالي 400 كلم)<sup>2</sup>، وهذا يشكل أهمية في عملية الإتصال ما بين مختلف المدن عبر وهران سواء في الداخل أو على الساحل<sup>3</sup>. فوهران مقابلة لجبل طارق مما يضفي عليها قيمة استراتيجية عالية<sup>4</sup>

## 2 / 1 . طبوغرافية وهران:

إن طبوغرافية وهران صعبة بسبب المنحدرات الحادة المهيمنة على الموضع مما جعل مساحة المدينة ضيقة جدا<sup>5</sup>، ويظهر الاختلاف في المستوى الطبوغرافي من الاتجاهات الأربع، فوهران تقع بين السفوح الشرقية لجبل مرجاجو الذي يحدها من الغرب، والجروف الصخرية وهضبة بئر الجير شرقا<sup>6</sup>، ويتسم السطح بالانبساط في الوسط والجنوب والشرق<sup>7</sup>، ويتراوح إرتفاع الهضبة ما بين 100 / 200 متر<sup>8</sup> أما في الغرب فيشتد الإرتفاع خاصة في جبل مرجاجو ومرتفعات بوصفر وفي الشمال تبرز مرتفعات في ربوات كريشتل، وأرزيو، وكاناستيل<sup>9</sup>، وفي الجنوب يبرز سهل وهران الذي يعتبر امتداد للسهول الساحلية فلا يفصله عن سهل متيجة الا منطقة جبلية ضيقة بالقرب من مليانة<sup>10</sup>.

والصورة الطبوغرافية للجبل وواد الرحي تعطي شكل سرج الفرس والتي يمكن رؤية جانب منها

<sup>1</sup> سبتة مدينة بين بحرين البحر المحيط وبحر الروم، تشبه بالإسكندرية وهي مورد البرين بر العدو و بر الأندلس، وهي مدينة حط وإقلاع عرفت حكم العزفي. صاحب حماة، المصدر السابق، ص 133. ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 139.

<sup>2</sup> *Mohammed Bouchikhi ; Pression Démographique , environnement et développement global de la ville d'Oran , cahiers de la méditerranée ,N °51.tome02.1995.p15.*

<sup>3</sup> بشير مقييس ؛ مدينة وهران، دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 32.

<sup>4</sup> *ED , Déchaud ; op cit .p13.*

<sup>5</sup> *Bernard Augustin ; Oran , étude de géographie et d'histoire urbaine p413 .*

<sup>6</sup> مقييس ؛ المرجع السابق.ص31

<sup>7</sup> بوعزيز ؛ المرجع السابق، ص 19.

<sup>8</sup> مقييس ؛ المرجع السابق، ص 33.

<sup>9</sup> بوعزيز ؛ المرجع السابق، ص 20.

<sup>10</sup> حليمي ؛ المرجع السابق، ص 43.



على أبعد مدى من البحر<sup>1</sup>. والملحق 01 يوضع موضع المدينة من الجبل وواد الرحي .

### 1/ 3 . طبونيميا ما بين الاصل التاريخي ودلالاته:

إن دراسة دلالة تسمية وهران يحتاج إلى الإحاطة بمختلف الروايات التاريخية التي وردت في شأن التسمية، وكذلك تفكيك المصطلح لغويا لكشف هوية الحضارة التي يرجع لها أصل التسمية "وهران" والتي حافظت عليه المدينة طيلة مدة طويلة من تاريخ تأسيسها من 290هـ/902م وإلى اليوم، كما يمكن البحث في دلالة التسمية .

### 1/ 3 /1 . الروايات التاريخية الخاصة بالتسمية :

وقد وردت عدة أقوال في شأن التسمية اشتهرت منها سبعة أقوال متداولة في التأليف التاريخية، فقد أوردها محمد بن يوسف الزباني فيمالي:

**الأول :** إنما سميت بذلك لكون خزر الذي إختطها لقبه وهران فسميت به .

**الثاني :** إنما سميت بذلك لكون الرجل الذي بيني فيها اسمه وهران فسميت به.

**الثالث :** إنما سميت بذلك لكونها تركيبا مزجيا من كلمتي وهران ف "وه" معناه الضعف، لأن مغراوة الذين كانوا بها في تعب وهلاك مع بني يفرن وعمال الشيعة من صنهاجة وغيرهم وكذا إزديجة وعجيسة فسميت بذلك.

**الرابع :** إنما سميت بذلك لكونها زناتية وذلك أن مغراوة لما شرعوا في حفر أساسها وجدوا به غارا فيه ثعلب فسموها بذلك، وقالوا مدينة وهران فاستعملت بهذا الاسم للآن وهذا أشهر الأقوال .

**الخامس :** إنما سميت بذلك لكونها مركبة تركيبا مزجيا من كلمتي وهران ف "وه" معناه الضعف و"ران" معناه الغلف، فهي ضعيفة الران أي الغلف الذي يكون على قلوب الناس لأن خزر الذي اختطها كانت عقيدته سالمة لكونه كان سنيا فلذلك ضعف رانه.

**السادس :** إنما سميت بذلك لكونها مركبة من كلمتي واه رانا وذلك أن بني يفرن لما غزوها اثر بناءها لم يهتدوا إليها ولم يطلعوا عليها لعدم معرفتهم بها لكونها كانت بمحل مشعر ذا غيظ كبيرة

<sup>1</sup> Corneille Nicolas Marchand Libraire Demeurant a L'enfeigne ; Description De la mer méditerranee ( Guilliaune Dérnard , pilote 1608) du Livre à eferire , Lan M. DC . VII. Amsterdam. S. p

لا يعرفه إلا صاحبه، فألفوا بقربها رجلا ذاهبا منها لبعض مآربه فتقبضوا عليه وسألوه عنها فأبى أن يخبرهم بها فشددوا عليه فجعل عصاه نيشانا نحوها فقالوا: هي صوب النيشان، فقال لهم، واه، ثم سمعوا آخر يقول: رانا فقصدوه فعثروا عليها فأخذوها وسبوا أهلها، فقالوا: هذه غنيمة واه رانا فاستعملوا لها اسما من ذلك فحذفوا كلمة غنيمة وألف واه أي بعد الواو وألف رانا أي بعد النون، ووصلوا الكلمتين فقالوا وهران

**السابع:** إنما سميت بذلك لأنها مقلوبة من كلمتي نار هو أي ظهر أمر خزر الذي اختطها ونار على غيره من قرابته وغيرهم<sup>1</sup>.

وأول ما يلاحظ ان هذه الروايات وردت عند المؤلفين المحدثين لذلك فهي بمثابة تدوين للروايات الشفوية المتداولة في الذاكرة الشعبية الجزائرية عن أصل تسمية وهران<sup>2</sup>، ونستشف من بعض هذه الروايات ارتباط تسمية "وهران" بقصة تاريخية تؤرخ لأحداث تأسيس المدينة حيث ربطت العلاقة ما بين المدينة وقبيلة مغراوة وزعيمها خزر، وذلك غير متطابق مع تأسيس المدينة لذلك فهي بعيدة عن الموضوعية أما عن تركيبة المصطلح ودلالاته فسنوضح ذلك فيما يأتي.

### 1/ 3/ 2 . التركيبة اللغوية ودلالاتها :

وردت **وهران** عند المصادر الأقدم من: ابن حوقل، البكري، المقدسي، صاحب الاستبصار، الادريسي، عبد الرحمان بن خلدون، يحيى بن خلدون، المزاري وغيرهم<sup>3</sup> وأما البنية الصوتية "**لَوْهْرَان**" : فهي بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الراء المهملة وآخره نون<sup>4</sup>،

<sup>1</sup> يمكن الرجوع الى كتابه دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم، المهدي البوعبدلي، اعتنى به، عبد الرحمان دويب، ط01. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2013. ص 52.

<sup>2</sup> وحسب الباحث فريد برمضان فان الانتماء الى مجتمع عاش لفترة طويلة بتقاليد وثقافة شفوية يزيد من صعوبة البحث في اصل تسمية وهران ودلالاته اللغوية والتطور الذي عرفه مما يجعل التفسيرات والفرضيات تتعدد وتخضع للتخمين أكثر عند الباحثين. يمكن الرجوع الى مقالته :

*Benramdane ( Farid), De l'étymologie de Wahan , Revue Algérienne d'anthropologie et de sciences sociales ,Insaniyeat .23 – 24.2004.p /p 249 /272.*

<sup>3</sup> *Ibid .p /p 249 /272*

<sup>4</sup> الحموي؛ معجم البلدان، المجلد الخامس 05، دار صادر، بيروت، ص 443. وكذلك محمد بن البروسوي الشهير بابن سباهي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرواحية، ط01. دار الغرب الإسلامي، سنة 1427هـ/2006م. ص 639.

ولكن هذه البنية اللفظية والصوتية ستتغير حسب الوافدين الجدد على المدينة من لسانهم يختلف عن السكان الاصليين وأقصد الاسبان والفرنسيين الذين تعاملوا مع التسمية حسب الاختزال المرتبط بتطور اللفظ وعلاقته بمظاهر طبوغرافية عرفت بها المدينة وخاصة الواد، لذا يعتقد الباحث فريد برمضان ان اسم الواد المرتبط بالتسمية وهران اختزل الى كلمة "Oran"<sup>1</sup>، ومن ناحية أخرى تم إسقاط لغة الطوارق لتفسير معنى وهران والتي تعني الأسد وبما أن الحضارة التي استمدت منها المدينة الاسم هي حضارة بربرية عربية فقد ولد ذلك لفظ "وهران" بمعنى "الأسدان" لأن المثني بلغة العربية تنتهي بحرفي "ان" أو "ين"، ويشير الباحث أن هذا التصور والتفسير تبنته الإدارة الفرنسية في التدليل على معالم بلدية وهران فعلى مدخل الباب نجد تمثالين لأسدين بصيغة المثني، والذين يعبران عن المدينة<sup>2</sup>.

ومن المعلوم أن الكثير من الحضارات القديمة عرفت الأسد من معبوداتها المقدسة وانتقلت رمزيتها إلى العصور الوسطى ليعبر عن الحماية والحراسة لذلك يتخذ عادة الأسدان على بوابة القصور وغيرها للتدليل على الحراسة والحماية<sup>3</sup>، لذلك فاتخاذ أسدين على بوابة بلدية وهران يتخذ هذا المعنى أكثر من التدليل على معنى كلمة وهران، والتي هي ذات أصل أو اشتقاق بربري كما يرى الباحث محمد الحسيني، ومدلولها مرتبط بشكل طبوغرافي آخر هو الجبل، والذي تتموضع المدينة في نجداره فوهران إذن هي "مكان الأسد"<sup>4</sup> لأنها الأكثر موضوعية .

<sup>1</sup> Op . cit.p p 249 272.

<sup>2</sup> تم بناء التمثالين للأسدين عند مدخل بلدية وهران من قبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية سنة 1888

*Ibid.P P 249 272.*

<sup>3</sup> ومن الدول التي عرفت بعض منشآتها وجود أسدين على أبواب قصورهم وكنائسهم نجد فرنسا، فيليب سيزيج، الرموز في الفن الأديان و الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، ط01.الناشر دار دمشق، سوريا، سنة 1992.ص - ص 90 - 93.

<sup>4</sup> شرقي (وردة) ؛ مدينة وهران خلال العصر الوسيط ( 290هـ/902م - 915هـ/1509م). دراسة منوغرافية، مذكرة ماجستير كلية الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، سنة 1433هـ - 1434هـ/ 2012 - 2013م. ص 143.

## 2. الخلفية التاريخية لوهرا ن قبل إلحاقها بالدولة العبد وادية:

### 1/2 . وهران من ق 3هـ/9م الى ق5هـ/11م:

وفي هذا المبحث سنسلط الضوء على الخلفية التاريخية لوهرا ن من تأسيسها في نهاية القرن 3هـ/9م إلى منتصف القرن 7هـ/13م وهو تاريخ ضم وهران إلى دولة يغمراسن، ومن استقراء المادة المصدرية التاريخية لهذه الفترة يلاحظ كثرة الأحداث وتضارب المصالح بين القوى الموجودة في الغرب الإسلامي والتي استغلت إمكانيات المنطقة في صراعات وحروب أثرت على المدن الساحلية والداخلية وخاصة مدن المغرب الأوسط لتوسطها الدول التي مرت على المنطقة، فكل دولة كانت تطمح في مد رقعها الجغرافية والحضارية إلى المغرب الأوسط، وذلك باستيلائها على المدن الاستراتيجية القريبة منها. ومن ثمة يسهل التوغل في مواجهة القبائل المتمردة والرافضة للسلطة الجديدة. ووهرا ن خضعت للعديد من الدول المتعاقبة على الغرب الإسلامي حتى يخيل إلينا أنها كانت من غنائم الحرب التي تحظى بها الدولة المستولية عليها؛ ولفهم ذلك نتبع مونوغرافية وهران من التأسيس (أواخر ق3هـ/9م) إلى تاريخ إلحاق وهران بالدولة عبد الوادية ( منتصف ق7هـ/13م)

### 2/1/1 . تأسيس المدينة ( سنة 290هـ/902م):

وهرا ن هي مدينة إسلامية مستحدثة النشأة، حملت اسم بربري نتيجة لتموضعها في أرض بني يسقن ونفزة البربريتين، وقد تأسست المدينة في أواخر القرن 3هـ/وبداية ق 10م؛ سنة 290هـ/902م، وذلك بعد نجاح الأندلسيين البحريين<sup>1</sup> المنتجعين لمرسى وهران، وعلى رأسهم

<sup>1</sup> ينفرد الحميري بشرح بعض الكلمات والأحداث التاريخية التي لم نجدها في المصادر المتاحة، والتي اطلعنا عليها وتتضمن أن مصطلح "الأندلسيين البحريين" في مفهومه ( الاصطلاحي) التصق بجماعة من الأندلسيين، وصفوا ب: "قوم من الأوباش ارتبط وجودهم بطرف تاريخي خاص بالأندلس في ق3هـ/9م، حيث عرفت العودة عدم الاستقرار وثورات انهكتها مما سمح بظهور الأندلسيين البحريين، الذين كانوا يأتون السواحل الحالية ويحملون الناس، ووقعت لهم أحداث على السواحل، وهم من ابتنوا مدينة بجانة بعد طلب المساعدة من السلطة الأموية. الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، حقه، إحسان عباس، مكتبة لبنان، سنة 1984. ص 80. وأن هذه المعلومات التي أوردها الحميري من شأنها فتح مجال البحث لفهم خلفيات التعمير على ساحل العدوتين .

كل من محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون<sup>1</sup> بإقناع القبائل المحلية من نفزة وبني مسقن<sup>2</sup> خاصة في التعمير المشترك للمكان<sup>3</sup> الذي اختير بعناية لإنشاء المدينة فهو يخضع للشروط، والمقاييس الطبيعية والسياسية المطلوبة في ذلك العصر.

فمن الناحية الطبيعية موضع المدينة محصن بسبب استناده إلى جبل وعمر<sup>4</sup>، هو جبل مرجاجو الذي يحمي المدينة من غربها، أما الجهة الشرقية فقد شكل واد الرحي خندقا طبيعيا يحمي المدينة. إضافة إلى حصانة الموضع طبيعيا فإن الظروف السياسية كانت مواتية لإنشاء المدينة سواء للطرف الأندلسي أو للطرف القبلي من نفزة وبني يسقن، فالاتفاق المصغر الحاصل بينهما، لم يكن ليحصل دون موافقة بقية الأطراف الفاعلة والمؤثرة في المنطقة، وهنا تشير المصادر أن محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون أقاموا بوهران سبعة أعوام مقيمين فيها للدعوة الأموية<sup>5</sup> في الأندلس مما يعني امتداد السلطة الأموية، ونفوذها على ساحل المغرب عبر المدن الساحلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فموقع المدينة في مجال قبلي قوي تميز بظهير تستقر به قبائل إزداجة التي من فروعها بني مسقن<sup>6</sup>، فهذه القبيلة هي بمثابة حامية متقدمة للمدينة، وقد عرفت بقدرتها على القتال، وبخوضها للحروب مما يجعل منها صريخ للمدينة في حالة مواجهة الأخطار، وهذا يعطي لوهران استقرار

<sup>1</sup> أورد البكري: "...وبني مدينة وهران محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحرين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن...". المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، يطلب من مكتبة المثنى ببغداد ص 70.

<sup>2</sup> وردت بصيغ عديدة منها "بنو مشقن" و"بنو مسقن"، "بنو مسكن" عند ابن خلدون، ولفظ "بنو مسكين" عند البكري وصاحب الاستبصار، ص 133. والمرجح أنها مسرغين بعد تحريف الاسم عبر الزمن. محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران، الناسخ البشير بن قدور محمودي، تاريخ النسخ 1961/1380، عدد الأوراق 124، رقم المخطوطات 3324 المكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، دائرة الحفظ والمخطوطات، ص 05.

<sup>3</sup> وحسب صاحب الإستبصار فإن "قبائل بنو مسقن" هم من عمروا مع الأندلسيون مدينة وهران مدة سبعة أعوام قبل تدميرها الاول. كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة، والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد طباعة ونشر، الشؤون الثقافية العامة، ص 133.

<sup>4</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 2، ص 30.

<sup>5</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 06، ص 191.

<sup>6</sup> إزداجة تصنف ضمن بطون البرانس، ولكن نسبة البربر يعدونهم من بطون زناتة، (وربما يرجع ذلك لدخولها في طاعة قبائل زناتية أقوى منها). عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق ج 06، ص 191.

وأمن من الداخل، وخاصة أن تعمير المدينة اتخذ تسويرها من الجهات المكشوفة فأصبحت وهران اسم على مسمى .

وتشير بعض الدراسات التاريخية أن منطقة المغرب الاوسط كانت خاضعة لقبائل زناتة، وعلى رأسها مغراوة<sup>1</sup>، وهي من القبائل الرعوية القوية التي كانت تسيطر على مجال واسع في المغرب الأوسط ومنطقة وهران كانت ضمن مجال رحلتها الصيفية للميرة والكلاء .

وكانت زعامتها في البيت الخزري<sup>2</sup> في ق3هـ/9م، وقد سيطرت هذه القبيلة على جل القبائل الزناتية الأخرى المتموضعة في مسالكها المعتادة في رحلتها، ويبدو أنها لم تعارض من نشأة مدينة وهران بما أنها لم تضر في مصالحها . وتجدر الملاحظة أن بعض التأليف الحديثة وعلى رأسها تأليف أبوراس الناصري ترجع تأسيس مدينة وهران إلى قبيلة مغراوة بشكل مباشر<sup>3</sup>. وهذا الرأي لا يتوافق مع ما أوردته المصادر الأقدم من جهة، ومع طبيعة الأحداث التاريخية التي سنتطرق إليها فيما يأتي من جهة ثانية<sup>4</sup>.

ونشأة مدينة وهران جاءت بعد تأسيس مدينة أخرى هي مدينة تنس سنة 266هـ/879م<sup>5</sup>

<sup>1</sup> من أوسع بطون زناتة، وكانت محلاتهم بالمغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة وما إليها، وهم من البدو ولهم فيه ملك كبير. ابن خلدون، المصدر السابق، ج07، ص، ص33، 34.

<sup>2</sup> وتنسب إلى جدهم الأكبر

<sup>3</sup> وقد جاء في ذلك "سنة تسعين أو إحدى وتسعين وخزر هذا كان عاملا بالمغرب الأوسط لبني أمية، فمدن مغراوة وهران وتبحرت في العمران. يمكن الرجوع إلى محمد بن أحمد أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم تحقيق، محمد غالم، ج1، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية صدر من منشورات، ORASC، ص/ص 95/ 25.

<sup>4</sup> للولوج أكثر في هذه الإشكالية الخاصة بالنشأة يمكن الإطلاع على دراستي، مدينة وهران خلال العصر الوسيط (290-915/902 - 1509). المرجع السابق، 26، 30.

<sup>5</sup> " تنس مدينة تقع في منحدر جبل وهي قريبة من البحر المتوسط لا تبعد عنه سوى بميلين، وهي مسورة حصينة، ولها أعمال ومزارع وبها الحنطة، يقصدها الكثير من المراكب، تعرف برخائها الفلاحي خاصة انتاجها للزرع وهي اثنان القديمة المتموضعة على البحر في الحصن الذي عمر أما الحديثة فهي البعيدة عن البحر بميلين أسسها البحريون من أهل الأندلس منهم الكركني و أبو عايشة وغيرهم، وقد اجتمع اليهم بربر ذلك القطر وأخذت تن تدريجيا، وتتسع، عن طريق استقطابها الكثير من المحجرات إليها فهي من أكثر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم، ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها". البكري المصدر السابق، ص 62. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78. للحميري، المصدر السابق، ص 138.

الوزان، المصدر السابق ج02، ص35

وذلك ضمن نظرة اقتصادية مشتركة بين الأندلسيين المنتجعين لهذه المراسي، والقبائل المحلية المستقرة قريبا منهم حيث تم تأهيل المراسي أو الأماكن القريبة منها إلى مدن ناشئة استفادت من قربها من الأسواق الداخلية للقبائل الزراعية والرعية لمنطقة المغرب الأوسط، حيث تم تصريف الفائض من إنتاجها الفلاحي إلى أسواق الأندلس بكل سهولة لتوفر النقل البحري بين الضفتين.

هذا من الناحية الاقتصادية أما من الناحية السياسية فان إضفاء الطابع الأندلسي لمدينتي تنس وهران جاء لمواجهة خطر أقلق السلطة الأموية في الأندلس، والمتمثل في اشتداد نفوذ وتوسع ملك الإدريسيين في المغرب وخاصة على المدن الساحلية مما جعلهم يتخوفون من قدومهم إلى الأندلس<sup>1</sup>، والجدير بالذكر أن بعض المؤرخين يرجع امتداد حكم الأدارسة عموما من السوس الأقصى إلى مدينة وهران<sup>2</sup>، وهذا لا يتوافق مع مجريات الأحداث التي عرفتها وهران والتي حسب مقارنة الدلائل والوقائع لم يمتد إليها حكم الأدارسة بسبب الرقابة المستمرة من الأمويين و ما ترحيهم بإنشاء مدن ساحلية على الضفة المغربية بإسهامات الأندلسيين ثم محاولة الإبقاء على تبعيتها لهم لدليل واضح على ما تشكله وهران من صمام أمان واطمئنان للسلطة في الأندلس فهي قاعدة دفاعية متقدمة لحماية حدودهم ومصالحهم أمام الأخطار السياسية وحتى الاقتصادية بمعنى تأمين القوات زمن الأزمات، وهذا ما يفسر قول الشاعر:

وما زلت أسمع أن الملو ك تبني على قدر أخطارها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الحميري ؛ المصدر السابق، ص 80.

<sup>2</sup> ابن أبي زرع الفاسي ؛ الأنيس، المصدر السابق، ص 117.

<sup>3</sup> محمد المقرئ ؛ نفح الطيب، ج 01، ص 152.

## 2 / 1 / 2 . وهران من ق3هـ/9م الى ق4هـ/10م:

عاشت مدينة وهران مدة سبعة سنوات بعد تأسيسها في استقرار وأمن إلى غاية حدوث تحولات وتغيرات في ميزان القوى بالمغرب، وذلك بعد تمكن الشيعة<sup>1</sup> من تأسيس دولة قوية اكتسحت القوى الموجودة في المنطقة، وهيمنت على المدن والحوضر المغربية، وأخضعت البوادي والقبائل لسيطرتها والواضح أن مدينة وهران كانت من المدن التي انعكس عليها هذا التحول منذ إرهاباته الأولى، فقد تعرضت للحرق والتدمير الكلي، وتشتيت ساكنتها سنة (297هـ/909م) من طرف قبائل معادية لبني مسقن، والداخلية في طاعة دواس بن صولات اللهيصي<sup>2</sup> عامل الشيعة على تاهرت<sup>3</sup>.

وما يمكن استنتاجه هو امتداد النفوذ الشيعي ووصوله الى الساحل على أبواب الاندلس، بعد التوسع على مناطق عديدة والاستيلاء على المدن والحوضر المغربية، ولتعزيز السلطة الشيعية أكثر في المنطقة أعيد إرجاع المدن التي تم تدميرها إلى الخريطة العمرانية كمدن شيعية، وإن كان على مستوى السلطة المحلية التي تشرف عليها على الأقل، ثم على مستوى الساكنة إن أمكن، وحتى على مستوى القبائل المسيطر عليها والتي تقع في مجالها، وهذا ما حدث لوهران التي أعيد بنائها

<sup>1</sup> الدولة الشيعية أو العبيدية نسبة إلى عبيد الله أول ملوكهم، والذي تولى الامامة سنة 297هـ، وقد اتخذ المهدي عاصمة للدولة لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي، و محمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، سنة 1964. ص، ص 46، 47.

<sup>2</sup> من القواد الكتامين لابي عبد الله الداعي وواه على تاهرت، وكانت له حملات لإخضاع المغرب لطاعة الشيعة، ونشر المذهب الشيعي، لكن أهل تاهرت ثاروا ضده واستعانوا بمحمد بن خزر في ذلك، وبعد فشل هذه المحاولة وقدم العساكر الشيعية تم تولية مصالة بن حبوس على تاهرت، وانصرف دواس الى مدينة رقادة، لتتم تصفيته من طرف عبيد الله. عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج06. ص /ص 191/160. ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، مج الأول حققه وضبط نصه، وعلق عليه، بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، ط01. دار الغرب الإسلامي، تونس، سنة 1434هـ/2013م. ص191.

<sup>3</sup> تاهرت وصفت ببلخ المغرب بما الأنهار والبساتين وهي شديدة البرد، كثيرة الأمطار، أسس المدينة عبد الرحمان بن رستم سنة 161هـ / وأخذها عاصمة لدولته، وموقعها مهم فهي على طريق المسيلة وتلمسان، وهي مدينتين كبيرتين ( القديمة والحديثة) وقد عرفت بانتاجها الفلاحي وتجارتها النشطة فيسنة 296 سيطر عليها الشيعة. ابو بكر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم علق عليه، ووضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، ط01. منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، سنة 1424هـ /2002م. ص 185. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، مج 01. ص /ص 209/207. الحميري، المصدر السابق، ص 126.



سنة (298هـ/910م) بأمر من دواس، فعادت وهران أحسن مما كانت عليه، وعين عليها دواس عاملها السابق محمد بن أبي عون بعد ابداء تشييعه وقضائه عاما كاملا في تاهرت<sup>1</sup>.

وتجدر الإشارة هنا أن من بنى وهران واستوطنها هم أهلها<sup>2</sup> مما يوحي بتشييعهم أو رضاهم بدخول في طاعة الشيعة على الأقل. وتشير الكتابات التاريخية أن عامل تاهرت (دواس) عمل على محو المذهب الخارجي الإباضي للقبائل التي تدين به، وحملهم على مذهب الرافضة (الشيعة) ومن هذه القبائل "إزداجة"<sup>3</sup> ظهير وبادية وهران. لتصبح بذلك المنطقة الوهرانية كلها (من مجال تمدني وريفني) خاضعة للسلطة الشيعية وللتشييع كذلك.

لتبقى وهران مدة تحت النفوذ الشيعي وخاصة بعد دخول المغرب بأكمله في طاعة الشيعة<sup>4</sup>، وحتى القبائل القوية في المغرب أبدت الطاعة للسلطة الجديدة من قبائل مغراوة، والتي هيمنت على المجال الزناتي في المغرب الأوسط، وزعيمها محمد بن خزر<sup>5</sup> في ذلك الوقت، والذي دخل حسب بعض الإشارات التاريخية مبكرا في طاعة الشيعة سنة (296هـ/908م)<sup>6</sup> لخدمة رجحان القوة

<sup>1</sup> وما جعلنا نستنتج ذلك ما أورده ابن خلدون أن محمد بن أبي عون لحق بدواس وبعد مضي عام يعيد تنصيبه من جديد مما يوحي ببقائه عاما في تاهرت. المصدر السابق، ج06، ص191.

<sup>2</sup> البكري؛ المصدر السابق، ص70.

<sup>3</sup> من القبائل الأخرى التي خضعت للتشييع لماية، ولواتة ومكناسة ومطماطة. عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج06، ص160.

<sup>4</sup> يشير بن حماد أن عبيد الله الشيعي في سنة 298هـ خلص له الملك بعد تصفية معارضيه من، أبي عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس ومن والاهما من شيوخ كتامة، وفي هذه السنة استقر بحاضرتة المهديّة، وأصبح يملك إفريقية والمغرب كله و طرابلس وصقلية وغيرها. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة، التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ص، ص43، 44.

<sup>5</sup> شخصية فذة وصف: "بعظيم زناتة"، كانت له حروب مع عسكر الشيعة من كتامة وغيره وقد قتل الكثير من قوادهم ومنهم مصالة بن حبوس المكناسي. يرجع إلى ابن حيان القرطبي، المقتبس، اعتنى بنشره، ب. شالميتا، وف. كورينطي، وم. صبح وغيرهم المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، ج05، سنة 1979، ص289. ابو عبد الله بن حماد، المصدر السابق، ص45.

<sup>6</sup> وقد قدم طاعته لأبي عبد الله الداعي في طنبنة، وذلك خوفا من انتقامه من زناتة. القاضي النعمان بن محمد، رسالة إفتتاح الدعوة، تحقيق، و داد القاضي، دار الثقافة، سنة 1970، ص236.

لصالح الشيعة. وكذلك قبائل مكناسة<sup>1</sup> التي تملكت المغرب الأقصى وأبدى زعيمها موسى بن أبي العافية طاعته للشيعة، ولكن الأحوال لن تبقى مستقرة لفترة طويلة، فسرعان ما انقلب محمد بن خزر على الشيعة في منطقتهم، وذلك سنة (297هـ/909م) أو السنة التي تلتها، وحاول طرد عامل تاهرت دواس.

وهنا يلجأ أبو عبد الله المهدي إلى تكليف قائده مصالة بن حبوس المكناسي<sup>2</sup> بولاية تاهرت لتصبح قبيلة مكناسة ذات حظوة لدى السلطة الجديدة، ويتم استغلال ذلك<sup>3</sup> في تمكين موسى بن أبي العافية المكناسي في توسيع مجاله الجغرافي إلى المغرب الأوسط. ولكن سرعان ما استرجع محمد بن خزر المبادرة في مواجهة الشيعة، وخاصة بعد تولي عبد الرحمان<sup>4</sup> (الناصر لدين الله) حكم الأندلس سنة 300هـ/912م، والذي انتهج سياسة ذكية في المغرب بإتباع أسلوب أسلافه (بنو أمية)<sup>5</sup> في ربط علاقات وثيقة مع القبائل الزناتية التي بقت وفية لدعوتهم<sup>6</sup>، وطاعتهم، ففي سنة

<sup>1</sup> من أقوى القبائل في هذه الفترة، وقد حددت مواطنها على طول وادي ملوية إلى سجلماسة، وما بين ذلك من نواحي تازا وتسول. ابن خلدون، المصدر السابق، ج06. ص170.

<sup>2</sup> من رجالات الشيعة وأحد أهم قوادها وواه عبید الله الشيعي تاهرت فافتتح له المغرب الأوسط وفاس وسجلماسة، كان له دور في توسيع مجال نفوذ مكناسة عن طريق تولية ابن عمه موسى بن أبي العافية على أعمال المغرب الأوسط إضافة إلى منطقتهم في المغرب الأقصى، وذلك عند رجوعه إلى إفريقية، وفي كل مرة يعود فيها إلى المغرب يعزز مكانته ويكبح معارضييه و كانت له حروب كثيرة مع محمد بن خزر أدت إلى مقتله سنة 312هـ/924م. عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص186. كذلك ابن عذاري، المصدر السابق، المجلد الاول، ص203.

<sup>3</sup> وتذكر الكتابات التاريخية أن مصالة بن حبوس في كل مرة يرجع فيها للقيروان يعهد المغرب إلى موسى بن أبي العافية فكانت الأولى سنة 305هـ/917م، والثانية سنة 309هـ/921م أو 310هـ/922م. يمكن الرجوع لابن خلدون، المصدر السابق، ج06. ص186. وكذلك ج07. ص34.

<sup>4</sup> هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله، كنيته أبو المطرف ولقبه الناصر لدين الله، تولى الحكم بعد وفاة جده "عبد الله" سنة 300هـ/912م. استطاع إخماد الفتن في الأندلس، وردع أطماع المسيحيين، تلقب بأمر المؤمنين سنة 316هـ/928م، توفي سنة 350هـ/961م. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة، لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، ج01. سنة 1983. ص - ص 156 - 168. وكذلك يمكن الرجوع، الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سنة 1966. ص، ص12، 13.

<sup>5</sup> ابن حيان القرطبي؛ المصدر السابق، ج05. ص256.

<sup>6</sup> وتعود بداية العلاقة بين قبيلة مغراوة الزناتية والأمويين إلى قصة إسلام زعيمها وزمار بن صفلاب (جد بني خزر) على يد عثمان بن عفان، وقد تداولت القصة جل المصادر التاريخية لصيتها ودورها في رسم العلاقة بين مغراوة وأمويي الأندلس. يمكن

317هـ/929م وجه نظره إلى المغرب عن طريق بوابته سبتة<sup>1</sup> التي ضمها إلى طاعته، ووجه دعوته إلى أمراء العدو من آل إدريس<sup>2</sup>، وزعماء القبائل الزناتية متبعا أسلوب الملاحظة مع هذه القبائل، وقضاء حوائجها، وقد آتت هذه السياسة أكلها مع محمد بن خزر، والذي استرجع منطقة الزاب<sup>3</sup>، وضم وهران، التي ولي عليها ابنه الخير<sup>4</sup>، ولا توضح المعطيات المصدرية عن كيف تعامل الخير مع عامل وهران محمد بن أبي عون؟. فهل تم الإبقاء عليه في منصبه، أو تم تنحيته بسبب تشييعه؟.

ولكن الواضح إن الخير اتخذ وهران قاعدة له لمراقبة الساحل وتطويره لطاعة الناصر<sup>5</sup>، ومن وهران قام بتوجيه حملات لضم كل من الشلف<sup>6</sup> وتنس<sup>7</sup>، وممن قدم طاعته كذلك للناصر في هذه الفترة إزداجة ممثلة في أحد رجالاتها، وهو منصور بن سنان<sup>8</sup> الإزداجي<sup>1</sup>، وفي ظل انتشار الدعوة

الرجوع للقصة عند ابن خلدون، المصدر السابق، ج06.ص141. وكذلك ابن حيان القرطبي، المصدر السابق، ج05.ص257.

<sup>1</sup> سبتة مدينة على نحر البحر، وهي فرضة المجاز إلى الأندلس لذلك حاول بنو أمية السيطرة عليها، واخضاعها لسلطتهم. ولها مرسى مهم على حائط المغرب أشاد به ابن حوقل، وهو مرسى موسى. المصدر السابق، ص، ص79، 80. كذلك ابن حيان القرطبي، المصدر نفسه، ج05.ص288.

<sup>2</sup> ويكنون بالإدرسيين نسبة إلى إدريس الذي يصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وقد فر إدريس مع أخوه سليمان إلى المغرب ولقوا ترحيب كبير من القبائل المغربية، فحل إدريس بمدينة وليلي وبعد وفاته خلفه ابنه إدريس الذي بدوره ترك أولاد كان لهم شأن في تولي مدن و قبائل مهمة في المغرب وشكلوا بذلك خطرا على الشيعة الفاطمية وحتى على السلطة الأموية في الأندلس. يمكن الرجوع الى مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص - ص199-201.

<sup>3</sup> منطقة جغرافية مهمة لموقعها على طريق القبائل الرعوية بين إفريقيا والمغرب الأوسط فهو يتبدئ غربا من تخوم المسيلة ومن الشمال جبال مملكة بجاية وشرقا بلاد الجريد وجنوبا إلى القفار، ويضم الزاب خمس مدن وهي بسكرة، والبرج، ونفطة، وتلكة ودوسن. الوزان، المصدر السابق ج01.ص32. وكذلك ج02.ص138.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج07.ص34.

<sup>5</sup> وقد جرى بين الخير والناصر لدين الله اتصالات يوضح فيها الخير إنجازاته في منطقة الساحل، والناصر يشجعه ويثني عليه. ابن حيان القرطبي؛ المصدر السابق، ج05.ص259.

<sup>6</sup> حسب صاحب الاستبصار، "شلف مدينة ذات سور وحصن ونهر وحصن ونهر وشجر ومزارع". المصدر السابق، ص89.

<sup>7</sup> ابن حيان القرطبي؛ المصدر نفسه، ج05.ص260.

<sup>8</sup> أورد ابن حيان القرطبي أن منصور بن سنان قدم طاعته للناصر سنة 316هـ/928م. مع هدية حسنة، وبقي مواليا له. المصدر نفسه، ج05.ص261.

الأموية في المغرب تتسارع الأحداث والحروب في المنطقة، بقدوم حملات شيعية لإخضاع المنطقة، وتدخل الناصر لتعبئة القبائل الزناتية في ردع كل من يأخذ بالدعوة الشيعية، مما جعل الوقائع كثيرة في منطقة المغرب ومدنه، والتي دخلت في ولاءات ظرفية، ومتغيرة، فتارة تبدي طاعتها للشيعية، وتارة أخرى تدخل في ولاء الأمويين، وذلك حسب رجحان الكفة للقوة المسيطرة على مجالها الجغرافي والقبلي، كما أن بعض المدن شكلت أولوية السيطرة عليها لأهمية موقعها ومؤهلاتها العسكرية، وهران جذبت انتباه الناصر إلى جانب سبتة، بسبب قربهما من الأندلس، واتساع وحصانة مرساهما؛ المرسى الكبير بالنسبة لوهراة ومرسى موسى بالنسبة لسبتة، وقد أشاد بهما ابن حوقل<sup>2</sup>.

في سنة 319هـ/931م أخذ الناصر في تهيئة المرسىان<sup>3</sup> لغزواته المنتظرة نحو المشرق مدعيا رغبته في استعادة خلافته<sup>4</sup>. ولكن بعد فترة قصيرة تدخل وهران في طاعة الشيعة ضمن حملة حميد بن يصلتين سنة 321هـ/933م لإخضاع المغرب. وتشير الكتابات التاريخية لمحمد بن أبي عون، وتذكره بصاحب وهران، والذي رجع لطاعة المرwanيين بعد زحف ابن أبي العافية على المغرب الاوسط في دعوة الناصر، ثم ينكث مرة أخرى طاعته للناصر<sup>5</sup>، ويعقد طاعته لقائد الشيعة ميسور الخصي<sup>6</sup> في حملته على المغرب سنة 324هـ/935م، وبعد انصرافه يراجع دعوته مرة أخرى

<sup>1</sup> يبدو أن منصور بن سنان يمثل مشيخة إزداجة، والتي كانت في "بيت ابن سنان" وقد ظهر هذا النسب اسم منصور بن سنان في معالم جغرافية قريبة من وهران، فقد ذكرها البكري عند وصفه لطريق إلى وهران، فذكر "قصر منصور بن سنان" وكذلك سوق تسمى "عبيدون بن سنان الإزداجي"، وهي متقاربة إلى بعضها وقريبة من وهران. المصدر السابق، ص 71.

<sup>2</sup> وفي ذلك جاء "...ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، وما أظن له مثلاً في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى، فقد كنفته الجبال، وله مدخل آمن ..". ابن حوقل، المصدر السابق، ص 79.

<sup>3</sup> ابن حيان القرطبي؛ المصدر نفسه، ج 05. ص 306.

<sup>4</sup> وحسب ابن حيان القرطبي فان الناصر استخدم كثيرا هذا الخطاب الذي يبدي فيه نيته في إحياء الدولة الأموية في المشرق ومقارعة الهاشميين ووصفها بـ: "توهيم الناصر لدين الله أهل ولايته من أمراء البربر بالعدوة". (ابن حيان القرطبي، المصدر نفسه، ج 05. ص 305)، وكأن ابن حيان يصف الحيلة التي لجأ إليها الناصر لدمج القبائل الموالية له في تعبئة دائمة وحذرة من أجل ضمان الولاء من جهة والتوغل ومد النفوذ أكثر إلى الشرق لتسهيل الولوج إلى المشرق .

<sup>5</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 06. ص 191.

<sup>6</sup> ميسور الخصي من رجال إسماعيل الشيعي وقد احتز رأسه وقدم به فتوح الزناتي إلى قرطبة. ابن عذاري، المصدر السابق، مج 02. ص 200.

للناصر مبدئاً كرهه للشيعة ومراوغته لميسور بتقديم الطاعة لحماية مدينته وساكنتها من الخطر الداهم<sup>1</sup>. وتبرز هنا ملاحظتين هامتين :

- التغيير المستمر لولاء وهران ما بين التبعية للشيعة أو للأمويين حسب القوة المسيطرة على المنطقة.

- عودة ذكر عامل وهران السابق "محمد بن أبي عون" مما يوحي أنه بقي في منصبه طيلة الفترة السابقة.

وقد بقي محمد بن أبي عون كحاكم على وهران متبعاً نفس الأسلوب في المراوغة في إبداء الطاعة للأمويين ولحفائهم من القبائل المسيطرة على وهران<sup>2</sup> أو الولاء للشيعة، ولقواد حملاتهم على المغرب وقد استقر الولاء نسبياً للأمويين بسبب انشغال الشيعة بفتنة أبي يزيد<sup>3</sup> ولذلك نجد بن ابي عون يفد كقاضي<sup>4</sup> مع وجوه من أهل مدينته<sup>5</sup> ومدينة تاهرت، ورفقة كذلك فتوح بن الخير

<sup>1</sup> وقد أورد محمد بن ابي عون في كتابه للناصر سبب دخوله في ولاء الشيعة سنة 324هـ/935م . متذرعاً بحماية قومه، ومما جاء فيه "... فلم أر بدا من ركوب الغرر في مغالطته والخروج بنفسي إليه (ميسور)، ورأيت أن احتباسها في خلاص قومي يسير....". ابن حيان القرطبي، المصدر السابق، ج05. ص386.

<sup>2</sup> وقد نشأ صراع حاد بين القبيلتين الزناتيتين من مغراوة على مناطق النفوذ والأعمال خاصة بظهور زعمات جديدة تريد السيطرة على قواعد المغرب وهذا ما أشار إليه ابن حيان، المصدر السابق، ج05. ص459.

<sup>3</sup> وهو أبو يزيد بن مخلد بن كيداد اليفرني أحد الأئمة النكار دخل مدينة القيروان سنة 333هـ /واستولى على إفريقية كلها ماعدا المهديّة وهدد وجود الدولة الشيعية، قتل سنة 336هـ/947م . ابن أبي زرع الفاسي، الانيس المطرب، ص100. كذلك لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي، ص48. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، مج01. ص228.

<sup>4</sup> وأعتقد أن بن ابي عون مثل السلطة الأموية في ثوب القاضي الذي منح صلاحيات واسعة للإشراف على المدينة والنظر في أحوالها، وقد أشارت إحدى الدراسات بأن الفقهاء الأندلسيين كانت لهم صلاحيات أكبر في بعض المدن، منها تنفيذ قرارات السلطة الأموية وتوجيهاتها، التصرف في البناء مثل حصون أو إصلاحها . خليل إبراهيم الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عري الإمارة والخلافة، ط01. دار البشائر الإسلامية، بيروت ( لبنان )، سنة 1425هـ/2004م. ص118.

<sup>5</sup> ابن ابي بكر القضاعي ؛ التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، ج01. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ( لبنان) سنة 1415هـ/1995م. ص111.

المغراوي ممثل قبيلة مغراوة إلى عبد الرحمان الناصر لتقدّم الطاعة سنة 340هـ/951م<sup>1</sup>. وهذا يوحي أن المدينتين كانتا تحت إشراف قبيلة مغراوة .

ولكن هذه السياسية المبنية على المراوغة والتي أنقذت المدينة وأهلها لعدة مرات، ولمدة طويلة جاءت بنهاية مأساوية، وذلك بعد فقدانها لسندها القبلي من إزداجة ومغراوة، وذلك بتغيير عبد الرحمان الناصر سياسته في المغرب، واعتماده على قبيلة معادية ومنافسة للقبائل السابقة، وهي قبيلة بني يفرن الزناتية<sup>2</sup>، والتي أوكّل لها أعمال المغرب، ومعاقبة المتمردين على الطاعة الأموية، فأوعز ليعلى بن محمد اليفرني<sup>3</sup> بمحاربة إزداجة<sup>4</sup>، ومراوغة محمد بن أبي عون على حد تعبير ابن خلدون، فزحف إليهم يعلى وهزم إزداجة، وشتت جماعتها ثم انتقل إلى مدينة وهران فاستولى عليها عنوة من يد محمد بن أبي عون<sup>5</sup>، وهجر سكانها إلى مدينته إفكان<sup>6</sup>، وبعدها أحرق المدينة<sup>7</sup>، وقضى على وجودها. فغابت مدينة وهران عن الخريطة العمرانية لمنطقة المغرب الأوسط لفترة ليست بالقصيرة، ولم تجب المصادر هذه المرة عن تاريخ بناءها، أو من أمر بنائها؟ ولماذا؟ ومن عمرها؟. وغيرها من

<sup>1</sup> وقد وردت عند ابن عذاري سنة 341هـ/952م المجلد 02.ص200. وكذلك ابن خلدون، المصدر السابق ج.07.ص36.

<sup>2</sup> تقاسمت القبيلتان مغراوة وبني يفرن أعمال المغرب الأوسط وتحالفوا في حروبهم ضد الشيعة، وأبدوا طاعتهم للناصر لكن هذا الوفاق لم يدم طويلا بسبب التوسع اليفرني على مناطق مغراوة وتفضيل الناصر لبني يفرن على أعمال المغرب. ابن خلدون، المصدر السابق، ج.07.ص، ص36، 37.

<sup>3</sup> وبنو يفرن من قبائل زناتة، ويعتبر يعلى زعيمها عينه عبد الرحمان الناصر على المغرب مما أثار حفيظة قبائل مغراوة، وقد كانت له، ولولديه مواجهات مع يوسف بن زيري الصنهاجي الممثل للتمدد الشيعي في المغرب، قتل على يد جوهر سنة 347هـ/958م. ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06. ص.191. وكذلك، ابن حوقل، المصدر السابق، ص.103. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص.104.

<sup>4</sup> رغم أنها أوفدت إلى الناصر سنة 343هـ/954م وفد لتقدّم الطاعة على عاداتهم، والذي على ما يبدو لقي قبول شكلي، (ولكن ذلك لم يدم إلا أيام معدودات لينقلب الناصر على إزداجة) ابن عذاري، المصدر السابق، المجلد 02.ص.202.

<sup>5</sup> لتكون نهاية محمد بن أبي عون مع مدينة وهران، الذي صاحبها منذ تأسيسها إلى تدميرها سنة 343هـ/ابن خلدون، المصدر السابق، ج.07.ص.24. إضافة إلى ج.06.ص.191.

<sup>6</sup> كانت إفكان سوقا قديمة من أسواق زناتة، فمدنها يعلى بن محمد بن صالح اليفرني، وكان ابتداء تأسيسها لها سنة 338هـ/949م البكري، المصدر السابق، ص.79.

<sup>7</sup> البكري؛ المصدر السابق، ص.71.

الأسئلة التي تبقى بحاجة إلى إجابة، واكتفت بذكر أنها "بقت سنين (خربة) حتى أعيد بناءها"<sup>1</sup>. وتشير الكتابات التاريخية إلى انقلاب مغراوة على الأمويين وحليفهم يعلى بن محمد، والذي استولى على مناطقهم وتحالفوا مع الشيعة، ودعموا حملة جوهر سنة 347هـ/958م على المغرب<sup>2</sup>، لاسترجاع مجالاتهم من بني يفرن.

ويبدو أنهم أعادوا بناء مدينة وهران في هذه الفترة، على عكس رأي أبو راس الذي ينسب إلى يعلى إعادة بناء وهران ونقل إليها أهله وحشمه وولده<sup>3</sup>، وذلك لعدم ذكر هذه المعلومة في المصادر كما أن يعلى اختط مدينة إفكان التي تتماشى مع طبيعة هذه القبائل التي عرفت عودة النفوذ الشيعي على المغرب، وبوفاة الناصر، وقيام ابنه الحكم المستنصر بعده، دخلت مغراوة في طاعة المستنصر وهي تمتلك وهران وتاهرت وتلمسان وسائر بلاد زناتة<sup>4</sup>.

### 3 / 1/2 . نفوذ صنهاجي على وهران وعودة زناتة :

إن عودة وهران إلى المجال المغراوي لم يدم طويلا في ظل استمرار الصراع المتجدد بين أمويي الأندلس و العبيديين، الذين أوكلوا لقبيلة صنهاجة وزعيمها زيري بن مناد حرب زناتة والاستحواذ على مجالاتها، لذا فالحرب لا تكاد تخمد إلا لتشتعل من جديد، وتحصد الكثير من القتلى وتهجير القبائل إلى مجالات أخرى، فبعد حروب بين مغراوة وصنهاجة تمكنت هذه الأخيرة من بسط نفوذها على مجالات زناتة، وعلى وهران التي أصبحت ضمن مجالهم التمديني التابع لتاهرت<sup>5</sup> قاعدتهم المتقدمة في بلاد زناتة والتي تم إبعاد بطونها القوية من مغراوة إلى المغرب الأقصى<sup>6</sup>.

بينما بقت القبائل الزناتية الأقل قوة والخاضعة لطاعتهم في مواضعها السابقة على غرار إزداجة

<sup>1</sup> البكري ؛ المصدر نفسه، ص 71.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر السابق، ج 07. ص 37.

<sup>3</sup> أبو راس الناصري ؛ عجائب الاسفار، الرجع السابق، ص 96.

<sup>4</sup> لسان الدين بن الخطيب ؛ تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، سنة 1964. ص 154.

<sup>5</sup> ابن أبي بكر المقدسي ؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي، ط 01. منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، سنة 2002/1424. ص 180.

<sup>6</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر السابق، ج 07. ص 38.

التي هي ظهير مدينة وهران<sup>1</sup>. وبعد انشقاق أبي البهار<sup>2</sup>، عن ابن أخيه منصور بن بلكين أمير افريقية وممثل الدولة العبيدية سنة 377هـ/987م مقيما للدعوة المروانية<sup>3</sup>، سيطر على وهران وعلى عدة مدن أخرى من المغرب الأوسط لكنه أعاد النظر، ورجع عن ذلك مما جعل المنصور بن أبي عامر<sup>4</sup> يستعين بزيري بن عطية<sup>5</sup> لاستعادة مجال أبي البهار ليتمكن زيري من استعادة المجال الزناتي.

لتعود وهران إلى سيطرة وإشراف قبيلة مغراوة الزناتية بطريقة غير مباشرة حيث كان عاملها يعين من العاصمة الأندلسية قرطبة<sup>6</sup> حتى سنة 387هـ/997م وذلك بعد أن أصبحت السيطرة العامرية على المغرب بطريقة مباشرة إثر تغلب الجيش الأندلسي بقيادة المظفر على زيري بن عطية المتمرد على سلطتهم، والذي أجفل إلى الصحراء، فأوكل المنصور بن أبي عامر عهده على المغرب لابنه المظفر<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> وفي ذلك أورد ابن حوقل " .. أن الغالب على بادية (وهران) البربر من يزداجة، وهم في وقتنا هذا في ضمن يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي خليفة صاحب المغرب.. " المصدر السابق، ص 79.

<sup>2</sup> هو أبو البهار بن زيري الذي انشق عن الصنهاجيين، ودخل في طاعة المنصور بن أبي عامر مما جعله يتحالف مع زيري بن عطية ولكنه يعود الى ولاءه لصنهاجة. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، المجلد 01. ص 264.

<sup>3</sup> ابن أبي زرع الفاسي؛ الأنيس المطرب، ص 103.

<sup>4</sup> من الشخصيات الغدة التي عرفها التاريخ الإسلامي عرف بذكائه وفطنته، له عدة حملات لإخضاع المتمردين  
<sup>5</sup> زيري بن عطية يعود في نسبه إلى محمد بن خزر المغراوي، استطاع إعادة زعامة زناتة إلى مغراوة سنة 368هـ/وقد اشتدت قوته بعد حروبه مع الصنهاجيين ومع بني يفرن، وكان ولاءه للمروانيين حتى فسد ما بينه وبين المنصور بن أبي عامر سنة 386، فكانت بينهم حروب في المغرب أدت الى فقدائه لملكه في المغرب، توفي سنة 391هـ. ابن أبي زرع الفاسي؛ الأنيس المطرب، ص - ص 102 - 105، 106.

<sup>6</sup> وردت إشارة عند ابن أبي زرع أن من مظاهر تمرد زيري بن عطية على سلطة المنصور طرد عماله من المغرب، واجلائهم إلى مدينة سبتة، إلى جانب مظاهر أخرى. (المصدر السابق، ص 105). ومدلول عمال المغرب ينطبق على المجال التمدني ماعدا مدينة فاس التي اتخذها زيري قاعدته ودار ملكه سنة 377هـ/987م إلى 381هـ/991م ثم سكن مدينة وجدة بعد بنائها سنة 994/384، فسكنها بأهله وحشمه، وأما سلطة القبائل فهي تخضع لزعامات محلية لنسب من بطونها ولا تقبل زعامة من غير قبيلها.

<sup>7</sup> وبعد المظفر ولي بن أبي عامر واضح وبعد واضح عبد الله بن أبي عامر ابن أخ المنصور ثم عين اسماعيل بن البوري. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، المجلد 01. ص 274.



ولكن مع عودة الولاء المغراوي من طرف زيري بن عطية<sup>1</sup>، وصعوبة الحكم المباشر للمغرب بسبب فقدان لجزء من الجيش الأندلسي، وقياداته المتواجدة في العدو، أعاد المنصور بن أبي عامر النظر في ذلك فأجلا جيشه، وقواده من المغرب، وأعاد الاعتماد على القبائل الزناتية القوية مستغلا مواردها العسكرية في إخضاع المغرب لسلطته من جهة، والاستعانة بفرسانها وعداتها العسكري في حروبه وتوطين حكمه من جهة ثانية.

وقد عهد لمغراوة بزعامة المعز خليفة زيري على أعمال المغرب. لتكون وهران مرة أخرى ضمن مجال سيطرة قبيلة مغراوة. ولكن السؤال الذي يطرح هنا: هل وهران تحت السيطرة المباشرة لمغراوة؟ أم أنها خاضعة لقبائل الظهير القريبة من أبوابها؟. كما أن السؤال يطرح كذلك حول ماهية السلطة داخل المدينة هل تم إتباع نفس الأسلوب السابق، أي عامل أندلسي يسير المدينة تحت إشراف وحماية القبائل المحلية أم أن وهران كانت تحت النفوذ المباشر للقبائل؟.

وما يمكن ملاحظته أن أحوال وهران كانت ضمن سيطرة، وحماية قبائل إزداجة التي أصبح مجالها الجغرافي هو نفسه منطقة وهران من مجال حضري وريفي، هذا الأخير إمتد على مساحة هامة تضم جبل كيدرة ( هيدور) وما يحيط به من سفوح. وقد برزت شخصية إزداجية فاعلة في المنطقة، ممثلة في أميرهم يعلى بن أبي الفتوح الإزداجي، والذي استطاع أن يوسع نفوذه إلى نكور سنة 406هـ/1015م .

ويبدو أن المنطقة الممتدة من وهران إلى نكور كانت ضمن مجالات إزداجة وقد توارث بني يعلى الإزداجي حكمها<sup>2</sup>، وحماتها في المنطقة الريفية بالخصوص أما مدينة وهران فيما أن الأوضاع لم تتغير كثيرا فهذا يعطي احتمال قوي لبقاء السلطة الأندلسية داخل المدينة ممثلة في سلطة القاضي. وهذا المجال الإزداجي بدوره خاضع لولاء القبائل الكبرى المسيطرة على الداخل المغربي ونقصد هنا قبائل مغراوة، والتي سيطرت على جزء كبير من المغرب خاصة في عهد المعز بن زيري الذي أعلن للعامريين بالأندلس، وبوفاته سنة (392هـ/1001م ) استقل المغراويين عن

<sup>1</sup> بعد خسارته في حربه مع المظفر استغل الإضطرابات التي عرفتها صنهاجة بتولية ملكهم الجديد، افتك منهم قواعد مهمة من تاهرت وتلمسان والمسيلة وغيرها، وأعاد طاعته للمروانيين. ابن ابي زرع، الانيس المطرب، المصدر نفسه، ص107.

<sup>2</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج06. ص286.

الأندلس<sup>1</sup> بسبب الفتنة<sup>2</sup>.

وبرز الصراع القديم والمتجدد بين القبائل الزناتية من مغراوة وبنو يفرن حول الزعامة والنفوذ فأعاد المنطقة من جديد إلى الإضطرابات وعدم الإستقرار<sup>3</sup>. ليتشابه الوضع بين الأندلس والمغرب من التشتت وكثرة الملوك والإمارات في العدوتين<sup>4</sup>.

## 2 / 2. وهران خلال القرنين 5 و6 هـ / 11 و12م:

عرفت هذه الفترة من تاريخ وهران نقص كبير في المادة المصدرية إذ لا نجد إلا محطات قليلة تذكر فيها مدينة وهران فباستثناء المصادر الجغرافية<sup>5</sup>، وبعض الإشارات من التأليف العامة التي تشير إلى بعض الأحداث التي ارتبطت بالمدينة بشكل مباشر لا نجد ما يؤرخ لها، ويتتبع تاريخها، ويرجع ذلك حسب اعتقادنا لأسباب عديدة منها شساعة الدولة المرابطية، والموحدية، وكثرة عمرانها جعل تدوين الأحداث التي عاشتها الدولتين يرتبط بالحواضر الكبرى من جهة، وبالتوجهات السياسية و الإقتصادية والدينية للسلطة المركزية من جهة ثانية وخاصة أن للسلطتين المرابطية، والموحدية حركية جهادية دؤوبة إلى الأندلس، جذبت معاركها ووقائعها أقلام المؤرخين فأصبح بذلك التاريخ يسرد من منظور تاريخ دول عظمى تهتم بالأحداث الكبرى وتغفل أقلامها عن الأحداث المحلية والجزئية التي يصعب رصدها.

<sup>1</sup> نحلة شهاب أحمد ؛ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط01. دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، سنة 2009. ص 117.

<sup>2</sup> يمكن الرجوع الى عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص42.

<sup>3</sup> ابن الخطيب ؛ المصدر السابق، ص، ص 164، 165.

<sup>4</sup> ابن عذاري المراكشي ؛ المصدر السابق، المجلد03. ص07.

<sup>5</sup> لا يمكن إغفال التأليف الجغرافية لقيمتها التاريخية وخاصة من الناحية الاقتصادية، ولكن إقتصارها على الوصف الجغرافي وإهمالها لذكر الأحداث السياسية لفترتها التي عايشتها كما أن تكرار نفس المعلومات لجل التأليف يجعلها محدودة في تزويد الباحث وإحاطته بالمعلومات التاريخية التي يحتاجها لتلك الفترة

## 2/ 2/ 1 . وهران في العهد المرابطي :

إن نجاح دعوة عبد الله بن ياسين<sup>1</sup> المبنية على الزهد والورع في قبيلة لمتونة جعلها تتجند لها فأصبحت هذه القبيلة تنقاد بتوجيهات شيخها، وتنتشر بسيوف رجالها، وكان خروجها من الصحراء إلى مواضع القبائل الأخرى دلالة عن بداية تشكل دولة قبلية جديدة في المغرب واضمحلال قبائل أخرى كانت لها الرياسة والقوة، ويتجلى ذلك في بداية الاستحواذ على المدن الهامة، فدخل سحلماسة ودرعة<sup>2</sup> في طاعة الأمير ابي بكر اللمتوني<sup>3</sup> سنة 450هـ/1058م، وذلك على حساب قبائل زناتة والتي تراجع دورها ومكانتها في المغرب تدريجيا، وفقدت قواعدها التمدنية الواحدة تلوى الأخرى<sup>4</sup> وعلى رأسها قبيلة مغراوة<sup>5</sup>، التي فقدت قاعدتها مدينة فاس بعد قتال شديد بين لمتونة و أمرائها أبناء حمامة، الفتوح ودوناس اللذان طلبا الأمان في الأخير سنة 467هـ/1074م<sup>6</sup>.

ولم يتوقف الزحف اللمتوني إلى هذا الحد بل ساروا في إثر زناتة إلى مواطنها في المغرب الأوسط حتى أخضعوا مدنه من تلمسان سنة 472هـ/1079م، ثم تنس، ووهران وصولا إلى الجزائر سنة 474هـ/1081م<sup>7</sup>، ليضاف هذا المجال الحيوي إلى خريطة المرابطين وتضاف مسالكه ومدنه في

<sup>1</sup> هو عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي كانت يعلمهم القرآن، وهو من سمي اللمتونيين بالمرابطين توفي سنة 450هـ/1058م. ابن خلدون المصدر السابق، ج06. ص/ص 242/244. أما ابن ابي زرع الفاسي فيذكر تاريخ وفاته سنة 451هـ/1059م، ودفن بموضع يعرف بكريفلة بتامسنا. المصدر السابق، ص132.

<sup>2</sup> كان مسعود بن وانودين أمير مغراوة وصاحب سحلماسة ودرعة ولكنه انهزم أمام المرابطين وفقد المدينتين. عبد الرحمان بن خلدون المصدر السابق، ج06. ص، ص 243، 244.

<sup>3</sup> تولى قيادة لمتونة بعد موت اخيه يحيى سنة 447هـ/1055م، وكانت له حملات عسكرية إلى بلاد السوس سنة 448هـ/1056م، وماسة وتارودانت سنة 449هـ/1057م، وفي كل مرة تتقلص مجالات مغراوة من المغرب الأقصى . عبد الرحمان بن خلدون المصدر السابق، ج06. ص 244.

<sup>4</sup> ونستشف من المصادر أنه رغم مقاومة زناتة للملثمين وعدم التسليم المطلق لهم عن قواعدهم كما حدث في محاولة استعادة فاس والاجتماع على مكناسة لقيادتهم إلى النصر إلا أن ضعف زناتة أصبح واضحا بعد كل معركة مع المرابطين الذين أبدوا تفوق في العدة والعتاد و قدرتها على العودة في كل مرة لاستعادة المدن المنتزعة منها وإخضاع زناتة وتشتيت شملها والاستحواذ على مقدراتها من خيل وغير ذلك. عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج06. ص، ص 245، 246 .

<sup>5</sup> ابن عذارى المراكشي؛ المصدر السابق، المجلد 03. ص10.

<sup>6</sup> ابن عذارى المراكشي؛ المصدر نفسه، المجلد 03. ص22.

<sup>7</sup> ابن أبي زرع الفاسي؛ الانيس، المصدر السابق، ص 143.

دينامية وتوجهات الدولة الجديدة التي عينت على المدن التي ضمتها إحدى رجالها مثل تعيين محمد بن تيغمر المسوفي<sup>1</sup>.

وإن لم تذكر الكتابات عامل وهران إلا أنه على ما يبدو كان من رجال ملتونة تماشيا مع سياسة المرابطين التي تركز على محور زناتة وتعويضه بالوجود اللمتوني أو أحد من حلفائهم من القبائل الأخرى<sup>2</sup> في المدن والحواضر.

أما منطقة المغرب الأوسط فبقيت تحت هيمنة قبيلتين حليفيتين للمرابطين من زناتة كذلك، وهما بني وماتوا وبني يلومي اللتين تقاسمت المجال الداخلي للمغرب الأوسط وأبدت تعاوناً مع السلطة الجديدة<sup>3</sup>.

وعلى العموم فإن المغرب عرف استقراراً في عهد المرابطين فحسب ما أورده البكري (ق 5/11م) من وصف مسالك وطرق المغرب في هذا العهد يتضح بروز شبكة طرق ثابتة ومنتشعبة ومستقرة ربطت مدن المغرب بمسالك رئيسية في البر وعبر البحر في فترة المرابطين، ومدينة وهران كانت من المحطات البارزة في هذه الشبكة، حيث يمر عليها طريق هام ينطلق من القيروان في الشرق وينتهي إليها في الغرب، ومنها يتفرع إلى تلمسان وباقي المدن والحواضر الأخرى، كما حافظت وهران على استقرار ظهريها الإزداجي في هذه الفترة المرابطية.

ومن وهران كذلك طريق مباشر إلى الأندلس فالطريق البحري يربط ما بين المرسى الكبير ومرسى أسكوبرش، وهو المرسى القديم لبعجانة<sup>4</sup>. وقد أصبح هذا الطريق فيما بعد من أهم الطرق الشائعة في العهد المرابطي لركب الحجيج الأندلسي خاصة بعد بناء المرية<sup>5</sup> وتعميرها وخاصة في عهد علي بن

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج 06، ص 247.

<sup>2</sup> ومن القبائل التي تحالفت مع ملتونة مسوفة التي نزلت معهم مراكش سنة 463هـ / 1070م. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ( من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه، محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، منشورات دار الكتاب للطبع والنشر والتوزيع بالدار البيضاء، ص 101.

<sup>3</sup> وقد كان لثان القبيلتان دور في توسيع رقعة المرابطين إلى الأراضي الصنهاجية، ولكن العلاقة فيما بينهما تميزت بالصدام والحروب. عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج 07، ص 74، 75.

<sup>4</sup> البكري؛ المصدر السابق، ص 81.

<sup>5</sup> وهي مدينة متقنة البناء مصرية الشكل، وهي في جبل منفرد. ابن الدلائي، المصدر السابق، ص 86.

يوسف بن تاشفين الذي أعطى لها أولوية التحصين<sup>1</sup>

إن إيراد هذه المعلومات يعطي للباحث معطيات عن استقرار وهران وأهميتها في الدولة المرابطية هذه الأخيرة التي استطاعت دمج العدوتين تحت سلطتها مما سهل على المدن المغربية وخاصة الساحلية أن تستفيد من حركية الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من وإلى المدن الأندلسية خاصة في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي<sup>2</sup>.

## 2 / 2 / 2 . وهران والأطماع الموحدية:

إن التأثير الموحدى على وهران جاء بعد زحفهم إلى الشرق وامتداد سطوتهم إلى داخل المغرب الأوسط ومن جهة الساحل كذلك، وتورد المصادر أن الموحدين أرسلوا ثلاث حملات عسكرية إلى المغرب الأوسط كانت إحداهم موجهة إلى مدينة وهران بقيادة ابن زكو (أو ابن زجو) للإستيلاء على غنائمها، وقد نجح في ذلك حيث قدمها إلى عبد المؤمن بن علي<sup>3</sup>.

ولكن الصدام بين المرابطين والموحدين استزداد حدته في هذه المنطقة، فلم تمر فترة طويلة على نجاح ابن زجو حتى قتل من طرف دبر انكمار، وتاشفين وعبد الله بن أبي بكر إثر محاولته مساندة العساكر الموحدية الأخرى، وقد رجع المرابطين بعد ذلك إلى وهران، وكان في أعقابهم الموحدين ومن حالفهم من زناتة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> تعرضت بجانة للتخريب بعد فتنة البربر، وتم بناء المرية وتعميرها سنة 402هـ/1011م،، وزادت مناعتها وازدهارها في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي عين عليها القائد الأعلى أبي عبد الله محمد بن ميمون فأصبحت بذلك تتمتع باستقرار وهيبة . الرشاطي وابن الخراط، المصدر السابق، ص 59.

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي ؛ المصدر السابق، ص 163.

<sup>3</sup> و ابن زجو حسب ابن عذاري المراكشي هو أحد قواد عبد المؤمن بن علي بعثه إلى وهران، فأتى له بغنائمها. المصدر السابق مع 03. ص 84.

<sup>4</sup> أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى البيذق ؛ أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، سنة 1971. ص 56.

## 3 / 2 / 2 . مصرع تاشفين المرابطي :

وبعد لجوء تاشفين إلى وهران تعددت الروايات الخاصة بكيفية حصار وهران وما صاحبها من أحداث، فتذكر إحدى الروايات أن تاشفين مع انكمار نزلا بوهران، وعبد الله بن ونكى في صلب الكلب ونزل تيتلا بالمدينة<sup>1</sup>، ويبدو أن إقامة تاشفين بوهران استمرت لأكثر من شهر قبل وفاته.

ومن وهران اتخذ تاشفين جميع احتياطاته الضرورية للحفاظ على استمرارية دولة المرابطين، ويظهر ذلك من تولية ابنه إبراهيم عهده، ووجهه إلى مراکش مع جماعة من لمتونة<sup>2</sup>، وهذا الفعل يعبر عن شعوره بالخطر بعد تفرق جماعته، وتشتت عسكره، فينجمار (أو انكمار) هرب بجمعه إلى الصحراء، وفر ابن زنجي<sup>3</sup> إلى الغرب<sup>4</sup>، وأصبح الموحدون يحاصرونه بوهران، ومما زاد من خطورة الوضع على تاشفين هو تزايد قوة الموحدين وعددهم ومناطق نفوذهم، وذلك بعد لحاق أبو حفص الموحدي وعسكره بعبد المؤمن بن علي الذي سبقه في حصار وهران<sup>5</sup>، ونزل أبو حفص بعين وهران<sup>6</sup>.

وقد تمكن الموحدون من اكتساح المنطقة وإخضاع جل المنطقة الزناتية إلى السيطرة، وذلك بعدما سرح عبد المؤمن بن علي بمكانه من حصار وهران الشيخ أبو حفص وعساكره لإخضاع قبائل زناتة وبعد تفوقه عليهم خضعوا له، فقدم شيوخهم طاعتهم إلى عبد المؤمن من موضعه من حصار وهران، وهم شيخ بني يلومي سيد الناس بن أمير الناس، وحمامة بن مظهر شيخ بني عبد الواد وعطية الخير شيخ بني توجين، وغيرهم<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> البيذق ؛ المصدر نفسه، ص 59.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول؛ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، سنة 1979/1399. ص 135.

<sup>3</sup> لم يتضح من هو ابن زنجي هل هو عبد الله بن ونكى أو المدعو تيتلا ؟

<sup>4</sup> ابن عذاري المراكشي ؛ المصدر السابق، ج 03. ص 84.

<sup>5</sup> وحسب أبو العباس الناصري فإن عبد المؤمن فقد بقي في تآكرات وأنه لم يحاصر وهران بل أرسل منسرا من الخيل إلى وهران بقيادة الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى. الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ج 02. دار الكتاب، الدار البيضاء، سنة 1954. ص 65.

<sup>6</sup> البيذق ؛ المصدر السابق، ص 59.

<sup>7</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر السابق، ج 07. ص 76.

والملاحظ أن عبد المؤمن استطاع أن يحقق أهداف مهمة من اخضاع قبائل زناتة وذلك يظهر جليا في استغلال رجالها في حصار تاشفين من جهة الجبل المطل على وهران إضافة إلى ذلك فقد استولى أبو حفص في حركته لزناطة على غنائم كثيرة عادت للموحدين<sup>1</sup>.

ويبدو أن هذه الأحداث والتطورات الميدانية زادت من تضيق الخناق على تاشفين وعسكره الذي تضاءلت فرص النجاة لديهم، وأصبح ملاذ تاشفين الوحيد للفرار من الموحدين هو التوجه إلى البحر والاستنجاد بقواد أسطوله<sup>2</sup>، وهذا ما حدث بقدم مدد من الأندلس عن طريق القائد ابن ميمون<sup>3</sup> ولكن الإشكال الذي بقي لتاشفين هو كيف يصل إلى سفنه؟

وهنا تتضارب الروايات التاريخية حول مهلك تاشفين والتي كانت نهايته مأساوية بسبب سقوطه بفرسه من جرف<sup>4</sup> فمات<sup>5</sup>. وكان ذلك ليلة 27 من رمضان سنة 539هـ/1144م، وقد قطع الموحدون رأسه وبعثوا به إلى عبد المؤمن، والذي لم يكتفي بمقتله بل واصل الانتقام من المرابطين المتواجدين في وهران، فقتل منهم العدد الكثير<sup>6</sup>.

وتشير المعلومات المصدرية أن الموحدين ختموا هذا المشهد المأساوي بتدمير مدينة وهران بعد الاستيلاء على أموالها وذخائرها وسلاحها<sup>7</sup>، وتذكر المصادر أن هذه الأموال والذخائر والسلاح المستخلصة من مدينة وهران ثم من مدينة تلمسان فيما بعد تم بعثها مع جند الموحدين إلى تينمل (سنة 540هـ/1145م)، ولكنها تعرضت للنهب على يد المخضب بن عسكر<sup>8</sup> وقد تم

<sup>1</sup> ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ج 03. ص، ص 97، 98.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 01. ص 170.

<sup>3</sup> ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ج 03. ص، ص 86، 87.

<sup>4</sup> وحسب بعض المؤرخين الحديثين فإن موضع مكب الفرس هو قرب حمام سيدي داد أيوب ما بين وهران والمرسى الكبير الرجوع للزياني دليل الحيران وأنيس السهران، وكذلك ابن عودة، المرجع السابق، ص 137.

<sup>5</sup> أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج 02. ص 65.

<sup>6</sup> ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ج 03. ص 88.

<sup>7</sup> ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط سنة 1972، ص 21.

<sup>8</sup> المخضب بن عسكر من بني مرين. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 07. ص 98.

استعادتها من طرف الشيخ "عبد الحق بن منغفاد الزناتي"<sup>1</sup> العبد الوادي وقبيله لتكون بداية الموحدين جيدة مع بني عبد الواد وسيئة مع وهران وأهلها.

## 2/2/4 . وهران في العهد الموحد:

ما يمكن الإشارة إليه في هذه الفترة الموحدية أن الموحدين أعادوا بناء مدينة وهران<sup>2</sup> التي أصبحت من المدن التابعة إداريا إلى تلمسان<sup>3</sup>، واعتبرت المنطقة الممتدة على ساحل البحر من تنس و وهران إلى المحيط الأطلسي ضمن مجال المغرب الأقصى حسب تقسيم بعض الجغرافيين<sup>4</sup>، وقد كان لوهران أهمية تجارية عند الموحدين حيث برزت كمحطة أساسية لتجارة البحر المتوسط، فأصبحت قبلة لكثير من التجار الإيطاليين وخاصة تجار بيزا، وذلك خاصة بعد عقد اتفاقية السلام والتجارة بين المنصور الموحد وحكومة بيثشة سنة 582هـ/1186<sup>5</sup>

وعن طبيعة الحكم فإن تلمسان تولت الإشراف على المدن التابعة لها إضافة إلى الأرياف والفحوص هذه الأخيرة كانت تسيطر عليها القبائل الزناتية التي استحوذت على مناطق واسعة، وكان صاحب تلمسان يعين من "سادة القرابة للموحدين"<sup>6</sup>، ويساعده على إدارة مناطقه مشيخة القبائل المتحالفة معه للإبقاء على ولاء الأرياف والقبائل المتموضعة في مجالها، وكذلك جباية ضرائبها والملاحظ أن وهران عرفت تغيرات مست ظهريها القبلي وذلك باختفاء التعمير الإزداجي الذي ظهر جليا في طبونيميا الخاصة بمحطات المسلك البري بين وهران وتلمسان في العهد

<sup>1</sup> وأكد ابن خلدون على أن عبد الحق نسبه منغفاد وهي الصحيحة حسب لفظ زناتة، وأورد أن "عبد الحق بن منغفاد وأغدوي بن يكثمين"، كانا على رأس قبيل بني عبد الواد في عهد عبد المؤمن بن علي، وكان على يد عبد الحق مقتل المخضب بن عسكر المصدر نفسه، ج.07.ص.98.

<sup>2</sup> وإن كانت الروايات التاريخية لا تشير إلى تاريخ بناء المدينة إلا أنه يمكن التأكيد أنها لم تبقى لفترة طويلة ونرجح أن ذلك كان تزامنا مع بناء تلمسان من طرف الموحدين لارتباطهما معا إداريا واقتصاديا .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين) ضبطه وصححه وعلق حواشيه وأنشأ مقدمته، محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الإستقامة بالقاهرة 1368هـ/1949م، ص 200.

<sup>4</sup> ابن أبي بكر الزهري؛ المصدر السابق، ص 113. كذلك الإدريسي، المصدر السابق، ص 34.

<sup>5</sup> رسائل موحدية، تحقيق ودراسة أحمد غراوي، مجموعة جديدة، سلسلة نصوص ووثائق. رقم 02. ج.01. منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، المغرب، ص.173.

<sup>6</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج.06.ص.29.



المرابطي، وظهور طبونيميا جديدة عبرت عن تغير عميق مس تعمير هذا الفضاء الريفي لصالح جماعات قبلية مستقرة جديدة، ويظهر ذلك في ما أورده الإدريسي حيث يذكر في الطريق بين وهران وتلمسان وادي وارو وقرية تانيت<sup>1</sup>.

ويبدو أن كلمة وارو هي تحريف لنطق كلمة ورا التي تمثل إحدى بطون قبائل مغراوة<sup>2</sup> التي احتلت المكان على حساب ازداجة التي هجر منها الكثير منهم إلى الأندلس بعد الأزمات التي عرفتھا المنطقة الوهرانية عبر تاريخھا، وقد وصفت بأنها دخلت من الهضيمة والمذلة، وأصبحوا في عداد القبائل الخاضعة للمغارم<sup>3</sup>، وهذا يعني أن ازداجة فقدت قوتھا لتشتتها وتغلب قبائل أقوى منها .

<sup>1</sup> الإدريسي ؛ المصدر السابق، ص 57.

<sup>2</sup> وحسب عبد الرحمان بن خلدون فقد كان بنو ورا فخذ من مغراوة ؛ المصدر السابق، ج 07. ص /ص 63/65.

<sup>3</sup> وحسب ابن خلدون فإن فترة ضعف ازداجة كان قبل قدوم المرابطين بسبب هجرتهم إلى الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر. (المصدر السابق، ج 07. ص 192) ولكن أعتقد أن تراجع إزداجة جاء في العهد الموحد بسبب التغيرات التي أحدثوها في تموضع القبائل .

# المفصل الأول

الحياة السياسية لوهان الزبانية.

جامعة الأميرة  
الملك  
العلوم الإسلامية

المبحث الأول: 1/. نشأة الدولة العبد الوادية وإشكالية البعد عن الساحل:

1/ 1. مجالات بنو عبد الواد وأوضاعهم قبل تأسيس الدولة:

1/1/ 1. المجال الجغرافي وأهميته:

نستشف من المعلومات المصدرية التي أرخت لبني عبد الواد<sup>1</sup> أن الموحدين لما ملكوا المغرب الأوسط أقطعوا<sup>2</sup> لهم عامة بلاد قبيلة زناتية تابعة للجيل الأول هي قبيلة بني ومانوا<sup>3</sup>، وذلك نظير خدماتهم وولائهم بداية من مساعدتهم لعبد المؤمن بن علي في استرجاع غنائمه من المرينيين<sup>4</sup>، وقد سيطر بنو عبد الواد على منطقة واسعة امتدت "ما بين البطحاء<sup>5</sup> وملوية<sup>6</sup> ساحله، ريفه

<sup>1</sup> أطلق على هذا القبيل من زناتة اسم بني عبد الواد من أصل "عابد الوادي"، وذلك للتدليل على رهبانية جدهم، وهم حسب يحي بن خلدون بنو عبد الواد، وشعبهم يتفرع إلى خمس ولكن اسم "بنو عبد الواد" طغى على الجميع، وحسب بعض المؤرخين فإن عدد القبائل المعدودة في بني عبد الواد تصل إلى اثني عشر قبيل، ستة في ولد القاسم وخمسة في ولد عابد الواد، وواحدة في ولد زردال أخيه، (ويتضح من ذلك أن القبائل يجمعها الاسم لقبيل واحد سواء إلتماء أو غلبة). يمكن الرجوع ليحي بن خلدون المصدر السابق، ج 01. ص 186. وكذلك التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان) حققه وعلق عليه محمد آغا بوعبيد، موفم للنشر، الجزائر، سنة 2011، ص، ص 110، 111

<sup>2</sup> الاقطاع من المصطلحات التي عبرت عن حالة الأرض القانونية، فمعنى المصطلح هو إعطاء ولي الأمر جزءا من الأرض لعمارته أو غلة أرض للاستزاق منها، وقد استخدم ابن خلدون إلى جانبها مصطلح مشابه في المعنى فكلمة إسهم وأسهم لتدليل على تخصيص الدولة حق لشخص ما والاقطاع أنواع في المفهوم الفقهي، وللإستزادة يرجع ل: مكّي زيان وإشراف بودواية مبخوت الإقطاع الزراعي في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين (7 و9 هـ / 13 و15 م) من خلال كتب النوازل الفقهية كمادة مصدرية مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 2، العدد الأول، يناير 2019. ص 209.

<sup>3</sup> وقد كان لبني ومانوا وبني يلومي مواضع في المغرب الأوسط مع مغراوة وبني يفرن، ولكن الصنهاجيون أزاحوا مغراوة وبني يفرن إلى المغرب الأقصى. ودخلت بني يلومي وبني مانوا في طاعة الصنهاجيين. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 07. ص/ص 98/75 ويبدو أن مجالاتهم اتسعت أكثر وزادت قوتهم ونفوذهم على المغرب الأوسط تدريجيا.

<sup>4</sup> تذكر المعلومات المصدرية مساهمة الشيخ عبد الحق بن منغفاد الزناتي العبد الوادي وقبيله في إستعادة الأموال والذخائر والسلاح المستخلص من مدينتي وهران وتلمسان من يد المخضب بن عسكر الذي إستولى عليه من جند عبد المؤمن بن علي في طريقه إلى تينمل سنة 540هـ/1145م. ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنينة 1972. ص 21.

<sup>5</sup> كانت البطحاء مدينة كبيرة بناها عبد المؤمن بن علي عندما عاد من إفريقية في منتصف ق 6هـ/ 12م. وهي متموضعة في سهل فسيح ينبت فيه القمح تحقق لملك تلمسان دخلا معتبرا ولكنها اندثرت بسبب الحروب الداخلية للزيانيين وبقيت أطلال إلى أن عمرها أحد المتصوفة الذي آوى إليه أتباعه. الوزان، المصدر السابق، ج 02. ص، ص 28، 29. السلاوي، المرجع السابق ج 02. ص 140.

<sup>6</sup> ويقصد واد ملوية الكبير المشهور الذي ينزل فيه نهر سجلماسة. وعادة ما يؤخذ هذا المظهر المورفولوجي حد فاصل بين الممالك الزناتية وحتى بين نفوذ القشتاليين ومملكة أراغون حسب ماجاء في معاهدة Monteagudo التي انعقدت سنة 1291م فشرق

وصحراء<sup>1</sup>، وذلك تحقق لهم بعد تلاشي قوة قبائل بني ومانوا وتراجعها تدريجيًا.

وحسب يحيى بن خلدون فإن قبيل عبد الواد قد حافظ على بداوته الصحراوية، وكانت إطلائته على سهول تلمسان للانتجاع على عادة القبائل الرعوية، وظل هذا الوضع مستمر إلى غاية 620هـ/1223م، أين قرروا الاستقرار في المنطقة لخصبها وسهولة العيش فيها<sup>2</sup>. وقبلها كانت حياتهم تعتمد على الرعي وإيلاف الرحلتين، ففي الشتاء يكون خروجهم للصحراء، ويتركون أتباعهم وحاشيتهم لاستغلال الأرض في الزراعة، وجباية الأموال من القبائل المتموضعة في مجالاتهم<sup>3</sup>. ولكن السؤال الذي يطرح، لماذا قرروا الاستقرار في التلول سنة 620هـ/1223م؟

وهذا الفضاء المختلف طبوغرافيا شكل أهمية لنمط معيشة قبائل بني عبد الواد الرعوية، وضمن لها في البداية إيلاف الرحلتين، ليتحول هذا المجال تدريجيا إلى مجال بدوي ثابت لبني عبد الواد، وفي جوارهم مجال بدوي زناقي آخر لكل من قبائل مغراوة وبنو توجين وبنو راشد<sup>4</sup>، وقد تقاسمت هذه العصابات الزناتية مجال جغرافي واسع في المغرب الأوسط، ممتد من التلول إلى أعماق الصحراء.

وبالرجوع إلى الجغرافيا التاريخية للعصائب الزناتية سابقة الذكر في الفترة الأخيرة من الحكم الموحد، يلاحظ الباحث تقاربها في المجال الجغرافي من جهة، وفي القوة من جهة ثانية، وهذا ما سمح بخلق نوع من التوازن في تقاسم المجال البدوي والريفي لأكثر من طرف، والواضح أن هذا التوازن بدوره خضع لمبدأ الغلبة للقبائل القوية، والتي كانت في كل مرة تتنافس لفرض قوتها وسيطرتها على الموارد المائية وعلى المجالات الرعوية المرتبطة برحلة مَصِيْفِها.

ولكن هذا الفضاء الرعوي لمنطقة المغرب الأوسط تقلص تدريجيا نتيجة للضغط المتزايد عليه بسبب كثرة ارتياد القبائل الرعوية من جهة، وتذبذب المناخ من جهة ثانية. لذلك أصبحت المناطق الأقرب للأنهار والأودية مطلب القبائل القوية لضمان تأمين حاجياتها المختلفة، وهذا ما يفسر النزاع وحالة المناوشات بينهم.

النهر نفوذ أراغون على الأراضي العبد الوادية وغرب النهر نفوذ قشتالة على الأراضي المرينية. ابن السعيد المغربي، المصدر السابق،

ص 140. كذلك Jennifer Vanz

<sup>1</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 104.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 01. ص 198.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 104

<sup>4</sup> ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج 07. ص 104.

ومن استقرار حركية القبائل القوية في منطقة المغرب الأوسط، يتضح النزاع الدائم بينها من أجل السيطرة على منطقة شكلت أهمية استراتيجية لها، وهي المنطقة الونشيرية<sup>1</sup> بامتدادها الجبلي والسهلي، وخاصة المناطق الواقعة على طول نهر شلف، وذلك لتحقيق أهداف حيوية منها القرب من الأراضي الزراعية وما توفره من ميرة وكذلك ضمان مجال رعوي لسائمة، بالإضافة لموقعها الدفاعي التقليدي، فبعض المواضع الجبلية متنوعة، مما شكّل أماكن مناسبة لإقامة القلاع المحصنة التي تحمي القبيلة ومؤننتها من الأخطار المحتملة.

وإن كانت هذه المنطقة الونشيرية قد جذبت البطون الزناتية، فإن قبيل بني عبد الواد تموضعوا غربها، حيث اقتطع لهم الموحدون المنطقة الممتدة من البطحاء إلى ملوية، وهي منطقة متاخمة للسلطة المركزية الموحدية ممثلة في العاصمة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن محلات بني عبد الواد تتوافق مع المجال الريفي للقطر التلمساني، ومن هنا تتضح استراتيجية الموحدين في اتخاذ بني عبد الواد كحماة لهذا القطر، وحلفاء لهم<sup>2</sup> كما عاهدوهم.

### 1/1/2. أوضاعهم قبل قيام الدولة:

ويبدو أن التوتر والتصادم لم يظهر بشكل قوي بين القبائل الزناتية السابقة لما كانت الدولة المركزية الموحدية قوية، ولكن بضعفها بدأت الأطماع والفتن والحروب تتصاعد بين هذه العصائب الزناتية، وذلك راجع لعوامل كثيرة ومتداخلة يأتي في مقدمتها ضعف وتراجع الدولة الموحدية، خاصة بعد التصدّع الكبير الذي شهدته بسبب انكسار جيوشها في معركة العقاب سنة 609هـ/1212م<sup>3</sup>، وفقدانها لعدد كبير من رجالها وحماتها<sup>4</sup> الذين كانت بأمس الحاجة إليهم، لردع الأخطار المحدقة بها في الداخل المغربي، لذلك كانت هذه الواقعة بداية للتحويل في ميزان القوى سواء في الأندلس أو في

<sup>1</sup> وهذه المنطقة تنسب إلى جبال الونشريس والتي تتميز بكثرة العيون وترتبتها جيدة ولها قمم شديدة الوعورة والمنطقة شهدت تموضع لكثير من البطون القبلية عبر تاريخها الوسيط وخاصة قبائل زناتة. يمكن الرجوع للحسن الوزان، المصدر السابق ج02. ص45.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج01. ص198.

<sup>3</sup> القبلي (محمد)؛ حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط، مقدمات أولية وقضايا، نشر الفنك سنة 1998. الدار البيضاء (المغرب)، ص20.

<sup>4</sup> وقد كانت معركة العقاب آثار سلبية خطيرة على الأندلس الذي أصبح عرضة للتوسع الصليبي، كما أدت إلى فقدان عدد هائل من المقاتلين من المغرب، فوصفت عند المقرئ بأنها كانت " الطامة على الأندلس بل والمغرب جميعا ". (المقرئ، المصدر السابق المجلد 04. ص383). أما ابن عذاري المراكشي فيعتبرها "سبب هلاك الأندلس". المصدر السابق، ج03. ص377.

الداخل المغربي، وبداية لتقلص نفوذها وأراضيها، ليقصر أساسا على المدن بسبب تحصنها بالأسوار، ولتواجد حاميتها العسكرية، أما الريف فكان خاضعا لسلطة القبائل القوية والمالية للسلطة المركزية التي تتولى حمايته.

وكان هذا الوضع المهش يضمن للموحدين الإبقاء على حدود مضطربة لدولتهم، فهي مرتبطة بمجالات القبائل الموالية لهم والمدن الخاضعة لحكمهم.

وقد اعتمد الحكم الموحدى لمنطقة المغرب على استراتيجية تركز على إحداث نوع من التوزيع للقوة العسكرية والقبلية على مناطق حيوية وبعيدة عن السلطة المركزية<sup>1</sup>، مما سمح باستقرار نسبي ومؤقت مرتبط بعدم وجود أطماع قوية تستهدف الحكم الموحدى، ولكن بظهور متنافسين جدد على الأراضي الموحدية، أفرز ذلك أخطارا وأزمات متلاحقة أثرت سلبا على الدولة الموحدية وعجلت بإبادتها في الأخير، ونقصد خاصة خطر ابن غانية وانعكاساتها على المنطقة.

فقد كانت الدولة الموحدية مهددة بأطماع وتهديدات ابن غانية من الناحية الشرقية، وذلك بداية من سنة 1184/580م<sup>2</sup>، وبدخولهم للمغرب أقاموا تحالفا قويا مع العرب الهلاليين، وانضاف إليهم الترك فكثرت جمعهم وقوتهم<sup>3</sup> فكانوا يدا واحدة على الموحديين، مما سمح لهم بشن غارات وهجمات أحدثت تخريبا واستنزافا للقدرات الاقتصادية لمناطق واسعة من إفريقيا والمغرب الأوسط، وخاصة للمنطقة الزناتية التي تضررت من عمليات التخريب التي مست عمرانها وقواعدها التاريخية، خاصة

<sup>1</sup> ويظهر ذلك جليا في أمثلة تاريخية منها تولية أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص على إفريقيا من قبل الناصر الموحدى، والذي اختاره لكفاءته وقدرته على الحفاظ على استقرار إفريقية والولاء للسلطة المركزية، وقد أشارت الكتابات المصدرية على أن تولية ابن أبي حفص خضع لنظر، واختيار دقيق من طرف الناصر، وقد منح الناصر لابن أبي حفص حرية اختيار أنجاد الموحديين للبقاء معه في إفريقيا، الرجوع لابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج03. ص/ص 411/359.

<sup>2</sup> بنو غانية، وهم من سلالة محمد وأخوه علي، وهما ينسبان إلى أمهما فعرفا باسم "بني غانية"، وقد كان لهما شأن في الأندلس أيام المرابطين، وقد تمكن علي من الاستقلال بجزيرة ميورقة، وكل من منرقة ويابسة، وتوارث بنيه حكمها إلى أن كان خروجهم من ميورقة سنة 580هـ/1184م متجهين إلى بجاية ثم انتشروا في عدة مناطق، وكان لهم دور في حالة الاضطرابات التي مست المغرب الأوسط وإفريقية مما شكلوا خطرا داهما أتهك الدولة الموحدية من أراضيها الشرقية. يمكن الرجوع إلى عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص - ص 267 - 304. وكذلك تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص - ص 13-20.

<sup>3</sup> ابن الأثير ( عز الدين أبي الحسن )؛ الكامل في التاريخ، اعتنى به، محمد العرب، ط01. المكتبة العصرية، بيروت، ج02. السنة 1426هـ/2005م ص2547.

مدينتي تاهرت وأرشكول<sup>1</sup> في المغرب الأوسط.

إضافة إلى ذلك فقد قامت حركات تمردية متواترة على الدولة الموحدية زادت من أعباء وخسائر الموحدين بشريا وماديا<sup>2</sup>، كما أن هذه الثورات ساهمت بشكل كبير في إحداث المجاعات بسبب قلة الأوقات، ويمكن إضافة سبب آخر أثر على هيبة الدولة الموحدية<sup>3</sup> التي تراجعت عظمتها وسمعتها، وهو هزائمها المتكررة.

وقد تعقدت مشاكل الدولة الموحدية، وتنامت بسبب الصراعات الداخلية الحادة والمتجددة حول الحكم بين أفراد العائلة المالكة، والذي برز بين المتنازعين على الملك الموحي، فكانت بين المأمون وأبي زكريا يحيى ابن الناصر ثم بين المأمون وأخوه أبو موسى<sup>4</sup>، فأضحت الدولة الموحدية في سنواتها الأخيرة مثقلة بأعباء وأزمات هددت حياتها كدولة مترامية الأطراف، وهذا ما شجع القوى القبلية الزناتية للخروج من سلطتها الشكلية، والسعي في تكوين دول مستقلة عنها لتحدث تحولات عميقة في المنطقة ومنها انقلاب التحالف إلى عداة بين الموحدين وقبائل بني عبد الواد.

وفي خضم الوضع العام المتردي الذي شهده الثلث الأول من ق 7هـ/13م ظهر قبيل زناتي آخر ضاغط أخذ في النزوح تدريجيا ليقترب من البطون الزناتية السابقة، ويهدد مصالحها، ونعني بذلك قبائل بني مرين، فأصبحت المنطقة لا تتحمل تزامم القوى المتزايد، فحسب الكتابات المصدرية التاريخية والجغرافية فإن بني مرين تموضعت في مجال قريب من البطون الزناتية السابقة في المنطقة الممتدة

<sup>1</sup> إعتبرهما ابن خلدون قاعدتان لزناتة بسبب ارتباطهما بتاريخ مشترك مع البطون الزناتية، وخضوعهما لحكم الأدارسة، (ابن خلدون المصدر السابق، ج 07. ص 35). وإن سبق التعريف بمدينة تاهرت فإن أرشكول أو أرشقول هي فرضة تلمسان على عشرين ميلا من تلمسان. عماد الدين بن أيوب (صاحب حماة)، تقويم البلدان، ص 123.

<sup>2</sup> ومن تلك الحركات التمردية نذكر على سبيل المثال - لا الحصر- انفصال عبد الرحمان الجزولي المعروف بابن الجزائر بالسوس سنة 597هـ/1200م، وقد كانت له حروب عديدة مع الموحدين خلفت خسائر معتبرة لهم، وإن كانت هذه الثورات لا تؤثر كثيرا لما كانت الدولة قوية إلا أن بضعفها أصبحت تشكل خطر على وحدة الدولة، ومن الحركات المناوئة للحكم الموحي حركة غمارة والتي امتدت لجمال صنهاجة وبعد القضاء عليها سنة 562هـ/1167م عادت سنة 572هـ/1176م وكذلك سنة 595هـ/1199م، حركة في سجلماسة سنة 618هـ/1221م. وحركة تاسررت 563هـ/1168م وحركة هسكورة سنة 631هـ/1233م (عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 316). مغنية غرادين، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة (ق 5هـ - 7هـ/11م-13م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية 1436هـ-1437هـ/2015-2016م. ص 322.

<sup>3</sup> ابن عذارى المراكشي؛ المصدر السابق، ج 03. ص 445.

<sup>4</sup> تاريخ الدولتين، ص/ص 25/23.

ما بين " تلمسان وتاهرت"<sup>1</sup>

ونعتقد أن طائفة قليلة العدد هي من كانت في الموضوع المذكور<sup>2</sup>، وقد خاضت حروبا مع أحياء من بني عبد الواد<sup>3</sup> القريبة منها، وكانت سنة 601هـ/1204م، وأدت إلى تراجع هذه الطائفة من بني مرين إلى الغرب، ونزلوا الجبل المطل على واد ملوية<sup>4</sup>، أما باقي البطون البدوية الأخرى من بني مرين فكانت منتشرة في عدة مناطق من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى<sup>5</sup> في المنطقة شبه الصحراوية المخاذية للتلول<sup>6</sup> إلى أعماق الصحراء<sup>7</sup>.

ومن المغرب الأقصى كانت نواة التواجد المريني الذي تزايد نزوحهم إلى المنطقة بعد ضعف الموحدين وعدم قدرتهم على حماية أراضيهم، ويورد ابن أبي زرع الفاسي أن طائفة من بني مرين اعتادت على أخذ ميرتها من المغرب "فوجدوه خاليا" على غير عادته، فبعثوا إلى إخوانهم للحاق بهم لخلائها من السكان وخصبها، فأقبلوا عليهم<sup>8</sup> لتتحول رغبتهم في السيطرة من إقطاع الأراضي على قبائلهم من

<sup>1</sup> الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 60.

<sup>2</sup> وحسب استقراء المعطيات المصدرية فإني أعتقد أن المؤرخين استدلوا بموضع بني مرين ما بين تلمسان وتاهرت انطلاقا من المعلومات التاريخية التي أوردتها حادثة الاستيلاء على غنائم عبد المؤمن بن علي من طرف المخضب بن عسكر المريني، وما ذكر عنه أنه "ملك بوادي تلمسان وقوي أمره بتلك البلاد". ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنينة، ص 21.

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 01. ص 198.

<sup>4</sup> يذكر ابن أبي زرع الفاسي أن هذه الحرب بسبب امرأة، ولكن نعتقد أن الحرب كانت بسبب الاحتكاك والبحث عن مكان مناسب للمصيف وربما هذا ما يفسر وجهتهم نحو الغرب وليس العودة إلى مواضعهم المعتادة. الذخيرة السنينة. ص 24.

<sup>5</sup> وكانت مجالهم أوسع مع قبائل زناتة تمتد إلى صحراء إفريقية ومطقة الزاب، ولكن بقدوم الأعراب تم إزاحتهم غرب الزاب، ونتيجة لرفضهم دفع الجباية للموحدين فقد ظلوا بعيدين عن مناطق السيطرة الموحدية. يمكن الرجوع إلى ابن خلدون، المصدر السابق ج 07.

<sup>6</sup> تركت مرين مواطنها السابقة من منطقة بسكرة وإفريقية بعد وصول الأعراب في منتصف ق 5هـ/11م، واحتلوا السهول العليا حول واحة فقيق، ولما تولى الموحدون الحكم ابتعدوا إلى تخوم الصحراء. روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، سنة 1982. ص، ص 103، 104.

<sup>7</sup> وقد ورد في تاريخ ظهورهم وأصل بلادهم ما جاء:

أتوا إلى المغرب من البرية	في عام عشرة ومائة
على ظهور الخيل والنجائب	جاءوا من الصحراء والسباب
من قبل ذا وهم ميمون	كمثل ما قد دخل المثلثون

يمكن الرجوع إلى مؤلف مجهول، الحلل المشوية، ص 175.

<sup>8</sup> ابن أبي زرع الفاسي؛ الذخيرة السنينة، المصدر السابق، ص 25.



أرض الريف إلى الاستيلاء على المدن والقواعد الحصينة، فكانت البداية رباط تازا<sup>1</sup> سنة 646هـ/1248م<sup>2</sup>، ويتبعه بقية الحصون والمدن.

وإن كانت لهذه الأحداث انعكاسات سلبية على الموحدين، وأدت بسرعة إلى تقليص حدود دولتهم ونفوذهم، فإنها أعطت فرصة ثمينة لتقاسم المجال الموحد، وتوارث الدولة بين القوى القبلية الفاعلة في المنطقة المغربية ككل، فبرزت كيانات سياسية متعددة تطمح لتكوين دول وممالك مستقلة. وقد أفرزت في الأخير بروز ثلاث ممالك في المغرب: بنو عبد الواد في المغرب الأوسط، وبنو حفص في إفريقية وبنو مرين في المغرب الأقصى.

### 1 / 2. الدولة العبد الوادية وإشكالية النشأة والتنظير:

إن تسليط الضوء على مراحل إنشاء الدولة العبد الوادية، وتحليل العوامل التي ساهمت في ظهورها لا يتأتى للباحث إلا بالتوغل في الفكر السياسي الخاص بهذه الفترة الوسيطة المتأخرة من تاريخ المنطقة المغربية عموماً، والمغرب الأوسط خصوصاً، والتي برزت فيها القبائل البربرية وحتى العربية كتنظيم سياسي واجتماعي وثقافي مميز، استطاع تكوين خصوصية حضارية وفكرية برزت من خلال ممارستها الميدانية التي ترجمت في مختلف النشاطات من: سياسية واقتصادية واجتماعية وغير ذلك من الأنشطة الأخرى.

ومن الإشكاليات التي تهمنا في هذا السياق، نظرة هذه القبائل القوية وخاصة قبائل زناتة للملك والدولة من خلال تجربتها في إنشاء الدول في العصر الوسيط المتأخر.

وبالرجوع إلى التأليف التي تحلل ماهية الفكر السياسي الخاص بتلك الفترة وتلك المنطقة، نجد أن المفكر الموسوعي "عبد الرحمان بن خلدون" خص جزء من مقدمته للخوض في هذه الإشكالية، وقد أعطى مفاهيم عميقة خاصة بالملك والدولة عند القبائل المغربية، والتي شكلت تجربتها التاريخية الوسيطة نماذج واقعية اعتمدها ابن خلدون في استنباط وتفسير مرجعيته السياسية لتحليل مكونات (الملك والدولة) في الفضاء المغربي، والتعرف على مراحل التكوين والتحول من البداوة إلى إنشاء الامارات والدول، وغير ذلك من الأفكار المرتبطة بماهية الملك والدولة.

<sup>1</sup> بنيت مدينة الرباط في جبال تازا، هذه الأخيرة اعتبرت حد فاصل ما بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، يسكنها قبائل مكناسة، الحميري، المصدر السابق، ص 128.

<sup>2</sup> ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ج 03. ص 524.

ولذلك سنحاول الخوض في جزء من الفكر السياسي الخاص بإشكالية تحول القبائل الزناتية من البداوة إلى تكوين دولة، انطلاقاً من المفاهيم النظرية السابقة لابن خلدون وغيره من المؤرخين والعلماء الذين خاضوا في هذه الإشكاليات، وإسقاط أفكارهم على الواقع والتجربة التاريخية للدولة العبد الوادية خاصة في بداياتها الأولى، حتى يتأتى لنا فهم هذه الدولة القبلية التي تنتمي إليها وهران إضافة إلى ذلك كانت الحاجة إلى تسليط الضوء على علاقة بني عبد الواد بجغرافية المغرب الأوسط عند تأسيسهم لملكهم وخاصة للمدن الساحلية.

### 1/2/ 1. ظروف النشأة:

نشأت الدولة أو الإمارة العبد الوادية بشكل تدريجي، وذلك حسب كرونولوجيا الأحداث التي ميزت منطقة المغرب الأوسط عموماً، وما حدث بتلمسان خصوصاً لما تمثله من أهمية تاريخية وحضارية واقتصادية لزناتة<sup>1</sup>، لذلك فتسليط الضوء على ما جرى بها من أحداث من شأنه توضيح ظروف تأسيس الدولة العبد وادية ونجاحها في تحطيم الصعاب والعراقيل التي واجهتها في بداياتها الأولى.

تعتبر تلمسان القاعدة الزناتية الأولى التي عرفت الكثير من الأحداث السياسية فهي مركز وقاعدة موحدية تتحكم في إقليم شاسع يضم قبائل قوية ومدن عديدة، وقد استطاعت تلمسان الصمود<sup>2</sup> أمام الأخطار المحدقة بها في الفترة الأخيرة من الحكم الموحدية، والتي تمتد من فترة حكم المأمون وما يليها، وذلك راجع لقوة تحصينات المدينة في الجانب موضعها من الجبل فقد اعتنى الموحدون ببناء سورها وزيادة تحصينه خاصة سنة 581هـ/ 1185م، وذلك بعد ظهور خطر ابن غانية واستيلائهم على بجاية والجزائر والمدية<sup>3</sup>.

ومن أسباب مناعتها كذلك قوة حاميتها الموحدية التي واجهت كل الأخطار على الرغم من أن

<sup>1</sup> وصفت تلمسان: ".. مدينة عظيمة قديمة.. كانت دار مملكة لأمم سالفة.. وكانت دار مملكة زناتة وغيرهم من البربر..". كاتب مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة، والمدنية، ومصر، وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول، ص176.

<sup>2</sup> عكس مدينتي تاهرت وأرشكول التي تم تدميرهما حسب ما سبق ذكره.

<sup>3</sup> كان ابتداء بناء السور سنة 566هـ/ 1170م على يد السيد موسى بن يوسف العسري بن عبد المؤمن بن علي، وقد أتمه وحصنه السيد أبو الحسن بن السيد أبي حفص. يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج01. ص 91، وكذلك يمكن الرجوع لابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج03. ص 279.

آخر والي لها من الموحدين هو أبو سعيد كان ضعيف التدبير<sup>1</sup>، ويظهر ذلك في خضوعه لتأثير الحسن بن حيون<sup>2</sup> الكومي، ورغبته في التخلص من نفوذ بني عبد الواد على المنطقة لكن تدخل ابراهيم بن اسماعيل بن علان اللمتوني<sup>3</sup> أفضل المساعي وأنقض جماعة مشيخة بني عبد الواد بعد رد شفاعته فيهم، فاغتال ابن حيون وأطلق سراح بني عبد الواد<sup>4</sup>، وكان ذلك سنة 624هـ/1226م.

ولكن انقلابه عليهم ومحاولته القضاء عليهم<sup>5</sup>، وإلحاق المنطقة بنفوذ ابن غانية، وتفطن مشيخة بني عبد الواد ورئيسهم جابر بن يوسف للمؤامرة، جعلهم يدخلون مدينة تلمسان كحماة وحلفاء للموحدين كعادتهم، فقد أنقضوا القطر التلمساني من خطر كان وشيكا على الموحدين، وهو التوسع اللمتوني في المغرب الأوسط والتقرب من مركز السلطة.

وما إن دخل جابر بن يوسف تلمسان حتى رفع الدعوة للموحدين منهيها بذلك حكم الولاية السادات من الموحدين لتلمسان، لتكون المدن والوطن التلمساني كله لبني عبد الواد من مدينة تلمسان ووهران<sup>6</sup>.

وأحوازهما<sup>7</sup>، لتتحول سيطرة بنو عبد الواد من المجال الريفي والبدوي إلى تملك المجال الحضري، ونقصد

---

<sup>1</sup> وهو أخو المأمون الموحد وصنفه ابن خلدون بأنه كان "مغفل ضعيف التدبير. المصدر السابق، ج 07. ص 109.  
<sup>2</sup> كان الحسن بن حيون من مشيخة كومية وعن مهامه في الدولة الموحدية، فذكر كونه "عاملا على الوطن" حسب عبد الرحمان ابن خلدون. المصدر السابق، ج 07. ص 99. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 01. ص 199.  
<sup>3</sup> من رجال لمتونة وصف بأنه "شيخ مترجلة لمتونة المستخدمين"، أقره عبد المؤمن على ديوان وحامية تلمسان مع مجموعة من اللمتونيين. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 01. ص 199. وكذلك عبد الرحمان بن خلدون، المصدر نفسه ج 07. ص 99.

<sup>4</sup> يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 01. ص 199.

<sup>5</sup> وحسب الرواية المتداولة في المصادر فإن ابراهيم بن اسماعيل اللمتوني أراد إحياء الدولة اللمتونية في منطقتة، ووجد أن قبيل بني عبد الواد يشكل عائق أمام هدفه، فجهز خطة من أجل التخلص من مشيختهم وخاصة من جابر بن يوسف، فتقدم إليهم بدعوة لوليمة في مدينة تلمسان، ولكن مشيخة بني عبد الواد كانت مدركة لمقصده ولأطماعه، وهذا ما أفضل مسعاه، وأجهض خطته.

يمكن الرجوع ليحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 01. ص 199

<sup>6</sup> تم إلحاق وهران بمجال العبد وادين قبل ذلك كما أوضحنا سابقا ولكن على ما يبدو أن المقصود بوهران قبل 624هـ/1226م هو المجال الريفي لوهران أما المدينة فقد كانت تحت الحكم المباشر للموحدين، ولكن بعد هذه الأحداث خضعت لبني عبد الواد لكونها تابعة إداريا لتلمسان كما ذكرناه سابقا.

<sup>7</sup> بن عودة ( المزاري ) ؛ طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الاسلامي. ج 01. بيروت (لبنان)، سنة 1990. ص 162.

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

هنا مدينتي تلمسان ووهران، ولكن هذا الأمر على ما يبدو لم يقلق كثيرا السلطة الموحدية بخسارة مدنها مادام جابر بن يوسف أبدى طاعته للمأمون الموحد والقيام بدعوته، كما أن طموحاته لم تتجاوز منطقته الجديدة<sup>1</sup>، وهذا ما جعل المأمون يكتب له على تلمسان وسائر بلاد زناتة<sup>2</sup> وذلك سنة 627هـ/1229م<sup>3</sup>.

وفي ظرف ثلاث سنوات استطاع جابر بن يوسف جمع القبائل تحت طاعته من بني عبد الواد وبني راشد، كما قام بضم المدن بعد مبايعتها له، باستثناء ندرومة<sup>4</sup> التي كانت سبب هلاكه بعد محاولته ضمها إليه بالقوة سنة 629هـ/1231م<sup>5</sup>.

وإن كانت السيطرة على القطر التلمساني قد حققت الولاية لجابر بن يوسف وقبيله على جزء من المغرب الأوسط وقبائله إلا أنه لم يحقق لهم الدولة. وإن كان مفهوم الدولة بالمنظور الخلدوني مرتبط أساسا بالعصبية ودورها في التغلب على باقي العصبية الأخرى<sup>6</sup>، وما ينتج عليه من سلطة وتكوين جهاز ضريبي وإداري وعسكري<sup>7</sup>، وإن ذلك تحقق فإن البقاء تحت نفوذ سلطة أخرى ويد قاهرة يجعلها تندرج ضمن مفهوم الإمارة الممهدة لتأسيس الدولة عند توفر الظروف المناسبة.

لذلك فإن الظروف المواتية وتطورات الوضع السياسي بضعف الموحدين زادت من طموحهم، لإخضاع المجال القبلي الزناتي لسيطرتهم وتأسيس الدولة العبد الوادية<sup>8</sup>، وخاصة بوصول يغمراسن بن

<sup>1</sup> ويرجع يحيى بن خلدون سبب إكتفاء جابر بن يوسف بالقطر التلمساني لكبر سنه وشيخوخته. المصدر السابق، ج01. ص 200.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص، ص 99، 100.

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج01. ص 199.

<sup>4</sup> من المدن الرومانية في المغرب الأوسط تقع في منطقة سهلية تبعد بـ 12 ميلا عن البحر تكثر بها الخيرات وبها الصناعات، تنتج أقمشة القطن. الوزان، المصدر السابق، ج02. ص، ص 13، 14.

<sup>5</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج01. ص 200.

<sup>6</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص227.

<sup>7</sup> للتوسع أكثر في المفهوم الخلدوني يرجع ل: شداوي (عبد السلام)، ابن خلدون، الإنسان ومنظر الحضارة، ترجمة حنان قصاب حسن، المكتبة الشرقية، بيروت (لبنان)، سنة 2016. ص 415

<sup>8</sup> ويرى غوتيه أن الفرق بين الوطن في المغرب الوسيط والوطن في أوروبا هو فرق جوهري فالأول مرتبط بالانتماء إلى القبيلة التي تتصل برابط قوي تمثل في صلة الدم لذا القبائل العربية والبربرية تحمل اسما موحدًا وتتحدد قوتها بعدد أفرادها، في حين الوطن الأوروبي هو الانتماء إلى الأرض التي لها حدود جغرافية ومساحة تحدد قوتها. أ. ف غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني ط02. طبع الكتاب سنة 1970. ص، ص 55، 56.

زيان، والذي تولى الرياسة والمشیخة بعد أخيه أبي عزة زكرار بن زيان<sup>1</sup> سنة 633هـ/1235م<sup>2</sup>، وكان له الخطوة لتأسيس دولة في المغرب الأوسط. ولكن السؤال الذي يطرح هنا، لماذا ينسب تأسيس الدولة ليغمراسن وليس لجابر بن يوسف أو غيره؟

## 2/2/1. شخصية يغمراسن ودوره في إنشاء الدولة التنظير لها:

### 1/2/2/1. يغمراسن وإشكالية تأسيس الملك أو الدولة:

هناك تضارب واضح بين المؤرخين الوسيطيين والحديثين حول مؤسس الملك لقبيل بني عبد الواد وتاريخ ابتداء دولتهم، فيحي بن خلدون يرجع تاريخ الصيرورة إلى الملك لبني عبد الواد، أي ابتداء الدولة إلى سنة 627هـ/1229م في عهد جابر بن يوسف أيام المأمون الموحد<sup>3</sup>. وهناك من يعتبر أن يغمراسن بن زيان<sup>4</sup> هو أول ملوك دولة بني عبد الواد وينسب إليه تأسيس الدولة، وذلك أن في عهده تحقق الاستقلال عن الدولة الموحدية بعد رفضه هدية الرشيد عبد الواحد الموحد، ومن ثمة رفض دعوته<sup>5</sup>.

ونجد من جهة أخرى من المؤرخين البارزين للفترة الوسيطية يعود للقرن (9هـ/14م) من ينكر عليه ذلك، ويقلل من شأنه في تأسيس الدولة؛ فابن الأحمر مجرد يغمراسن من كونه مؤسس دولة بني عبد الواد<sup>6</sup>، ويرى أنه مجرد عامل للسلطان الحفصي وأنه لم يتجاوز لقب "الشيخ"؛ بمعنى بعده عن السلطنة وتأسيس الدولة، فكلمة الشيخ والمشیخة عادة ما ترتبط برياسة القبائل البدوية، لا التحكم في المجال الحضري الذي عادة ما يكون خاضع للدولة.

ويستدل ابن الأحمر بأن يغمراسن لم يمارس الحكم المطلق والمستقل لوجود المشورة الدائمة من الموحدين في قراراته، وبقائه مرؤوسا لدول أقوى منه. وهذه الإشكالية تبدو معقدة تحتاج إلى تحليل

<sup>1</sup> يحي بن خلدون، المصدر نفسه، ج 01. ص 199.

<sup>2</sup> ابن خلدون (عبد الرحمان)؛ المصدر نفسه، ج 07. ص 106.

<sup>3</sup> وفي ذلك يورد: "... وهو ( جابر بن يوسف) أول من نازع بني عبد المؤمن رداء ملكها، وقد كان رأس دولتهم...".

المصدر السابق، ج 01. ص، ص 199، 200.

<sup>4</sup> بويغ بعد أخيه سنة 631هـ / 1233م، وتوفي بتلمسان سنة 681هـ / 1282م، وكانت دولته إحدى وخمسين سنة. ابن

القاضي، المصدر السابق، ج 03. ص 263.

<sup>5</sup> الرجوع إلى التنسي، المصدر السابق، ص، ص 115، 116. وكذلك الآغا بن عودة، المرجع السابق، ص 162.

<sup>6</sup> وحسب ابن الأحمر فإن كل من يغمراسن وبنيه بعده لم يتأت لهم رياسة الدولة إلا في عهد حفيده أبو حمو الأكبر الذي خلع الطاعة واستقل بالملك المطلق. المصدر السابق، ص، ص 62، 63.

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

وتفسير واقعي يستوعب ويتناسب مع مفاهيم ذلك العصر وخاصة واقع الحكم القبلي وتطوره، ويتأتى ذلك باستقراء تجربة يغمراسن وقبيله في التدرج في الحكم وصولاً إلى الملك وتأسيس الدولة. يعتبر يغمراسن<sup>1</sup> شخصية محورية لقبائل بني عبد الواد، فالإليه ترجع رئاسة هذه القبائل القوية، وقد تولى المشيخة بعد مقتل أخيه أبي عزة زجدان من طرف بني مطهر<sup>2</sup>، وحلفائهم بني راشد سنة 633هـ/1235م، فكان أول عمل قام به هو إخضاع القبائل المناوئة له من بني مطهر المتمردين على أخيه، وقد تمكن يغمراسن من إطفاء هذه الفتنة<sup>3</sup>، وجمع عشيرته وقومه وحلفائه من زغبة<sup>4</sup>. وإضافة إلى رتبة المشيخة فقد كان يغمراسن "صاحب تلمسان"، وكامل المنطقة التابعة لها ليتدرج حسب المفاهيم الخلدونية في مستويات السيادة، من مستوى قيادة قبيلة إلى السيادة المحدودة تحت لواء سلطة بمعنى الإمارة<sup>5</sup>.

وقد كان للعصبية القبلية لبني عبد الواد دور قوي مكنها من الغلبة والسيطرة على باقي البطون المنافسة، وهذا حافظ على استمرارية الإمارة بالنسبة لهم في فترة تبدأ من تولية جابر بن يوسف لتلمسان إلى عهد يغمراسن بن زيان، الذي ظل يتولى الإمارة في إطار الدولة الموحدية، ثم بعدها تدخل تلمسان في إمارة الحفصيين<sup>6</sup>، بعد إخضاع تلمسان لحكمهم على يد يحيى أبو زكريا بن أبي حفص<sup>7</sup> سنة 640هـ/1242.

<sup>1</sup> ولد سنة 603 هـ/1206 م أو 605 هـ/1208 م، عرف بشجاعته، وكرمه محبا للصالحين والعلماء، وكان أعظم رجال زناتة إجلالا، ومهابة. يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 01. ص 204.

<sup>2</sup> بنو مطهر بن بعل بن يزكين بن القاسم يجتمعون مع الكثير من البطون في القاسم، ومنهم بنو علي التي آلت إليهم رياستهم، وفي بني القاسم اعتقاد بأنهم من ذرية الإدريسيين، ويرى ابن خلدون أن ذلك لا سند له وغير وارد لبدأوتهم. المصدر السابق ج 07. ص 97.

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر نفسه، ج 01. ص 205.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 104.

<sup>5</sup> شداددي (عبد السلام)؛ المرجع السابق، ص 415.

<sup>6</sup> وذلك بعد إقامة دعوتهم. تاريخ الدولتين، ص 29.

<sup>7</sup> هو المولى أبو زكريا أول من استفرد بالإمارة، وذلك أيام الرشيد الموحد. ولد بمراكش سنة 599هـ/1203م بمراكش، وبويع سنة 625هـ/1228م بالقيروان ثم البيعة الثانية بتونس سنة 634هـ/1236-1237م، وذكر اسمه في الخطبة ولقب بالأمرير دخلت في طاعته عدة مناطق من شاطبة سنة 639هـ/1241-1242م. تلمسان سنة 640هـ/1242م. سبتة والمرية في نفس السنة، واشبيلية وغرناطة سنة 643هـ/1245م. توفي أبو زكريا سنة 647هـ/1249-1250م ببونة. ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، سنة 1984. ص، ص

لتستمر الإمارة العبد الوادية في تبعيتها الشكلية للحفصيين إلى سنة 646هـ / 1248م، وهو تاريخ التحول إلى تأسيس الملك أو تأسيس الدولة بمعنى تحقيق السيادة المطلقة والمستقلة<sup>1</sup>، وهذا حدث بعد مقتل السعيد الموحي إثر محاولته إخضاع يغمراسن وتأديبه<sup>2</sup>، ونتيجة لذلك استولى يغمراسن على ذخائره النفيسة واستطاع توطيد دولته<sup>3</sup> التي أصبحت متحررة من التبعية للسلطة الحفصية والموحدية معاً، ومن ثمة تمكن يغمراسن من تأسيس ملك استمر في سلالته<sup>4</sup>.

وطيلة رياسته لعبد الواد ( 633 - 681/1235 - 1282 ) خاض يغمراسن حروباً كثيرة من عدة جهات<sup>5</sup> من أجل توطيد حكمه ودفاعاً عن ملكه في ظل تعدد خصومه، وقوة منافسيه من القبائل الزناتية المجاورة له، وخاصة مغراوة وبنو توجين. وكذلك الأعراب.

وبظهور الأطماع المرينية<sup>6</sup> أصبحت المنطقة الممتدة من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وصولاً إلى الصحراء المحاذية لهما ساحة حرب دامية ومتكررة.

وكادت حروب يغمراسن في فترات منها أن تؤدي إلى زوال ملكه، ولكنه استطاع الصمود والثبات والعودة في كل مرة إلى عاصمته تلمسان سواء للاحتماء أو للاستراحة من حملة أنهكته أو منتصراً على خصومه.

ومن الخطوات الهامة التي اتخذها يغمراسن، والتي تعبر عن نظرته لحكم إمارته والتمهيد لتأسيس الدولة، حرصه على توفير حاجات الحكم والملك عن طريق اتخاذ الوظائف الضرورية أو ما يسمى

---

59، 60. وكذلك يمكن الرجوع إلى ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط01. مطبعة الدولة التونسية، سنة 1982. ص 126.

<sup>1</sup> شداددي؛ المرجع السابق، ص 415.

<sup>2</sup> ويورد ابن عذاري المراكشي سوء تدبير أبا سعيد الموحي في محاولته اختراق الجبل الذي تحصن به يغمراسن مما جعله هدفاً سهلاً لرجال عبد الواد. المصدر السابق، ج03. ص 521.

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج01. ص 206.

<sup>4</sup> Richard L. Lawless. Revue de L'occident Musulman et de la Méditerranée. N°20. 1975. p 49.

<sup>5</sup> وقد أورد يحيى بن خلدون أن عدد الغزوات التي قادها يغمراسن ضد العرب بلغت "اثنا وسبعون غزوة". المصدر السابق ج01. ص 207.

<sup>6</sup> وتظهر شدة تخوف يغمراسن من قبائل مغراوة وبنو توجين في وصيته لابنه عثمان بتوجه شرقاً في توسعه وعقد مهادنة مع المرينيين ابن خلدون، المصدر السابق، ج07. ص 123.

"الطبقات"<sup>1</sup> الخاصة بالحكم، من اتخاذه للوزارة والحجابه، وانتقاءه للقواد والكتاب والفقهاء، وذلك منذ مبايعته على مشيخة وإمارة بني عبد الواد سنة 633هـ/1235م<sup>2</sup>، واستمرت هذه الوظائف طيلة مدته في الحكم ومن بعده.

### 1 / 2/2/2. تنظيره للدولة العبد الوادية:

تظهر فطنة يغمراسن، وتنظيره للدولة الناشئة عن طريق أعماله واهتماماته وفلسفته في ترسيخ الحكم حيث تبرز الكتابات المصدرية توجهاته وأولوياته في إقامة أركان الدولة، وحتى وصيته التي يبرز فيها نظره لمستقبل الدولة.

وباستقراء أعماله يستنبط الباحث أن يغمراسن استغل كل الظروف المواتية والإمكانات المتاحة وعلاقاته الجيدة مع بعض الفاعلين في المنطقة والمجاورين لإنجاح قيام دولته واستمراريتها، ونقصد هنا الاستغلال الأمثل لعلاقته بملك أراغون لعقد اتفاقيات ذات مصالح مزدوجة تضمن له من جهة المصالح التجارية، ومن جهة أخرى التعاون العسكري حيث تم تزويده بالمرتزقة لتعزيز قواته وحاميته، خاصة أنه استنزف وفقد الكثير من قواته في حروبه الكثيرة<sup>3</sup>.

كما ربط يغمراسن دولته الناشئة بعلاقات تجارية مربحة مع أراغون، وقد ازدهرت هذه التجارة خاصة بعد الاستحواذ على سجلماسة سنة 662هـ/1263م، بمساعدة ودعم لقبائل عرب المنبات من المعقل الهلاليين ليغمراسن، ويظهر أن استغلاله لحسن العلاقة مع الأعراب حلفائه ساهمت في الولوج إلى الصحراء وتأمين مسالكها لما لديهم من دراية وتمكن.

إن الاستمرار في السيطرة على سجلماسة إلى سنة 673هـ/1274م<sup>4</sup>، يعبر على قوة يغمراسن العسكرية والاقتصادية لما تشكله سجلماسة من أهمية في تجارته الخارجية مع أراغون، فهي المنفذ

<sup>1</sup> وقد قسمها الماوردي الطبقات إلى أربع طبقات، الأولى الوزراء وهم خلفاء صاحب الملك، الطبقة الثانية القضاة والحكام وهم موازين العدل الثالثة أمراء الأجناد، وهم أركان الدولة وحماها، لرابعة عمال الخراج، جباة الأموال. أبو الحسن بن حبيب الماوردي كتاب درر السلوك في سياسة الملوك، تحقيق ودراسة وتعليق، عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض، سنة 1417هـ/1997م. ص - ص 99-101.

<sup>2</sup> يحي بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 01. ص 205. وكذلك ابن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص 115

<sup>3</sup> ويذكر عبد الرحمان بن خلدون أن يغمراسن استكثر من جند النصارى معتدا بمكانهم مباهايا بهم في المواقف، والمشاهد إلى أن كانت حادثة الانقلاب عليه سنة 652 هـ/ 1254 م. فكانت القطيعة معهم. المصدر السابق، ج 07، ص، ص 113، 114.

<sup>4</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 114. وكذلك يمكن الرجوع إلى ابن أبي زرع الفاسي في الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص 138.



الأساسي للذهب وتجارته، وعلى أساس المصلحة المشتركة بين تلمسان وأراغون أبرمت اتفاقيات سلمية بين الدولتين ومن خلالها حافظ يغمراسن على حدود دولته الساحلية من التوسع الأراغوني. وكان من أولويات يغمراسن في محاولته لتوسيع حدود دولته الاستيلاء على الامتداد والعمق القبلي الزناتي، وذلك عن طريق فرض السيطرة بالقوة العسكرية وإظهار الدعوة العبد الوادية<sup>1</sup> على سائر القبائل، وليس بادعاء النسب الشريف الذي روج له بعض النسابة، لإعطائه السند الديني الشريف لتعزيز قوته وشرعيته، وقد جاء موقفه الرافض على الاتكاء على الدعوة الدينية بقوله: ". . إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا"<sup>2</sup>، ويتضح من قوله اعتماده على طبيعته البدوية المبنية على عصبية ودعوته العبد وادية وقدرتها على التغلب وقهر العصبية المنافسة. وهذا مبدأ ثابت في طبيعة الحكم داخل القبائل المغربية فالقبيلة الأقوى تقود الملك وتكون لها أولوية في تأسيس الدولة التي عادة ما تنسب إليها، لذلك فالقدرة على فرض القوة لإخضاع القبائل الزناتية يقابله تملك مجالها الجغرافي الواسع الذي يمتد على جزء كبير من منطقة المغرب الأوسط، وهذا الفضاء هو خزان بشري واقتصادي معتبر ليغمراسن في توسيع ملكه خاصة أن جل القبائل المتواجدة به تشترك في عصبيتها مع قبيل يغمراسن<sup>3</sup>.

وإن كانت كل هذه الأعمال تعبر عن مجهوداته وإصراره في ترسيخ ملكه، فإن ذلك حسب يغمراسن سياسة مرحلية لها ثوابتها كما أن لها متغيراتها لذلك نجده يرسم لوليه عثمان مسار سياسته المستقبلية لتجنب الأخطار ولتوسيع مملكته الناشئة. والوصية تحمل حنكته وصواب رأيه في نظرتة للملك وللدولة ومما جاء فيها: ". . يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم، واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم. . . وحاول ما استطعت

<sup>1</sup> وقد كان يغمراسن واضحا منذ بداية إمارته في رفع الدعوة العبد وادية وإظهارها على سائر القبائل، وجعلها محرك حروبه وطموحاته في توسيع ملكه. يرجع ليحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1. ص 205.

<sup>2</sup> وفي ذلك جاء قول ينسب إلى يغمراسن ردا على من يرجع نسبهم إلى إدريس عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق ج07. ص 97.

<sup>3</sup> يذكر عبد الرحمان بن خلدون أن الكثير من القبائل الزناتية تجتمع في عصب واحد فبنو عبد الواد وبنو توجين وبنو مصاب وبنو راشد وبنو زردال يجمعهم نسب يادين بن محمد وفي محمد يجتمع يادين وبنو راشد.. وكانوا معروفين بين زناتة الأولى ببني واسين (المصدر السابق، ج07. ص 79)، ويرى يحي ابن خلدون أن جد بنو عبد الواد سحيح بن واسين يجتمع فيه نسبهم ونسب فرعائهم بني مرين. الرجوع للمصدر السابق، ج01. ص 186..

الإستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك"<sup>1</sup>.

ولكن رغم وضوح الرؤية لسياسة يغمراسن وفلسفته في الحكم، إلا أن الغموض يكتنف بعض القضايا التي غيبها أو تعامل معها بشكل غير مفهوم في نظرنا. ومنها نطرح على سبيل المثال إشكاليات تخص مجال البحث منها: ما طبيعة علاقة يغمراسن بالبحر؟ وهل كان له أسطول يرسو على حدوده البحرية؟ وما هي أعماله لتحصين ثغوره الساحلية؟ وما مكانة وهران في الدولة الناشئة؟ ولماذا لم تتحول إلى حاضرة بديلة لتلمسان في أوقات المحن التي مرت عليه؟ وغيرها من الأسئلة.

### 1/2/3. علاقة بنو عبد الواد بالساحل:

ابتعد بنو عبد الواد منذ بداية دولتهم على الاستقرار والاستيطان بالمدن الساحلية، وقد اختاروا تلمسان عاصمة لدولتهم، وهي مدينة داخلية لا تبعد عن الساحل بمسافة طويلة، ورغم توفر خيارات عديدة لمدن ساحلية مؤهلة لتكون عاصمة مثل وهران وهنين ثم تنس وغيرها.

لذلك فاختيار موقع تلمسان لم يكن محض الصدفة وحتمية للأحداث المستجدة، ولكن الأسباب الحقيقية والمؤثرة في اتخاذ تلمسان كعاصمة ملكية لهذه السلالة طيلة حياة دولتها، مرتبط أساسا بالجغرافيا التاريخية لمنطقة المغرب الأوسط، ونمط معيشة القبائل الزناتية، والتي يمكن أن نحلل معطياتها التاريخية والجغرافية الخاصة بها، لاستنباط العوامل التي أبعدت العبد الواديين من اتخاذ العاصمة أو بديلة لها (العاصمة الثانية) مدينة ساحلية وفضلت اختيار مدينة تلمسان كعاصمة داخلية رغم كثرة المخاطر المحدقة بها.

يبدو أن المجال الساحلي شكل نفورا وجذبا للعبد الواديين في نفس الوقت، فالجمع بين النقيضين والمتضادين له دلالاته في السياسة المنتهجة عند يغمراسن ثم عند ابنه عثمان الذي سار على خطى والده في هذا الشأن. فمن الواضح أن يغمراسن أبقى على تلمسان كمركز قيادة لمنطقة المغرب الأوسط إجمالا، من مجال تمدني وقبلي لموقعها الجغرافي المتميز والمتوسط في منطقة المغرب الأوسط، وحتى على حدود قريبة من المغرب الأقصى وبوابته، فهي قريبة من وجدة<sup>2</sup> المدخل الأساسي، مما يجعلها منطلق سلس لجيوش يغمراسن في كل الاتجاهات.

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص123.

<sup>2</sup> وكانت وجدة قريبة من تلمسان وهي تقع ما بين تلمسان وفاس. الزهري، المصدر السابق، ص، ص114، 115.

أما السبب الآخر لاختيار العاصمة الداخلية يرجع لطبيعة بني عبد الواد فهم قبائل رعوية بدأت تستقر وتزحف تدريجياً إلى المنطقة الشمالية، وذلك تطلب منها تخير ما يناسب عيشها وإبلها وطبيعة المناخ الذي يناسبها.

وكذلك موضع تلمسان يضمن لها الولوج إلى الصحراء وفضاءها الرحب وأمانها في حالة فشلها في الدفاع عن ديارها وسقوط عاصمتها، وهذا ما أثبتته الأحداث التاريخية تباعاً، ففي كل مرة يلجأ يغمراسن إلى الصحراء عند انهزامه وفقدانه لتلمسان، وتذكر الروايات التاريخية في هذا الصدد واقعتان، إحداهما عند محاصرة الأمير أبو زكريا لتلمسان سنة 639هـ/1241م فلجأ يغمراسن إلى الصحراء<sup>1</sup>.

ولكن ابتعاد بني عبد الواد عن الساحل قابله من جهة ثانية رغبتهم الشديدة في الاستيلاء على مجالات الموحدین الساحلية والثغور الشرقية كما في وصية يغمراسن سالفه الذكر، وقد توجهت هذه السياسة بإلحاق مدن ساحلية إلى مجال الدولة، وإلى جانب مدينة وهران وبعض المراسي التي كانت قد ألحقت بالدولة مبكراً، فقد سعى بني عبد الواد لضم المزيد من المدن الساحلية على طول ساحل المغرب الأوسط، ولكن دون اتخاذ إحدى هذه المدن لاستقرار الحاكم يغمراسن فيها ولو مؤقتاً أو كملجأ في حالات الخطر.

ولم تظهر جل التآليف اهتمامات السلطة بعمارة هذه المدن وتحصينها أو القيام بإنشاء قطع لأسطول الدولة فكل ذلك لم يندرج في أولويات سياسة يغمراسن، ولا حتى كان في اهتمامات خلفه عثمان بعده.

ويرجع هذا التوجه في تملك المدن دون تأهيلها معمارياً وتحصينها لعوامل نستشققها من العلاقات الخارجية للدولة، خاصة علاقاتها بمملكة أراغون والتي كان لها دور مهم في هذه السياسة حسب ما جاء في الاتفاقية الموقعة مع يغمراسن بن زيان. وانطلاقاً من الجهة الغربية برز المرينيون بقوة وأبدوا رغبتهم في التوسع إلى تخوم حدود زناتة، أما الجهة الشرقية نجد بنو تجين ومغراوة.

هذه الأخيرة التي تصل سيطرتها إلى الشمال الشرقي وصولاً إلى تنس المطلة على البحر المتوسط وقد آل الحكم في مغراوة لبني منديل<sup>2</sup>، وعندما ضُعفت إختار عائذ بن منديل وأخوه تسليم تنس وأحوازها

<sup>1</sup> تاريخ الدولتين، ص 29.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 116.

إلى يغمراسن سنة 672هـ/1273م<sup>1</sup>، ولكن السؤال هنا، لماذا لم يغير يغمراسن عاصمته إلى الساحل رغم علاقته الحسنة مع الأراغونيين؟  
**1/ 2/ 4. عوامل إختيار العاصمة تلمسان:**

وللإجابة على هذا الإشكال لا بد من الإحاطة بموقع تلمسان وإرثها التاريخي وعلاقاته بالقبائل الزناتية وغطها في العيش، فتلمسان تحمل معنى موضعها باللسان البربري، فهي الجمع بين التل والصحراء، وهي تشكل دار ملك لزناتة<sup>2</sup>، وتاريخها عريق مرتبط بسيطرة أقوى القبائل الزناتية منذ الجيل الأول من بني يفرن، فقد كانت تلمسان على حد قول ابن خلدون "قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة احتطها بنو يفرن".<sup>3</sup>

فموضع تلمسان يلائم القبائل الرعوية الطامحة للملك، وهذا ما جعل بنو عبد الواد يفكرون في تأسيس دولة قوية تشمل مجالا جغرافيا واسعا وحيويا يضم السهل والبحر والصحراء، وتكون حاضرتها تلمسان التي تنطلق منها شبكة طرق ومسالك تربط الدولة الفتية بمسالك التجارة الأفقية والعمودية من جهة، كما أنها تحقق الامتداد وفرض السيطرة على مجالها القبلي الزناتي وفرض التغلب على باقي البطون المنافسة من جهة أخرى. ولذلك نجد أن من بين أسباب نجاح تأسيس الدولة واستمراريتها هي إختيار تلمسان كحاضرة ملكية والإبقاء عليها في كل مرة يتجدد فيها الحكم والملك للزيانيين.

ومما ضمن لتلمسان مكانتها كعاصمة توفرها على شروط قيام المدن واستمراريتها، فهي في سفح جبل، لها أنهار زكية الأرض. ورغم تموضعها على سفح جبل في وطأة من الأرض إلا أنها في غاية المنعة والحصانة لقوة تحصينها<sup>4</sup>. وهذا يجعلنا نتفق مع فكرة "إن كانت المدن وخاصة العواصم تؤدي دور اللباس بالنسبة للإنسان في السياق الوظيفي والاجتماعي"<sup>5</sup> "فإن تلمسان بحق تستحق هذا التوصيف بالنسبة لقبائل زناتة وخاصة لدولة بني عبد الواد".

<sup>1</sup> قبلها أعطى عمر بن منديل مليانة ليغمراسن سنة 668هـ 1463م مقابل تزعم مغاوة خلفا لأخيه ثابت بن منديل. ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، المصدر السابق ص /ص 121/ 138.

<sup>2</sup> تلمسن كلمة بربرية مركبة من جزئين ؛ تلم ومعناه تجمع، وسن ومعناه اثنان. والمقصود بهما الصحراء والتل. يحي بن خلدون المصدر السابق، ج 01. ص /ص 85/ 91.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر السابق، ج 07. ص 101.

<sup>4</sup> العمري ( ابن فضل الله) ؛ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيق، كامل سلمان الحويوري، ط 01. دار الكتب العلمية، بيروت، ج 04. سنة 2010. ص 103.

<sup>5</sup> ضياء نعمة محمد، عماد مهدي حسن؛ " أثر العوامل الاجتماعية في تخطيط وعمارة المدن العربية الإسلامية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، نيسان 2016. ص 604.

المبحث الثاني:

2 / . وهران الزبانية ومحنة القرن 7هـ/13م:

ولتتبع تاريخ وهران في الفترة الزبانية التي تخللتها فترات حكم للقوى السياسية المجاورة من حفصيين ومرينيين؛ علينا تسليط الضوء على سلسلة من مراحل الحكم الزباني لوهران مع مراعاة ذكر الفترات التي خضعت فيها وهران لكل من الحفصيين والمرينيين.

2 / 1. صورة وهران في مصادر ق 7هـ/13م:

عرفت وهران في النصف الأول من القرن السادس الهجري ازدهارا اقتصاديا واستقرارا وأمنا مما سمح لها أن تكون محطة مهمة في شبكة المسالك والطرق التجارية والسفيرية للموحدين<sup>1</sup>. ولكن هذه الوضعية لم تدم طويلا، حيث تظهر المصادر انقلاب أحوالها وتغير أوضاعها وانتشار الخوف في أرجاءها. ونستشف ذلك من عدة إشارات متفرقة في المصادر، منها شهادة أحد أبنائها، وهو ركن الدين بن محرز الوهراني<sup>2</sup> الذي فضل الهجرة منها، وذلك لأسباب تبدو قاهرة حيث أورد: "...لما تعذرت مآربي واضطربت مغاربي ألقيت جبلي على غاربي وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي..."<sup>3</sup>.

ومن الشهادات الأخرى التي وصفت هذه الوضعية وأوضحت أسبابها ومظاهرها، ما أورده الرحالة المغربي المعروف العبدري والذي زار وهران في طريق عودته من رحلته إلى بلاد المشرق، وقد خصها بوصف عام، أجمل فيه ما آلت إليه من تدهور وضعف وجاء في ذلك: "مدينة وهران وهي مدينة مليحة حصينة برية وبحرية... ولكنها لما طرقتها من نوائب الدهر مطرقة وجيوش الخطوب الملمة بها محدقة، قارعتها حتى قرعت ساحتها، ونافحتها بسموم الآفات حتى ذهبت صباحتها فألقت بيديها مستسلمة وعادت بعد ضوءها مظلمة. لا وشل بها يشفي غلة، ولا طبا يداوي علة انتثلها الزمان فلم يبق بها تقيا، وأبدلها الحدثان من كل بشارة نعي لا تلقى بها

<sup>1</sup> الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 57.

<sup>2</sup> هو أبو عبد الله أديب صناعته الإنشاء، كان بارعا في الهزل والسخرية، نشأ بوهران ورحل إلى المشرق فزار دمشق وبغداد والقاهرة التي دخلها في السبعين من القرن السادس، عرف بمقاماته وخاصة المنام الكبير. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر) مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان)، ص. كذلك ابن عودة، المرجع السابق، ص 95.

<sup>3</sup> ابن محرز الوهراني (ركن الدين محمد)؛ منامات الوهراني، ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، ط 01.

منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا. سنة 1998 ص 10

معمل يراعة ولا ترى فيها حلف براعة، بل خرس بها لسان التلاوة، وزيد بها حمار الجهل على الفودين علاوة لم يطعموا العلم ولا ذاقوا له حلاوة. بل تبرؤوا منه فكلهم فالج بن خلاوة. فيا عجباً لي أصف بالفناء وهران. . .<sup>1</sup>.

ويبدو من هذا الوصف لأول وهلة التحامل والتّهويل من كون المدينة بدت كأطلال يسكنها جهلة الناس وعوامهم<sup>2</sup>، والعبدي نعت جل مدن المغرب الأوسط بوصف شبيه بهذا النعت، ولكن إذا تمعنا في الأوصاف وحللنا المعطيات التاريخية للقرن 7هـ/13م، أدركنا أنّ هذه الحالة المأساوية والحزينة التي آلت إليها مدينة وهران مست أيضاً الكثير من المدن الأخرى على غرار مليانة<sup>3</sup> ومازونة<sup>4</sup> وتنس ومدينة الجزائر. وهناك شهادة أخرى للمؤرخ عبد الواحد المراكشي (منتصف ق 7هـ/13م) والذي نعت المدن السابقة "ببليدات صغيرة" وهي ضمن طريق السفار الرابط بين بجاية ومراكش<sup>5</sup>.

كما تجسد هذا الواقع في التدوين الشعبي للأندلسيين عن طريق مثل معبر يعود لهذه الفترة من ق

<sup>1</sup> العبدي البلسي (محمد)؛ الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، ص 131.

<sup>2</sup> أجمع الكثير من الباحثين على الاعتقاد بأن الرحالة العبدي قد تحامل وبالع في رسم صورة قائمة لمدينة وهران ومدن المغرب الأوسط على العموم، ولكن بعد التمعن في المعطيات التاريخية اتضح لي أن هناك محنة شهدتها بعض مدن المغرب الأوسط في ق 7هـ/11م، وذلك نتيجة لانعكاس منطقي بعد تعرضها للحروب التي شهدتها المنطقة ككل، وحسب تعبير العبدي يتضح حالته التي اتسمت بالتعجب من حالة المدن الموصوفة، وذلك بمقارنتها بالماضي الأكثر إشراقاً، وهذا لا يعني في المطلق خلو هذه المدن من أي شواهد حضارية، ولكن الغالب على حالها الدمار. وتراجع الحياة العلمية بما جعل لسان العبدي، والذي يعتبر الأديب الناقد لواقع غير مقبول في نظره، وللإطلاع عن نظرة العبدي لبعض مدن المغرب الأوسط يرجع إلى الباحث بوداود (عبيد)، "وهران في العصر الوسيط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين" مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 04، تاريخ ديسمبر 2009. ص 151، وكذلك عبد الواحد ذنون طه، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس، وصور من التواصل الحصري مع المشرق ط 01، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، سنة 1436هـ/2014م. ص، ص 54، 55. وكذلك يمكن الاطلاع على الدراسة التي أوردها علي إبراهيم كردي حول العبدي، والذي خصص له جزء مهم من التحليل والشرح لأسلوبها الأدبي في الوصف والنقد، وموقف المؤرخين منه. المرجع السابق، ص - ص 85 - 156.

<sup>3</sup> وصفت بأنها مدينة كبيرة وقديمة، تقع في قنة جبل على بعد أربعين ميلاً من البحر عن شرشال، وهي محاطة بأسوار عالية. الوزان المصدر السابق، ج 02. ص، ص 34، 35.

<sup>4</sup> مدينة قديمة، على بعد أربعين ميلاً عن البحر، بما أسوار لكن دورها فقيرة، تعرضت للتخريب بسبب كثرة الحروب وعانت من ظلم الأعراب. الوزان، المصدر السابق، ج 02. ص 36.

<sup>5</sup> عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص /ص 357/353.

7هـ/13م مفاده: "كشفت وهران والدروب مربوط"<sup>1</sup>، والمثل يختصر حالة اللأمن وفقدان حصانة وهران وتعطل المسلك المار عليها، مما يؤكد تأثر شبكة المواصلات والتجارة بهذه الأوضاع الصعبة التي عرفت هذه الفترة.

وقد بدت وهران في الكتابات التاريخية لهذه الفترة بكونها "مدينة صغيرة على ضفة البحر"<sup>2</sup>. وتغير وصفها ونعتها وذكرت كذلك باسم: "بليدة"<sup>3</sup> لتتحول من مصطلح "مدينة" إلى توصيف "بليدة" أو "مدينة صغيرة" للتدليل على صغرها بسبب تراجعها واندراسها<sup>4</sup>. وهذا ما يطرح عدة تساؤلات حول أسباب هذه الوضعية التي آلت إليها وهران في هذه الفترة.

## 2/ 2. الإضطرابات التي مرت بها وهران في هذا القرن:

إن هذه الحقيقة التاريخية كان وراءها أسباب موضوعية تفسر هذا التراجع والاضمحلال لهذه المدن، والتي ترتبط أساسا بأحداث تاريخية متسارعة ميزت المنطقة المغربية عموما والمغرب الأوسط خصوصا في تلك الفترة الحرجة، والمتعلقة أساسا بالتغيرات العميقة التي مست الحياة السياسية وما نتج عنها من انعكاسات أدت إلى تغيير للخريطة السياسية والقبلية في المنطقة. كانت بداياتها تلاشي للدولة المركزية ممثلة في الدولة الموحدية، وظهور منافسين جدد ونخص بالذكر القبائل الزناتية كقوى داخلية متنافسة على مجالات جغرافية مشتركة، ومحاوله كل قوة الاستيلاء على المسالك والطرق والمدن المهمة لها في توسيع نفوذها وملكها.

وقد حمى وطاس هذه الحروب في حدود التماس والاحتكاك بين القوى المتعددة خاصة في منطقة المغرب الأوسط الحاملة للثقل القبلي الزناتي، وقد نتج عن ذلك تعرض مدينة وهران لحمات عسكرية عديدة ومدمرة، وذلك من أجل إخضاعها والاستيلاء عليها من طرف الكثير من القوى السياسية البارزة في المنطقة سواء من الداخل أو من وراء البحر، وسنستعرض الأحداث والحملات العسكرية

<sup>1</sup> ويتضح من المثل فقدان الطرق البحرية الأمن وانتشار الخوف من ركوب البحر هذا من جهة كما أنه من جهة ثانية يبين المثل تدمر سور وهران لقوة الحروب التي تعرضت لها. الزجالي القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، ص 263.

<sup>2</sup> الحموي؛ المصدر السابق، ص 443.

<sup>3</sup> وفي ذلك ذكر المراكشي: "... وها أنا أذكر طريق السفار من بجاية إلى مراكش فمن بجاية إلى مدينة تلمسان عشرون مرحلة وفيما بين ذلك بليدات صغار كمليانة ومازونة ووهران..". المصدر السابق، ص 357.

<sup>4</sup> محمد عبد الستار عثمان؛ المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سنة 1988/1408. ص 23.

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

التي تعرضت لها وهران في هذه الفترة حسب ما ذكر في المصادر المختلفة:

فقد تعرضت سنة 628هـ/1231م إلى حملة عسكرية أراغونية، والتي لا تبدو أنها الحملة الوحيدة على سواحل وهران، وكان الهدف منها توسيع حركة الروكنكيستا<sup>1</sup> إلى سواحل المغرب الأوسط خاصة.

بعدها تذكر المصادر حملة أخرى سنة 636هـ/1238م، والتي استعمل فيها حجر المنجنيق<sup>2</sup> على وهران، وإن لم توضح المصادر هوية المهاجمين<sup>3</sup> إلا أن ذلك أدى إلى تهديم وتخريب جزء من عمران المدينة ومنها سورها، فبدأت وهران تدريجياً تفقد حصانتها ومناعتها.

وقد توالى الأحداث تبرز من حين لآخر، وتمدد بانعكاساتها على جل المدن المغربية، فلا تكاد الأوضاع تهدأ حتى تشتعل من جديد بسبب الأطماع والسياسة التوسعية للدول الناشئة. فبعد ظهور الحفصيين كإمارة منفصلة بأفريقية عن الموحديين قاد أبو زكريا حملتين لإخضاع المغرب الأوسط وقبائله، الأولى سنة 636هـ/1223م وصلت إلى المغرب الأوسط في مجال مغراوة وبنو توجين، أما الثانية فقد وجهت إلى مركز سلطة بني عبد الواد بتلمسان سنة 640هـ/1242م<sup>4</sup>، وأدت إلى إلحاق بلاد بني عبد الواد بإمارة الحفصيين، وذلك بعد الإبقاء على يغمراسن على رأس السلطة في منطقتهم من المغرب الأوسط، وأعيدت له البلاد كلها وعمرها وسهلها على حد تعبير ابن عذاري<sup>5</sup>، في المقابل اشترط عليه إقامة الدعوة للحفصيين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سبقت هذه الحملة حملة أخرى سنة 627هـ/1230م مست جميع سواحل تلمسان. لطيفة بشاري، العلاقة التجارية بين إمارة بني عبد الواد ومملكة أراغونة، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، ص 138.

<sup>2</sup> لم يوضح يحيى بن خلدون هوية المهاجمين إلا أنه أشار إلى وفاة أحد وزراء يغمراسن في هذا الهجوم. المصدر السابق، ج 01. ص 205.

<sup>3</sup> ويذكر محمد المنوني أن أمن المغرب أصبح هش بسبب ضعف السلطة الداخلية وقد شهدت عدة مدن ساحلية هجمات بحرية مثل ما فعل الجنويون بسببته حيث نصبوا عليها المجانيق وآلات الحرب حتى صالحهم أهلها بمبلغ معين. ورقات ص 430. ولا نستبعد أنهم فعلوا ذلك بوهران كذلك.

<sup>4</sup> انطلقت الحملة في شهر شوال من سنة 639/1241م، ودخل أبو زكريا تلمسان في شهر ربيع الأول سنة 640هـ/1242م. ابن قنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، سنة 1968. ص 109.

<sup>5</sup> يمكن الرجوع للمصدر السابق، ج 03. ص 496.

<sup>6</sup> تاريخ الدولتين، ص 29.



## الفصل الأول:.....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

وهذا يوحي بأن الأوضاع لم تتغير وبقيت على حالها في المدن التابعة لتلمسان ومنها وهران، والتي خضعت لسلطة يغمراسن وأصبح مرساها مفتوح للمصالح الحفصية على ما يبدو فقد استقبل أسطول لأبي علي بن خلاص<sup>1</sup> والي سبتة والذي أراد الاستراحة بها في طريقه إلى تونس بعد دخوله في ولاء الحفصيين، ولكنه هلك بوهران سنة 646هـ/1248م<sup>2</sup>.

كما كان للحرب الطاحنة بين يغمراسن ويعقوب بن عبد الحق<sup>3</sup>، أثر سلبي آخر على وهران ففي سنة 695 هـ/1296م وصلت حملة عسكرية لأبي يعقوب المريني إلى جبل كيدرة (هيدور) الجاور لوهران، لكنه عدل عن رأيه ورجع إلى بلده<sup>4</sup>، وأعاد الكرة إلى المغرب الأوسط حتى نجح في حملته الموالية في الاستحواذ على مدن مهمة لبني عبد الواد ومنها وهران<sup>5</sup>، والتي خضعت للسيطرة المرينية بعد حصار دام أشهر من نهاية عام 698هـ/1298م إلى نهاية عام 699هـ/1299م، تخللتها حملات لضم مناطق ومدن من المغرب الأوسط للمرينيين.

وقد دام الحكم المريني لوهران عدة سنوات، تتراوح حسب اختلاف المصادر في تحديد تاريخ نهاية الحصار المريني من خمس إلى سبع سنوات، امتدت على الغالب من سنة 698هـ/1298 إلى سنة 704 /1284م، أو إلى سنة 706هـ/1306م، ثم استرجاع العبد واديين لوهران<sup>6</sup> من جديد عقب

<sup>1</sup> من أهل بلنسية، ولاه الرشيد الموحد ديوان سبتة ثم ولايتها، ولكنه استقل بها وأقام الدعوة الحفصية لأبي زكريا، توفي سنة 646هـ/1248م بوهران وحمل ودفن ببجاية. ابن خلدون، المصدر السابق، ج07. ص/ص 246/394.

<sup>2</sup> وهذه الرواية ذكرها ابن خلدون الذي تؤرخ بأن ابن خلاص أقام الدعوة الحفصية بعد مهلك الرشيد الموحد سنة 640هـ/1242م، ولكنه يتناقض في موضع وفاته فيرجع مكان وفاته في وهران وفي موضع آخر يرجعها "إلى بجاية. (المصدر السابق ج07. ص 246. وكذلك ص 394). بينما يورد ابن أبي زرع الفاسي في الذخيرة بأن أبا خلاص كانت وفاته بمرسى وهران وحمل ميتا ليدفن ببجاية. المصدر السابق، ص 73.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص272. ويذكر صاحب الذخيرة أن الحرب بين يغمراسن ويعقوب خلفت ضغينة بسبب الخسائر البشرية التي خلفتها، وخاصة في قرابة يغمراسن.

<sup>4</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج01. ص209

<sup>5</sup> وحسب أبو زرع الفاسي فإن وهران وعدة مدن زيانية خضعت لحمليتين عسكريتين لإخضاعها الأولى كانت سنة 698هـ/1298م، والثانية وقعت سنة 699هـ/1299م، وإلى جانب وهران ذكر مستغانم وتنس ومليانة ومدن أخرى، وهذا يبرز خطورة هذه الحملات العسكرية على مدن المغرب الأوسط. المصدر السابق، الأنيس، ص/ص 386/410.

<sup>6</sup> وردت إشارة في سجلات ميناء ميورقة، والتي أوردت استقبال وهران لرحلات تجارية لحساب إمارة بني عبد الواد أرحت عام 704هـ/1284م. (لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 97). وربما كانت التجارة مع تلمسان مقننة أو أنها وجهت للمرينيين المحاصرين لها.

نهاية الحصار على الحاضرة تلمسان<sup>1</sup>.

### 2/3. التطابق بين النعت والواقع لوهران في ق7هـ/13م:

ويتضح مما سبق أن هذا الوضع السيئ والمضطرب الذي آلت إليه وهران جاء بشكل تراكمي للأحداث المتداخلة والمتسارعة على المنطقة، والتي استمرت لمدة طويلة من أواخر القرن السادس (6هـ/12م) إلى الثلث الأول من القرن الثامن الهجري (8هـ/14م).

مما نتج عنه تدهور عميق لحالة وهران في جميع المجالات، وهذا أدى في الأخير إلى تقلص عمرانها البشري والحضري كثيرا، نتيجة لهذه الظروف القاهرة. وجعل المدينة في علاقة مباشرة ومفتوحة مع محيطها الريفي القبلي المهيمن على سير الأحداث السياسية المستجدة في المنطقة، فأصبحت المدينة أشبه بأن تكون قرية على كونها مدينة.

ومن الواضح أن هذا الوضع خلف تأثيرات سلبية كثيرة لوهران؛ فإلى جانب تراجعها التجاري والإقتصادي، فقد تأثر عمرانها المادي والبشري إلى حد كبير، ونستشف ذلك من تناقص كبير لسكانتها بسبب تفضيلهم للهجرة إلى المناطق والمدن الأكثر أمنا ومعاشا وازدهارا، وخاصة طبقة العلماء<sup>2</sup> والتجار، فأصبحت وهران على غير عاداتها تفتقد لشروط الإقامة الآمنة، مما ساهم في قلة سكانها وحتى نفور القادمين إليها من سكنها ولجوئهم إلى الحاضرة تلمسان بدلا منها.

ومثال ذلك ما أورده ابن مرزوق التلمساني عن جده لأمه أبي إسحاق التنسي<sup>3</sup> الذي اختار وهران لإقامته بعد العودة من تونس، ولكن لوضعها المتدهور لم ترقه، فغادرها إلى الحاضرة تلمسان<sup>4</sup>، والتي حافظت على عناصر الجذب من كونها أكثر تحصنا ووفرة في المعاش وتواجد للعلماء رغم كثرة الحروب في عهد سلطانها يغمراسن بن زيان في هذه الفترة (633هـ — 681هـ/1235م

<sup>1</sup> تعرضت تلمسان إلى حصار طويل من طرف أبي يعقوب بن عبد الحق المريني الذي بنى مدينة بظاهر تلمسان، وكان ذلك بداية من سنة 698هـ/1298م إلى نهاية الحصار، الذي دام سبع سنوات إلى غاية (704هـ/1304م) أو 705هـ. ابن الأحرر، المصدر السابق، ص 69. بينما يرى الأخوين ابن خلدون أن نهاية الحصار المريني لتلمسان كان سنة 706هـ/1306م. المصدر السابق، ج 07. ص/ص 331/92. ويوافقه في ذلك صاحب الحلل المشوية

<sup>2</sup> كما في حالة أدبيها، ركن الدين بن محرز الوهراني الذي فضل السفر والهجرة، وذلك لأسباب حتمية من وهران، وقد بينا ذلك سابقا.

<sup>3</sup> وهو أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي من علماء المغرب الأوسط. المناقب المرزوقية، ص282.

<sup>4</sup> ابن مرزوق التلمساني؛ المصدر السابق، ص 275.

1282-م).

#### 2/ 4. إشكالية ممثل السلطة:

والواضح أن عدم الاستقرار مس كذلك ممثل السلطة في وهران في هذه الفترة الحرجة، فوهران كانت ضمن مجال الموحدين، ثم انتقلت إلى سلطة بني عبد الواد سنة 625هـ/1227م، ثم إلى الحفصيين سنة 640هـ/1242م، وبعدها إلى مجال المرينيين، ثم العودة إلى حكم الزيانيين. وهذا يفرض على الباحث هنا طرح سؤال مهم حول ماهية السلطة التي كانت بوهران، وكيف تم التعامل معها في كل مرة تتغير فيها السلطة المركزية للدولة الجديدة المهيمنة على المدينة؟ وإلى أي مدى تنفذ سلطتها على محيطها؟

وإن كان السؤال في نظر الباحث اليوم مهم، فإن المعطيات المصدرية تجاهلته وبدت شحيحة في توضيح ذلك، واكتفت بوصف عام للأحداث السياسية، وذكّر الفاعلين فيها دون الالتفات لتوضيح الكيفية التي كانت تدار بها هذه المدن التابعة، ولكن رغم ذلك يمكن استنتاج بعض الأحداث وتحليل بعض المعطيات للخوض في هذا السؤال.

وما يمكن استنباطه من تحليل الاشارات الواردة في الكتابات المصدرية، أن يغمراسن كان "كثيرا ما يستعمل قرابته على الممالك، ويوليهم على العمالات"<sup>1</sup>. لذلك فإننا نميل إلى الاعتقاد أن وهران كانت تحت سلطة أحد قرابة يغمراسن، ثم ابنه عثمان كعامل عليها، وكانت تخضع في مناسبات وأوقات لإقامة مؤقتة لوزراء الدولة، وذلك على ما يبدو للإشراف على مداخيل التجارة أو لممارسة التجارة مع أراغون<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 118.

<sup>2</sup> وقد وردت إشارات على بروز علاقات تجارية بين تلمسان وأراغون كانت مريحة للطرفين، وقد كان للوزراء العبد الواديين دور مباشر في هذه التجارة. يرجع للطيفة بشاري، المرجع السابق، ص، ص 23، 24.

المبحث الثالث:

3 / . وهران ما بين الزيانيين والمرينيين في القرن 8هـ/14م:

3 / 1. الفترة الزيانية:

يبدأ استقرار وهران في ظل الدولة الزيانية بداية من استرجاعها بعد نهاية الحصار المريني على تلمسان، وعقد الصلح بين المرينيين والعبد الواديين، واتفق أبو حمو الأول مع أبي ثابت المريني على استرجاع جميع أمصارهم وأعمالهم وثغورهم، وتم تسليمها لعمال بني عبد الواد<sup>1</sup>، لتظل الأوضاع مستقرة نسبياً من 707هـ/1307م، إلى فترة إلحاق وهران بالحكم المريني سنة 732هـ/1331م، وهذه الفترة توافقت حكم أبو حمو الأول (أو الأكبر) من 707هـ إلى 718هـ (1308م - 1318م)، ثم ابنه أبو تاشفين الأول من 718هـ إلى 737هـ (1318م - 1337م) إلى غاية الاستيلاء المريني على تلمسان، والقضاء على الدولة العبد الوادية من المغرب الأوسط للمرة الأولى.

وقد عرفت فترة أبي حمو الأول بعض التوترات وتهديد الأراغونيين، الذين هاجموا سواحل المغرب الأوسط بسبب سوء العلاقة بين الدولتين، ويرجح برنشفيك أن أسطول تابع للنصارى مكون من سفن برشلونة وبلنسية وإشبيلية قد قدم إعانة بحرية للأمير الحفصي أبي بكر لصد أسطول أبي حمو الأول في صائفة سنة 715هـ/1315م<sup>2</sup>.

وقد تمكن من إبادة أسطول بني عبد الواد<sup>3</sup>، ولكن الأمور تحسنت بعد وصول أبو تاشفين الأول إلى الحكم، حيث كانت له علاقات تجارية تعبر عن حسن الجوار، تنطلق من الموانئ الأراغونية وتتجه إلى وهران، والتي تنامي دورها التجاري بين المدن المتوسطية في فترة أبي تاشفين الأول<sup>4</sup>.

3 / 2. الحكم المريني وتزايد أهمية وهران:

3 / 2 / 1. وهران في عهد أبي الحسن المريني ودوره في تحصينها:

تم إلحاق وهران بدولة أبي الحسن المريني قبل تلمسان، وذلك نتيجة لغرض استراتيجي فرضته الأحداث، التي استوجبت على أبي الحسن المريني فك الحصار على بجاية الحفصية بعد استنجد أبو

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 92.

<sup>2</sup> برنشفيك (روبار)؛ تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، نقله إلى العربية حمادي الساحلي ط 01. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 01. سنة 1988، ص 168.

<sup>3</sup> برنشفيك؛ المرجع السابق. ص 168.

<sup>4</sup> بشاري؛ المرجع السابق، ص 102.

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

يجي به<sup>1</sup> بعد اشتداد محاصرة بني عبد الواد لبجاية<sup>2</sup>، وهو بمعسكره في تاسالت فأرسل إلى أساطيله بالمغرب إلى غزو سواحل تلمسان، فأرست أساطيله بوهران سنة 732هـ/1331م<sup>3</sup>. وقد ساعدته عدة عوامل في الاستيلاء على وهران من البحر، ومنها ضعف التحصينات البحرية من جهة، وقربها من العاصمة الثانية للمرينيين سبتة من جهة أخرى<sup>4</sup>. ومن وهران جهز أبو الحسن المريني أساطيله القادمة عليه فأركب عسكره، وعقد للحسن البطيوي قيادة الأسطول<sup>5</sup> ثم بعث المدد إلى بجاية.

ويتضح من هذه الخطوة لأبي الحسن اهتمامه بالمدن الساحلية، وجعلها نقاط ارتكاز وتعبئة لمسيرة جيوشه إلى الشرق، وذلك بهدف تجنب مختلف المعوقات التي تصادف الجيوش في الطريق البري واختصارا للوقت، وقد حققت هذه الخطوة الاستراتيجية الفرج على السلطان أبي يحيى وبجاية. ولكن أبا الحسن بعد تحققة من إضعاف قبضة بني عبد الواد على الأراضي الحفصية، رجع لمنازلة أخيه وشريكه في الحكم الأمير أبي علي صاحب سجلماسة<sup>6</sup>، وبعد القضاء عليه سنة 734هـ/1333م<sup>7</sup> أصبحت الدولة المرينية تحت سلطته المطلقة وفي هذه الفترة تمكن بني عبد الواد من

<sup>1</sup> وجه السلطان أبو يحيى في سنة 730هـ/1329م، رسولين، وهما ابنه يحيى ووزيره ابن تافراجين لأبي سعيد المريني طالبين منه مساعدته لصد هجمات أبي تاشفين وفي سنة 731هـ/1330م، بعث أبي سعيد رسل لأبي تاشفين لفك الحصار على بجاية ولكنه رفض، ولم يستجب لطلبه، وبوفاة أبي سعيد كرر إرسال الرسل خليفته أبي حسن، ولكن الرد لم يتغير من قبل أبي تاشفين، ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج 01. ص 218.

<sup>2</sup> قاعدة المغرب الأوسط لها نحر تحفه البساتين، يقابلها من الأندلس طرطوشة. الحميري، المصدر السابق، ص 84. صاحب حمارة المصدر السابق، ص 137.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص/ص 335/146.

<sup>4</sup> اهتم أبو الحسن المريني بالبحر لأنه الرابط الأساسي والحيوي بين العدوتين، ولذلك فإن المدن الساحلية القريبة من الزقاق، هي الأكثر أهمية، كما احتاج السلطان المريني إلى المدن الساحلية في دعم حلفائه الحفصيين، كما في هذه الحالة وقد حظيت المدن الساحلية في عهده باهتمام بالغ وخاصة التي تشكل أهمية استراتيجية على غرار مدينة سبتة التي حسب العمري كانت العاصمة الثانية لأبي الحسن المريني، المصدر السابق، ص 78.

<sup>5</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص/ص 335/146.

<sup>6</sup> وسبب الخلاف بين أبي الحسن وأخيه أبي علي أن هذا الأخير تعدى من عمله سجلماسة إلى درعة وقتل عاملها وضمها إليه وهذا ما أثار غضب أبي الحسن، ووجد أنه من الضروري كبجه وتوحيد صفوف المرينيين تحت سلطة واحدة. يمكن الرجوع لابن خلدون المصدر السابق، ج 07. ص 146.

<sup>7</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 01. ص 219.

استرجاع أراضيهم ومدنهم، ومنها وهران التي لا تذكر الكتابات التاريخية تاريخ استرجاعها ولكن نرجح أن تكون سنة 733هـ/1332م<sup>1</sup>.

وبعد ما تمكن أبو الحسن من القضاء على أخيه، واطمئنانه على العودة الأندلسية لتحقيق جنده انتصارات على النصارى أعاد زحفه على أراضي بني عبد الواد<sup>2</sup>، فشنت عساكره حملات متتالية لضم المدن وإخضاع القبائل الزناتية، وقد استطاع إخضاع وهران من البر عن طريق تاسالت<sup>3</sup>، وإلى جانب وهران أخذ ندرومة وهنين<sup>4</sup>، ثم ضم كل من مليانة وتنس والجزائر وكان ذلك سنة 736هـ/1335م<sup>5</sup>، لتكون تلمسان هي وجهة أبي الحسن المستعصية والعنيدة في الخضوع والاستسلام، وبعد محاصرتها مدة دخلها عنوة وقتل سلطانها أبي تاشفين سنة 737هـ/1336م<sup>6</sup>، ليقضي بذلك على الدولة العبد الوادية التي اختفت من الخريطة مدة لحساب الدولة المرينية<sup>7</sup>.

وفي سنة 749هـ/1348م كانت وهران قاعدة لأبي الحسن المريني لتعبئة الجيوش، واستقبال الوفود للمبايعة وإبداء الطاعة من مختلف المناطق الشرقية، وذلك تحضيراً لحملة الكبرى إلى إفريقيا<sup>8</sup>. فقدم

<sup>1</sup> يذكر ابن خلدون أن أبا تاشفين استغل الفرصة بتراجع أبي الحسن إلى الغرب، وبعث عساكره في ضواحي عمله، وحاول دعم أبي علي، وهذا يعني استرجاعه لملكه ومدنه في هذه الفترة التي تعود لسنة 733هـ/1332م. يمكن الرجوع لابن خلدون، المصدر السابق ج07. ص 147.

<sup>2</sup> تربط الكتابات التاريخية حملة أبي الحسن المريني على أراضي الدولة العبد الوادية وتلمسان برغبته في الانتقام من أبي تاشفين الذي أقلق أصحابه الحفصيين، وتعتنه في الإقلاع عنهم. الرجوع لأبي العباس الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج03. دار الكتاب، الدار البيضاء، سنة 1954. ص 123.

<sup>3</sup> تسالت أو تسالة وهي مدينة قديمة، تعرف بإنتاج القمح الجيد، يعيش أهلها تحت الخيام، وقد خربت المدينة ليبقى السهل حاملاً لاسمها. الرجوع للوزان، المصدر السابق، ج02. ص 25.

<sup>4</sup> هنين هي مدينة جلييلة على البحر. الحميري، المصدر السابق، ص 597.

<sup>5</sup> وقد تمكن أبو الحسن المريني من إخضاع معظم المنطقة الزناتية لسيطرته. الرجوع لابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج07. ص 335. والملاحظ أن يحيى بن خلدون يختلف في تاريخ إلحاق ندرومة وهنين وهران لأبي الحسن حيث يرجعها إلى سنة 735هـ/1334م. المصدر السابق، ج01. ص 219. كذلك أبي العباس الناصري، المرجع السابق، ص 124.

<sup>6</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج01. ص 219.

<sup>7</sup> ابن الأحمر؛ المصدر السابق، ص 63.

<sup>8</sup> يذكر ابن خلدون أن حكم إفريقية كان من طموحات أبي الحسن المريني قبل ضم تلمسان، ولذلك كان يتحين الفرصة للسير شرقاً، ويبدو أنها أصبحت قريبة بعد وفاة صهره أبي يحيى، والفتنة التي حدثت في تولي حكم إفريقية. المصدر السابق، ج07. ص 520/354.

إليه بوهران وفود كثيرة من: قسطيلة وبلاد الجريد وتوزر ونفطة<sup>1</sup> وبيعة طرابلس، فقبل منهم بيعتهم وعقد لهم على أعمالهم<sup>2</sup>. ويتضح من هذا الحدث أن أبا الحسن المريني استطاع مد نفوذه وفرض الولاية المرينية إلى مناطق بعيدة دون معارك وحروب، حيث استطاع كسب حلفاء وقواعد مهمة قبل مسيرته إلى إفريقية، وهذا ما رفع من عدد جيشه الذي كان قبل فتح وهران حوالي أربعون ألف (40000) ليصل في هذه الفترة بعد إلحاق مملكة تلمسان إلى عدد هام يقدر بحوالي مائة وأربعون ألفا (140000)<sup>3</sup>. لتضاعف القوة العسكرية المرينية إلى ثلاث مرات، مما زاد من هيبتها وهيبه سلطانها أبي الحسن.

### 3/3. استرجاع بنو عبد الواد لوهران:

وقبل سير أبي الحسن المريني إلى إفريقية بسبب انقلاب الأمير عمر على أخيه أبي العباس وقتله وتوليئه العهد، فهذا أزعج السلطان المريني، وأعطى له الحجّة للسير إلى إفريقية<sup>4</sup>، فعين ابنه أبي عنان على المغرب الأوسط وجبايته سنة 749هـ/1348م<sup>5</sup>، وتوجه مع زناتة مشرقا، ولكن هذه الحملة لم تحقق أهدافها فكانت لنكته<sup>6</sup> نتائج عكسية فبدلا من إلحاق إفريقية بالمرينين وصهر زناتة في عسكره<sup>7</sup> ودولته، أُعيد تقسيم المجالات الجغرافية في المغرب، بين القوى القبلية التي كبحت من طرف أبي الحسن المريني في حملته الكبرى، وخاصة بعدما أشيع خبر وفاته، والذي استغل أفضل استغلال لتحقيق

<sup>1</sup> بلاد الجريد تنقسم إلى قسمين قسم يسمى قسطيلية وتضم توزر، وأعمالها، وقسم يسمى الزاب، وهو كورة كبيرة ويضم مدينة بسكرة وأعمالها إضافة إلى طينة ومعظمها مدن تلي الصحراء من بلاد إفريقية وبها قرى كثيرة. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 355. وكذلك يرجع لصاحب حماة، المصدر السابق، ص 139.

<sup>2</sup> ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج 07. ص 355.

<sup>3</sup> وحسب العمري فإن الدولة المرينية في عهد أبو الحسن المريني قد اتسعت لاستجداد مملكة تلمسان عليها. المصدر السابق، ص 82.

<sup>4</sup> تاريخ الدولتين. ص 85.

<sup>5</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 335.

<sup>6</sup> النكبة أو الانكسار أو الوقعة هي كلها مصطلحات وصفت الحالة التي آل إليها أبي الحسن المريني في القيروان، بسبب انهزامه وانقطاع السبل عنه بعد تفرق جموعه وحلفائه من بني مرين، وبني عبد الواد الذين عادوا إلى ديارهم وانقلاب الأعراب عليه مما جعل أبو الحسن المريني يفر في طائفة قليلة إلى القيروان بعد تكبده لخسائر كبيرة حيث نُهبت محلته من الأموال والدواب وغير ذلك. للتوسع أكثر في حيثيات الوقعة وانعكاساتها على الأحداث السياسية يرجع لابن الشماخ، المصدر السابق ص 98. كذلك

ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 170.

<sup>7</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 342.

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

طموحات ابنه أبي عنان في الاستئثار بالملك، وقبل عودته إلى فاس حاضرة بني مرين لتحقيق هدفه استغل أبو عنان تواجد الأمير الحفصي أبو عبد الله محمد ابن أبي زكريا صاحب بجاية بندرومة<sup>1</sup> ليعرض عليه العودة إلى إمارته بجاية مقابل صد والده في الولوج إلى الغرب فتم الاتفاق بينهما<sup>2</sup>. وقد انتقل هذا الأمير الحفصي إلى وهران ومنها عن طريق البحر إلى تدلس<sup>3</sup>. وقد كان لنكبة أبي الحسن دور في فتح المجال أمام زناتة المغرب الأوسط في استعادة أوطانهم السابقة، فتغيّرت بذلك أوضاع المغرب ليعاد تقسيمه من جديد حسب مجالات كل قبيل.

ومن المستفيدين من هذه التغيّرات الطارئة على مشهد الأحداث المغربية بني عبد الواد، الذين رجعوا إلى ملكهم بتلمسان سنة 749هـ/1348م ليتقاسم الملك مرة ثانية الأخوين أبا سعيد وأبا ثابت<sup>4</sup> ابنا عبد الرحمان بن أبي يحيى يغمراسن، فكان "السرير والمنبر والدينار للسلطان أبي سعيد والجيوش والألوية والحروب للسلطان أبي ثابت"<sup>5</sup>.

وفي خضم هذه الأحداث فإن وهران كانت تابعة للمرينيين، وكان عليها القائد عبو بن سعيد بن جانا<sup>6</sup>، وقد عمد هذا الأخير إلى تأهيلها وتحصينها عن طريق تجهيزها بالعدة والعتاد لحمايتها من مختلف الأخطار المحتملة وخاصة في حالة تعرضها لحصار، وجاء في ذلك ". . وقد ضبطها وثقفها وملاها أقواتا ورجالا وسلاحا، وملا مرساها أساطيل"<sup>7</sup>، ويبدو أن المقصود بذلك بناءه للبرج الأحمر و برج المرسى، وكان ذلك سنة ثمانية وأربعين وسبع مائة ( 1347 / 748).

والمصادر الوسيطية التي اطلعنا عليها لا تؤرخ لبناء البرجين، لذلك بعض المؤرخين الحديثين نسبوا

<sup>1</sup> بعد تنحية أبو عبد الله ابن الأمير أبي زكريا من ولاية بجاية من طرف أبي الحسن المريني، وتم منحه بلد بندرومة. ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 171.

<sup>2</sup> بعدما بلغ لأبي عنان خبر حياة والده تملكه الخوف منه فأعاد ولاية بجاية وقسنطينة من الحفصيين إلى أعمالهم، وأخذ عليهم العهود لمنع والده أبي الحسن من الجواز إلى المغرب. ابن الشماخ، المصدر السابق، ص 99.

<sup>3</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 373.

<sup>4</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص، ص 371، 372.

<sup>5</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 01. ص 150.

<sup>6</sup> من صنائع الدولة المرينية، ومن قوادها المخلصين، وكان يحسب من رجال أبي الحسن المريني خلفه في وهران أخوه علي بن جانا كما سيأتي ذكره.

<sup>7</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر نفسه، ج 07. ص 147



## الفصل الأول:.....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

إنجازهما لأبي الحسن المريني بطريقة مباشرة عند إقامته بوهرا<sup>1</sup>، والواضح أن بناء الأبراج والمحارس على الساحل كانت من أولويات أعمال أبي الحسن المريني، فلا يستبعد أن البرجين من إنشائه إضافة إلى منشآت أخرى<sup>2</sup>. والواضح أن أبا الحسن المريني أعاد وهران على خريطة المدن الساحلية المحصنة على الضفة المغربية، كما وفر لها حماية وأمن مسالكها البحرية والبرية لوجود حامية وجزء من أسطوله رابض في مرساها، وفتح لها مجالاً للتجارة مع المدن المتوسطية.

كما يمكن الإشارة أن فترة حكم أبي عنان تميزت بإعطاء أولوية للتعبيس في المدن الساحلية التابعة له، فظهرت أملاك للتعبيس من أجل فداء الأسرى ولأغراض أخرى تُخدم عمارة المدينة وتوفير المرافق الضرورية لها مثل المدارس والزوايا والمارستانات، وكانت الأموال تُجمع في مستودعات تتضمن أموال البلد التي تعددت روافدها من أموال الأحماس، وما بأيدي أهل البلاد من أمانات الناس وكذلك من مستفادات الأوقاف وأموال الموارث واليتامى والمهاجرين من سائر الأصناف وغيرها وكانت مسؤوليتها المالية ترجع لقاضي البلد والخطيب<sup>3</sup>.

وكل ذلك يوحي أن المدينة كانت لها سلطتان سلطة حضرية ممثلة في سلطة القاضي وتشريعاته بمعونة الخطيب، وسلطة عسكرية مهامها الحفاظ على أمن المدينة وتأمين تموينها وتحصينها والدفاع عنها برا وبحرا، وهي مهمة "القائد". كما يمكن التذليل أن المدن في عهد أبي عنان المريني كان جزء من مداخيلها يوظف في تعميرها وتحصينها، وحل بعض مشاكلها المقلقة مثل فداء الأسرى.

وقد استمر المرينيون في السيطرة على وهران حتى تأتي محاولة استرجاعها من طرف أبي ثابت بعد استعادة تلمسان، وقد جمع لذلك حلفائه من قبائل زناتة والعرب، وحاصر وهران أياما، ولكنها استعصت عليه ولم يستطع اقتحامها لحصانتها وقوة حاميتها، وخاصة بعد دعمها بالبرج الأحمر من الناحية البرية.

<sup>1</sup> وقد نسب المؤرخون المحدثين بناء البرجين ( البرج الأحمر و برج المرسى ) إلى أبي الحسن المريني ( يمكن الرجوع إلى أبي راس الناصري، شرح الحلل السندسية، مخطوط، ص 26، وكذلك عجائب الأسفار، ص 116).

<sup>2</sup> ابن مرزوق التلمساني (محمد)؛ المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن أبي الحسن، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1401هـ / 1981م. ص 398

<sup>3</sup> ابن الحاج النميري؛ فيض العباب وافاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب " دراسة واعداد محمد بن شقرون دار الغرب الاسلامي. ط1. سنة 1990. بيروت (لبنان). ص 127.

وفي هذه الفترة اتصل قبيل بنو راشد حلفاء بني عبد الواد بعبو بن سعيد قائد وهران، لإقناعه بمواجهة بني عبد الواد وأبدوا رغبتهم في مساندته ودعمه في معركته، فاستجاب لهم في لقاء مُواجهة أبي ثابت، ومن جانبهم أوفوا بوعدهم في التظاهر بالهزيمة والتراجع مما كان له تأثير على المعركة وانهمزام بني عبد الواد وحلفائهم الآخرين، وأدى ذلك إلى فرار وعودة أبي ثابت إلى تلمسان<sup>1</sup>.

وعند محاولته إعادة الكرة في استعادة وهران وصَلَّته أخبار عن الحملة التي جهزها أبو الحسن المريني للمغرب الأوسط لاسترجاع ملكه تدريجياً وإخضاع خصومه، فأرسل ابنه الناصر في عسكر مدعوم بحلفائه الأعراب من سويد وغيرهم، وما شجعه على اتخاذ هذه الخطوة هو وقوف الأعراب إلى جانبه، إضافة إلى أن بعض المناطق والمدن بالمغرب الأوسط بقيت تحت طاعته، على غرار وهران والجزائر وجبل النشريس<sup>2</sup>، والتي شكلت قواعد متقدمة لحملة الناصر.

وبسبب خطورة هذه الحملة خاصة للدولة العبد الوادية وللمرنيين، برز التحالف بينهما للقضاء عليها قبل وصولها وتهديدها لتلمسان، فكانت المواجهة بين الناصر وأبي ثابت سنة 750هـ/1349م وتغلب هذا الأخير وكبح جماح أبي الحسن والأعراب<sup>3</sup> وأبعد الخطر على المغرب الأوسط<sup>4</sup>.

وقبل أفول سنة 750هـ/1349م تمكن أبو ثابت من إعادة المحاولة وحصار وهران حتى خضعت له وعفى على قائدها الجديد علي بن جانا<sup>5</sup>، وجميع المرنيين الذين معه، كما تمكن أبو ثابت من إخضاع الظَّهير الوهراني لحكمه<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج07. ص156. كذلك يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج01. ص153

<sup>2</sup> استطاع يعقوب بن علي أمير الزواودة وعريف بن يحي أمير سويد إقناع أبي الحسن المريني في بعث ابنه الناصر إلى المغرب الأوسط لاسترجاعه. ابن خلدون، المصدر نفسه، ج07. ص157.

<sup>3</sup> دخلت عدة قبائل من العرب في طاعة الناصر ودعمه في حربه مع أبي ثابت، وهي سويد والديالم والعطاف وحصين. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج01. ص153.

<sup>4</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص157.

<sup>5</sup> أورد عبد الرحمان بن خلدون أن وهران خضعت لأبي ثابت بعد حصارها مدة أشهر وبعدها دخلها أبو ثابت صلحا على عاملها المريني عبد الله بن أجانا (ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص372). وهذه الرواية تخالف ما أورده في الموضوع السابق ومقارنة الروایتين يتضح أن علي بن جانا هو قائد البلد زمن إلحاق وهران بالعبد الواديين.

<sup>6</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص157

### 3/4. السيطرة المرينية من جديد:

وبعد مرور ثلاث سنوات أراد أبو عنان المريني تملك الدولة العبد الوادية، فجهز حملته يريد تلمسان وقد اصطدم بعسكر بني عبد الواد وحلفائهم، وبانحزام بنو عبد الواد، ومقتل سلطانهم أبي سعيد وفرار أخيه أبي ثابت إلى الجزائر<sup>1</sup>، تمكن أبو عنان من الاستيلاء على تلمسان ووهران، وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة (1352/ 753)، ليكون انقراض ملك بني عبد الواد للمرة الثانية<sup>2</sup> وعلى يد المرينيين.

### 3/5. عودة الدولة العبد وادية واسترجاع وهران:

لكن الأمور في المغرب الأوسط لا ترسو لأيّ طرف مدة طويلة حتى تظهر قوة ضاغطة تغيّر ماهية السلطة المركزية في الحاضرة تلمسان من زبانية إلى مرينية والعكس صحيح، وتأثير ذلك على ولاء المدن والأرياف وحتى على الصحراء، وذلك حسب ماهية السلطة المحليّة المتحكمة بها. فبعودة أبي حمّو موسى بن يوسف الزباني<sup>3</sup> من إفريقية بعد تجهيزه بما يلزم من الحفصيين، وبمرافقة من الأعراب من بني عامر برياسة صغير بن عامر والذواودة، عاد أبو حمّو الثاني إلى تلمسان برا عن طريق الصحراء كخيار يناسب طبيعة عسكره، وكان ذلك سنة 759هـ/1357م<sup>4</sup>. وعند اقترابه من تلمسان عرج على الظهير الوهراني لإخضاعه والزحف منه إلى تلمسان مستعينا ببني عامر<sup>5</sup>، وقد تمكنوا في الأخير من دخول تلمسان الوجهة الأساسية لأبي حمّو الثاني، وكان ذلك سنة 760هـ/1358م، وبعد استرجاع الحاضرة الزبانية جعل من أولوياته استرجاع أمصاره من بني مرين<sup>6</sup> وحلفائهم.

<sup>1</sup> وهذا الفرار لم ينجح لأن أبا عنان تمكن من أبي ثابت بمساعدة الأمير أبو عبد الله صاحب بجاية، وقد لقي نفس مصير أخيه أبي سعيد. ابن خلدون، المصدر السابق، ج07. ص 162.

<sup>2</sup> تاريخ الدولتين، ص 94.

<sup>3</sup> كان أبو حمّو موسى الثاني من بين العبد وادين الذين فروا مع السلطان الزباني أبي ثابت ولما تقبض على عمه أبي ثابت لجأ أبي حمّو إلى تونس وبقي في ضيافة ابن تافراكين حتى سنحت له الفرصة للعودة للمغرب الأوسط لإحياء الدولة، فبويغ بتلمسان سنة 760هـ/1358م. ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص، ص 163. كذلك ابن الأحمر، المصدر السابق، ص76.

<sup>4</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج02. ص 72.

<sup>5</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج02. ص 62.

<sup>6</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص، ص 163، 164.

## الفصل الأول:.....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

يبدو أن بعض الأمصار خضعت لأبي حمو الثاني تباعاً وطواعية على غرار ندرومة ووجدة<sup>1</sup> وهنين، ثم مستغانم وتمزگران والبطحاء، ولكن بعض الأمصار استعصت عليه، وخاصّة وهران التي كانت تحت قبضة الحامية العسكرية المرينية؛ أي خضعت للحكم المباشر للمرينيين مما استوجب على أبي حمو تجهيز جيش بقيادة وزيره موسى بن علي برغوث لاسترجاع وهران.

وكالعادة خضعت وهران لحصار انتهى بمواجهة بين الوزير الزياني وجيشه، وبين عسكر الحامية المرينية بوهران بقيادة عامر بن ابراهيم بن ماساي، وقد تمكّن المرينيون من وزير أبي حمو الثاني، فبعد تفريق حشوده ألقى عليه القبض، وحُمل أسيراً من وهران عن طريق البحر إلى المغرب<sup>2</sup>.

وتظهر هذه الحادثة إلى جانب قوة الحامية المرينية الموجودة في وهران التحالف الهش بين العبد واديين والقبائل المتحالفة معهم، ففي كل مرة تتخلى وتنفض عن صفوفهم في وقت المواجهة، وبذلك أصبحت التحالفات القبليّة للعبد الواديين مع القبائل الزناتية والأعراب ظرفية وغير آمنة، مما جعل حاميات المدن تنتصر على عساكر الدولة، فوهران أصبحت مستعصية على العبد واديين أو بالأحرى الزيانيين<sup>3</sup>، ولذلك اتخذها المرينيون إحدى القواعد العسكرية المتقدّمة في المغرب الأوسط لتهديد الحاضرة تلمسان فهي لا تبعد عنها إلا بمرحلتين.

ولمواجهة أبي حمو الثاني ومنعه من إحياء الدولة، بعث الوزير المريني الحسن بن عمر<sup>4</sup> بعساكره بقيادة مسعود بن رحو بن ماساي بن فودود<sup>5</sup> إلى تلمسان، التي استولى عليها بعد فرار أبي حمو الثاني

<sup>1</sup> هي مدينة قديمة البناء في سهل فسيح، انتاجها الزراعي وفير، سكانها أثرياء ومتحضرين، ولكن لموقعها بين دولتين الزيانيين والمرينيين تعرضت للتدمير، وبقي بها عدد قليل من السكان. الوزان، المصدر السابق، ج02. ص 12.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج02. ص 124.

<sup>3</sup> بنوا عبد الواد أو الزيانيون هما مصطلحان للتدليل على قبيل زناتي استغل المصطلح الأول في بداية الدولة في عهد المؤسس يغمراسن بن زيان ليشمل بطون عديدة من القبيل، وبعد يغمراسن استغل خلفائه لقب بنو زيان لتضييق دائرة الملك في البيت الزياني وعن السلطان الأول الذي تبنى اللقب لم توضح المصادر بدقة تاريخ وصاحب التغيير، والمرجح حسب بعض الدراسات أنها تعود للسلطان أبي حمو الثاني عند إحيائه للدولة من جديد في البيت الزياني. يمكن الرجوع للوزان، المصدر السابق، ج02. ص 07.

<sup>4</sup> وهو القائم بأمر المغرب بعد وفاة أبي عنان المريني سنة 759/1359م، وقد تكفل بابن أبي عنان السعيد ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص 164.

<sup>5</sup> والملفت للنظر أن مسعود بن رحو بن ماساي ذكر بأنه ابن عم قائد الحامية بوهران عامر بن ابراهيم بن ماساي وله نفس القرابة مع الوزير المريني الحسن بن عمر حسب ما أورده عبد الرحمان بن خلدون مما يعبر عن أهمية وهران بالنسبة للمرينيين. يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج02. ص 127.

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

منها إلى الصحراء، وقد عمد أبو حمو إلى التوجه إلى المغرب مما جعل القائد المريني بتلمسان يستنجد بقائد الحامية بوهران عامر بن ابراهيم بن ماساي لمواجهة أبي حمو الثاني، ولكن العبد الواديون ألحقوا بهم هزيمة أربكت المرينيين<sup>1</sup> وأدّت إلى انسحابهم وتراجعهم من تلمسان<sup>2</sup> التي عادت مرة أخرى لأبي حمو الثاني.

ونتيجة لفقدان عدد كبير من المرينيين في الحامية بوهران، اضطر قائدها أحمد بن أجانا الذي خلف عامر بن ابراهيم بن ماساي بعد مقتله إلى الانسحاب منها وقد أخذ مال جبايتها، ولكنه أُعتقل وأُطلق سراحه فيما بعد من طرف العبد الواديين<sup>3</sup>. لتعاد وهران إلى دولة أبي حمو الثاني، وبوصول أبي سالم إلى الحكم في المغرب، وجه جيشه إلى المغرب الأوسط لافتكاكه من العبد الواديين ليُعاد نفس المشهد السابق.

فبعد فرار أبي حمو إلى الصحراء<sup>4</sup> دخل أبو سالم المريني إلى تلمسان سنة 761هـ/1359م، ومنها استرجع الكثير من المناطق ومنها وهران، فبادر أبو حمو الثاني إلى مهاجمة الأراضي المرينية المخاضية لدولته، مما جعل أبي سالم ينسحب من تلمسان، ويعيّن عليها من آل عبد الواد محمد بن عثمان المكنى بأبي زيان<sup>5</sup> لقطع الطريق أمام أبي حمو، ويعود أدراجه لأعماله مما سمح لأبي حمو الثاني بالعودة من جديد إلى تلمسان.

ويفرار أبو زيان شرقا إلى المنطقة التي لازالت تحت نفوذه أو بالأحرى تحت نفوذ القبائل الموالية للمرينيين من بني توجين وسويد<sup>6</sup>، وتضم هذه المنطقة البطحاء ومليانة ووهران، ومن المعلوم أن الأعراب اكتسحوا الكثير من مجالات القبائل الزناتية في المغرب الأوسط، وذلك بإقطاع من الدولة المرينية والزيبانية التي فضلت المغالبة بهم على خصومها، فتغلبت سويد على منطقة توجين في هذه الفترة وأصبحت تتحكم في منطقة التلول الممتدة من البطحاء إلى القرب من مليانة، التي تحكّم

<sup>1</sup> والسبب في حالة الإرباك هو مقتل القائد عامر وتشتت عسكره الذي ضم عدد كبير من المرينيين من تلمسان ووهران، إضافة إلى انقلاب ما بقي من المرينيين في تلمسان عن الوزير الحسن بن عمر. يمكن الرجوع ليحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج.02. ص 127.

<sup>2</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج.07. ص، ص 164

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج.02. ص 129.

<sup>4</sup> ابن الأحمر؛ المصدر السابق، ص.78.

<sup>5</sup> وهو محمد بن عثمان بن أبي تاشفين، ويعرف كذلك بالفنز. ابن خلدون، المصدر السابق، ج.07. ص 167.

<sup>6</sup> ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج.06. ص.64.

بضواحيها العطاف، أما الظهير الوهراني فقد تحكمت به قبائل بني عامر التي سيطرت على تسالة والجليل المطل على وهران "كيدزة"<sup>1</sup>.

وبعد استرجاع تلمسان من طرف أبي حمو الثاني، وملاحقة أبي زيان الذي فر وتراجع إلى المرينيين، توجه أبو حمو الثاني إلى إخضاع المناطق الخارجة عليه، وقد جهز لفتح وهران عسكريا بقيادة أبي موسى عمران بن موسى بن فارس لاسترجاعها فحاصرها<sup>2</sup>، وهنا تختلف رواية الأخوين ابن خلدون حول استرجاع وهران من يد المرينيين من طرف أبي حمو الثاني، أم أنها استعصت عليه. وفي ذلك يذكر عبد الرحمان أن أبي حمو الثاني أقام على وهران أياما وفتحها عنوة، ثم تعمق شرقا وصولا إلى المرية والجزائر، وذلك قبل الصلح مع السلطان المريني أبي سالم<sup>3</sup>.

أما يحيى فقد أورد أن الصلح تم بينهما سنة 762هـ / 1360م، وقد سأله أبو حمو الثاني في وهران ولكن ذلك لم يجدي نفعا في إرجاع وهران لأبي حمو الثاني وبسبب وهران تكدّرت العلاقات بينهما وبعد فشل مساعيه في استرجاعها سلميا توجه لها ونازلها ثلاثة أيام ودخلها عنوة ولكن تحصن قائدها علي بن جانا بقصبتها جعل أبو حمو الثاني بعد استسلام قائدها يقدم على تهدم أسوار المدينة ويرجع إلى حضرته<sup>4</sup>.

ولكن على ما يبدو أنه أعيد بناء أسوارها لحمايتها من الأعراب بعد تراجع الخطر المريني على المغرب الأوسط، ويظهر ذلك في الأحداث التي ستشهدها المدينة فيما بعد.

كما تجدر الإشارة أن فترة حكم أبي حمو الثاني شهدت فيها المناطق الساحلية خطر القرصنة المسيحية التي بدأت تتنامى وتهدد العلاقات السياسية في الحوض الغربي للمتوسط فيذكر ابن عاصم الغرناطي حادثة أسر رسول سلطان الأندلس إلى صاحب تلمسان، وهو القاضي "أبو إسحاق ابراهيم بن الحاج النميري"، والذي أُسر مع من معه من المسلمين من طرف جفن قرب جزائر حبيبية من أحواز وهران، ولكن السلطان الزياني خلصه من الأسر بعد تقديم فدية معتبرة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج07. ص 167

<sup>2</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج02. ص 181.

<sup>3</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج07. ص، ص 167، 168

<sup>4</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج02. ص198.

<sup>5</sup> جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضي، تح صلاح جرار، مج 02، دار النشر والتوزيع، الأردن، سنة 1410هـ / 1989م ص 228.

ويتضح من ذلك أن أبا حمو الثاني كان يبذل الكثير من المال لتهدئة الأوضاع والحفاظ على استقرار الدولة واستمرارية علاقاته مع مختلف القوى الداخلية المؤثرة على دولته، ونقصد هنا سطوة الأعراب والتي أصبحت تهدد السلطة المركزية التي تراجعت وتضاءل نفوذها وتحكمها بالأرياف فأصبحت تغالبهم بالمال وإقطاع الأراضي لتفادي سطوتهم والإستعانة بهم في حروبهم وحملاتهم العسكرية أما على مستوى العلاقات الخارجية مع أعداء البحر فتم الاستعانة بربط علاقات حسنة وتقديم تسهيلات تجارية للقوى المؤثرة فقد عقد أبو حمو الثاني صلحا مع بدرو الرابع حاكم أراغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقورسكة وكان ذلك سنة 764هـ / 1362م ويدوم لمدة خمس سنوات يضمن استمرارية العلاقات التجارية بينهم ويوفر الأمن على المجال البحري الفاصل بين الطرفين ولكن في بعض الأحيان يلجأ أبو حمو الثاني إلى إعطاء الفدية لتحرير أسراه كما في حالة الوزير الغرناطي.

### 3/ 5/ 1. أهمية وهران في عهد أبي حمو الثاني:

وعلى العموم فقد عرفت وهران استقرارا نسبيا مقارنة بالمدن والمناطق الداخلية بالمغرب الأوسط، التي أصبحت مهددة بالأعراب لوقوعها في محلاتها ومسالكها، ونقصد خصوصا ظهير هذه المدن التي ذكرها ابن خلدون باسم "الضواحي"، فتأثرت هذه المناطق بالحملات العسكرية الكثيرة التي اجتاحتها، وقد بقيت المدن الساحلية في المغرب الأوسط أكثر أمنا وتحصنا<sup>1</sup> لوجود الأسوار والحاميات، لذلك شكلت نقاط ممانعة أمام القبائل البدوية، وملاذا آمنا لاستمرار السلطة والحكم للدول المتداولة عليها.

كما يمكن اعتبارها - المدن الساحلية - خيارا مفضلا لعزل الولاة من فتن الأعراب، وقد برز ذلك في مدينة وهران، ففي فترة حكم أبي حمو الثاني طفت على الأحداث مسألة نقل ولاية ابنه أبي زيان من المرية إلى ولاية وهران وأعمالها لإبعاده عن فتنة العرب، وهذا يثبت أن وهران كانت أكثر مدينة زبانية بعيدة عن التأثير المباشر للأعراب، والذين كان لهم دور في الأحداث التي عرفتها الدولة الزبانية في هذه الفترة.

والملفت للنظر كذلك أن أبا حمو الثاني عند تعيينه لابنه أبي زيان على وهران بعث معه حسب ابن خلدون بعض وزرائه ليكونوا "عيننا عليه"، وورد في موضع آخر "لمراقبته"<sup>2</sup> في ولايته الجديدة،

<sup>1</sup> ابن خلدون ؛ المصدر السابق، ج07. ص 186.

<sup>2</sup> ابن خلدون ؛ المصدر نفسه، ج07. ص 187.

ولفظ "العين" و"المراقبة" يوحي بعدم الثقة والخوف من نوايا ابي زيان في الخروج عن طاعة والده من جهة ويظهر من جهة ثانية أن المدن المحصنة والبعيدة عن العاصمة على غرار مدينة وهران أصبحت أيضا تهدد السلطة المركزية للزيانيين لما تُثيره من احتمالية خروجها عن الطاعة وانفصالها عن الدولة، وذلك لحصانتها ومناعتها من جهة ولثرائها المالي والتجاري من جهة ثانية. مما جعلها من المدن التي استوجبت المراقبة المباشرة لأبي حمو الثاني لعمالها في غياب الثقات منهم في جباية أموالها حتى لو كانوا من صلبه، فهم لا يُؤتمنون خاصة أن أموال وهران شكلت موردا هاما للخزينة الزيانية التي خصّصت جزء كبيرا من الانفاق لتوطيد ملكها ولكسب ولاء حلفائها من القبائل<sup>1</sup>.

ومن المعلومات السابقة يمكن التذليل كذلك على أن بعض المدن الزيانية في هذه الفترة أصبحت مراكز لإدارة مناطق واسعة من المملكة الزيانية، وبذلك اتسع مجال نفوذها السياسي والإداري، فمدينة وهران أصبحت عاصمة لولاية، لها أعمال شاسعة، وإن لم توضّح المعلومات المصدرية حدودها الجغرافية، إلا أن ذكر الخطوط العريضة لتقسيمات المملكة بين أبناء أبي حمو الثاني<sup>2</sup> توضّح المجال العام لوهران التي تمتد من الساحل وتشمل المناطق الريفية السهلية التي تصل إلى تلمسان.

وربما هذا ما أقلق ولي العهد أبو تاشفين، الذي لم يرض بتعيين أخيه أبي زيان على ولاية وهران وطالب والده بها، لكن أبو حمو الثاني لم يرقه ذلك فلجأ إلى المراوغة، ولكسب المزيد من الوقت طلب من وزيره يحيى بن خلدون بمماطلة الكتابة لابنه أبو تاشفين على وهران حتى يرى المخلص من ذلك.

غير أن ولي العهد عاجل والده بالفتك بالوزير يحيى بن خلدون، ظنا منه أن هذا الأخير هو من تعتمد عدم الكتابة بالولاية له لأنه يؤثر أخاه أبي زيان عليه، وكان مقتل يحيى سنة ثمانين وسبعمائة (780هـ / 1378م)، وبهذه الخطوة الجريئة منه خضع والده أبو حمو لمطلبه بتوليته وهران ثم نمتى

<sup>1</sup>وقد أدرج أبو حمو الثاني الكثير من النصائح لخليفته من أجل إرساء الحكم، ومما جاء في كيفية تعيين الولاة: "... استعن بثقات عمالك على جمع مالك.."، وفي موضع آخر يبين أهمية المال في استقرار أوضاع الدولة وكسب أنصار وحلفاء يكونوا سند لدفع الأعداء. يمكن الرجوع لأبي حمو بن زيان، واسطة السلوك في سياسة الملوك، ص09.

<sup>2</sup>أوضح عبد الرحمان بن خلدون هذه التقسيمات على النحو التالي، أن كبير أبناء أبي حمو المنتصر وُلي على مليانة وأعمالها، أما أبا زيان وُلي على المرية وما إليها من بلاد حصين، ويوسف بن الزاوية وُلي على تدلس وما إليها من آخر أعمالهم، وتم فيما بعد نقل أبي زيان لولاية وهران وأعمالها. (المصدر السابق، ج07، ص186). ويتضح من ذلك اتساع المجال الجغرافي للمملكة الزيانية في هذه الفترة ومنها اتساع أقاليمها الادارية إلى جانب العاصمة وضواحيها.



طموحه إلى إلحاق الجزائر لنفوذه المتصاعد على المنطقة الساحلية للمغرب الأوسط. كما تجدر الإشارة هنا وحسب إحدى الدراسات أن إقطاع أبي حمو الثاني لإبنه أبي تاشفين في وهران والجزائر يندرج ضمن "أرض التملك" أي "الأرض القانونية"، فهي أقطعت من طرف ولاية أمر وفي هذه الحالة يجوز لمن منحت له توارثها أو بيعها<sup>1</sup>.

وبعد تملكه لهذا المجال وفرض إرادته على والده، ينقل أبو تاشفين صراعه من الخفاء إلى العلن بعد مجاهرته لوالده بأنه يتآمر عليه وأنه يؤثر إخوته عليه، فقام بتنحية والده وخلعه، ولم يكتف بذلك بل استغل قسبة وهران لاعتقاله، وعزله عن دولته وأنصاره.

كما قام باعتقال إخوته الحاضرين في العاصمة تلمسان، وذلك سنة 788هـ/1386م. فبدأ أبناء أب حمو الثاني الآخرين أصحاب الأعمال يحشدون عزائمهم، ويتحالفون مع قبائل حصين لمواجهة أبا تاشفين المتمرد على حكم والده وتوجهوا إلى جبل تيطري، في المقابل قام أبو تاشفين بحشد جيشه والسير إليهم بموضعهم، لكن أبو تاشفين أراد إنهاء الأمر كلياً، والقضاء على المنافسين من قرابته، فبعث ابنه أبو زيان في لمة مع حاشيته إلى تلمسان، فقتلوا من كان معتقلاً من إخوته فيها.

### **3/5/2. دعم أهل وهران لأبي حمو الثاني:**

وبعد التخلص من بعض إخوة أبي تاشفين في تلمسان، كانت وجهة أبو زيان ومرافقيه الثانية إلى مدينة وهران وقصبتها، للتخلص من السلطان المخلوع أبي حمو الثاني، ولكن هذا الأخير استطاع الاستنجاد بساكنة وهران الذين هبوا إليه وحموه بعد نزوله من حصن القسبة هاربا من حفيده وجماعته التي تريد قتله.

وبعد ضمان سلامته من أهل وهران بايعوه من جديد، وكان في مقدمتهم خطيبهم "ابن جذورة"<sup>2</sup>، ويبدو أن الوهرانيين جهزوا لأبي حمو الثاني بعض الحرس لدعمه في العودة إلى تلمسان<sup>3</sup> مستغلين غياب أبو تاشفين الذي غادرها إلى التيطري لمواجهة إخوته.

<sup>1</sup> مكي (زيان)؛ الإقطاع الزراعي في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين (7 و9هـ/13 و15م) من خلال كتب النوازل

الفقهية كمادة مصدرية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج02، العدد الأول، يناير 2019. ص 209.

<sup>2</sup> ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج07. ص، ص 192، 193.

<sup>3</sup> بورويبة (رشيد)؛ وهران فن وثقافة، وزارة الاعلام، ص38.

ولكن عودة أبي حمو الثاني إلى تلمسان لم تستمر طويلا، فبقدم أبو تاشفين إليها اعتقل والده للمرة الثانية وأجازه إلى وهران، وهذه المرة أركبه السفن مع تجار قطلونيين كانت وجهتهم الإسكندرية، واختير الطريق البحري لتسهيل وصوله إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وذلك بعد تعذر الطرق البرية التي أصبحت غير آمنة بسبب الاعتداءات المتكررة من قطاع الطرق المنتشرين على طول الطرق البرية لقلة العمارة من المغرب إلى الإسكندرية<sup>1</sup>.

كما أن الطريق البحري يضمن لحد ما عدم اتصال بين أبي حمو الثاني وأنصاره وحلفائه سواء من أبناءه أو من الأعراب في المغرب الأوسط، وبذلك يتم عزله وإبعاده عن العرش بطريقة آمنة، ولكن أبا حمو الثاني تمكن من العودة إلى تلمسان بعد استغلاله المرور ببجاية، والاستنجاد بحاكمها ثم بالأعراب حلفائه التقليديين من بني عامر، والذين ساعدوه على دخول تلمسان سنة 790هـ/1388م<sup>2</sup>.

وبعد فترة قصيرة استرجع أبو تاشفين العرش الزياني بعد مساعدة المرينيين له، فقد دعمته حملة عسكرية بقيادة أبي فارس سنة 791هـ/1388م، وذلك مقابل التبعية للسلطان أبي العباس ودفع أموال له<sup>3</sup>.

وتظهر فتنة بين أبناء أبي حمو الثاني حول العرش، لتكون المنطقة في كل مرة محل صراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، وهذه الوضعية اختصرها في كلمات أحد الرحالة الذين زاروا المنطقة في القرن 8هـ/14م وأوجزت حال المغرب الأوسط في فترة الحكم الزياني، ومما ذكره: ". . ملك بني عبد الوادي ملك مبارك، ولكن هو كثير المصايب من أجل تبديل ملوكها يذيق بعضهم بأس بعض وتضعف من ذلك المملكة والحكم. ".<sup>4</sup>

#### السيطرة المرينية:

استمر حكم أبو تاشفين الثاني إلى سنة 795هـ/1392م، وبوفاته عرفت تلمسان اضطرابات بسبب الصراع المتجدد حول الحكم بين أفراد الأسرة الزيانية، مما جعل المرينيين يسرعون لضبط أمور

<sup>1</sup> ابن الصباح ( عبد الله ) ؛ أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، هذبها وأصلح خللها وعلق حواشيها محمد بنشريفه، ط01. دار أبي رقرق للطباعة والنشر سنة 2008م. ص 96.

<sup>2</sup> ابن خلدون ؛ المصدر السابق، ج07. ص 193.

<sup>3</sup> ابن خلدون ؛ المصدر نفسه، ج07. ص 196.

<sup>4</sup> ابن الصباح ( عبد الله ) ؛ المصدر السابق، ص 96.

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

تلمسان لردع أي محاولة استقلالية يمكن أن تبعد المنطقة عن سيطرتهم غير المباشرة؛ فلذلك قدم أبو فارس المريني إلى تلمسان لإخضاعها للسلطة المركزية في فاس. ومن تلمسان انطلقت الجيوش المرينية إلى إخضاع المدن الزيانية التي ألحقت بطريقة مباشرة للسيطرة المرينية، وهذا التوجه للمرينيين محي وجود الدولة الزيانية من المغرب الأوسط لحساب الدولة المرينية التي اتسعت رقعتها الجغرافية والسياسية إلى حدود بجاية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص 197.

## المبحث الرابع:

4 / . وهران الزيرية في القرن 9هـ/15م بين التدخلات الحفصية وتجربة الانفصال:

### 4 / 1. الأطماع الحفصية على الدولة العبد الوادية:

تم إلحاق تلمسان بالدولة الحفصية بعد دخول أبو فارس<sup>1</sup> إليها سنة 827هـ/1423م، وقد فر منها سلطانها أبو مالك عبد الواحد، وعين عليها أبي فارس الأمير محمد بن أبي تاشفين<sup>2</sup>، ليعيد سيرة جده أبي زكريا الأول في التوسع غربا، والإبقاء على تلمسان زيرية خاضعة لسيطرة الحفصيين<sup>3</sup>، وبرجوعه إلى إفريقية أصبح ملكه يمتد على المغربين والأندلس<sup>4</sup>.

ولكن في سنة 832هـ/1428م بعث أبو فارس عسكريا بقيادة قائد قسنطينة "جاء الخير" إلى تلمسان لخروج صاحبها محمد بن أبي تاشفين عنه، وإبدائه شيئا من الاستقلالية في خطبه الجمعية<sup>5</sup> فبعث أبو فارس مع عسكريه أبا محمد عبد الواحد، وبعد هزيمة الحفصيين لجأ أبو محمد عبد الواحد إلى الجبال مستصرخا بالأعراب، فقدموا له مساعدتهم لتملك تلمسان وإعادتها لطاعة أبي فارس، أما محمد بن أبي تاشفين، ففر عنها<sup>6</sup>.

ولكن لم تمض إلا سنة واحدة (833هـ/1429م) حتى أعاد الكرة محمد بن أبي تاشفين على تلمسان وتمكن منها، وقتل عمه أبا محمد عبد الواحد، وهذا ما أدّى بالسلطان أبي فارس إلى تجهيز حملة عسكرية اجتاحت الأراضي العبد الوادية وانتهت إلى تلمسان، أين أطيح بمحمد عبد الواحد وتعيين أمير زيري آخر هو أحمد بن أبي حمو<sup>7</sup>، وكان ذلك سنة 835هـ/1431م، ولكن لم يلبث الأمير الزيري كثيرا حتى أبدى نيته في الاستقلال عن الحفصيين مما جعل أبو فارس يسرع في التوجه إليه، ولكن عاجلته المنية في طريقه سنة 837هـ/1433م<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 08.

<sup>2</sup> ويكنى أبو عبد الله، وهو ابن أخ السلطان الفار. برنشفيك، المرجع السابق، ج 01. ص 257.

<sup>3</sup> برنشفيك؛ المرجع نفسه، ج 01. ص 257.

<sup>4</sup> تاريخ الدولتين، ص 126.

<sup>5</sup> برنشفيك؛ المرجع السابق، ج 01. ص 257.

<sup>6</sup> تاريخ الدولتين، ص 127.

<sup>7</sup> وهو أبو العباس أحمد بن أبي حمو، شقيق عبد الواحد ولقبه المعتصم بالله. رحلة عبد الباسط، ص برنشفيك، المرجع السابق

ج 01. ص 257.

<sup>8</sup> تاريخ الدولتين، ص، ص 130، 131.

#### 4/ 2. تجربة الانفصال وإشكالية السلطة في المدينة:

لم يكن الحفصيون وحدهم من يهدد بتفكك الملك الزياني، لأن الصّراع داخل العائلة شكل تهديدا شتت الدولة وجزءها من الداخل، ففي سنة 838 هـ/1434م استطاع الملك أبو يحيى زكريا بن المولى بن موسى الإستيلاء على وهران بعد فشله في الاستيلاء على تلمسان، وكانت له حروب مع أخيه السلطان أحمد بن أبي حمو، والمدعو أحمد العاقل<sup>1</sup>.

وفي فترة حكم أبي يحيى لوهران عرفت هذه الأخيرة أحداثا مهمة، ففي سنة 841 هـ/1437م كانت وجهة ملك غرناطة محمد الأيساري إلى وهران.

ويتضح من ذلك أن وهران دخلت في سلطة محلية بصيغة التصوف للدلالة على التغيرات القوية التي شهدتها المنطقة، والتي انتشر بها التصوف داخل بنية وتركيب السلطة، وذلك ترجمة للواقع السياسي الذي تضاءلت فيه السلطة المركزية ونفوذ الفقهاء لحساب سلطة أقوى، أصبحت تستمد مرجعيتها من فلسفة جديدة تنبع من متصوفة تفاعلوا مع حياة الساكنة، فحاولوا إصلاح المجتمع من الداخل والسيطرة على أفعاله سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق أعمالهم وكراماتهم.

وللتدليل على ذلك تبرز في مدينة وهران شخصية الولي الصالح الشيخ المتصوف محمد بن عمر الهواري<sup>2</sup>، والذي كان له دور بارز في الحياة السياسية لوهران في الفترة الممتدة من تاريخ استقراره بوهران إلى وفاته سنة 843 هـ/1439م.

ويتضح من سيرته أنه كان واجهة للمدينة وسلطتها المعنوية التي لا تقهر أمام الأخطار التي كانت تواجهها من الأعراب واعتداءاتهم المتكررة على ساكنة وهران، من سلب لأموالهم وحتى سفك لدمائهم من غير سبب. وذُكر أن من طغاة العرب المتمكنين من أهل وهران، شيخ من بني عامر هو عثمان بن موسى المسعودي العامري<sup>3</sup> والذي ارتبط هلاكه بدعاء الهواري عليه.

<sup>1</sup> التنسي؛ المصدر السابق. ص 249

<sup>2</sup> شيخ وهران، متصوف، كان يقصده الكثير من العلماء، توفي بوهران سنة 843 هـ/1439م. ابن القاضي، المصدر السابق ج2. ص 289.

<sup>3</sup> وفي ذلك جاء حادثة الإعتداء على أحد أصحاب الهواري من طرف عثمان بن المسعود العامري، وذكر أنه من طغاة العرب المفسدين وظلمتهم المسرفين، وكيف تعامل معه الهواري بكراماته لصده هذه الاعتداءات التي يبدو أنها استغلت للترويج لنفوذ هذه الفئة. يمكن الرجوع لابن سعد الزياني، روضة النسرين، ص 112. كذلك يمكن الرجوع إلى أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 252.

ونستشف من الأحداث أن أهل وهران لم يجدوا من السلطة الرسمية من يكبح جماح الأعراب ويحمي المسلمين من الأخطار المتعددة، ومنها بروز الخطر القادم من البحر ومن سفن النصارى، والتي عادة ما كانت تنتهي حملاتهم البحرية بمأساة الأسر للعديد من الأشخاص الذين يجدون أنفسهم في وضعية الأسر، وإن لم يتم فديتهم يتحولون إلى عبيد في أراضٍ مسيحية، وكانت هذه الحالة تؤرق أهاليهم الذين يلجؤون ويستنجدون بالولي لإنقاذهم من الأسر، فأصبح الولي الحي وحتى المتوفي<sup>1</sup> الملاذ الوحيد لساكنة وهران، فتطرح عليه المشاكل والهموم التي استعصت على السلطة السياسية للمدينة، ويُتَظَر منه تقديم الحلول وحماية أهل وهران.

كل هذا يجعلنا نتساءل حول حقيقة السلطة السياسية في المدينة، والتي تلاشت أدوارها في مواجهة الأخطار وحمايتها من البر والبحر. بل إنها تظهر بصورة سيئة حسب الاشارات المصدرية في تعاملها مع ساكنة وهران، ومع الولي محمد الهواري الذي على ما يبدو لم يخضع لنفوذها وحتى لم يعترف بسلطتها.

وفي هذا الصدد أورد المؤرخون أن الشيخ الهواري اتخذ منحاً بعيداً عن السلطة الزيانية، التي حاول تجنب مجاملتها أو الإستفادة من امتيازاتها، وقد صرح بموقفه في عدة مناسبات منها رده على رسالة وردت له من السلطان الزياني يستشيريه فيها، فرد على خديمه بقوله " لا حاجة لنا بصحبة السلطان، وما الذي ساقنا إليه"<sup>2</sup>، وربما هذا ما جعل الزيانيين يحاولون التأثير عليه عن طريق الضغط المتواصل على زاويته ثم على أسرته، وفي ذلك جاء ". . كثيرا من ولاية وهران، وعمالها الذين سبقت لهم الشقاوة فحملتهم النفس الأمانة بالسوء على التهانن بحرم الزاوية وإخراج من استجار بحرمها. ".<sup>3</sup>، ويظهر أن الهواري كانت علاقته سيئة ومتأزمة مع السلطة الموجودة في وهران، ولكنه بقي يشكل مع زاويته كيانا سياسيا صلبا معارضا لأحكام السلطة الزيانية في وهران وفي كامل الدولة. فأصبحت زاويته ملجأ لحماية المعارضين وقبلة توجه التصوف في المنطقة وتحدد منهجه، لذلك حاول ممثلوا السلطة الزيانية بدورهم كسر هيبة الشيخ وزاويته بعدة طرق سواء عن طريق التملق

<sup>1</sup> يورد يحي بوعزيز أنه في سنة 828هـ / 1425م قام بعض أتباع الشيخ أبي مدين دفين العباد بتلمسان ببناء قبة سيدي عبد القادر في قمة جبل المائدة ( مرجاجو)، والتي أصبحت مزارا منذ ذلك الوقت للعنصر النسوي. مدينة وهران عبر التاريخ، ص 36.

<sup>2</sup> ابن مريم التلمساني؛ المصدر السابق، ص 231.

<sup>3</sup> ابن سعد التلمساني، روضة السريرين، ص 113.

أو العنف أحيانا أخرى.

ونستشف من المعطيات التاريخية طبيعة العلاقات بين السلطة المركزية للزيانيين والسلطة المعنوية للمتصوفة في المغرب الأوسط عموما، حيث اتصفت بالعداء تارة وبالود تارة أخرى. فحاول كل طرف فرض قوته وتأثيره على الآخر إلى أبعد مدى، ويظهر هذا الصراع جليا في الأرياف وحتى في المدن الزيانية. وقد انتهج بعض الملوك الزيانيين سياسات تباينت ما بين كسب رضا المتصوفة أو ترهيبهم ومواجهتهم وذلك للحد من نفوذهم<sup>1</sup>.

وتُظهر الكتابات التاريخية مواجهة أخرى تؤكد الصراع بين سلطتين مختلفتين داخل وهران، وإن كانت تبدو للوهلة الأولى شكلية وعفوية، وحدث عادي وقع بين عاملين وهرانيين معروفين هما محمد الهواري الممثل لسلطة التصوف وابن مقلّاش<sup>2</sup> ممثلا لسلطة الفقيه.

ولكن انعكاسات هذه الحادثة على الواقع في تلك الفترة، والسياق الذي رُويت به في الكتابات التي تحسب على أتباع التصوف، تدل على التصادم والخلاف بين تيارين مختلفين، تيار يمثل الفقهاء الذين يمثلون السلطة الرسمية في المدينة، وتيار معارض يمثل المتصوفة وسلطتهم المعنوية التي تنامت في أوساط المجتمع الحضري بشكل كبير بفضل الدعاية الصوفية القوية التي مورست ووردت في الخطاب الديني والأدبي بنوعيه الشعري والنثري، ودورها في الترويج لأهمية الولي في حياة المجتمعات على حد تعبير أحد الباحثين<sup>3</sup>.

والحادثة تعود إلى اعتراض الهواري على إصلاحات ابن مقلّاش لكتابه "التنبيه والسهو"، حيث أصلح فيه أشياء وزنا وإعرابا، وأتى به إلى الشيخ فقال "يا سيدي أصلحت سهوك"<sup>4</sup>، وهذا ما أثار

<sup>1</sup> ومن التأليف التي سلطت الضوء على العلاقات بين الملوك الزيانيين والمتصوفة في المغرب الأوسط يمكن الرجوع لمخطوط، أحمد بن يوسف الراشدي، بستان الأزهار في مناقب الأخيار ومعدن الأنوار، المكتبة الوطنية الجزائرية (مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة). رقم 1707. عدد الأوراق 114.

<sup>2</sup> ابن مقلّاش، المقلّش، هي ألقاب وردت لعالم وهران وفقهها، وذكر أنه مفتيها وخطيبها وأحد من انتهت إليهم رئاسة العلم بالمغرب الأوسط عرف بثقافته العالية في علوم كثيرة منها علم الأدب والبيان، عمل مدرسا في كل من وهران وغرناطة وتلمسان. سعيد بن الأحرش "جهود محمد المنوني في التعريف ببردة البوصيري وشروحها في العدوتين الإفريقية والأندلسية، العدد 370. مجلة دعوة الحق المغربية. ص

<sup>3</sup> فيلاي (عبد العزيز)، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر. ص 144.

<sup>4</sup> التنبكي؛ المصدر السابق، ج02. ص، ص 151، 152.

الشيخ الهواري فرد: "ما أصلحته كتاب مقالاش، وأما كتاب الفقراء فيبقى على لحنه"<sup>1</sup>، فإنما "ينظر فيه إلى المعنى، ومن أين لمحمد الهواري بالعربية والوزن"<sup>2</sup>.

وتضيفي الكتابات التاريخية على شخصية الهواري قوة التأثير اللامحدود لمن يعارضه، فتنسب له التسبب في مرض ابن مقالاش "بالرّعشة"<sup>3</sup> نتيجة لاعتراضه على كلام الشيخ، ويتضح أن سلطة الشيخ أصبحت قاهرة ومؤثرة في ذهنية المجتمع الوهراني، الذي أصبح ينظر إليها كشخصية محورية في حياة المدينة وخارجها.

ويبدو أن التنامي المتزايد لسلطة التصوف أفلقت السلطة السياسية في وهران التي حاولت الحد من هذا التأثير المقلق لها، وربما هذا ما يفسر إقدامها على حدث كان له تأثير عميق على الهواري، حيث مست حياة ابنه "أحمد الهايج" الذي قتل على يد أعوان الأمير الزياني في وهران، وليس على يد سكان وهران على حد قول أبي راس الناصري<sup>4</sup>، لأن علاقة أهل وهران بالهواري كانت حسنة وقوية، بينما علاقة الهواري بالسلطة السياسية في وهران فقد عرفت توترا وتصادما واضحين، مما جعلها المسؤولة المباشرة عن مقتل ولده أحمد الهايج.

وقد كان لمقتل ابن الهواري صدى لدى الكتابات التاريخية الحديثة، والتي اعتمدت على الرواية الشعبية الشائعة التي ربطت الحدث المأساوي بدعاء الهواري على وهران وأهلها بالغزو الإسباني، ومما جاء في ذلك: "روحي يا وهران الفاسقة، يا كثيرة الجور والبغي والطارقة، يا ذات الأهل الباغية السارقة إني بعتك بالبيعة الموافقة، لنصارى مالقة والجالقة، إلى يوم البعث والتالقة، مهما ترجعي فأنت الطالقة"<sup>5</sup>.

وإن كان هذا الدعاء يبدو من صنيع المتخيل الشعبي المقدس لكرامات الشيخ، والمعد لتقبل التصوف وسلطته المطلقة على ساكنة المدينة وعلى مصيرها. حتى أن الهواري يوصف في الكتابات التاريخية بأنه "سلمها للنصارى لأنه سلطان مصرها ومتولي أمرها وكان من الذين لو أقسموا على

<sup>1</sup> التنبكتي؛ المصدر نفسه، ص، ص 151، 152. وكذلك أبو راس، فتح الإله، ص 23.

<sup>2</sup> ابن عودة المزاري؛ المرجع السابق، ص 96.

<sup>3</sup> ابن مريم التلمساني؛ المصدر السابق، ص 229.

<sup>4</sup> أبو راس الناصري؛ عجائب الأسفار، المرجع السابق، ص 38.

<sup>5</sup> ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ص 73.



الله لبر الله قسمهم<sup>1</sup> فانتشر أكثر حسب أحد الباحثين في الفترة العثمانية، والتي شاع فيها الإعتقاد بكرامات الأولياء وتقديسهم<sup>2</sup> من جهة، ومن جهة ثانية التستر وراء هذا الادعاء لإبداء رفض السلطة الظالمة وغير القادرة على حل مشاكلهم، لأنه حسب بعض الكتابات التاريخية أن هذا الدعاء على وهران بالغزو الإسباني ليس الوحيد الذي لحق بها وبالسلطة الزيانية، فقد لحقها دعاء آخر عليها لعالم متصوف آخر زار وهران قبل إحتلالها من طرف الإسبان، هو أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي حيث زار وهران فعظمه أهلها فكتب قائدها للأمير الزياني يحذره منه ومن تأثيره على الناس، فأصبح الشيخ المذكور مهتدا ومتابعا من أمير هوار، مما جعله يرتحل من بلاده رأس الماء، فكان ذلك سبب دعائه على وهران فقال: "شوشونا شوشهم الله من البحر والبر"، فأخذ النصاري وهران من البحر وأخذ الأتراك تلمسان من البر<sup>3</sup>.

وبالرجوع للأحداث التي عرفت وهران بعد وفاة عالمها الهواري فإنها شهدت استقرارا نسبيا وازدهارا ونموا في عهد متصوف آخر هو الشيخ التازي (ت 866هـ/1461م تلميذ الهواري، والذي لبس ثوب التمدن شكلا وفعلا من خلال هندامه وأعماله الحضرية والخيرية التي أعادت لوهران ملامح التحضر والهدوء مع السلطة الزيانية.

كما قام التازي بتحسين العلاقات مع السلطة المحلية في مدينة وهران ومع سلطانها "أبي يحيى" الذي قدم له مع حاجبه، وقدم هدية على سبيل النفقة للزاوية، وهي عبارة عن "قرطاس من الذهب"، وقد قبلها التازي وقدمها لأحد المريدين للزاوية<sup>4</sup>.

وقد استقبلت وهران في هذه الفترة عددا وافرا من المسافرين التجار والعلماء، ففي سنة 847هـ/1444م وفد عليها القلصادي الذي أشاد بكثرة علمائها ومكائنتهم العلمية التي تتجاوز

<sup>1</sup> الشقراني الراشدي، أحمد بن عبد الرحمان ؛ القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط تح، ناصر الدين سعيدوني، ط02. البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 2013م. ص 58

<sup>2</sup> ومن التأليف التي ذكرت هذا الدعاء الرحلة القمرية لابن زرفة وطلوع سعد السعود للمازري والثغر الجماني لابن سحنون الراشدي ودليل الحيران لمحمد بن يوسف الزياني، الرجوع لهلايلي (حنيفي)، شخصية سيدي محمد الهواري في الكتابات الاستشراقية الفرنسية خلال الفترة الاستعمارية، رصد جيولوجرافي، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 15-16. مارس 2017ص./ ص 394/295.

<sup>3</sup> ابن عودة المزاري ؛ المرجع السابق، ص 74.

ابن سعد التلمساني ؛ روضة النسرين، تح يحي بوعزيز، ص168<sup>4</sup>.

شهرتها مدينة وهران، ومن ذكرهم القلصادي على سبيل المثال - لا الحصر - إمام الجامع الأعظم "أبو عثمان الشلوني"، ووصف بأصوله الأندلسية وبأنه شيخ متبرك به<sup>1</sup>. وقد استمر أبو يحيى على ما يبدو في امتلاك وهران إلى سنة 852هـ/1448م، حيث اقتحم عمال أخيه المدينة ليتم استرجاعها منه، وفر هو ومن معه عبر البحر متوجها إلى المشرق<sup>2</sup> قاصدا بجاية. بينما يرى يحيى بوعزيز أن أحمد العاقل استعاد مدينة وهران سنة 851هـ/1447م من أبي يحيى الذي توفي بتونس<sup>3</sup>.

### 4/3. عودة وهران لسلطة تلمسان:

ليأتي تغيير آخر على مقاليد الحكم بقدم "محمد بن أبي ثابت"<sup>4</sup> لتلمسان بعد تغلبه على عم أبيه "أحمد بن أبي حمو سنة 865هـ/1460م أوسنة 866هـ/1461م، والذي صرف إلى الأندلس<sup>5</sup>، وبعد وصول محمد بن أبي ثابت إلى الحكم يورد الرحالة عبد الباسط بعض الوقائع التي هدت ملكه وكادت أن تطيح بحكمه.

وقد وضحت الأحداث المسردة من جهة أخرى العلاقة بين تلمسان ووهران، ومما جاء في حيثيات هذه الوقائع ذكر مشرف وهران السابق "محمد الزكاجي"، والذي زج به في سجن القصر بتلمسان مع حاشية ورجال "أحمد بن أبي حمو"، وذلك بعد عزله من منصبه وانتزاع داره التي عدت دار ضيافة، ولكن بعد تبرئته من المشاركة في محاولة التمرد على الملك الزياني أعيد إلى وهران وأرجعت له داره<sup>6</sup>.

والملاحظ أن السلطة الزيانية عادت بقوة إلى وهران، بعد فرض سيطرتها من جديد ومعاقبة المتمردين من جهة، ومن خلال سعيها إلى إقامة وكسب توافق ودعم ثمين من السلطة المعنوية

<sup>1</sup> القلصادي؛ المصدر السابق، ص

<sup>2</sup> التنسي؛ المصدر السابق، ص 249.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 37.

<sup>4</sup> هو أبو عبد الله بن أبي زيان، (يكنى محمد المتوكل على الله) يمكن الرجوع ل: برنشفيك، المرجع السابق، ج 01، ص 290.

وكذلك عبد الباسط، رحلته، المصدر السابق، ص 65. وكذلك التنسي، المصدر السابق، ص 254.

<sup>5</sup> يكنى أبو العباس، توفي بمنزله من باب الطبول من ظاهر تلمسان، وهو محاصر لها محاولا إعادة ملكه لكنه توفي وهو محاصر لها سنة 867هـ/1462م. ابن القاضي، المصدر السابق، ج 01، ص 87.

<sup>6</sup> عبد الباسط؛ رحلته، المصدر السابق، ص، ص 59، 60.

للمتصوفة داخل المدينة من جهة ثانية، فقد أورد ابن سعد التلمساني إشارة مهمة عن إشادة ابراهيم التازي بالسلطان الزياني "المتوكل" واعتباره من أهل البيت (من الشرفاء الحسينيين)<sup>1</sup>، وهذا يعتبر خروجاً صريحاً عن مسار النهج الهواري في علاقته مع السلطة السياسية القائمة.

#### 4/ 4. الوظائف الحضرية في وهران:

#### 4/ 4.1. المشرف:

وهو الثقة الذي يجعل مع العامل، يسمى كذلك ضيزنا، وعند أهل العراق يسمى بندارا، أما عند أهل المغرب فيسمى مشرفاً لاطلاعه وإشرافه على جميع أعمال العامل<sup>2</sup>. وعن مهامه فقد تعلقت بواجبات متصلة بالمكوس أو الرسوم المفروضة على البضائع الموردة إلى المدن<sup>3</sup>.

وقد برزت وظيفة "المشرف" في وهران في القرن 9هـ/15م، حيث وصفها الرحالة عبد الباسط الذي زار المدينة سنة 870هـ/1465م. وجاء في ذلك: ". كان المشرف على وهران إذ ذاك إنسان من أهلها يقال له "محمد الزكاجي"، كان هو المدبر لوهران ويده جميع تعلقاتها ليس لأحد معه كلمة. . وكان من رؤساء وهران وأكبرها في دولة أحمد بن حمو. ."<sup>4</sup>.

ونستشف من الوصف أهمية من يتولى هذه الوظيفة في مدينة وهران ومكانته لدى الحكام الزيانيين، لذلك فإن اختيار المشرف كان يخضع لشروط محددة منها:

- أن يكون من أهل وهران، ويتلقى قبولا من أهلها.
- أن يتوفر على قدر مهم من العلم والنزاهة. ونستشف ذلك من وصف عبد الباسط لمشرف وهران بأنه "من أهل العقل والرأي والتدبير"<sup>5</sup>.
- أن يتمتع بسمعة حسنة لدى الحكام الزيانيين وأن لا يجيد عن الولاء للسلطان الزياني وفي حالة تولي

<sup>1</sup> ابن سعد التلمساني؛ روضة النسرين، ص 157.

<sup>2</sup> ابن سعود الخزاعي، علي بن محمد؛ كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية، تح إحسان عباس، ط 01. دار الغرب الإسلامي (بيروت)، السنة 1405هـ/1985م. ص 575.

<sup>3</sup> هوبكنز؛ النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر، أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1980.

ص، ص 107، 108

<sup>4</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 65

<sup>5</sup> عبد الباسط؛ المصدر نفسه، ص 62.

سلطان جديد على تلمسان معارض لسابقه، فإن المشرف يصبح محل متابعة واتهام للسلطة الجديدة وأحياناً يتم عزله من منصبه ومصادرة أملاكه ومنها بيته ويتعرض للسجن مع وجوه السلطة السابقة كما حدث لمحمد الزكاجي مشرف وهران في دولة محمد بن أبي ثابت<sup>1</sup>.

وعن مهام المشرف في الجهاز الإداري الزياني، فتتضح من رواية لكرامة الشيخ "أبي عمران" من أهل هوارة، فقد كان حفيده السيد عبد الرحمان بن علي "مشرفاً" لأمير تلمسان وذكر أنه مسؤولاً عن رفع ذهب الجباية المخزنية إلى السلطان<sup>2</sup>. وهذه المهام تتماشى مع الوظائف الجبائية لموظفي الدولة في المناطق والمدن التابعة لها.

وقد خضعت المداخل المالية التي يجلبها المشرف إلى التدقيق في معدنها من قبل الأمير الزياني الذي يرزُّ الذهب المزيف إلى صاحبه في حالة زيفه كما حدث لحفيد الشيخ أبي عمران ويطالبه بالذهب الخالص<sup>3</sup>. ويتضح من ذلك حرص السلطة في تلمسان على تحصيل مداخلها المالية من الذهب الخالص وتحمل المشرف كامل المسؤولية في حالة عثُ الذهب لأن ذلك يندرج من مهامه وهو التحقق من نقاوة الذهب عند تحصيل جبايات المدن، باستثناء مداخل العشور التي تحصل من مراكب الأوربيين من طرف مبعوث صاحب الأشغال، الذي يتولى نقلها إلى تلمسان<sup>4</sup>.

#### 2/4/4 المشارف:

وأمره جار على أمر الناظر فيما خرج، وكل من الناظر والمشارف إنما هو لضبطه والشد منه، ويلزمه تحقيق الباقي إذا انصرف عن الخدمة<sup>5</sup>.

وهذه الوظيفة، وإن لم يتضح وجودها في وهران في العهد الزياني حسب المصادر التي اطلعنا عليها إلا أنها ذكرت بعد الاحتلال الإسباني لوههران، فقد اعتمد الإسبان عليها لجباية الضرائب من المناطق

<sup>1</sup> يمكن الرجوع لتفاصيل عزل مشرف وهران محمد الزكاجي في دولة بن أبي ثابت، لعبد الباسط، المصدر نفسه، ص، ص 61، 62.

<sup>2</sup> دحماني، سهام؛ النظام الضريبي للدولة الزيانية ( 1236/633 – 1554/962 ) أطروحة دكتوراه علوم، جامعة قسنطينة 02. عبد الحميد مهري، السنة الجامعية 2017/2018. ص 334.

<sup>3</sup> دحماني؛ المرجع نفسه، ص 334.

<sup>4</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، 59.

<sup>5</sup> ابن مماتي، أسعد؛ كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، ط01. طبع على نفقة الجمعية الزراعية الملكية بغشارة صاحب السمو الأمير عمر طوسون، الناشر مكتبة مدبولي ( القاهرة)، السنة 1405هـ/1985م. ص، ص 302 303

القريبة من وهران بموجب الاتفاق الحاصل بين ملك تلمسان والإسبان سنة 1511/916 وكان المشارف يجمع الأموال من أهل مزغران ومستغانم ويتم دفعها لحاكم وهران الإسباني بدل الملك الزياني<sup>1</sup>. مما يعني دخول كل من مزغران ومستغانم ضمن مجال السيطرة الإسبانية، التي على ما يبدو حافظت على وظيفة المشارف وخصصتها لتحصيل جبايات المناطق الخاضعة لها. لتظهر المشارف من جديد في الكتابات التاريخية، ففي سنة 949/940، عقد السلطان الزياني محمد والكونت ألكوديت حاكم وهران معاهدة تتضمن تعيين سلطان تلمسان مشارف almoxarifs أي les receveurs يقبضون أرباح للسلطان الزياني من باب تلمسان بوهران بالمقابل يحصل ملك إسبانيا من باب وهران بتلمسان على أموال معتبرة<sup>2</sup>. وتبرز الوظيفة الجبائية للمشارف هنا على أحد أبواب المدينة وهو باب تلمسان.

#### 4/3/4. خطيب الجامع:

ومن الوظائف المهمة في المدينة، والتي تعتبر حضرية منصب خطابة "جامع البيطار"، هذا الجامع يبدو أنه المسجد الجامع الرئيسي في وهران، إلى جانب المسجد الجامع الثاني الذي لم تذكر المصادر اسمه. وقد خضع جامع البيطار إلى مراقبة من السلطة المركزية الزيانية لحساسية مهامه في توجيه الرأي الداخلي لسكان وهران، فقد عزل إمامه "أبي عبد الله محمد القصار" في عهد عبد الباسط في وهران، وذلك بسبب ما بلغ السلطان عنه فيما يخص "أمر بمعروف ونهي عن المنكر"، وإن لم يوضح عبد الباسط تفاصيل عن سبب العزل، فإن الواضح من الحادثة أن الزيانيين كانوا يراقبون موظفيهم في مدينة وهران بعناية وحزم، حتى لا تخرج الأمور من أيديهم، فبعد عزل محمد القصار عين لمنصب خطابة الجامع رجل آخر من أهل وهران<sup>3</sup> لم يذكر اسمه. ونستشف من هذه الحادثة كذلك أن تعيين خطيب المسجد الجامع بوهران كان من مهام السلطان الزياني، وهذا يعبر عن حساسية المنصب وأهميته<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> دحماني؛ المرجع نفسه، ص 438.

<sup>2</sup> دحماني؛ المرجع السابق، ص 198.

<sup>3</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 65.

<sup>4</sup> وفي هذا الشأن يورد عبد الرحمان بن خلدون أن المساجد العظيمة أمرها راجع إلى الخليفة أو إلى من يفرض إليه من سلطان أو وزير أو قاض فينصب لها الإمام في الصلوات الخمس والجمعة والعبيدين والخسوفين والاستسقاء.. "المصدر السابق، مج 01. ص 371، 372.

وهذه ليست المرة الأولى التي يظهر فيها خطيب الجامع بوهران، فقد تدخل خطيب جامع وهران في أحداث سابقة، وهو "ابن جذورة" لتخليص السلطان أبي حمو الثاني من الجماعة التي تريد قتله سنة 788هـ/1386م<sup>1</sup>. ولذلك يمكن اعتبار أن هذا المنصب لم يكن في مسار توافقي مع السلطة المركزية بتلمسان في كل الأوقات، فأحيانا يعبر عن موقفه المناقض للسلطة، ويتضح كذلك من الوقائع خضوع هذا المنصب لسلطة تلمسان وليس لسلطة المشرف في وهران، ربما يرجع ذلك لحساسية دوره في توجيه الساكنة اتجاه مختلف القضايا المطروحة. ويمكن الإشارة هنا أن خطيب الجامع كان يقيم في بيت محاذي للمسجد الجامع عرف في المدينة باسم "دار الفقيه"<sup>2</sup>.

#### **4/4/4. العدول:**

**العدالة:** ومعناها التبريز للشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم، وكتاب الشهادة في السجلات، وهي خطة شرعية موجودة في الأمصار، وهم العدول الذين يمضي القاضي الأحكام بين الناس في البلد بشهادتهم<sup>3</sup>، وهي من الوظائف الحضرية التي عرفتها مدينة وهران<sup>4</sup>.

ومما سبق يتضح قوة الحضور للوظائف الجبائية في وهران الزيانية إضافة إلى الوظائف الحضرية المعروفة في المدن الإسلامية، ولكن السؤال الذي يطرح هنا "ما طبيعة الحكم المحلي في وهران؟ وما علاقته بالسلطة الزيانية بتلمسان؟".

#### **4/4/5 إشكالية ممثل السلطة الزيانية في وهران:**

يورد حسن الوزان في ق 10هـ/16م وصفا لطبيعة ممثل الحكم المحلي في وهران، فيذكر أن الوهرانيين: ". كانوا ينتخبون رئيس مجلس ينظر في القضايا المدنية والجنائية"<sup>5</sup>.

والوصف يبين نوع من الاستقلال الجزئي لوهران عن السلطة المركزية بتلمسان في تعيين عاملها أو رئيس مجلس المدينة، الذي يتولى الاهتمام بمختلف القضايا المتعلقة بالجوانب الحضرية داخل المدينة مما

<sup>1</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 07. ص، ص 192، 193.

<sup>2</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02. ص 330.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، مج 04. ص 273.

<sup>4</sup> ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 165.

<sup>5</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 30.

يوشي أن ممثل السلطة السياسية في وهران عامل برتبة قاضي حضري متمكن من عمله<sup>1</sup>. أما عن صلاحيات عامل وهران، فكانت تخص المجال الحضري للمدينة فقط ولا تتعدى مهامه للمجال الريفي، حيث لم نلمح أي تدخل له خارج الأسوار، فوظيفته تمدنية بامتياز، ويبدو أنها استمرت من ق 9هـ/15م حتى سقوط المدينة في يد الإسبان سنة 915هـ/1509م. وقد أورد كاربخال أن هذه الوظيفة يتولاها أحد أعيان المدينة، ويتم انتخابه كل عام من طرف السكان. ولم يوضح كاربخال ما المقصود بذلك، فهل يقصد بذلك التداول على الوظيفة بين أعيان وهران كل سنة؟ أو تجديد المدة لصاحبها كل سنة من ساكنة وهران؟ ويظهر أن الإحتمال الثاني أقرب للواقع، لأن هذه الوظيفة تحتاج إلى استمرارية الفقيه في أداء مهامه مادام على حسن سيرة وتمكنا في مجاله. كما أن صلاحياته بعيدة عن المنبر ومداخل المدينة مما يجعل وظيفته غير حساسة بالنسبة للدولة.

ونستشف من المعطيات المصدرية أن السلطة المحلية في وهران خضعت للتغيرات وللتحولات التي شهدتها وهران، حيث خضعت هذه الأخيرة لمحاولة إخضاعها بطريقة غير مباشرة لسلطة تلمسان في القرن 10هـ/16م، فحسب حسن الوزان فإن "الوهرانيين بقوا أعداء لملك تلمسان على الدوام وأنهم لم يقبلوا قط أي وال من ولايته، ماعدا أميناً للمال وقابضاً يستلم مداخل الميناء"<sup>2</sup>. ويتضح من المعلومات التي أوردها الوزان، أن الزيانيين فصلوا المصالح المالية والتجارية في مدينة وهران عن سلطتها المحلية وأدرجوا جباية الضرائب الجمركية لقائمين يحصلون الرسوم<sup>3</sup>، كما سبق ذكره. وعن طبيعة العلاقة بين وهران وملوك تلمسان، فقد حاول الحكام الزيانيين تأمين مدينة وهران وتوفير الاستقرار الداخلي بها، عن طريق إيجاد توازنات تضمن مصالح مشتركة بينها وبين ساكنة وهران، فالزيانيون يريدون من جهة ضمان مصالحهم التجارية والمالية في وهران، وفي المقابل يحاولون إرضاء الساكنة عن طريق السماح لهم بإقامة حكم محلي شبه مستقل، حيث ضبقت السلطة الزيانية حدوده ومجاله.

<sup>1</sup> فالقاضي يتولى: "الفصل بين الخصوم واستيقاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور وفي وصايا المسلمين.. والنظر في مصالح الطرقات والأبنية، وغيرها هي من تعلقات وظيفة القاض"، يرجع لعبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مح 01. ص 373

<sup>2</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 30.

<sup>3</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02، ص 328.

ولتحقيق هذه التوازنات عمد الزيانيون كذلك على تأمين الطريق الرابط بين وهران والعاصمة تلمسان، عن طريق الاهتمام ومحاولة التحكم بالمجال البشري القبلي المتموضع في المنطقة الممتدة بين المدينتين، لتفادي الإرباك الذي يحدثه قطاع الطرق، فكانت الجهودات للمحافظة على علاقات المصلحة المتبادلة بينهم وبين الأعراب من بني عامر المتموضعين في هذا الفضاء الحيوي، وذلك بكل السبل الممكنة لضمان التوازن الأمني ومن ثمة ضمان استمرارية التجارة المحلية بين المدن والأرياف لتحقيق التموين الغذائي للمدن من جهة كما أن هذه الطرق تشكل محاور مهمة لاستمرارية وتموين التجارة الخارجية لتلمسان، وذلك لتصدير الفائض من المنتوجات الفلاحية، كما أن وهران هي منفذ لتجار أوروبا والمناطق الساحلية للولوج إلى تلمسان.

ومما يلاحظه الباحث في هذه الفترة من القرن 9هـ/15م بروز تهديدات خارجية جديدة أدت إلى عدم استقرار الدولة الزيانية، والتي عانت من تعدد الأخطار التي تحدى بها، وتواترها المستمر مع عدم قدرة الدولة الزيانية على مجابقتها وصدّها، وخاصة استمرار الحفصيين في إبقاء تلمسان ضمن مجالهم السياسي، ورفض أي محاولة استقلالية للزيانيين. ويظهر ذلك في محاولة الأمير الزياني "أبو عبد الله محمد بن أبي ثابت" رفضه للتبعية للحفصيين، ومحاولة انفصاله عن سلطتهم، وهذا ما أدى بالسلطان الحفصي عثمان (وهو حفيد أبي فارس) إلى تجديد حركته من إفريقية مع حلفائه العرب قاصدا تلمسان لإخضاعها لسلطته وكبح المحاولة في مهدها، وبعد دخول زناتة في طاعة السلطان الحفصي فضل أبو عبد الله أن يدخل في طاعته لعدم قدرته على مجابته وحده من جهة، وللإبقاء على مركزه ودولته الزيانية من جهة ثانية. فأرسل له العلماء لإقناعه بالرجوع إلى حضرته وإلتزامه بمبايعته، واستطاع بذلك تجنبه وحماية مملكته إلى حين، حيث عاد السلطان الحفصي أدراجه إلى تونس.

ولكن أبو عبد الله أعاد إظهار استقلالته عن الحفصيين مرة أخرى، مما جعل السلطان الحفصي عثمان يوجه حملة ثانية لإخضاع تلمسان وسلطانها، ليستسلم له من جديد أبي عبد الله سنة 871هـ/1466م ويزوج ابنته بالأمير زكريا حفيد السلطان الحفصي<sup>1</sup>.

وإن كانت هذه الأحداث في المغرب الأوسط أدت إلى استقرار هش للأوضاع، وبدأت السلطة المركزية تسيطر على مدنها شكليا، فإن الخطر الداهم من البحر أصبح يقترب تدريجيا من حدود السواحل الزيانية، فظهرت إرهاباته مبكرا عن طريق تغيير لموازن القوى وتنام للخطر المسيحي على

<sup>1</sup> برنشفيك، المرجع السابق، ج01. ص 291.



## الفصل الأول:.....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

الأراضي والمياه الأندلسية، التي بدأت تنقل وتتناكل بطريقة سريعة ودرامية لحدودها البرية والبحرية الإسلامية، بسبب سلسلة الحملات العسكرية النصرانية لاسترداد شبه الجزيرة الإيبيرية، حتى لم يبق للمسلمين في العدو الأندلسية إلا غرناطة، والتي بدت كجزيرة منعزلة ومتاكلة أصبحت تستقطب شتات الأندلس من آلاف النازحين والفارين إليها بعد تهاوي المدن والحصون الغربية والشرقية<sup>1</sup>.

وبتوسع الهيمنة المسيحية انتشر في البحر المتوسط وعلى ضفافه وخاصة الغربية خطر القرصنة، والتي ترجمت الصراع وحالة التنافس في البحر بين مراكز القوى الناشئة والمضمحلة، ونلمح تهديد القرصنة بالقرب من وهران في تنامي ظاهرة الأسر من وإلى وهران.

والملاحظ أن خطر القرصنة على السواحل المغاربية أصبح يشكل هاجسا وحالة هستيرية لدى الساكنة سواء في المدن أو الأرياف، فطفى على يوميات ساكنة وهران كثرة الأراجيف حول مهاجمة المراكب المسيحية لنواحي وهران بهدف النهب والأسر<sup>2</sup>. وما يثيره ذلك في كل مرة من هلع وإرباك للسكان، ولكن سرعان ما يتبين زيف الخبر وكذبه.

وفي سنة 895هـ / 1489م تستقبل وهران الأمير الأندلسي محمد بن سعد المعروف بالزغل مع مجموعة من أنصاره، والذين اضطرتهم الظروف القاهرة بسبب الزحف القشتالي على مجالهم وعداوتهم مع الأمير محمد بن علي صاحب غرناطة للجواز إلى وهران<sup>3</sup> ثم إلى تلمسان<sup>4</sup>. ونلمح من هذا الحدث أن شتات الأندلسيين بدأ يتوجه عبر مسارات أخرى غير غرناطة التي لم تعد في منأى عن الخطر الذي أصبح يقترب منها بسرعة بسبب تهاوي حصونها وتقلص مجالها وظهيرها، حتى أصبح الخطر على أبوابها.

كما أن غرناطة عانت من تشتت قواها للخلافات الحادة بين أفراد الأسرة الحاكمة، وقد ساهم ذلك في توجُّه عدد منهم إلى العدو كخيار حتمي.

<sup>1</sup> احتل المسيحيون مدينة الحمة سنة 887هـ / 1482م وعلى حصن قرطبة سنة 890هـ / 1485م ثم مدينة رندة، فمدينة لوشة سنة 891هـ / 1486م، فحصن إلبيرة وغيرها. وفي كل مرة تسقط مدينة أو حصن يفر الأندلسيين إلى غرناطة معقلهم الجديد. الرجوع لمؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة، ونزوح الأندلسيين إلى المغرب)، ضبطه وعلق عليه، الفريد البسائي ط01. الناشر الثقافة الدينية، مكتبة لسان العرب، سنة 1423هـ / 2002م. ص / 06 / 37.

<sup>2</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 60.

<sup>3</sup> ويعتبر صاحب النبذة الأمير محمد بن سعد وأتباعه من المرتدين لتعاونهم مع الملك القشتالي وإعانتهم في الإستيلاء على الأراضي الأندلسية لقطع علائق غرناطة، حتى يتأتى له القضاء على خصمه الأمير محمد بن علي. الرجوع للمصدر السابق، ص 34، 35.

<sup>4</sup> ويشير المقرئ أن الزغل استقر مع نسله في تلمسان، وعرفوا ببني سلطان الأندلس. يمكن الرجوع للمصدر السابق، ص 04.

المبحث الخامس:

5 / . وهران في القرن 10 هـ / 16 م:

5 / 1. موقف وهران من محنة الأندلس:

تأثرت وهران كثيرا من سقوط المدن الأندلسية تباعا الواحدة تلو الأخرى في يد النصارى، وخاصة المدن المقابلة لها من أرض العدو لتبقى مملكة غرناطة، والتي تم حصارها من طرف فرناندو وإيزابيلا بقوات ضخمة، انتهت بعقد استسلام بين أبي عبد الله مع ملكي قشتالة وليون في 21 محرم / نوفمبر سنة 897 هـ / 1491 م، وكان دخولهما لغرناطة يوم 2 ربيع الأول 897 هـ / 2 يناير 1492 م<sup>1</sup>.

5 / 1/1. القرصنة والجهاد البحري:

تظهر التآليف التاريخية الوسيطية على إختلاف أصنافها ومؤلفيها مفاهيم ومصطلحات تاريخية مختلفة لتوصيف ظاهرة انتشرت في هذا العصر لدى الكثير من الشعوب البحرية فنجد مصطلحي القرصنة والجهاد البحري من أكثر المصطلحات تداولاً على نطاق واسع في الحقل التاريخي، وهنا يبرز إشكال حول ماهية المصطلحين وكيف تم توظيفهما في السرد التاريخي؟

5 / 1/1/1. القرصنة مفهومها وبداياتها في وهران:

ووردت القرصنة في الكتابات الأوروبية حسب دراسة لأحد الباحثين بلفظتين Corsaire و Piraterie، والكلمتان لهما نفس المعنى العام، ولكن يختلفان في مشروعية العمل الذي يقوم به البحارة حسب الجهة التي خولت لهم بممارسة هذا العمل. فإن كانت لهم رخصة لذلك أو إذن من قِبَل دولهم فهي ضمن مفهوم Course، وتعبّر بذلك عن شكل من أشكال الحروب البحرية المشروعة موجهة ضد أعداء البحر، وإن افتقد البحارة لترخيص فإن أعمالهم البحرية ضمن مفهوم Piraterie، ويكون هدفها عرقلة العمليات التجارية وحركة المواصلات في البحر المتوسط وما يتبعها من نهب المراكب وأسر للمسافرين<sup>2</sup>، ويرى باحث آخر أن لصووية البحر هي ترجمة

<sup>1</sup> مؤنس (حسين)؛ معالم تاريخ المغرب والأندلس، الناشر دار الرشاد، القاهرة. ص 454.

<sup>2</sup> وكلمة Piraterie مشتقة من اللفظ اللاتيني Pyra التي تفيد الغش والخداع، واصطلاحا تدل على البحارة المغامرين الذين يركبون البحر أيام السلم وأيام النهب واللصوصية أما كلمة Corsaro فمنهم من يرجح بأنها تطلق على الشعوب المستقرة بكورسيكا ويرى آخرون أنها مشتقة من الأصل اللاتيني Carsaro، والتي تدل على السفن التي يرخص لها من طرف دولها بأن

للكلمة الفرنسية *Piraterie* أما القرصنة *Course* فهي نوع من أنواع الحروب البحرية التي تقع بين الدول المتعادية، والهدف منها هو ضرب اقتصاد العدو<sup>1</sup>. والملاحظ من الطرحين السابقين محاولة الباحثين شرعنة القرصنة في مفهومها الدلالي وربطها بالتطورات التي عرفها البحر المتوسط، وخاصة فيما يتعلق بتراجع التجارة المتوسطية ومن ثم تقلص فوائدها وأرباحها المعتادة<sup>2</sup>، مما أوجب تعويض الخسائر من منفذ آخر.

ويعتبر بروديل أن القرصنة هي شكل من أشكال الحرب التي استهدفت المدن وكذلك القرى، وهدفها اقتناص الأسرى وقطعان الماشية والثروات، وارتبطت بعمل جماعات واسعة وشبكات تشترك المدن والدول في تنظيمها، لذلك فقد انتشرت في جميع أنحاء المتوسط<sup>3</sup>، وأصبحت سمة مميزة للتغيرات التي عرفتها المنطقة ككل.

ومن المعلوم أن القرصنة شهدت نمواً واتساعاً ونشاطاً، خاصة في المسافات البحرية القصيرة بين الأراضي الإسلامية والمسيحية، فقد ذكرنا سابقاً حادثة أسر القاضي ابن الحاج النميري من طرف جفن قرب جزائر حبيبية من أحواز وهران في ق8/هـ14م، ويبدو أن هذه الجزائر شكلت نقطة انطلاق مهمة لسفن القراصنة القشتاليين في بداية القرن 9هـ/15م حيث ذكر أحد قراصنة قشتالة "بيرو نينيو"، وكانت عملياته بأمر من الملك "هنري الثالث" (1390 - 1406)، حيث تولى هذا القرصان تجهيز عمليات القرصنة على كامل ساحل المغرب، منها عمليات قصدت جزر حبيبية كان هدفها الإغارة على السفن المارة بهذا الطريق البحري، كما أن هذه الجزر عرفت بوجود العديد من الطيور التي تعشش في أرضها، مثل الحمام والغريان والصقور والحجل وغيرها، مما يجعلها تتوفر على العديد من البيض الذي يشكل الغذاء المتاح للقراصنة عند نفاذ المؤونة رغم أنها تفتقد للمياه<sup>4</sup>.

ترد هجومات الأعداء. للاطلاع أكثر يرجع للمقال لطاهر قدوري، مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في المغرب الإسلامي (دراسة مقارنة)، مجلة عصور الجديدة، مح10. العدد 02. السنة 1441هـ/2020. ص 135.

<sup>1</sup> المدني ( أحمد توفيق ) ؛ حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ( 1792/1492 )، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر مطابع دار البعث، قسنطينة، ص 72.

<sup>2</sup> بجاية، ج02. ص 860.

<sup>3</sup> بروديل ؛ المتوسط، ص 152.

<sup>4</sup> حسن (محمد) ؛ المرسى الكبير بوهران ودوره في الملاحة المتوسطية من النشأة إلى الإحتلال الإسباني، ضمن أعمال الملتقى الدولي الموسوم "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحرما، المنعقد يومي 7-8 ديسمبر 2009. منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر. ص 617.

وحسب الباحث محمد حسن فإن نفس القرصان القشتالي ورفقائه، شنوا غارة أخرى قرب أرزاو واختبؤوا للقطع على السفن المارة من هناك، ولما لم ينالوا مرادهم عدلوا خطتهم ونزلوا إلى البر ليتوجهوا إلى الإغارة على دوار يسكنه 300 ساكن بعيد عن البحر بميلين (حوالي 3.5 كلم) لكنهم لم يهتدوا إليه، ولكن تمكنوا من القبض على رجل أرشدهم إلى معسكر ابن آجي حيث نهبوا وسرقوا الأطعمة وبعض الأغراض الأخرى بعد انسحاب من به من النساء والأطفال ليتم حرق وإتلاف المعسكر والمغادرة إلى البحر<sup>1</sup>.

### 2/1/1/5. الجهاد البحري بين المقاربة الدلالية والواقع:

اعتبرت الأندلس أرض جهاد، وتوالت الدعوات من العلماء المسلمين للترغيب في تعبئة المسلمين للمشاركة في الحروب التي تقام في أرض الأندلس، على اعتبار أنها حرباً مقدسة لارتباطها في المخيال الإسلامي بكونها أرضاً للرباط والجهاد والاستشهاد، كما جاء عند ابن خلدون في تصنيفه لضروب الحروب<sup>2</sup>. وقد أوضح ابن رشد أن الجهاد أفضل من فريضة الحج لأهل الأندلس لأولويته، في حين يمكن تأجيل الحج خاصة إن كانت السبل مقطوعة بسبب مختلف الأخطار والخوف من الطريق<sup>3</sup>. ولذلك شكلت الأندلس الأرض التي جمعت السلم والحرب جنباً إلى جنب، لكثرة الأخطار المسيحية التي هددتها عبر تاريخها الوسيط، خاصة الحقبة المتأخرة منه. وربما هذا ما ينطبق على مقولة متداولة في الكتب المصدرية عن ساكن الأندلس ومفادها "ساكنها سعيد والميت فيها شهيد"<sup>4</sup>.

ولإنقراض الأراضي الإسلامية من الغزو المسيحي المتصاعد، كان من الضروري مواجهة الإعتداءات المتكررة للمسيحيين، فكانت الإستجابة والرد من المدن الساحلية الإسلامية القريبة من العدو حسب إمكانياتها المادية والبشرية المتاحة، في ظل عدم قدرة الدول الإسلامية المغاربية على نجدة الأندلسيين بسبب ضعفها وعدم امتلاكها لأساطيل قوية وقادرة على مجابهة الأساطيل المسيحية، والملاحظ أن البحرية الإسلامية تراجعت بشكل ملفت، وانعكس ذلك في انقطاع العون والنجدة بين

<sup>1</sup> حسن ؛ المرجع نفسه، ص 617.

<sup>2</sup> Javier Albarran ; *Departnento De Historia Antigua , Medieval y Paleografia y Diplomática , Journal of Medieval Worlds Univesidad Avténoma De Madrid (2019) 1(1), p p 71 72*

<sup>3</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج01. ص 432.

<sup>4</sup> ابن الصباح ؛ المصدر السابق، ص 69.

العدوتين، فدعوات الاستنجد من الأندلسيين لأهل المغرب لم تجد من يلبي نداءها<sup>1</sup> ما عدا بعض المحاولات الشجاعة لبعض السفن المتفرقة والمجهزة لنجدة الموريسكيين، والذين حاولوا تقديم يد المساعدة لإخوانهم في الدين على اعتبار أن عملهم يندرج ضمن واجبات المسلم حيال أخيه المسلم في محنته. لذلك نتساءل هنا عن النظرة الدينية لمسألة الجهاد في الأندلس، والحلول المقدمة من طرف العلماء لممارسته بشكل مقنن تماشياً مع الظروف المستجدة للعدوتين.

وللإجابة عن الإشكالية نستعرض الخطوط العريضة للفكر الديني والسياق التاريخي لمسألة الجهاد في الأندلس للفترة المدروسة، وخاصة المتعلقة بأواخر العصر الوسيط وعلاقتها بالقرصنة في المنطقة.

وانطلاقاً من الظروف القاهرة للأندلسيين، حاولت الفتاوى الشرعية إيجاد حلول عاجلة للقضايا الخطيرة التي مست منطقة الغرب الإسلامي، بزوال وبتجزئة جزء مهم منه من خريطة دار الإسلام. فالمدن الأندلسية سقطت الواحدة تلو الأخرى تباعاً إلى الوصول لخسارة آخر معقل للمسلمين، وهو مملكة غرناطة<sup>2</sup> سنة 897هـ / 1492م، وما ترتب عنه من انعكاسات سلبية وخطيرة على منطقة الغرب الإسلامي ككل، خاصة أن الحرب بين دار الإسلام ودار الكفر انتقلت إلى البحر المتوسط، فكل طرف كان متواجداً حسب قوته على المياه المحيطة به.

كانت مقاصد الفتاوى الفقهية في هذه الفترة تهدف أساساً إلى الدفاع عن دار الإسلام المهددة بالغزو البحري لسواحلها من جهة، ووجوب افتكاك الأسرى المسلمين المتزايد عنهم في دار الكفر، ونجدة المسلمين الموريسكيين المتبقين بأرض الكفر، والذين تقطعت بهم السبل للهجرة إلى دار الإسلام من جهة ثانية. فقد حثت الفتاوى على وجوب الجهاد البحري وتعظيمه، ونستشف ذلك من مختلف الإشارات والدعوات له، ومما جاء في ذلك عند ابن الأزرق: "الجهاد البحري جهاد عظيم، وعن الحنابلة (أفضل من جهاد البر)، لتردده بين خطر الجهاد وخطر البحر، مع عدم تمكنه من الفرار إلا مع أصحابه"<sup>3</sup>.

ويوضح ابن الأزرق أنه في حالة عدم القدرة على مجابهة العدو عموماً، فأفضل وسيلة لمجابهته هي بعث طائفة من المسلمين بالتناوب، وبعث السرايا وقت الغرة والفرصة، ومما جاء في ذلك: "فلا

<sup>1</sup> نبذة العصر، المصدر السابق، ص 40.

<sup>2</sup> مملكة غرناطة كانت تضم أقاليم مالقة (Malaga) والمرية (Almeria) و غرناطة (Granada)، وقد خضعت لحكم بني نصر في أواخر تاريخها الإسلامي. أرينال، المرجع السابق، ص 103.

<sup>3</sup> ابن الأزرق؛ المصدر السابق، ج 02. ص 522.

يحتاج في الجهاد إلى استئذان السلطان إلا في خروج جيش أو جمع وافر، وقد سهل مالك لمن قرب من العدو، وبعد عن الإمام أن يغتتموا ما يجدون من فرصة فيه. <sup>1</sup> .

ومن الأسباب التي وضعها العلماء والتي وجب فيها الجهاد، هو افتكاك الأسرى المسلمين من يد العدو، ومما جاء في ذلك قول ابن العربي في تفسير قوله تعالى: "وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال"<sup>2</sup>. فلاية الكريمة تحث على القتال لاستنقاذ الأسرى من يد العدو، وإن كانت الأفضلية في ذلك هي الفداء بالمال أولاً حفاظاً على النفس من التهلكة، وإن استوجب الأمر بجميع أموال الناس على حد قول مالك رضي الله عنه <sup>3</sup>.

والملاحظ كذلك أن المدن الثغور، ولقربها من العدو، فأهلها يفضل حثهم على الجهاد لتعويدهم وتجميعهم للإستعداد لمواجهته، فإن انقطع عنهم الجهاد تفرقوا وخلت الثغور للعدو <sup>4</sup>. مما يسهل غزوها واحتلالها.

ومن المعلوم أن وهران كانت من مدن الثغور المتقدمة، فهي قريبة من شبه الجزيرة الإيبيرية، كما أنها عرفت تزايداً لعدد كبير من الموريسكيين، وخاصة من الثغريين الأندلسيين الذين كانت لهم معرفة بالملاحة وفنونها<sup>5</sup>. كل ذلك ساهم في تكوين وحدات بحرية مسلحة جاهزة للإقلاع للسواحل المقابلة وإحداث إرباك للمدن الإسبانية المقابلة.

وقد وصف قراصنة وهران في الكتابات المسيحية بأنهم كانوا أكثر جرأة على الإغارة على السواحل القشتالية<sup>6</sup>، ورغبتهم في تخليص إخوانهم ممن بقي في شبه الجزيرة الإيبيرية. حيث قام الوهرانيون بتجهيز غزوات بحرية استهدفت السواحل النصرانية<sup>7</sup> القريبة من وهران، فهاجمت سواحل ألسى وأليكانتي، وقد بلغ عدد السفن المعدة لذلك في وهران في أوائل ق10/هـ16م اثنتي عشرة (12) سفينة من نوع بركنتي (Briganantins)، ومن هذه السفن ستة (6) سارت إلى مرسى مدينة مالقة الإسبانية

<sup>1</sup> ابن الأزرق؛ المصدر نفسه، ج02. ص، ص 520، 521.

<sup>2</sup> الآية 75 من سورة النساء.

<sup>3</sup> وفي ذلك جاء قال مالك: "على الناس أن يقدوا الأسارى بجميع أموالهم" ابن الأزرق، المصدر السابق، ج02. ص 395.

<sup>4</sup> ابن الأزرق، المصدر السابق، ج02. ص 526.

<sup>5</sup> المدني؛ المرجع السابق، ص 74.

07 Didier: Op. Cit. p.

<sup>7</sup> كرينخال؛ المصدر السابق، ص 330.

وأحرقت كل السفن المعادية التي كانت بها<sup>1</sup>.

ويرى المؤرخ عبد الله عنان أن نجاح الأندلسيين المجاهدين في توجيه حملات بحرية للسواحل الإسبانية راجع لعدة أسباب يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- أن الكثير منهم وهب حياته للجهاد في سبيل الله انتقاماً من الذين قضوا على وطنهم.
- القواعد الساحلية التي استقروا بها مثل وهران والجزائر وبجاية تميزت بطبيعة وعرة، ومراسيها وخلجانها الكثيرة تحميها وتحجبها، والصخور العالية تساعد البحارة المجاهدين على تكوين وحدات من السفن البحرية النشطة التي تأوي إليها.
- إعتقاد المغيرين على عنصر المفاجأة مما أربك العدو<sup>2</sup>.

كما يمكن إضافة عامل مهم، وهو التحول الوظيفي للمراسي المهمة والقريبة من الخطر الإسباني، والتي أصبحت رباطاً للجهاد، وقاعدة هجوم على السفن المسيحية والشواطئ الأوروبية مثلما حدث للمرسى الكبير وبجاية<sup>3</sup>

وهذا لا يعني أن الوهرانيين قاموا بتخليص الموريسكيين وجلبهم إلى المدن الإسلامية فقط، ففي حالات يتم الإغارة على الأراضي الإسبانية ليتم جلب العديد من الأسرى المسيحيين<sup>4</sup>، حتى أصبحت مدينة وهران تزخر بهم<sup>5</sup>. ففي مطلع القرن 16 أصبح الجهاد البحري هو النشاط الرئيسي للمرسى الكبير، إذ استطاع أسر أكثر من ستين فرداً بالقرب من قرطاجنة سنة 1500م<sup>6</sup>، وليست وهران لوحدها من كان لها نصيب من الأسرى، فالمدن الزيانية على غرار هنين كان لها نصيب من الأسرى المسيحيين،

وعن علاقة الجهاد البحري بالقرصنة، فقد استُعمِلَ المصطلحين كمرادف دلالي واحد من طرف عدة باحثين مثل برونو وبرنشفيك للتعبير عن الإغارة على السفن المعادية أما المؤرخ عبد الله العروي فيعتبر أن الجهاد البحري يقابل عملية القرصنة عند الأوربيين<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المدني، المرجع السابق. ص 74.

<sup>2</sup> عنان؛ المرجع السابق دولة الاسلام، ص 384.

<sup>3</sup> سعيدوني؛ المرجع السابق، ص 145.

*08<sup>e</sup> Didier: Op. Cit. p.*

<sup>5</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 30.

<sup>6</sup> سعيدوني؛ المرجع السابق، ص 145.

<sup>7</sup> قدوري ( الطاهر)؛ المرجع السابق، ص 133.

وإن كانت الأهداف المباشرة والحينية لهذه الحملات هي الحصول على مكاسب واستنقاذ الموريسكيين، إلا أن أبعادها غير المباشرة عبرت عن دلالات التحول في علاقات هذه المدن مع البحر وأسياده الجدد، فالقرصنة عبرت عن إحدى الوسائل الدفاعية المهمة للمدن التي تفتقر إلى أسطول نظامي حسب إحدى الدراسات<sup>1</sup>. وشكلت قلقا مستمرا للسفن المسيحية والمدن المقابلة لها من شبه الجزيرة الإيبيرية.

ومن الإشارات الأخرى التي تظهر التحول الإقتصادي في غرب المتوسط وخاصة حالة المدن الساحلية، هو تراجع التجارة أو بالأحرى تراجع التجار المسلمين عن المنافسة، وتهديد مصالحهم التجارية من جراء أعمال القرصنة التي هيمنت على المشهد بشكل أقلق طبقة التجار، الذين أرادوا ممارسة نفس الأسلوب في الإغارة للحصول على مكاسب تعويضية لتجارهم، ويذكر الوزان ما نصه: "كان التجار (وهران) فيما مضى يجهزون على الدوام سفنا شراعية، وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة، ويجتاحون سواحل قطلونية وجزر يابسة ومنورقة وميورقة"<sup>2</sup>.

#### **5/1/2. فتاوى التقية والدور البارز لمفتي وهران:**

وقد رسمت الفتاوى الشرعية المغربية مسارات وخيارات المرجعية الموريسكية في الأراضي المسيحية، سواء في البقاء ومقاومة التنصير أو في الهجرة إلى بلاد العدو الإسلامية وترك دار الكفر. من فقهاء المغرب المعاصرين للمحنة الأندلسية مع الموريسكيين من تعرض للطرده والمعاملة السيئة من الإسبان، وقد تفاقمت مشاكلهم بعد فقدان أراضيهم ومدنهم الواحدة تلو الأخرى، ولذلك حاول فقهاء المغرب إيجاد حلول شرعية تتماشى مع واقعهم وتراعي ظروفهم، فجاءت الفتاوى من الونشريسي والمغراوي الوهراني وابن مقلاش والزرقاوي للنظر في الهجرة الموريسكية المتزايدة على الأراضي المغربية.

ومن الخيارات المرجعية الفقهية للموريسكيين، نجد فتاوى أعطت حولا مرنة لبقاء الموريسكيين في أرضهم كخيار اضطراري، ومن أشهر الفقهاء الذين أخذوا هذا المنحى في الفتوى هما عالمان من وهران لقيت فتاويهم رواجا من الأندلسيين.

والملاحظ على الفتاوى أنها اختلفت اختلافا جوهريا في مشروعية الهجرة إلى أرض العدو، أو

<sup>1</sup> أرينال؛ المرجع السابق، ص 153

<sup>2</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 30



## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللاوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

البقاء في موطنهم والتخفي باتخاذ مبدأ التقية<sup>1</sup> للحفاظ على دينهم وأراضيهم، والملاحظ ظهور موقفين متضادين في ذلك.

يذكر الباحث مختار حساني أن هناك فتوى مهمة تتعلق بإمكانية بقاء الأندلسيين في أراضيهم واجتناب الاضطهاد المسيحي عن طريق اتباع التقية. وهذه الفتوى تعود للقرن 8هـ/14م للعالم الوهراي ابن مقلّاش، وتوجد ضمن مخطوطات الفقه في مكتبة مدريد<sup>2</sup>، وحسب نفس الباحث فهي جاءت بعد اتصال مسلمي الثغور بآبن مقلّاش في وهران، لإصدار فتوى تتعلق بعلاقتهم بالمسيحيين وكيفية المحافظة على معتقداتهم الدينية في ظل الاضطهاد المسلط عليهم من طرف المسيحيين<sup>3</sup>.

والعالم الوهراي الثاني الذي سار على نهج ابن مقلّاش في الفتوى الخاصة بالأندلسيين، نجده مفتي وهران "أحمد بن أبي جمعة المغراوي" سنة 910هـ/1504م<sup>4</sup>، والذي تعاطف مع الظروف القاسية التي عاشها الموريسكيون أو بالأحرى المدجنين<sup>5</sup> الذين عانوا كثيرا في ظل المأساة المسلطة عليهم بسبب محاكم التفتيش.

وقد عرفت فتاويه انتشارا واسعا وتفاعل معها الموريسكيون، فهذه الفتاوى التي أصدرها مفتي وهران تعتبر مخرجا شرعيا لبقاء المدجنين في أرضهم واتباع أسلوب التخفي والتستر أو "التقية" في ممارسة عباداتهم وعاداتهم الإسلامية، ولذلك فقد عرفت هذه الفتاوى رواجاً وقبولاً واسعاً لدى الموريسكيين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> التقية لغة مأخوذة من اسم مصدر من الإتياء، بمعنى استقبال الشيء وتوقاه. أما اصطلاحاً فهي كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا، وتعد التقية واحدة من العقائد المختلف عليها في المذاهب الإسلامية. الرجوع ل: الدراجي (عدنان خلف سرهيد)، دراسات أندلسية موريسكية إسبانية، الناشر بيت الحكمة، العراق، سنة 2020/1440. ص 125.

<sup>2</sup> حساني ؛ المرجع السابق، ص 257.

<sup>3</sup> حساني ؛ المرجع السابق، ص 257.

<sup>4</sup> خليف (عبد القادر) ؛ حسن بولجال مفتي وهران، مجلة إنسانيات، ص 21.

<sup>5</sup> يذكر صاحب كتاب نبذة العصر أن ما بقي في غرناطة في السنوات الثلاث الأولى بعد سقوطها على يد الإسبان سنة 897هـ/1492م عزم على الدجن. (المصدر السابق، ص 44) أي دخل ضمن مفهوم المدجنين الراغبين في البقاء.

<sup>6</sup> عبد الجليل التميمي ؛ تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها، سلسلة رقم 04 من تاريخ الموريسكيين الأندلسيين رقم 29. منشورات مركز الدراسات والترجمة الموريسكية ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات. فيفري 2011. ص 78.

كما أن المعاملة السيئة التي تلقوها في أرض العدو إضافة إلى الظروف القاهرة من انتشار المجاعات وتردي الأوضاع المعيشية جعلت بعضهم يرفض الجواز، ومنهم من عاد أدراجه من بلاد العدو إلى إسبانيا. لذلك جاءت فتاوى أبي جمعة لحماية المسلمين من التنصر بالمظاهرة مع الإبقاء على العقيدة السليمة حلا واقفيا يتماشى مع الظروف، فتعامل مفتي وهران مع مسألة الشعائر الدينية الإسلامية للموريسكيين داخل الأراضي المسيحية بنوع من المرونة والتحايل على النصارى لضمان التعايش الصعب في وطن أصبح لغيرهم

ومن المهم أن نشير إلى أن الفتاوى جاءت كمخرج ومتنفس لفك الخناق على المدن المغربية كذلك، والتي تزايد الضغط عليها بسبب موجات الهجرة الطاغية عليها وعلى قدرة استيعابها<sup>1</sup>، سواء الإستيعاب من حيث توفير الإسكان وفرص العمل للعدد المتراكم من السكان أو الإستيعاب الديني.

### **5/1/3 وهران والأطماع البرتغالية:**

ظهرت الحملات العسكرية البرتغالية على سواحل العدو المغربية مبكرا، فقد تعرضت وهران سنة 804هـ/1401م لحملة انتهت بالفشل، ولم تؤثر كثيرا في المدينة، وبعد مرور خمس سنوات أعيد توجيه حملة بقيادة ديقواد كوردوا إلى المرسى الكبير وتملك بها<sup>2</sup>. وإن كانت هذه الرواية مشكوك في حدوثها، إلا أن الواضح أن المرسى الكبير ووهران تعرضا لعدة حملات برتغالية، خاصة أنهم تمكنوا من الاستيلاء على مدينة سبتة 818هـ/1415م<sup>3</sup>. لذلك يرى أحد الباحثين أن الفترة الممتدة من سنة 1415 إلى 841هـ/1437م عرفت سيطرة برتغالية على المرسى الكبير، ولكنهم أبعدها عنه فيما بعد لتعاد المحاولة مرة أخرى سنة 876هـ/1471م إلى سنة 882هـ/1477م<sup>4</sup>. ورغم بقائهم ست سنوات بوههران إلا أنهم أُجبروا على المغادرة بسبب عزلتهم وتقطع السبل بهم<sup>5</sup>. وتشير دراسة أخرى

<sup>1</sup> أرينال ( مرثيديس غارثيا ) ؛ شتات أهل الأندلس ( المهاجرون الأندلسيون )، ترجمة محمد فكري عبد السميع، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمان، العدد 1085، ط01. سنة 2006. ص 253.

<sup>2</sup> كرتالي (أمين) ؛ "مخطوط نبذة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران". مؤلف مجهول، دراسة وتحقيق الجزء الثاني، . مجلة عبور الجديدة العدد03. المجلد 09. السنة 1441هـ/2019م. ص 227.

<sup>3</sup> برنشفيك ؛ المصدر السابق، ج01. ص 256.

<sup>4</sup> المدني ؛ المرجع السابق، ص 102.

<sup>5</sup> *Oran et L'Algérie en 1887 , Notices historiques Scientifique et économiques , Tome II ,Association Française pour L'Avancement des Sciences Congres D'Oran1888,P 25*

## الفصل الأول:.....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

إلى أن البرتغاليين وجهوا هجوماتهم على مدينة وهران سنة 1471 إلى سنة 1477م<sup>1</sup> ثم أعادوا الكرة سنة 876هـ/1471م إلى سنة 882هـ/1477م<sup>2</sup>.

ويتضح من الروايتين التوافق في ذكر الهجوم البرتغالي على سواحل وهران في هذه الفترة، إلا أن خضوعهما للسيطرة يبدو غير واقعي، لأن المعلومات المصدرية لا تذكر ذلك رغم إشاراتها إلى الأخطار التي هددت الساحل الوهراني من النصارى في هذه الفترة مثلما أشار إليه الرحالة عبد الباسط.

ويبدو أن الحملات البرتغالية تدخل ضمن محاولات التوسع على السواحل لشمال إفريقيا في المرحلة الأولى من سنة (1415 إلى 1486). والتي نتج عنها احتلال عدة مدن مهمة مثل أصيلا وطنجة سنة 1471، ثم مدينة العرائش سنة 1473. ولكن البرتغاليين توجهوا إلى المرحلة الثانية والتوسع على السواحل الأطلسية منذ أواخر القرن 15 إلى منتصف القرن 16م، وذلك بعد إكتشاف الطريق البحري إلى الهند عن طريق المحيط الأطلسي سنة 1497. فتم بسط الحماية البرتغالية على المناطق الأطلسية من ماسة في نفس السنة، ثم على آسفي وأزمور<sup>3</sup> سنة 1486<sup>4</sup>.

ويذكر كاربخال أن المرسى الكبير حظي بأهمية لدى ملك البرتغال مانويل، والذي طلب من قائد أسطوله المبعوث لحساب البنادقة أن يعرج على مدينة المرسى الكبير لاحتلالها وإقامة حامية فيها، ولما وصل الأسطول إلى المدينة عاكسته الرياح ومرت عليه ثلاثة أيام وسفنه تدور حول نفسها. وفي هذه الفترة تمكن السكان من استقدام النجدة من وهران ممثلة في ثلاثمائة فارس وعددا من المشاة والذين تمكنوا من الدفاع عن المدينة وإبعاد الجنود البرتغاليين عنها وإلحاق الهزيمة بهم، وكان ذلك سنة 1501م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> حساني ( مختار ) ؛ موسوعة تاريخ المدن الجزائرية، (مدن الغرب ). الناشر، دار الحكمة، ج04. السنة 2007م. ص 243.

<sup>2</sup> حساني ؛ المرجع السابق، ص 243.

<sup>3</sup> أزمور: مدينة على ميلين من البحر، وأكثر سكانها صنهاجة، وهي قاعدة لولاتها. صاحب حماة ؛ المصدر السابق، ص 125. ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، حققه اسماعيل العربي، ط01. منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، سنة 1970. ص 137.

<sup>4</sup> السعود (عبد العزيز) ؛ التسابق البرتغالي الإسباني، مجلة البحث العلمي، المجلد /العدد ع 42. الناشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، السنة 1995.

<sup>5</sup> كاربخال ؛ المصدر السابق، ج02. ص، ص 327، 328.

2/ 5. الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير ووهران:

1/2/ 5. أسباب احتلال وهران والمرسى الكبير:

ساهمت عدة أسباب تاريخية في توجيه الغزو الإسباني إلى المرسى الكبير ثم إلى وهران، وقد أورد المؤرخون عدة أسباب ملحة كان لها الدور في الاحتلال، ومن الدراسات التي استفادت في تحليل دوافع الاحتلال وحيثياته وتسليط الضوء على الفاعلين والمؤثرين في تجسيده وتحقيق المشروع الإسباني الاستعماري على الأراضي المغربية، نجد كتابات ديدي الذي اعتمد على كتابات إسبانية وفرنسية سابقة لتوضيح تفاصيل كثيرة عن الجو السياسي السائد في إسبانيا، والدور الذي لعبه خمينيس في إقناع السلطة الإسبانية لاحتلال المرسى الكبير ووهران. وإلى جانب ديدي نجد كتابات توفيق المدني وحسن الوزان وليو في وغيرهم.

1/1/2/ 5. الأسباب الدينية:

يعتبر المؤرخون المسلمون أن الأسباب الدينية هي الأسباب الرئيسية للاحتلال، عكس المؤرخين الغربيين الذين يعتبرون الأسباب الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية في المقدمة<sup>1</sup>. ويوضح ديدي أن خمينيس قد وظف الخطاب الديني المتعصب للكاثوليكية لإقناع السلطة في إسبانيا لشن الغزو على وهران من أجل تحرير المسيحيين ككل من قبضة المسلمين. ومما جاء في ذلك أن وهران تحوي سجناء مسيحيين داخل سجونها المرعبة نتيجة لعمليات القرصنة، وان شكاي هؤلاء التعساء وصلت إلى آذان كل من عبر المدينة، ويضيف خمينيس "أليس من العار أن نرى أعداء إيماننا الكاثوليك يسيطرون على المدينة. . . ؟"

وظل خمينيس يحفز الإسبان لتنظيم حملة لاحتلال وهران وأراد هو قيادتها<sup>3</sup>، والواضح أن خمينيس لم يكن الوحيد الذي أبدى رغبته في نشر المسيحية إلى شمال إفريقيا، فقد كتبت الملكة الإسبانية إزابيلا والتي يبدو أنها كانت متعصبة للكاثوليكية في وصيتها لزوجها وابنتها الأميرة بأن يكون، " . . أكبر اهتمام لهما هو الأمور التي تخص الله والإيمان المقدس، وأن يهتموا دون هواده بغزو إفريقيا

<sup>1</sup> Arezki Chouitem ; L' Occupation d'Oran par les Espagnols en 1509 , Revue d'histoire méditerranéenne , Numéro 02, Juin 2020 p 36  
092 Didier: Op. Cit. p

. <sup>3</sup> Oran et L'Algérie en 1887 Op. Cit. p 26

ويقاتلوا الكفار من أجل الدين. "1.

والجدير بالملاحظة أن الدعوة للحرب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس وبلاد شمال إفريقيا كانت تلهبها دعوات البابا في روما، والذي حمل البلاد المسيحية قاطبة على وضع كل إمكاناتها البشرية والمالية تحت تصرف ملوك إسبانيا من أجل إبعاد المسلمين عن بلاد الأندلس ثم إخضاع بلاد شمال إفريقيا للحكم المسيحي وللدين المسيحي، وقد دعم البابا هذا التوجه العدائي ضد المسلمين في إصدار أمره لكل المسيحيين في دفع الضريبة الصليبية CRUSADA من أجل دعم ملوك إسبانيا لحرب شمال إفريقيا، وقد جمعت أموال طائلة لهذا المعنى، حتى أن ذخائر الكنائس وكنوزها الثمينة سخرت لتمويل الجيوش الصليبية<sup>2</sup>. ويبدو أن إضفاء الطابع الديني لتوجيه العداء للعالم الإسلامي ساهم في تعبئة المسيحيين من كل العالم المسيحي للمشاركة في هذه الحروب المقدسة، التي تحاول تتبع الآثار المسيحية الرومانية في شمال إفريقيا لإعادة إحياء الديانة المسيحية وكبح الوجود الإسلامي في غرب البحر المتوسط.

وقد دعم ملوك إسبانيا مشروعهم في غزو مناطق من شمال إفريقيا بموالاته البابا إسكندر الرابع، والذي أصدر سنة 1494م عهدا يبارك به الصليبية الإسبانية بإفريقيا، ونشر قرارا يعطي به الولاية لملكي إسبانيا على كامل الأرض التي يفتحها ببلاد المغرب<sup>3</sup>.

### 5/ 2/1/2. الأسباب الاستراتيجية والأمنية:

يشكل أمن الساحل الإسباني أهمية للسفن الموجهة للكشوفات الجغرافية التي بدأت تهددها القرصنة المتزايدة للوهرانيين، الذين جهزوا غزوات بحرية ضد السواحل الإسبانية وألحقوا أضرارا بها، فقد ورد حسب الكتابات التاريخية قيام مجموعة قرصنة من وهران تضم حوالي اثني عشر شخصا وفرقاطة يقودها موريسكيون بالتوجه ليلا إلى ضواحي إيتشي وألكنتي (Elche et Alicante) وجلب العديد من الأسرى في طريق عودتهم<sup>4</sup>.

كما توجهت ست سفن (06 سفن) من وهران إلى ميناء مالقة وأضرمت النار في السفن

. 3 Didier: Op. Cit. p 0

<sup>2</sup> المدني ؛ المرجع السابق، ص 80.

<sup>3</sup> المدني ؛ المرجع نفسه، ص 81.

. 07 Didier: Op. Cit. p

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

الموجودة، وكانت السفن من عدة مناطق، إسبانية وفلمنكية وإنجليزية وألمانية<sup>1</sup>، وهذا ما جعل الإسبان يفكرون بجديّة في احتلال المرسى الكبير ووهران<sup>2</sup>، لإيقاف الخطر عن السواحل ومياه المضيق، كما أن التقدم البرتغالي على ساحل العدو بدأ يقلق الإسبان<sup>3</sup> وينمي المنافسة بينهما من أجل مد النفوذ إلى عوالم جديدة، لينتهي هذا النزاع بعد إبرام معاهدة تروديسيلهاس سنة 1494م، والتي تضمنت وضع خط وهمي يفصل بين الممتلكات البرتغالية والممتلكات الإسبانية، يمتد هذا الخط على بعد 370 فرسخاً من جزر رأس فردى<sup>4</sup>. وهذا ما فتح طموح الإسبان في تكوين إمبراطورية إسبانية تكون شرق ملوية، وتمتد من تونس إلى رأس فالكون بوهران لتصبح تلك المياه بحيرة إسبانية ولا يتأتى لها ذلك إلا بتدمير جميع مراكز القراصنة المتواجدة على طول الساحل المذكور<sup>5</sup>.

يبدو أن خمينيس بذل مجهوداً لإقناع الملك فرديناند بأن وهران ومرساها تشكلان منطقة استراتيجية لانطلاق الحملة الإسبانية على شمال إفريقيا، حيث اعتبر أن المعلومات التي قدمها فيانيللي عنهما وبأدق التفاصيل هي فرصة لا تعوز لتسهيل الولوج إلى المغرب الأوسط، ولكن الملك أراد اختبار مواقع أخرى، لذلك وجه رحلة استكشافية لمارتن روبليس Martin Robles متنكراً كتاجر لشراء الخيول البربرية، وهدفه الوقوف على حقيقة التفاصيل الخاصة بالدولة والمنطقة، واتضح فيما بعد دقة وأهمية ما قدمه فيانيللي من التقارير، وخبرته في تحديد المواقع الاستراتيجية للمنطقة<sup>6</sup>.

### 3/1/2/ 5. الأسباب الاقتصادية:

من الأسباب الاقتصادية للغزو الإسباني لساحل المغرب الأوسط، هو الاستحواذ على الثروة من خلال الاستيلاء على الطرق التجارية الساحلية من وهران إلى بونة (عنابة)، ومن ثم السيطرة على هذه المناطق الغنية بالمنتجات الزراعية والثروة الحيوانية.

كما أن فرض الغزو على الساحل سيمنح الإسبان فرصة ثمينة للوصول إلى الهيمنة على تجارة

<sup>1</sup> Didier: Ibid.. p 08.

<sup>2</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج01. ص 330.

<sup>3</sup> Didier: Op. Cit. p 08

<sup>4</sup> الأسطل (رياض محمود)؛ الصراع الإسلامي وأثره في حركة التجارة الدولية (906 - 1143 هـ / 1500 - 1730م). رسالة

دكتوراه، جامعة السند، باكستان، سنة 1412 هـ / 1991م. ص 122.

/ 06. 4 Didier: Op. Cit. p/p 0

<sup>6</sup> Las. Inscripciones de Oràn y Mazalquivir ; Noticias Historicas sobre ambas plazas. desde la conquista basta su abandono en 1702 par el general C. Ximenez de Sadoval. p08.

الصحراء وخاصة ذهب السودان<sup>1</sup>، وإسبانيا في حاجة ماسة إلى ذلك بسبب تراجع وخراب الزراعة والصناعة بسبب طرد الموريسكيين وما ترتب عنه من خسائر للإقتصاد الإسباني<sup>2</sup>. وحسب ديدي فإن خمينيس أراد احتلال شمال إفريقيا لزيادة قوة وثروة الكاثوليكين وإسبانيا<sup>3</sup> هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الاحتلال سيوفر أمنا لمضيق جبل طارق؛ وبالتالي حماية ما تجنيه إسبانيا من إيرادات بسبب امتداد لإمبراطوريتها الجديدة، وتقطع الطريق أمام جنوة والبندقية الطامحة للإستحواذ على كامل تجارة شمال إفريقيا<sup>4</sup>.

## 5/2/2. إحتلال المرسى الكبير:

كان احتلال المرسى الكبير يندرج ضمن الاستراتيجية العسكرية الإسبانية، والتي تهدف إلى إخضاع المنطقة لتنفيذ الإسباني<sup>5</sup>.

وبالرجوع إلى ما أورده ديدي يتضح الدور الكبير للكردينال خمينيس في تذليل صعوبات الغزو للملك الإسباني حيث نصحه باستغلال خدمات التاجر البندقي فيانيلي الذي قدم خدمات لا تقدر بثمن حول وهران، وقدم الكثير من المعلومات وخريطة تضاريسية تفصيلية لوهران، واعتبر المرسى الكبير مفتاحها ومنفذها للاحتلال، كما قدم خمينيس اقتراح قرض مالي لتمويل بدايات الحملة لمدة شهرين، وقدر المبلغ المقدم بأحد عشر مليون مرافديس <sup>6</sup>maravédis (11 مليون)<sup>7</sup>.

وحسب التقرير الإسباني الذي نقله إلى الفرنسية المؤرخ بيليسي، فإن الأسطول الإسباني انطلق من مدينة مالقة بتاريخ 29 أوت 1505 بقيادة دون رايغوند دي قرطبة<sup>8</sup>، وقُدِّر قوام جيشه بخمسة آلاف رجل، ووصل الأسطول إلى المرسى الكبير في 11 سبتمبر بعد تعطله في البحر بسبب رياح عكسية، ويبدو أن هذا التأخر كان لصالح الإسبان، وذلك أن المسلمين الذين قدموا إلى المرسى

<sup>1</sup> Arezki Chouitem ; Op. Cit. p 38

<sup>2</sup> Didier: Op. Cit. p 08

<sup>3</sup> Didier: Ibid. p 03

<sup>4</sup> Chouitem Op. Cit. p 38

<sup>5</sup> حساني ؛ المرجع السابق، ص 244.

<sup>6</sup> عملة قشتالية.

<sup>7</sup> Didier: Op. Cit. p 08

<sup>8</sup> ذكر ريموند *Don Diego De Fernandez De Cordoba* أنه أدميرال، وكان أحد مهندسي استعادة غرناطة عام

1492م، وعين مسؤولا عن الإشراف على العمليات الخاصة بالجيش الإسباني الموجه للمرسى الكبير. الرجوع إلى *Arezki Chouitem ; Op. Cit. p 40*

الكبير لنجدته، عند بلوغهم إقلاع الأسطول الإسباني ملوا من الانتظار، ولقلة المؤونة رجع الكثير منهم إلى مواطنهم وتركوا البعض من أجل المراقبة والاستطلاع، ومن جهة أخرى كانت حامية المرسى الكبير لا تتجاوز الخمسمائة (500) فقط<sup>1</sup>.

وبوصول الأسطول الإسباني ونزول الجند إلى البر اصطدمت بالحامية، ودامت معركتها ثلاثة أيام متواصلة أدت في الأخير إلى احتلال الإسبان للقلعة وتحصنهم بها. وحسب أحد الباحثين فقد تم إختيار جنود المشاة المشاركين في الحملة على المرسى الكبير من المنتصرين في حرب غرناطة، والذين هم متعودون على محاربة الموريسكيين<sup>2</sup>، وبسبب تحصنهم بالقلعة لم يجد أهل المرسى الكبير إلا الاستسلام وعقد إتفاقية مع الإسبان تضمن لهم وقف إراقة الدماء والانسحاب من المدينة، حيث تم تقدير خسائر القوات في المرسى الكبير إلى مائة قتيل<sup>3</sup>، فأمهلم القائد الإسباني ثلاث ساعات لإخلاء المدينة، وأن لا يأخذوا معهم أي شيء من الزاد والمؤن ولا من حيوانات الجر ولا من الأسلحة. وقد حاول المسلمون من خارج المدينة المشاركة في معركة الدفاع عنها ولكنهم وجدوا أن الأمر قد حسم لصالح الإسبان<sup>4</sup>.

وقد أخليت المدينة أول الأمر من النساء، ثم من الرجال، فكانت أولويات الإسبان عند دخولهم للمدينة بعد رفع الراية الإسبانية يوم 23 أكتوبر سنة 1505، هي تحويل مسجد المدينة الأعظم إلى كنيسة، وأطلق عليها اسم "كنيسة القديس ميكائيل". وأقام الإسبان بعد توطنهم في المرسى الكبير سوقا تجارية إلى جانب المدينة لتموينهم من مختلف المواد الغذائية<sup>5</sup> اللازمة، وبالتالي ضمان الاستقرار والبقاء الآمن في المدينة.

والخريطة التاريخية التي تعود لسنة 1505م توضح أهمية المرسى الكبير لوهران<sup>6</sup>:

<sup>1</sup> المدني؛ المرجع السابق، ص، ص 96، 97.

<sup>2</sup> Didier: Op. Cit, p 08

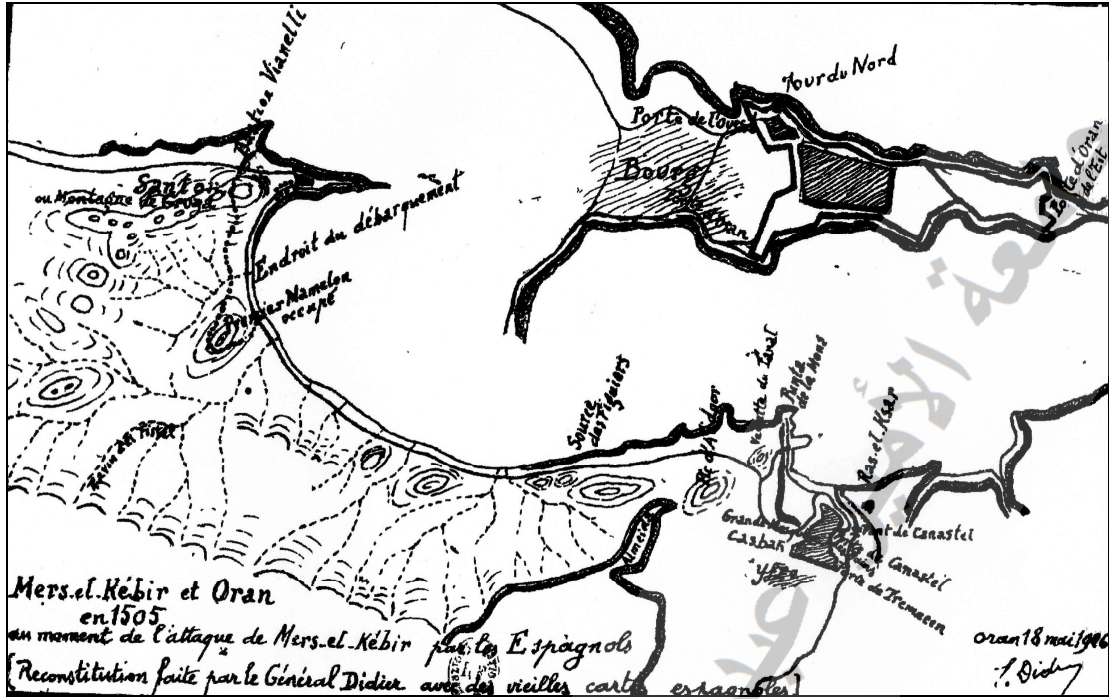
<sup>3</sup> Arezki Chouitem ; Op. Cit. p 40

<sup>4</sup> ويذكر التقرير الإسباني حسب المؤرخ توفيق المدني أن جند ملك تلمسان كان عددهم ما يقارب 22 ألف من الرجال، وألفين من الفرسان، ولكن الإسبان سبقوا لأخذ مواقعهم، وتحصنوا بالمدينة، ونصبوا عليها مدافعهم، مما جعلهم يفشلون في استردادها. المرجع السابق، ص 98.

<sup>5</sup> المدني، المرجع السابق، ص 101.

<sup>6</sup> Didier: Op. Cit, p 08.





### 3/2/ 5. معركة مسرغين وانعكاساتها:

بعد احتلال المرسى الكبير حاول الإسبان توسيع الإحتلال إلى خارج المرسى الكبير باتجاه قرية مسرغين<sup>1</sup>، التي لا تبعد إلا باثني عشر كيلومترا غرب وهران، وقد استعانوا بالقبائل المتعاونة منهم من قبيلة وبني عامر، وكان ذلك في شهر جوان سنة 1507م، ورغم أنهم حققوا انتصارا في بداية غزوتهم لمسرغين<sup>2</sup>، وحصلوا على غنائم مهمة إلا أنهم وفي طريق عودتهم عبر المسالك الجبلية انقض عليهم أهل الدواوير القريبة من مسرغين، والذين دعموا من الحامية الوهرانية، لتدور الدائرة على الجنود الإسبان بين قتل وأسر حيث بلغ عدد القتلى حوالي ثلاثة آلاف جندي<sup>3</sup>.

ولم ينجو من هذه الواقعة إلا القليل من الإسبان الذين عادوا إلى المرسى الكبير، وقد ترتب عن هذه المعركة دعم إسباني للحامية العسكرية في المرسى الكبير، التي خسرت عددا كبيرا منها في هذه المعركة الحاسمة، كما أن تأثير معركة مسرغين كان جدّ إيجابيا على بث روح الحماسة في الحامية

<sup>1</sup> وحسب توفيق المدني فإن هدف الإسبان من التوغل في العمق الوهراني إضافة إلى العودة بغنائم وأسرى مسلمين، كان هدفا عسكريا كذلك يكمن في الاستطلاع على قوة المسلمين وما مدى استعداداتهم العسكرية، ومن ثمّ معرفة المسالك التي تؤدي إلى مدينة تلمسان. المرجع السابق، ص 103.

<sup>2</sup> بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 41.

<sup>3</sup> المدني؛ المرجع السابق، ص 106.

الوهرانية، التي حاولت استغلال الموقف لاسترجاع المرسى الكبير ولكن لقوة تحصينات المرسى لم تنجح في مسعاها<sup>1</sup>.

#### 5/ 4/2. الأوضاع العامة قبل احتلال وهران:

في سنة 1507م/912هـ تمكن الحاكم الإسباني من تحقيق مساعيه في تفرقة المسلمين، حيث يعلن يحي الثابتي شقيق الملك المخلوع أبي زيان تمرده على الملك الزياني أبي حمو الثالث، ويتغلب على تنس بإعانة من الإسبان الموجودين في المرسى الكبير، مما يجعل الحرب تدور بين المسلمين عوض توجيه مجهوداتهم ضد الإسبان. وقد انتهت المواجهة بانسحاب قوات أبي حمو إلى تلمسان وتشبث يحي بتنس<sup>2</sup>، ويظهر في هذه الفترة تمزق وتشتت القوة الزيانية، وتدخلات إسبانية واضحة لرسم خريطة جديدة مد نفوذها أكثر لإضعاف الزيانيين، أما على مستوى الوضع العام المغاربي فقد تفاعل مع مستجدات العدوان الإسباني على المرسى الكبير وتهديده لوهران، فقد وردت بعض المعلومات التاريخية عند أبي علي ابراهيم المريني في مصنفه "العدوان"، عن محاولة جادة تبناها السلطان عبد العزيز<sup>3</sup> لتعبئة المدن وطلب المساعدة من ملك تونس لتقديم المساعدة لنجدة سواحل وهران، وقد جهز السفن وسلحها.

ولكن بعد الانتهاء من الإستعدادات حدث طارئ بسبب الحرب بينه وبين أخيه الأمير أبو بكر، مما جعله يكلف ابنه أبو فارس لقيادة قواته البرية إلى وهران نيابة عنه، وكلف وزيره محمد بن عبد الله الكتاني للذهاب إلى وهران عن طريق البحر، ونتيجة لعلم الإسبان بهذه الحملة البحرية أعدوا لها سفنا لصدّها، والتي نجحت في إلحاق الهزيمة بالمسلمين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المدني ؛ المرجع نفسه، ص 107.

<sup>2</sup> المدني ؛ المرجع نفسه، ص 109.

<sup>3</sup> هو أبو العباس عبد العزيز بن السلطان أبي عبد الله محمد (899 - 932 هـ / 1494 - 1526 م) وهو صاحب بجاية، وكان أخاه أبا بكر واليا لقسنطينة واستمر الصراع بينهما ليتمكن أبو العباس من دخول قسنطينة سنة 914 هـ / 1509. يمكن الرجوع لمسعود بريكة، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية ( 7. 9 هـ / 13. 15 م). ط01. دار ميم للنشر، الجزائر، السنة 2014. ص 103.

<sup>4</sup> Revue Africaine. Volume 12. Année 1868. P 248.

## 5/2/5. الإحتلال الإسباني لوهران:

ولإحتلال وهران بذل الكاردينال خيمينيس<sup>1</sup> كل مجهوداته وخططه لإنجاحها على أرض الواقع، حيث اعتبر دو ماس لاتري Mas Latrie De أن "خططه التي صممها تتجاوز الزخم والرغبات الحقيقية لبلاده"<sup>2</sup>. وقد جهز حملته البحرية الكبيرة التي شارك فيها نبلاء قشتالة<sup>3</sup> ضمن قواتها، وهذا يعبر عن صدى الدعاية التي أثرت لإحتلال وهران. انطلقت الحملة من قرطاجنة الإسبانية يوم 16 ماي 1509 وكان تعدادها خمسة عشر ألفا (15000 مقاتل) بقيادة بطرس النفاري Pedro Navarro وقد وصلت الحملة إلى المرسى الكبير في 17 ماي، ومن المرسى الكبير انضم عدد من الإسبان للحملة<sup>4</sup>، حيث تم مهاجمة وهران عن طريق قوتان، الأولى هاجمت وهران عن طريق البر قادمة من المرسى الكبير على الطريق الجبلي وكانت غير مرتبة<sup>5</sup>، والثانية قامت بمحاصرة وهران عن طريق البحر.

وقد تتعدد الروايات حول مسار الأحداث، ولكن الرواية الأكثر شيوعا أن الوهرانيين قاوموا الغزو وخاضوا عدة معارك حول المدينة، وكانت هزيمتهم بسبب خيانة يهودي من وهران ترجع أصوله إلى الأندلس، اسمه "ستورا Sethora" مع اثنين من المتواطئين معه هما عيسى العربي وبن كانيس<sup>6</sup>.

وقد اتفق استورا ومن معه مع حاكم المرسى الكبير لفتح أبواب المدينة بمجرد وصول القوات الإسبانية<sup>7</sup>، وتشير الدراسات التاريخية أن المعنيين بالخيانة كانوا مكلفين بقبض مداخل الغرب للسلطان قلموس الزياني، فسمحت لهم مهمتهم بفتح المدينة للإسبان<sup>8</sup>، ويذكر المزارى شخصا آخر

<sup>1</sup> خيمينيس (ximénés) الكاردينال الإسباني، أسقف طليطلة. في عام 1545م أعيد فتح قبره من أجل إصلاحات فخر على جثته التي بدت سليمة وخالية من أثر الجروح مما يعطي إفتراضا وفقا لغوميز أنه لم يميت قتلا.. كذلك

Didier: Op. Cit, p 03. كذلك يمكن الرجوع للمدني، المرجع السابق، ص 81

04 Didier: Op. Cit, p

<sup>3</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 01. ص 330.

<sup>4</sup> المدني؛ المرجع السابق، ص.

<sup>5</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 01. ص 330

<sup>6</sup> وذكر اسم آخر له هو زاوي بن كبيسة المعروف بابن زهو ويعتقد أنه المسؤول عن دخول النصارى لوهران. المزارى، المرجع السابق، ص 211.

<sup>7</sup> وهذه الرواية وردت عند كل من المؤرخين Fey ; Oran وعند De la Primaudaie، وغيرهم يمكن الرجوع

Arezki Chouitem ; Op. Cit. p 40

<sup>8</sup> كرطالي؛ المرجع السابق، ص 227.

شارك في الخيانة ويعتبره حارسا ثانيا مع العربي وهو الغناس بن طاهر العبدلاوي<sup>1</sup>. وعن تفاصيل المؤامرة فحسب كاربخال أنه بعد خلو مدينة وهران من الناس وبقاء عدد قليل منهم، سنحت الفرصة للمتآمرين فأغلقوا الأبواب، ونصبوا على أحد الأبراج صليبا أحمر كان عامل المرسى الكبير قد أرسله إليهم سرا ليتخذوه شارة يستحثون بها النصارى إذ وصلوا أمام المدينة وقد بعث هذا العامل قاربا من المرسى الكبير ليحمل إليه مفاتيح وهران والإعلام بنجاح الخطة وتسليمها<sup>2</sup>. وقد قتل عدد من أهل وهران وأسر بعضهم<sup>3</sup>، وقدّر عدد القتلى بحوالي أربعة آلاف من الوهرانيين، يرجح أن غالبيتهم من النساء والأطفال<sup>4</sup>، امتلأت بهم شوارع المدينة<sup>5</sup>. أما عدد الشجناء فحوالي ثمانية آلاف<sup>6</sup>. وتمكن الإسبان من إخضاع وهران والإستيلاء على غنائم كثيرة، فقد قدرت الأموال ب (48 مليون دينار جزائري)، واحتفظ الكاردينال خمينيس لنفسه بالأسلحة الثمينة للمسلمين والكتب ذات القيمة وكذلك مصباح المسجد الأعظم، وهي محفوظة كلها الآن في مكتبة جامعة مدريد<sup>7</sup>.

### 5/ 3. وهران الإسبانية:

عمد الإسبان بعد الإستيلاء على تعميم المدينة وتحويلها قسريا إلى المسيحية، وذلك يجعل مساجدها كنائسا تفرع فيها الأجراس لتعلن عن امتداد الكاثوليكية على سواحل المغرب الأوسط. فأصبح الجامع الأعظم "البيطار" كاتدرائية<sup>8</sup> إلى جانب مسجد الجامع الثاني. وقد خصص أحد المسجدين لسيدة النصر والآخر للقديس جاك<sup>9</sup>. وما يمكن الإشارة إليه أن الإسبان اهتموا كذلك

<sup>1</sup> المزاري؛ المرجع السابق، ص 211.

<sup>2</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 03، ص 330.

<sup>3</sup> ابن القاضي؛ المصدر السابق، ج 03، ص 300. كذلك الناصري، الإستقصا، المرجع السابق، ج 04، ص 143.

<sup>4</sup> ونرجح ارتفاع عدد القتلى عند النساء والأطفال بسبب خلو المدينة من المقاتلة بسبب خروجهم للقاء العدو، كما أن القتل مس من هم غير مسيحيين من المسلمين واليهود مما زاد في عدد القتلى.

<sup>5</sup> المدني؛ المرجع السابق، ص 112.

<sup>6</sup> Arezki Chouitem, Op. Cit p 43

<sup>7</sup> المدني؛ المرجع السابق، ص 112.

<sup>8</sup> المدني؛ المرجع نفسه، ص 112

<sup>9</sup> Chouitem ; Op. Cit. p 101.

بتحصين المدينة ودعمها بالأبراج حتى أصبح لا يرى منها من البحر إلا الأبراج<sup>1</sup>، فأصبحت تمثل النموذج الإسباني للمدينة المسورة والمحصنة، فبعد احتلالها سنة 915هـ/1509م تم استغلال العقارات والحدايق المهجورة في بناء مختلف التحصينات<sup>2</sup> الجديدة مثل الحصن الذي بناه بيدرو دي نافارو بعد غزو المدينة، وقد كان لهذا الحصن خندقان عميقان، أما سور الخندقين فهو مبلط بشكل جيد يتسع لأن تسير عليه عربات المدافع، وذلك رغم أن موقع الحصن متوعر، فهو فوق جبل يشرف على المدينة (جبل مرجاجو) شديد الإنحدار، كما دعم الإسبان المنشآت الدفاعية السابقة ببناء أبراج وخنادق عميقة ومحاذية للأسوار على غرار ما فعلوا قرب القلعة القديمة<sup>3</sup>. ولشدة تحصينها أصبحت وهران مصدر خطر متقدم للإسبان على الكثير من المناطق، بسبب انتهاج الإسبان لعمليات النهب في البر والبحر<sup>4</sup>. حتى أنه تم إبادة قبائل كاملة معارضة لهم على حد قول أبو راس الناصري، مما أدى إلى تراجع الفلاحة على حساب تربية المواشي، وانتقل الناس من سكنى القرى القريبة من وهران إلى اللجوء إلى الخيم والاستقرار بالجبال للإحتماء من الفرق العسكرية الإسبانية<sup>5</sup>.

وقد كانت الاستراتيجية المحورية للإسبان تكمن في غزو مدينة وهران كخطوة أولى، ثم اتباعها بالاستيطان كخطوة ثانية للتوغل في العمق المغربي عن طريق وهران وباقي المدن الساحلية المحتلة. ولتجسيد هذا التوجه تم دحر سكان وهران وطردهم خارج المدينة، وتعويضهم بساكنة مسيحية جديدة تضمن استمرارية الوجود الإسباني الاستيطاني في وهران وفي بقية المدن المحتلة.

وقد جاء في هذا السياق على لسان الملك الإسباني فرديناند في رسالة موجهة إلى قائده العام بإفريقيا الكونت بادرو نافارو (Pedro Navarro): "إذا سمحنا لهم بسكنى المدن الساحلية يصبح من المستحيل المحافظة طويلا على ما فتحناه..".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> وهي شهادة أوردها ابن التمكروني عند اجتيازه للمدينة من البحر فلاحظ أن المنظر العام لوهران هو الأبراج. النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق، عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، سنة 1423هـ/2002م، ص 29.

<sup>2</sup> Benkada (Saddek) ; Oran , La ville et son urbanisme au XVIII<sup>e</sup> siècle , le cas de la plaza mayor. p 84.

<sup>3</sup> كاربخال ؛ المصدر السابق، ج 01. ص 329.

<sup>4</sup> ابن ميمون ؛ التحفة المرضية، ص 225.

<sup>5</sup> أبو راس الناصري؛ عجائب الأسفار، ص 44.

<sup>6</sup> جدلة (ابراهيم) ؛ دراسات حول تاريخ بعض مدن إفريقية وقبائلها في العصر الوسيط ( دراسات حول مدن تونس والقيروان وقفصة، وبنزرت وحمم الأنف وحول القبائل المنتشرة بإفريقية وعلاقتها بالحواضر وبالسلطة المركزية ). ص 83

ويشير ديدي أن خمينيس بعد احتلال وهران إهتم بتأسيس محاكم التفتيش<sup>1</sup> على حد تعبيره، وهذا يعبر عن الحدود الجديدة لإسبانيا في سياستها التوسعية على الأراضي الإسلامية، لتصبح الأحداث التي شهدتها وهران تشبه إلى حد كبير الأحداث التي مرت بها المدن الأندلسية بعد خضوعها للإسبان.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه ليست كل القبائل القريبة من وهران قاومت الإحتلال الإسباني ورفضته، بل أن بعض القبائل العربية دخلت تحت طاعة الإسبان وأبدوا تعاوناً معهم، وهم كرشتل وبنو زيان، الونازرة، قيزة، غمرة، حميان، شافع، أولاد عبد الله، أولاد علي وغيرهم من بني عامر، ولم يبق في المجال الريفي الوهراني إلا مخيس والرفافة المستقرين بين البحر وجبل هيدور مع جبل قيزة خارج السيطرة<sup>2</sup>. واصطلح على القبائل العربية المتعاونة مع الإسبان اسم "المغاطيس"<sup>3</sup>، وقد تجلّى دورهم في مساعدة الإسبان على الإستقرار في وهران من خلال التجسس على القبائل المستقرة بضواحي وهران مقابل مكاسب<sup>4</sup> وفيرة وفي ذلك جاء:

**بني عامر دايرتكم يهود، ودراهمكم دية موجود<sup>5</sup>.**

ونظير خدماتهم للإسبان فقد ساهموا في توسيع رقعة النفوذ والسيطرة الإسبانية إلى المناطق الداخلية مثل ملاتة وسيرات<sup>6</sup>، كما أن كثرة اعتداءاتهم على القبائل المجاورة وحتى البعيدة عن وهران ساهم في دخولهم في ذمة الإسبان لتجنب ضررهم مثل ما حدث لبني شقران<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> Didier: Op. Cit. p 05.

<sup>2</sup> المازاري؛ المرجع السابق، ص 212.

<sup>3</sup> كان تموضع المغطسين قريبا من المرسى الكبير، ويقصد بهم الخونة من العرب، وأطلق عليهم هذا الاسم من طرف جماعة من المسلمين المعاصرين لهم ولخياتهم. المدني، المرجع السابق، ص 108. وقد ورد المصطلح بصيغة الفاطيس عند الشقراني ولكن بنفس المعنى، المرجع السابق، ص 63.

<sup>4</sup> بوشناني (محمد)؛ أبو راس الناصر العسكري، وقضايا عصره من خلال مؤلفاته، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني، شتاء 1436هـ/2015م. ص 213.

<sup>5</sup> هلايلي؛ المرجع السابق، ص 303.

<sup>6</sup> المازاري؛ المرجع السابق، ص 212.

<sup>7</sup> الشقراني؛ المرجع السابق، ص 63.

5/3/1. وهران معبر لتهجير الموريسكيين وفضاء لتبادل الأسرى:

وقد استغلت وهران في الفترات اللاحقة لاستقبال الموريسكيين المطرودين من إسبانيا، فكانت الطرق البحرية الرابطة بين فالنسيا والميناءين وهران والمرسى الكبير من أكثر طرق الهجرة المتداولة بين العدوتين، لوقوع وهران تحت السيطرة الإسبانية، ومنها كانوا يغادرون إلى الأراضي الإسلامية للحاق بالمدن الداخلية، ولكن في طريقهم إلى تلمسان وغيرها من المدن كانوا يتعرضون للأذى والاعتداءات المتكررة، مما جعل الموريسكيين في إسبانيا يرفضون الهجرة إلى وهران، ومن تبقى منهم في شبه الجزيرة الإيبيرية يرفض المغادرة ويلتجأ إلى القرى الجبلية<sup>1</sup> متحصّنين بها.

ورغم ذلك فقد استمر الإسبان بنقل موريسكيو قشتالة ومرسية إلى وهران دون الإبقاء عليهم في المدينة، بل اعتُبرت وهران كمنطقة استقبال وعبور للأفواج المتواترة للمهجرين الموريسكيين<sup>2</sup>، وإن كانت الكتابات التاريخية لم تقدم الكثير من الأرقام الإحصائية للموريسكيين القادمين إلى وهران على فترات متواترة، إلا أن كون المدينة محطة رئيسية لتهجيرهم يجعلنا نعتقد أن أعدادهم كانت بالآلاف في فترات الدروة، والتي واكبت عمليات الطرد التي تعرض لها الموريسكيين، ومنها ما ذكر سنة 1609م فقدر عدد المهجرين من ثغر دانية إلى وهران بثمانية وعشرين ألف شخص (28 ألف شخص)<sup>3</sup>.

ويبدو حسب "الكونت أجيلار" حاكم وهران " أن الكثير من الموريسكيين بقوا في وهران خوفا من اعتداء الأعراب، وقد هلك حوالي ثلثي القادمين إلى وهران بسبب الإعتداء أو المرض، مما جعل الكثير منهم يفضل العودة إلى إسبانيا من وهران<sup>4</sup>.

ويتضح أن الإسبان كانوا حريصين على عدم الإبقاء على الموريسكيين في وهران، وذلك تنفيذاً للاستراتيجية السابقة والمتمثلة في الإبقاء على الهوية الإسبانية لمدينة وهران في الأراضي المغربية إلى أقصى حد ممكن.

<sup>1</sup> دي ايبالنا ؛ المرجع السابق، ص 151.

<sup>2</sup> دي ايبالنا ( ميكيل ) ؛ الموريسكيون في إسبانيا، وفي المنفى، ترجمة جمال عبد الرحمان، العدد 922. ط01. (المشروع القومي للترجمة)، القاهرة، سنة 2005. ص 177.

<sup>3</sup> عنان (محمد عبدالله) ؛ دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، العصر الرابع، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، مطبعة المدني، سنة 1417هـ/1997م. ص 398.

<sup>4</sup> عنان ؛ المرجع السابق، ص 402.

وإن كانت وهران في الفترة الإسلامية من المحطات الأساسية التي انطلقت منها السفن للإغارة على السواحل الإيبيرية، فإنها تحولت بعد الاحتلال الإسباني إلى مدينة يتم فيها التفاوض على افتداء الأسرى، فقد قصدتها مدجنون مقيمون في مدن إسلامية يجيدون اللغة الإسبانية بهدف التفاوض مع السلطة الإسبانية هناك لاسترجاع الأسرى، وكان ذلك سنة 1551م<sup>1</sup>.

### 5/3/2. تأثير سقوط وهران على الدولة الزيانية:

خضعت وهران للاحتلال الإسباني، والذي كان شبيها إلى حد ما بسقوط المدن الأندلسية - كما أوضحنا سابقا -، وهذا ما ولد الكثير من الحزن والأسى لدى المسلمين شرقا وغربا، وخاصة لدى أهل تلمسان الذين تأثروا من وقوع وهران فريسة سهلة للاحتلال المسيحي الإسباني، واعتبروا أن احتلالها ناتج عن تخاذل السلطان الزياني في إنقاذها، وعجزه عن استردادها، وفي ذلك جاء:

خامس عشر من عاشر أناخ بها  
الإسبانيون أهل الشرك والرجس  
جحافل الكفر قد خموا جوانبها  
وعن دفاعهم عجز أبو قلمس<sup>2</sup>.

كما أن الملك الزياني بوقلموس عمد على فرض ضرائب ورسوم تجارية جديدة على تلمسان بعد ضياع وهران، وكانت معفاة منها سابقا<sup>3</sup>، مما زاد من نقمة السكان على الملك، فعمدوا إلى طرد أبي حمو الثالث<sup>4</sup> الذي فر إلى وهران سنة 1517م، وتولى حكم تلمسان أحد أعمامه وهو أبو عبد الله المدعو أبو زيان، ولكن حكمه لم يدم طويلا<sup>5</sup>؛ فبمساعدة حاكم وهران المركزي دي كومارس el Marquez de comeres والقائد دياغو نافارو دي قرطبة Cordoba Diego Navarro أعيد عرشه إلى تلمسان بعد شهرين، واعترف أبو حمو الثالث بتبعيته للإسبان، وقبل بدفع مبلغ سنوي قدر باثني عشر ألفا (12000 أوقية ذهبية) و12 فرسا و6 صقور<sup>6</sup>.

وقد تأثرت عدة مدن ساحليّة سلبا لسقوط وهران، والتي تمثل الحدود الشمالية للدولة الزيانية

<sup>1</sup> دي ايبالنا؛ المرجع السابق، ص 251.

<sup>2</sup> المازاري؛ المرجع السابق، ص 211.

<sup>3</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 23.

<sup>4</sup> أبو حمو الثالث المعروف ببوقلموس ثار على ابن أخيه أبي زيان الثالث وأخذ منه العرش وسجنه، بعد عامين من توليه الحكم وقعت نكبة المرسى الكبير. المدني، المرجع السابق، ص 109.

<sup>5</sup> الوزان؛ المصدر نفسه، ج 02. ص 09.

<sup>6</sup> بوغزير؛ المرجع السابق، ص 72.



## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

فتقلصت أراضيها ومصالحها المالية بسبب قلة الجباية لتراجع جزء من العائدات التجارية الخارجية للدولة فلم يعد البنادقة يقصدون وهران بسبب وجود الجنود الإسبان، وأصبحوا يرتادون هنين، هذه الأخيرة هجرها أهلها خوفاً من الإسبان وأصبحت خاوية من السكان، وتؤدي دوراً تجارياً يبدو أنه محدود، فهي تكتفي باستقبال السفن التجارية عن طريق أمير زباني يقيم بقلعتها. ينتظر قدوم هذه السفن ليخبر عنها<sup>1</sup>.

ويبدو أن وضعية العديد من المدن الزبانية تغيرت أحوالها وتراجع اقتصادها بشكل كبير على غرار مدينة قسطلية، والتي لا تبعد إلا بثلاثة فراسخ شرق وهران، فبعد إستيلاء الإسبان على وهران أصبحت تدفع الجزية لها وتأثرت تجارتها مع مدينة وهران كثيراً، ونفس الشيء حدث لمزغران<sup>2</sup> وغيرها. ولكن حسب كاربخال أن هناك مدن ساحلية لم تتأثر بسقوط وهران ويشير إلى مدينة الجزائر التي تضاعفت أرباحها التجارية.

### 5/3/3. وهران والأترك:

كما كان لوقوع وهران تحت الإحتلال الإسباني أثر سلبي كذلك على استقرار الدولة الزبانية ووجودها، فأحد الأسباب التي أدت إلى قدوم الأترك للمغرب الأوسط<sup>3</sup> هو الإحتلال الإسباني لوهران وبعض المدن الأخرى، وإن كان وجودهم في غرب البحر المتوسط سبق سقوط وهران في يد الإسبان بسبب نجدهم للأندلسيين بعد سقوط آخر معقل لهم في غرناطة<sup>4</sup>، حتى أن الكتابات التاريخية تشير أن عروج ومعه أحد المغاربة هو المراكشي، رسي بسفينته بالقرب من وهران في موضع كرشتل<sup>5</sup> للتبرك بأحد الأولياء، وحدث ذلك قبل أخذ النصاري لوهران<sup>6</sup>، مما يعبر على نشاط الإخوة بربروس في غرب المتوسط لنجدة الموريسكيين قبل 915هـ/1509م على الأقل من جهة، وللإقتراب تدريجياً بالجهاد البحري غرباً<sup>7</sup> إلى ناحية وهران من جهة ثانية.

<sup>1</sup> الوزان ؛ المصدر السابق، ج02. ص 15.

<sup>2</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج02. ص 348.

<sup>3</sup> Chouitem ; Op. Cit. p 35.

<sup>4</sup> أرينال ؛ المرجع السابق، ص 172.

<sup>5</sup> كرشتل هي قرية تبعد عن وهران بحوالي 20 كلم شرقاً تقع على ساحل بحري صخري في سفح جبل كسيكسو مزدهرة فلاحياً. مأخوذة من هامش تحقيق لكتاب ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ص 75.

<sup>6</sup> ابن عودة المزاري ؛ المرجع السابق، ص، ص 75، 76.

<sup>7</sup> Arezki Chouitem , Op. Cit p 34

## الفصل الأول: .....الرقابة السابقة والمتزامنة للسلطات اللوارية على ممارسة النشاط الاقتصادي

وقد ساهم الوجود العسكري الإسباني في وهران القريبة من تلمسان في دعم الدولة الزيانية وإنقاذها من التوسع العثماني<sup>1</sup> بسبب التحالف بينهما، إلا أن العثمانيين حاولوا التوسع على الجهة الغربية للمغرب الأوسط لتحرير السواحل المحتلة، والتصدي لإسبان، وقد كان الثمن استشهاد عروج سنة 1518م<sup>2</sup>.

ورغم الخسائر البشرية والمادية التي لحقت بالعثمانيين، إلا أنهم تمكنوا إلى حد ما من إفشال إستراتيجية الإسبان في التوسع والتغلغل في الأراضي الإسلامية الساحلية، ففي الفترة الممتدة من سنة 1518م إلى سنة 1528م شنَّ العثمانيون حوالي ثلاثة وثلاثين غزوة (33) على السواحل الإسبانية أعادوا بها حوالي 70000 موريسكي إلى الجزائر<sup>3</sup>. ويرجع ذلك إلى جانب القوة البحرية للإخوة بربروس إلى وصول المساعدات والدعم المناسب من السلطان العثماني لهم لحماية الجزائر من الإسبان وحلفائهم العرب<sup>4</sup>.

ويبدو أن نجاح هذه المجهودات العثمانية في كبح جماح الإسبان في الحوض الغربي للبحر المتوسط، أعادت الأمل للموريسكيين وللكتير من المسلمين في شمال إفريقيا لإعادة الأراضي الأندلسية للعالم الإسلامي، وبرز ذلك في نبوءات موريسكية منها نبوءة زكريا الغرناطي عام 1569م، والذي قُدِّر حسب حسابات فلكية معينة وما ورد في كتب اطلع عليها، أن الأندلس ستعود لحكم المسلمين القادمين من بجاية ووهران وسبتة، وستأخذ نفس الطريق الذي سلكه الفاتح طارق بن زياد<sup>5</sup>.

ويتَّضح أن الإسبان عبروا عن إحتقائهم من القوة الإسلامية الجديدة من خلال نظرهم للمسلمين، والتي اتسمت بالعدائية والسخرية<sup>6</sup>، وترجم ذلك في مختلف الكتابات الإسبانية التي تعود لتلك الفترة خاصة القرن 10هـ/16م، وخاصة في الروايات الإسبانية التي تتصف بالواقعية مثلما قدمه الأديب

<sup>1</sup> Ismet Terki Hassiane ; Oran au XVIII siècle: Désarroi à la clairvoyance politique de l'Espagne ,Revue Algérienne d'anthropologie et de sciences sociales 23- 24/2004 ,p

<sup>2</sup> حمادي ؛ المرجع السابق، ص 144

<sup>3</sup> Arezki Chouitem ; Op. Cit. p 34

<sup>4</sup> Oran et L'Algérie en 1887 Op. Cit. p 26

<sup>5</sup> دي ايالنا ؛ المرجع السابق، ص 185

<sup>6</sup> André Vauchez , Bénédicte Sére ; Les Chrétiens D'occident face aux juifs et aux musulmans au moyen age XI- XV siècle centre sévres recherches de science religieuse 2012/2 tome p 193

الإسباني العالمي ميغيل دي سرفانتس (1616/1547)، والذي وقع أسيرا في يد القراصنة الجزائريين مدة خمس سنوات، لذلك ظهرت في روايته صورة الآخر "المسلم" سواء الموريسكي أو التركي في صورة معادية وعنصرية، تتسم بمحاولة إصاق صفات ذميمة بهم مثل الكذب والكفر والسحر، ففي روايته المشهورة "دون كيخوته" يصف الموريسكي في مشهد الطرد أنه مثل "النبات المختبئ الذي مع الزمن يمكن أن يتكاثر وينتج ثمارا سامة في إسبانيا"<sup>1</sup>.

وفي تشبيه آخر، ودائما على لسان أحد الموريسكيين المسيحيين، والذي يظهره مناصرا لقوانين الطرد وتنقية إسبانيا من المسلمين، فهو يسب بني جلدته ويشبههم بالأفعى التي يحتفظ بها المرء في داره للدلالة على خطورة بقاء الموريسكيون في إسبانيا وما يشكلونه من تهديد<sup>2</sup>. وقد تعامل سرفانتس بالسخرية حتى مع ما تركه الموريسكيين في بيوتهم من كتب، ففي نظر الطبقة العامة المسيحية هي تحمل السحر من أجل إيذاء الإسبان الذين تسببوا في إيذاء الموريسكيين بطردهم من عالمهم وتهجيرهم إلى خارج إسبانيا<sup>3</sup>.

ويبدو أن العدائية لسرفانتس كانت قوية اتجاه العثمانيين أكثر من الموريسكيين، ففي روايته المشهورة سابقة الذكر يصفهم بـ: "الأتراك الهمج يولعون بالشباب الجميل أكثر من ولوعهم بأجمل فتاة في الدنيا"<sup>4</sup>، ونلمح من ذلك محاولة سرفانتس الإنقاص والخط من قيمة الأتراك الذين تسببوا في إيذائه شخصيا حيث فقد ذراعه اليسرى في معركة ليبانت التي دارت بين إسبانيا وتركيا إلى جانب الأسر، إضافة أن العثمانيين أوقفوا بقوة الزحف الإسباني على سواحل البحر المتوسط، فسرفانتس ومن خلال روايته عبر ضمنا عن حالة الشعور بالإحباط بسبب عدم القدرة العسكرية لإسبانيا في مواجهة العثمانيين في المغرب الأوسط بالخصوص على رأي أحد الباحثين<sup>5</sup>.

وقد استغل العثمانيون وهران كمجال للجوسسة للاطلاع على أحوال الإسبان، فقد ذكر أن

<sup>1</sup> الاستانبولي (وفاء) ؛ صورة العرب والمسلمين في رواية دون كيخوته، مجلة حوليات التراث، العدد 11. جامعة مستغانم، السنة 2011م. ص، ص 91،

<sup>2</sup> الاستانبولي ؛ المرجع نفسه، 93.

<sup>3</sup> سرفانتس ؛ دون كيخوته، ترجمة عن الإسبانية، عبد الرحمان البدوي، ط01. دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ج01. السنة 1998. ص 67.

<sup>4</sup> الاستانبولي ؛ المرجع السابق، ص 97.

<sup>5</sup> Ismet Terki Hassiane ; Historiographie espagnole moderne sur L'Algérie Ottomane , p 231.

موريسكي فالنسي قُبِض عليه في وهران يعمل لحساب الجزائر، وذلك ما بين عامي 1554 و1558م<sup>1</sup>.

واستطاع الأتراك إنهاء الحكم الزياني سنة 964هـ/ 1556م فتراجع الإسبان، وقللوا من هجماتهم وغيرُوا استراتيجيتهم إلى الدفاع بعدما كانت هجومية، متَّبِعِينَ بذلك نموذج "الاحتلال المقيّد" من خلال الاهتمام ببناء دفاع فعال يعتمد على تعزيز الأسوار والتحصينات<sup>2</sup> بشكل قوي وأكثر كثافة.

### 5/3/4. التّوسّع الإسباني على المدن الساحلية:

وقد كانت وهران قاعدة عسكرية متقدمة للإسبان، ومنها حاولوا التوسّع شرقاً على المدن الساحلية مثل مستغانم، فضيقوا عليها وعلى قرية مزگران، وأرغموا أعيانها على إبرام معاهدة تعود بالفائدة للتوسّع الإسباني إلى الشرق، عن طريق إقامة القلاع والتحصينات في المنطقة، واشترط الإسبان كذلك على السكان دفع ضريبة سنوية وتموينهم بما يحتاجونه من المواد الغذائية الأساسية، إضافة إلى منع رسو السفن الأجنبية بمستغانم إلا بإذن من الإسبان بوهران<sup>3</sup>.

لينتقل الإسبان إلى مدن ساحلية أخرى على غرار بجاية وطرابلس، وهذا ما قام به بيدرو نافارو رفقة الكاردينال تيزنبروس، فاحتلّا ربوة الجزائر وبجاية<sup>4</sup>.

وكان الإسبان يأملون بإيجاد الغنائم في المدن التي يحتلونها كما كان لهم في وهران<sup>5</sup> وجزيرة لاقولات القريبة من تونس وطرابلس<sup>6</sup>.

واستمر أذى الإسبان واعتدائهم لمدة طويلة على الأراضي الإسلامية طيلة بقاء وهران ضمن دولتهم، وقد وصفت بأنها "شجي في حلق الدين وقذى في أعين المسلمين، تنتهب المراكب

<sup>1</sup> دي ايبالثا ؛ المرجع السابق، ص 251.

<sup>2</sup> Terki Hassiane ; Op Cit , p

<sup>3</sup> بوعزيز ؛ المرجع السابق، ص 42.

<sup>4</sup> قام بيدرو دي نافارو باحتلال مدينة بجاية على رأس قوات قدرت بـ 10000 رجل وكان ذلك يوم 5 جانفي 1510م بعد مقاومة من سكانها. الرجوع Chouitem ; Op. Cit. p 43

<sup>5</sup> بنوجيت ( يوسف) ؛ قلعة، ص 42.

<sup>6</sup> حمادي ؛ المرجع السابق، ص 141.

برا وبحرا وتشن الغارات على أطراف البلاد قتلا وأسرا<sup>1</sup>.

وبعد استرجاع وهران من يد الإسبان والذي دام أكثر من قرنين، تمنى العلماء المسلمين استرجاع الأندلس من جديد لارتباط مصيرهما التاريخي<sup>2</sup> في مساراته الكبرى، وأحيانا كثيرة في جزئيات الأحداث وبنفس الفاعلين.

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

<sup>1</sup> ابن ميمون ؛ المرجع السابق، ص 225.

<sup>2</sup> ابن عمر ( حمدادو)؛ المصادر التاريخية العربية بين تخليد فتح وهران والمرسى الكبير والطموح لاسترجاع الأندلس، دراسة نماذج ص 267.

## الفصل الثاني

# الحياة الاقتصادية في وهران

## المبحث الأول 1 / الفلاحة:

### 1/1 توفر ظروف الانتاج الفلاحي:

توفرت وهران على إنتاج فلاحي وفير ومتنوع، جعل وهران كافية بنفسها عن غيرها من البلاد<sup>1</sup> وذلك في معظم الأوقات، بل أن الفائض من الإنتاج الفلاحي تم تصديره إلى الأندلس وغيرها من المناطق المتوسطة، ووفرة الإنتاج الفلاحي يعبر عن تكامل الإمكانيات في هذا الجانب من توفر للأراضي والمياه والثروة الحيوانية، والطاقة البشرية، والأسواق لتصريف الفائض من الإنتاج.

### 1/1/1 استخدام الأرض:

تعددت وتنوعت استخدامات الأرض في وهران حسب طبيعة الأرض من أرض سهلية وأرض جبلية.

### 1/1/1/1 الأرض السهلية:

تكمن أهمية الأرض السهلية في وهران كونها مسقية لتخللها مجاري المياه، وخاصة واد الرحي الذي يمر بأعلى السهل، ويجتاز المدينة ليصب في البحر المتوسط، وقد شكل هذا الواد موردا أساسيا للسقي، حيث خضعت مياهه لمنظومات الري كعادة الزراعة الوسيطة للمنطقة، فانتشرت واتسعت مجالات البستنة والأجنة التي عرفت بها المدينة خاصة المتموضعة بالقرب من ضفاه<sup>2</sup>.

وقد عرفت إحدى جهات المدينة بكثرة البساتين والأجنة<sup>3</sup>، وموضعها في الجهة الشرقية، ومن الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، وهذا الفضاء الأخضر يبدأ من منبع واد الرحي القريب من وهران ليمتد باتجاه المدينة، بحيث يمتد محاذيا لها انطلاقا من الجهة الجنوبية الغربية من باب تلمسان، وينحني باتجاه البحر ليكون بذلك على مسار طولي قريب من السهل، وهذا ما سهل استغلاله في سقي الجنان والبساتين.

ومن المرجح أن امتداد البساتين والأجنة على طول الواد المار بالمدينة عرفت وهران منذ تأسيسها، لارتباطها بالنشاط الفلاحي لقبائل بني مسقن ونفزة واستمر هذا الشريط الأخضر الذي وفر

<sup>1</sup> ابن الصباح؛ المصدر السابق، ص 95.

<sup>2</sup> عرفت الكثير من المدن في الغرب الاسلامي بوجود الواد أو النهر بالقرب من المدينة أو مارا بها، مما شكل فضاء هاما للبساتين وذكر على سبيل المثال اشبيلية ونهرها الذي تظله الأشجار المثمرة. المقرئ التلمساني، المصدر السابق، ج 01. ص 109.

<sup>3</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 62.

مختلف الفواكه للمدينة<sup>1</sup>.

ويمكن اعتبار سهل وهران من بين السهول الخصبة والمنتجة، التي شكلت الممون الرئيسي للمدينة بمختلف الفواكه كذلك والخضر، وقد كانت أثمارها زهيدة في وهران، وذلك لوفرتها على الرغم من أن المدينة استقبلت أصنافا من المنتوجات الفلاحية من مناطق أخرى. وإن كانت المصادر لم تفصح عن ماهية الفواكه المنتجة في وهران، فإن بعض الإشارات ذكرت توفر التين بالمدينة<sup>2</sup>.

كما يمكن الإشارة إلى أن الأرض السهلية استغلت في الغراسة، وخضعت للأنماط الانتاجية المتبعة في ذلك الوقت، من مغارسة ومساقاة لقربها من واد الرحي<sup>3</sup>، ولكن هذه المساحة ستتقلص بمرور الزمن بسبب التوسع العمراني الذي عرفته المدينة، خاصة بعد استقبال وهران للعديد من الهجرات الأندلسية الجماعية، مما يجعلنا نعتقد أن أجزاء من الأرض السهلية استغلت في التعمير والتوسع لحساب الواردين الجدد، وهذا مما جعل العقار مطلوباً أكثر، وزاد من ارتفاع أسعار الأرض خاصة داخل المدن التي نعتقد أنها شهدت زيادات كبيرة بعد سقوط غرناطة (897هـ/1492م)، وذلك راجع لأسباب عديدة منها تقلص المساحات العقارية تدريجياً داخل المدن، وخاصة الساحلية منها والقريبة من البوابة الأندلسية.

وقد شكلت المدن بصفة عامة الخيار الأنسب للأندلسيين، لما توفره من مأمّن وحماية لهم عكس الأرياف والبوادي، والتي شكلت مناطق خطيرة وغير مرغوبة لأغليبتهم بسبب تعرضهم لممارسات سلبية من قطاع الطرق من الأعراب خاصة.

وما يمكن أن نشير إليه أن وهران عرفت مشكلة ساهمت في اعتقادنا في تحويل جزء من أراضيها السهلية الفلاحية إلى أراضي عقارية بسبب قلة ونضوب مياه وادي الرحي، وقد برزت

<sup>1</sup> ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 79.

<sup>2</sup> ذكر في حادثة موت حاكم سبتة ابن خلاص في وهران بسبب مغص أصابه، وذلك لأكله التين بوهران. الرجوع لابن خلدون المصدر السابق، ج 06. ص 395.

<sup>3</sup> والمغارسة لا تكون إلا في الشجر أما المساقاة هي إعطاء شجر لمن يقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج إليه من خدمة بجزء معلوم من ثمره مشاعاً فيه. يمكن الرجوع إلى لخضر العربي، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني ( 633هـ / 1235م - 962 هـ / 1554م )، رسالة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، السنة الجامعية 1428هـ - 2017م / 1439هـ - 2018م. ص 124.



الأزمة وتفاقت في الثلث الأول من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي)، ويبدو أنها تقاطعت إيجاباً مع مأساة الأندلسيين الذين استفادوا من توفر العقار إلى حد ما في وهران، فساهم ذلك في تقليص مساحة سهل المدينة تدريجياً على حساب التوسع العمراني المتنامي للمدينة. وتشير بعض المعطيات التاريخية إلى أن أرض وهران لا تصلح لإنتاج الحبوب من القمح والحنطة، لذلك فقد تم توريده وجلبه من المناطق المجاورة لها<sup>1</sup> في قوافل من الحمير<sup>2</sup>.

ويبدو أن هذه القوافل كانت تورد كمية كبيرة لتلبية الحاجيات والاستهلاك المحلي داخل المدينة من جهة، ولتصدير الفائض منه عبر البحر من جهة أخرى. وقد استمر تصدير هذه المادة الغذائية من وهران طيلة العصر الوسيط، وذلك بسبب استمرار الطلب عليه من مختلف المدن المتوسطية. ولكن في المقابل تورد بعض المصادر بأن وهران تميزت بالخصب من الزرع خاصة من الحنطة<sup>3</sup>، مما يجعلنا نتساءل حول حقيقة إنتاجها للحبوب في ظل تضارب للأراء حول الموضوع.

### 2/1/1 الأرض الجبلية:

يعتبر سفح جبل هيدور (مرجاجو) جزء من مجال المدينة التي عمرت جزء منه وأسندت إليه للحماية، ولذلك فقد تقلصت مساحته في السفح بتوسع المدينة ولكن بنسبة قليلة بسبب شدة انحداره، فشكل بذلك حداً طبوغرافياً معيقاً لتوسعتها ناحية الغرب، وقد استغل الإسبان فيما بعد هذه الجهة لإنشاء الأبراج والقلاع الكبيرة التي عرفت بها المدينة.

أما الغطاء النباتي الذي ميز الجبل ومحيطه، فالمعلومات التاريخية شحيحة ولا تشير إلى نوعية النباتات والأشجار التي تغطي مساحاته، ولكن يمكن التذليل إلى أهميته في توفير الخشب وبعض النباتات التي احتاج لها ساكنة المدينة. وتكمن أهمية جبل مرجاجو في كونه قريباً من مدينة وهران، فساكنة المدينة لم يجدوا مشقة في توفير حاجياتهم من موارد الجبل المختلفة، فقد وفر الجبل ما تحتاجه المدينة من الخشب للاحتطاب فهو وقود للنيران، وقد عرف حطابون يعيشون في جبل أغبال القريب من وهران يأتون بحطبهم لبيعه في وهران<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> كاربخال؛ ج02. المصدر السابق، ص 329.

<sup>2</sup> استقيننا هذه المعلومة من المعطيات التاريخية التي أرخت لسرد الأحداث والتي أوضحت تموين المغطسين للإسبان المتحصنين في مدينة وهران. ابن مريم، المصدر السابق، ص 104.

<sup>3</sup> ابن الصباح؛ المصدر السابق، ص 95.

<sup>4</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج02. ص 44.

وحسب ابن خلدون فإن الخشب استخدم في أشغال كثيرة خاصة بالبناء لتشييد البيوت ولوازمها، فأهل الحضرة استغلوا الخشب لسقف بيوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم<sup>1</sup>، وغير ذلك من الأغراض.

ويبدو أن أهل الحضرة استخدموا الخشب أكثر من سكان الأرياف، الذين استغلوا نباتات أخرى من الجبال في حاجياتهم كنبات الكلخة<sup>2</sup>، وذلك لتسقيف البيوت في زمن الحر، ويبدو أنه استعمل في فترات لإنجاز كامل المسكن أو الكوخ في القرى الريفية القريبة من وهران، ويظهر ذلك من إشارة أوردها البكري عند ذكره لسكان إحدى القرى القريبة من وهران حيث استخدمت "الكلخة" لإنجاز كامل البيت<sup>3</sup>.

ونرجح أن استعمال الكلخة في البناء كانت وراءه أسباب عديدة، منها ما أشارت إليه إحدى الدراسات التاريخية، والتي رجحت أن استعمال طريقة الحزم لجذوع الشجيرات في البناء يتم استخدامها بشكل بسيط، حيث تكون غير مقصودة وتدمج مباشرة في إنجاز الحائط وأجزاء البيت الأخرى، وهي طريقة ناجعة لتفادي تبيد الموارد الخشبية في المنطقة الريفية المعنية بنمط هذه العمارة من جهة، وكذلك هي توفر الجهد المادي والتقني في إنجاز العمارة الريفية لبساطتها<sup>4</sup> وعدم تكلفتها من جهة ثانية. لذلك فالنباتات التي تكون لها سيقان متينة تكون ذات فائدة كبيرة في عملية تسقيف المنازل، أو في إنجاز كامل العمارة الريفية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون؛ المصدر السابق، مج 2، ص 153.

<sup>2</sup> والكلخ أنواع، وهو من "ذوات الحمم، ومن جنس الهدبات، ومن أنواعه ير بطورة ويعرف بالكلخ الصغير منابته الجبال المكلفة بالشجر..". الرجوع لقاسم بن إبراهيم الغساني الشهير بالوزير، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد العربي الخطابي، ط02. دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، سنة 1410هـ/1990م. ص 137. ويسمى الكلخ عند عامة أهل الأندلس "القنة"، وعند أهل مصر "الأشق". يمكن الرجوع لأبي محمد عبد الله بن أحمد المالقي ابن البيطار الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط01. دار الكتب العلمية، بيروت، ج03. السنة 1412هـ/1992. ص 340.

<sup>3</sup> البكري؛ المصدر السابق، ص 70.

<sup>4</sup> Benhima ( Yassir); *Espace Et Société rurale au Maroc Médiéval Stratégies Territoriales et Structures de L'habitar: L'exemple de la région de Safi*, 2003. p 417.

<sup>5</sup> ومن النباتات الجافة التي استعملت في العمارة الريفية وخاصة في تسقيف البيت وتشبه نبات الكلخ نجد الديس والحلفاء وكذلك التبن المخلوط بالطين وبقايا الحيوانات، أو من القصب البري المجدول بحيث كان يحضر بأن تملأ فراغاته البينية أو شقوقه بالطين مع التبن مما يزيد في تماسك الطين ويمنع التشقق، يمكن الرجوع إلى حليمي عبد القادر، المرجع السابق، ص 132.

ويمكن الإشارة هنا أن إنجاز بيت واحد من الكلخ يستهلك الكثير من هذا النبات، حيث يذكر البكري "وإن رجل منهم أراد عمل بيت فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيتا معرشاً"<sup>1</sup>. وإن كان رقم ألف كلخة يبدو أنه مبالغاً فيه لإبراز القدرة الجسدية لسكان الجبل، إلا أن هشاشة الكلخ مقارنة بأخشاب أخرى أكثر صلابة يجعلنا نعتقد أن الثروة الغابية للجبال تأكلت بسبب الاستهلاك المفرط لها خاصة لبعض النباتات المطلوبة في البناء والرعي.

ويمكن التذليل على أن هذا النوع من المساكن الريفية استخدم مؤقتاً للرعاة المنتجعين قرب الجبال لتسهيل الإقامة المؤقتة، فهي توفر ظروفاً مناسبة لساكنتها مثل تلطيف الجو، إلا أنها في المقابل هشّة وسريعة التلف سواء بسبب الرطوبة والتساقط أو عند تعرضها للحرائق.

ومن استعمالات نبات الكلخ كذلك أنه يستخرج منه صمغ يسمى "أشق" ويقال له "لزاق الذهب"، يلصق به الذهب في القراطيس في فواتح سور القرآن والتراجم إضافة لمزاياه الطبية المتعددة<sup>2</sup>. وحسب الموروث الطبي والعلاجي لمختلف النباتات الجبلية تتضح قيمة الجبل في كونه منبتاً لأصناف نباتية علاجية.

وقد استخدم الخشب المتوفر في الغابات الجبلية القريبة من وهران، وخاصة جبل مرجاجو في توفير الأدوات المخصصة في النشاط الفلاحي المتداول في الفترة الوسيطة.

والجبل هو مجال رعوي مناسب وضروري للرعاة الباحثين عن الكأ لحيواناتهم، ولذلك فهو من ضمن الملكيات الجماعية للكثير من المستفيدين منه كمجال رعوي، أو حتى في استغلال خشبه ومياه عيونته، وهذه العناصر الحيوية تدخل ضمن المصالح والمرافق العامة التي تدرج من أعراف المجتمع الاسلامي المستمدة أساساً من التشريع الاسلامي، وذلك وفقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "المسلمون شركاء في ثلاثة الماء والكأ والنار"<sup>3</sup>.

ولا نستبعد استغلال بعض المساحات الأرضية من الجبال القريبة من وهران في الفلاحة، كذلك لأن الجبال القريبة من الساحل المتوسطي استغلت كمنتج فلاحي مهم، حيث تم استغلالها

<sup>1</sup> البكري؛ المصدر السابق، ص 70.

<sup>2</sup> وردت له فوائد طبية تضاف لخصائصه الأخرى. الرجوع لابن إبراهيم الغساني، المصدر السابق، ص 38.

<sup>3</sup> محمد إبراهيم (عبد الباقي)؛ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية. ص 15.

تاريخيا لدى ساكنة الجبال<sup>1</sup>، وذلك لقلة السهول وضيقها بسبب محاصرة الجبال لها من جهة، ومن جهة ثانية لعامل سياسي متعلق بأن القبائل القوية الموالية للسلطة المركزية تستوطن المناطق السهلية الأكثر اتساعا، أما بعض القبائل الأقل قوة ونفوذاً تفضل الاستقرار قرب الجبال للاحتماء من مختلف الأخطار المحتملة، ويتم استغلال إمكانيات الجبل في الزراعة والرعي والتجارة إن كان الجبل قريبا من البحر، مثل حالة جبال وهران ومنها جبل أغبال الذي سكنه أناس اهتموا بالفلاحة إلى جانب الاحتطاب<sup>2</sup>. وعرف بهذا الجبل محلات عامرة بالسكان، اثنتان قرب وهران، يوجد في إحداها عين جارية وبساتين بها أشجار الليمون الحلو والحامض والبرتقال ويطيب بها القمح بكثرة<sup>3</sup>.

وبالرجوع لتاريخ جبل مرجاجو في العصر الوسيط، تتضح أهميته في كونه الإطار الجغرافي للتعمير البشري للقبائل المستقرة قرب من بني مسقن ونفزة، وبعد إنشاء المدينة سنة (290هـ/902م) أصبح ملاذا للساكنة الحضرية لوهران في توفير حاجياتهم - المذكورة سابقا - وذلك طيلة الفترة الوسيطة؛ ورغم تغير التركيبة القبلية المستوطنة قرب من الفترة المدروسة إلا أن استمرارية المدينة وظهرها وأكبه إستمرارية النشاطات الحيوية المربوطة بالجبل، مما جعلنا نؤكد على محافظة "جبل مرجاجو" على وظائفه السابقة لأهل المدينة والقبائل المستوطنة قرب من.

### 1/1/2 الشبكة الهيدروغرافية:

تعددت مصادر المياه في المنطقة الوهرانية عموما، ولكن المصدر المهم للمدينة كان دوما وادها "واد الرحي"، والذي شكل مجالا حيويا لساكنة وهران، إضافة إلى العيون وبعض الأودية الأخرى التي انتشرت في المنطقة الوهرانية.

### 1/1/2/1 واد الرحي وأهميته:

ارتبط ذكر هذا الواد بمدينة وهران طيلة الفترة الوسيطة، وشكل جزء من المشهد الجغرافي والوصفي للرحالة والجغرافيين، وكان له دور تاريخي حاسم في تاريخ المدينة، فقد شكل نقطة ضعف المدينة وأدى بطريقة مباشرة إلى إخضاعها واستسلامها أمام أعدائها في عدة مرات، ومنها

<sup>1</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج02. ص 10.

<sup>2</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج02. ص 44.

<sup>3</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج02. ص، ص 352، 353.

على سبيل المثال ما حدث عندما حاصرها الموحدون وقطعوا عن أهلها وعن الجيش المرابطي الماء من واديه<sup>1</sup>، مما اضطرهم للاستسلام. وهذا ما يجعلنا نطرح عدة أسئلة عن أهمية هذا الواد ومجالات استغلاله في المدينة.

### 1 / 1/2/1/ واد الرحي:

يعتبر واد الرحي وادا طبيعيا تتدفق فيه مياه وفيرة ودائمة، وقد أشادت الكتابات التاريخية بمياهه الجارية<sup>2</sup> على طول أيام السنة رغم أن مساره قصير، فحسب مارمول كاريخال يمكن استكشاف طول وادي الرحي من مصبه إلى منبعه من خلال الإطالة من الحصن الإسباني المشيد على جبل هيدور<sup>3</sup>، لأن تغذية هذا الواد تأتي أساسا من عيون تقع خارج المدينة، أما عن مساره ومنسوب مياهه وقوة جريانه فهي تخضع لتأثير عدة عوامل من: تضاريس، ومناخ وجيولوجيا المنطقة، وحتى تدخلات الإنسان، لذلك فأهمية هذا الواد تغيرت عبر الزمن نتيجة لقلة مياهه.

### 1 / 2/1/2/ أهميته:

من المعلوم أن للواد أو النهر أدوارا متعددة في حياة الإنسان والمدينة، خاصة إن كان يمر بها أو قريب منها، ولذلك فواد الرحي شكل محورا لحياة ساكنة وهران ومحركا لمختلف أنشطتها الاقتصادية وحتى الاجتماعية، فهو موردها الأساسي في التزود بالمياه للشرب<sup>4</sup> والقيام بمختلف النشاطات اليومية من طهارة وغسل وغير ذلك.

كما كانت مياهه موردا أساسيا في تطور المجال الفلاحي والإبقاء على استمرارية المساحات الخضراء في البساتين والأجنة التي انتشرت على ضفته وكانت تعتمد على مياهه في السقي. كما كانت القنوات أو القواديس تستخدم لتوريد المياه وتصنع من مادة الفخار على شكل أنابيب<sup>5</sup>. وقد وردت إشارات مصدرية على خضوع الجنات المسقية إلى مغرم "للبراءة"، وذلك في عهد أبو

<sup>1</sup> تاريخ الدولتين؛ ص 08.

<sup>2</sup> وصفت مياه واد الرحي "بأنها سائحة" في جل المصادر الجغرافية منها عند أبي الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص

137. البكري، المصدر السابق، ص 70. الحميري، المصدر السابق، ص 612. يرجع كذلك للاستبصار، ص 134

<sup>3</sup> كاريخال؛ المصدر السابق، ص 329.

<sup>4</sup> الحميري؛ المصدر السابق، ص 613.

<sup>5</sup> لخضر العربي؛ المرجع السابق. ص 138.

تاشفين، ولكن تم إسقاطها في عهد أبي الحسن المريني<sup>1</sup>. واستغلت مياه الواد في شرب عدد لا بأس به من المواشي والأبقار ومختلف الثروة الحيوانية التي كانت بوهران، إضافة إلى استغلال الأراضي القريبة منه في زراعة الخضر التي تتطلب توفر المياه، لذلك عادة ما تقام قرب مصادر المياه خاصة على ضفتي الواد. ومن استخدامات واد الرحي، والذي ارتبط اسمه بها هو استغلال طاقة جريان مياهه السائحة في تحريك الرحي التي أقيمت عليه، والتي عُرفت "بأرحاء ماء"<sup>2</sup>. وإن كانت الكتابات المصدرية لم تشر إلى عددها، إلا أنها تبدو كثيرة وتبقى منها آثار من الفترة الاستعمارية الفرنسية مثل مطحنة Château d'Eau<sup>3</sup>. ولكن يمكن للبحث الميداني التنقيبي على مجرى الواد، الكشف عن معطيات حية من شأنها إثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بالجوانب الاقتصادية من صناعات وأنشطة مختلفة، والتي كانت تقام على ضفتي الواد، إلى جانب تقنيات الري وغيرها في فترة حياة الواد الوسيطة، والذي يبدو أنه شكّل شريانها الأساسي.

### 1/ 1/ 2/2 تراجع مياهه وانعكاسات ذلك على النشاط الفلاحي والصناعي:

لكن هذا الواد لم يكن فحلا طيلة الفترة الزبانية، فقد قلت مياهه ونضبت في فترتين على الأقل كما توضح ذلك بعض المعلومات التاريخية. فالفترة الأولى تعود إلى الثلث الأول من ق7/هـ/13م، وأشار إليها الرحالة العبدري بقوله: ". لا وشل بها يشفي غلة".<sup>4</sup> ويبدو أن هذا الإهمال الذي لحق بالواد كان بسبب تراجع عمراتها وقلة الاهتمام بالمنشآت الحضرية حتى الأساسية منها<sup>5</sup> في تلك الفترة المضطربة وكثيرة الأزمات.

<sup>1</sup> ابن مرزوق التلمساني؛ المصدر السابق، ص285.

<sup>2</sup> البكري؛ المصدر السابق، ص70.

<sup>3</sup> والثانية في نهاية شارع Malakoff، والأخرى طاحونة كاناستيل التي كانت توجد في أقبية فندق السلام والرابعة طاحونة

المناولة العسكرية. الرجوع ل. *Oran et L'Algérie en 1887, Op. Cit. p 26.*

<sup>4</sup> العبدري؛ المصدر السابق، ص131.

<sup>5</sup> وفي ذلك جاء عند ابن خلدون في مقدمته: ". تقول العامة في البلاد إذا تناقص عمرانها أنها قد ذهب رزقها حتى أن العيون والأنهار ينقطع جريها في القفر بما أن فور العيون إنما يكون بالإنباط والامتراء الذي هو بالعمل الانساني كالحال في ضرع الأنعام فمالم يكن امتراء ولا إنباط نضبت وغارت بالجملة، كما يجف الضرع إذا ترك امتراؤه، وانظر في البلاد التي تعهد فيها العيون الأيام عمرانها ثم يأتي عليها الخراب...". المصدر السابق، مج5. ص119.

كما لا نستبعد العمل البشري المرتبط بعملية الحصار التي عادة ما ترافق العمليات العسكرية لإخضاع مدينة وهران.

أما الفترة الثانية لنضوب مياه الواد فهي تعود الى ق 9هـ/14م. وهي الأكثر ضررا بسبب ازدياد السكان وصعوبة التزود بالماء من خارج المدينة. وعن أسباب نضوب مياه الواد للمرة الثانية فهي راجعة للإهمال<sup>1</sup> الذي مس العيون التي تغذي الواد، وعدم إصلاح وتنقية مجراه، مما زاد في توحيل قناة الواد الممتدة على طول المجال الحضري. وحسب بعض الإشارات الواردة في المصادر، فسبب نقص المياه هو تجاهل السلطة المحلية بإحياء العيون وتنقية قناة الواد، وهذا ما دفع إبراهيم التازي إلى التكفل بتنقيتها وإرجاع المياه من جديد إلى وهران، وقد كلفه ذلك الكثير من الأموال التي اقترضها من التجار، إضافة إلى مجهوداته الكبيرة في تتبع عملية إرجاع الماء إلى وهران، من إصلاح منبعه من العيون الموجودة في رأس العين، والتي كان ماؤها بيض قليل يتزاحم عليه الناس للسقي، إلى بناء المجرى وتصويبه ليصل إلى المدينة<sup>2</sup> بأفضل صورة حضارية.

إلى جانب واد الرحي كانت المنطقة الوهرانية تنتشر بها أودية أخرى منها واد الهبرة، واد المقطع واد تليلات، واد مسرقين وبوصفر<sup>3</sup>.

## 1/ 2 تربية الحيوانات والصيد البحري:

اشتهرت وهران بإنتاجها للزبد والسمن<sup>4</sup>، وهذا يشير إلى كثرة الأبقار والغنم داخل المدينة وخارجها مما جعل أسعارها رخيصة. واختصت المرتفعات بتربية قطعان الماعز والأغنام بينما السهول انتشرت بها الأبقار والخيول والأحمر<sup>5</sup>، إضافة إلى ذلك عرفت وهران بتربية الدواجن والتي كانت من بين الأنشطة التي اختصت بها المرأة الوهرانية<sup>6</sup>.

ويبدو أن تربية الحيوانات لم يكن الغرض منها الاستفادة بمنتجاتها الغذائية والحرفية - الصناعية

<sup>1</sup> ابن عودة المزاري؛ المرجع السابق، ص 80.

<sup>2</sup> ابن عود المزاري؛ المرجع السابق، ص 80.

<sup>3</sup> بوعزيز؛ المرجع السابق، ص، ص 30.

<sup>4</sup> الإدريسي (أبو عبد الله)؛ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد 01. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، سنة 2002م، ص 252.

<sup>5</sup> بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 32.

<sup>6</sup> ابن عودة المزاري؛ المرجع السابق، ص 73.

فقط، بل استغلت في القيام بأعمال عديدة، فالثيران استعملت في عمليات الحرث والدرس<sup>1</sup>، والأحصنة والبغال استغلت في النقل البري. وتجدد الإشارة أن من بين الحيوانات الأليفة التي وجدت في وهران ذكر نوع من الكلاب هو "السلوقية"<sup>2</sup>، وربما استخدم في الحراسة والصيد. ومن المنتوجات التي اشتهرت بها وهران العسل، مما يجعل المنطقة مجالا مناسباً لتربية النحل<sup>3</sup>، وقد ساعدت عوامل عديدة هذا النشاط، منها وفرة البساتين والأجنة في وهران، والتي تشكل مرعى مناسباً لتغذية النحل، إضافة إلى الغطاء النباتي المتنوع للجبال القريبة من وهران، كما يمكن الإشارة أن كثرة الإنتاج لهذه المادة الغذائية والطبية يرجع إلى كثرة الطلب على عليها في كامل بلاد المغرب<sup>4</sup>. والعسل يدخل كعنصر أساسي في غذاء سكان وهران، ويعتبر من التحلية المفضلة لدى بعضهم بعد تناول الطعام، وكان يقدم للواردين للزاوية التازية<sup>5</sup>. إلى جانب ذلك فالعسل يستعمل كثيرا في المطبخ المغاربي خاصة في تحضير الحلو<sup>6</sup>، إضافة إلى أن شحمه يعتبر مادة أولية لصناعة الشمع.

ولكن رغم موقعها الساحلي، فالكتابات المصدرية لم تشر إلى وفرة الأسماك بوهران، ربما لكون هذا النشاط يعتبر نشاطا عاديا ومعتادا للمدن الساحلية المتوسطية، التي ربما لا تثير الجغرافي أو الرحالة للكتابة عنها إلا في حالات نادرة.

<sup>1</sup> الونشريسي؛ المصدر السابق، ج06. ص /ص 269 /55. وكذلك ج09. ص110.

<sup>2</sup> ابن عودة المازري؛ المرجع السابق، ص 70.

<sup>3</sup> الادريسي؛ المصدر السابق. ص 252.

<sup>4</sup> العمري؛ المصدر السابق، ص 84.

<sup>5</sup> ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 183.

<sup>6</sup> العمري؛ المصدر نفسه، ص 83.



## المبحث الثاني 2 / الصناعة والمهن:

### 2 / 1 الصناعات والحرف في وهران بين الإمكانيات المتاحة وواقعها:

ظهرت في وهران صناعات وحرف مختلفة، ولكنها في المقابل تعبر عن ماهية الاحتياجات والإمكانيات المتوفرة، فهي عاكسة لنمط المنطقة بعمقها الفلاحي الثري، كما تعكس تأثير موقع وهران على البحر وإطلالتها على السوق الواسع للبحر المتوسط، وما يوفره من مواد أولية للكثير من الصناعات التي يمكن إقامتها في وهران، كما أن اليد العاملة الأندلسية كانت متاحة لبروز صناعات وحرف نوعية في المدينة، فهل استفادت وهران من ذلك؟. أم بقيت منطوية على نفسها مكثفة بتقاليدها الحرفية؟

تحتاج الحرف والصناعة الى مواد أولية مختلفة لإنتاج السلع، ولذلك فبعض المواد الأولية توفرت في وهران ولكن بعضها تم استيراده وجلبه من مختلف المناطق المرتبطة بالتجارة مع وهران. وسنعرض الحرف والصناعات المتواجدة في وهران، ونحلل مدى استفادتها من الإمكانيات المتاحة.

### 2 / 1 / 1 الصناعات الغذائية:

اتضح مما سبق أن وهران تتوفر على إنتاج فلاحي متنوع، سمح لها باستغلاله في بعض الصناعات الغذائية الموجهة للاستهلاك المحلي مثل: صناعة الخبز، والتي لا يمكن الاستغناء عنها، وقد ارتبطت بالمدينة ونمت وازدهرت بنموها واتساعها، كما أنها متصلة بعمليات مترابطة تمثل كل عملية نوعا من الصناعة تبدو منفصلة ولكنها مكتملة لبعضها فوهران عرفت برحها التي كانت على واد الرحي الذي حمل اسمها، وتعمل هذه الرحي على طحن الحبوب بكميات معتبرة لحجم المدينة المتزايد، ومن الطحن يوجه الدقيق للخبز، الذي يكمل بقية المراحل المتبقية من عجن وطهي الخبز. ولكن يبدو أن هذه الصناعة عرفت تراجعاً بسبب انخفاض منسوب واد الرحي، ونلمح ذلك من اختفاء الرحي من الواد بداية من ق 7/14م.

ومن الصناعات الغذائية المتواجدة في وهران نجد تحضير السمن، الذي يتم إعداده بطريقة سهلة لا تخضع لتقنيات دقيقة في الإنتاج، فهي تعتمد أساساً على تدوير الشحوم، ثم يتم الاحتفاظ بها في صهاريج<sup>1</sup> مخصصة لذلك.

<sup>1</sup> العمري؛ المصدر السابق، ص 89.

عرفت مملكة اسبانيا نزيفا حادا على صعيد السكان والصناع والحرفيين<sup>1</sup>، وقد استفادت منطقة المغرب الأوسط منهم في تنشيط الحياة الاقتصادية وإدخال صناعات جديدة إلى المنطقة.

## 2/1/2 الصناعات الخاصة بالصوف والجلود:

اشتهرت المنطقة الغربية للمغرب الأوسط بالرعي، حتى سميت "بلد الأغنام"، واعتبرت تلمسان ووجدة من أهم أسواق الأصواف<sup>2</sup>، وإلى جانب الأصواف وفرت الثروة الحيوانية وخاصة الأبقار مادة أولية مهمة في الصناعة الجلدية، ولذلك عبرت الصناعتان حسب ابن خلدون على الطابع البدوي للمنطقة<sup>3</sup>، وقد انتشرت في مدن المغرب الأوسط صناعة "نسيج الصوف" أو الحياكة.

## 2/1/3 الصناعة النسيجية:

وقد اشتهرت مدينة وهران بوجود الكثير من النساجين<sup>4</sup>. والذين عرفوا بمهارتهم في عمل نسيج الصوف<sup>5</sup>. هذه الصناعة راجت في وهران لتوفر الإمكانيات الخاصة بها من مواد أولية ويد عاملة وسوق داخلية وخارجية نشطة، فالمواد الأولية من صوف زهيدة في وهران، واليد العاملة متخصصة تنتج أصنافا من اللباس والحاجيات الأخرى الخاصة بالبيت من سجاد وغيرها، ورغم أن هذه الصناعة تتطلب الكثير من المراحل وتتقاطع مع حرف وصنائع أخرى مثل الصباغة والخياطة والطرز، إلا أنها شكلت مجال عمل متاح للكثير من الوهرانيين.

من المراحل التي تسبق مرحلة النسيج نجد: غسل الصوف جيدا وعادة تكون على ضفاف الواد (واد الرحي)، ثم يتم تمشيطها وغزلها وصباغتها<sup>6</sup> بالاعتماد على عدة أصباغ نباتية أو معدنية، منها ما هو محلي مثل القرمز<sup>7</sup> والذي يكثرت تواجده بناحية تلمسان<sup>8</sup>، ومنها ما يتم جلبه

<sup>1</sup> خوسي مونيوت اي غفيرا ؛ تاريخ ثورة الموريسكيين ( وطردهم من اسبانيا وعواقبه على سائر أقاليم المملكة)، ترجمة عبد العزيز السعود، ط01. منشورات ليتوغراف، طنجة، سنة 2010. ص 17.

<sup>2</sup> حماس (محمد) ؛ ملامح من تاريخ بلاد الأمازيغ، مجلة ليكسوس، العدد الثامن، نوفمبر 2016. ص56.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر السابق، مج02. ص 288.

<sup>4</sup> كاربخال ؛ المصدر السابق، ج01. ص 329.

54 Leon Fey. ; Op. Cit. p

Lawless l richard ; Revue de l'occident Musulman et de la Méditerranée, N 6  
20 1975 P55

<sup>7</sup> صباغة القرمز؛ وهو مادة تنزل على شجر البلوط، فيجمعه الناس من الشعرا ويصبغون به، فيعطي اللون الأحمر. المقري

التلمساني، المصدر السابق، ج01. ص 201

<sup>8</sup> الغساني الشهير بالوزير؛ المصدر السابق. ص246.

من التجارة المتوسطة مثل أحجار الشب والذي يعتبر من أشهر مثبتات الألوان والصبغات، وكانت مصر من الدول التي تصدره عبر التجارة البحرية<sup>1</sup>. كما يستعمل الشب مع مواد أخرى لمزج الألوان، مثل خلط الشب والطرطار ليعطي لنا اللون البرتقالي وقد وثقه المثل الوهراني:

"تلقى الشب مع الطرطار وطلعت السباغة رنجية ( أي برتقالية)"<sup>2</sup>

وقد استفاد الصباغون في المدينة من حرية اختيار الألوان من أصناف واسعة ذات الأصل النباتي أو المعدني، وذلك لوفرته من التجارة البحرية بعيدة المدى<sup>3</sup>، وبعد الصباغة تأتي مرحلة الحياكة، وهي حرفة الكثير من أهل وهران، حيث أورد الوزان: "أنَّ معظم أهلها من الحاكة"<sup>4</sup>. وبانتهاء الحياكة تأتي مرحلة الخياطة والطرز حسب صنف الثوب. وذكر أن من بين 5000 منزل في وهران هناك 1500 متجر حيث النساجون والمطرزون<sup>5</sup>، ويتضح أن عدد المتاجر والمعامل في وهران يتجاوز الربع من عدد الدور المعدة للسكن، وذلك لارتباطها بالعمل في المنازل.

وحسب إحدى الدراسات فإن مرحلة تمشيط الصوف أو القطن أو الحرير وعملية الغزل، كانت تمتنها النساء من الأسر الحضرية الفقيرة، أما التطريز بالذهب والفضة فهو عمل النساء من الأسر الثرية<sup>6</sup>، وعادة ما تخضع مجالس الغزل للعمل الجماعي التطوعي للنساء عند إحداهن، حيث يقمن بمساعدتها وإعانتها فيما عرف بالتويزة<sup>7</sup>، ويبدو أنها كانت منتشرة في المدن الزبانية، وكانت من العادات الحسنة التي أدمجت المرأة في مجال العمل المريح لها من جهة، وسهلت مراحل عمل النسيج التي تتطلب الكثير من الوقت واليد العاملة من جهة ثانية. لذلك نعتقد أن صناعة النسيج ازدهرت لامتهان المرأة لها وارتباطها بالدور التي شكلت فضاءات صناعية حيوية دعمت

<sup>1</sup> بيكر ( باتريشيا) ؛ المنسوجات للإسلامية، ترجمة صديق محمد جوهر، ط01. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، سنة 1432هـ/ 2011م. ص55.

<sup>2</sup> شرقي؛ مدينة وهران، المرجع السابق، ص 77.

<sup>3</sup> أوردت الباحثة أوليفيا ريمي قوة الصناعة النسيجية الأندلسية لسهولة حصولها على المواد الأولية اللازمة، ومنها الألوان للصبغة، وما ينطبق على الساحل الأندلسي في هذا الشأن ينطبق على وهران لوقوعها على نفس الخط التجاري المتوسطي. يمكن الاطلاع على ما جاء في ذلك بالرجوع للمرجع السابق، ص 239.

<sup>4</sup> الوزان ؛ المصدر السابق، ج2. ص30.

<sup>5</sup> Arezki Chouitem ; Op. Cit. p 36

<sup>6</sup> Richard L, Lawless: , Revue de L'Occident Musulman et de la Méditerranée , N °20. 1975. P55.

<sup>7</sup> ابن سعيد العقباي ؛ المصدر السابق، ص 77.

بعضها في الإنتاج والاستمرارية.

ومن الأسباب التي أدت إلى انتشار هذه الصناعة النسيجية في وهران ومدن المغرب الأوسط، هو ارتباطها بطبيعة اللباس المحلي من جبة وبرنوس وغيرها. وكانت هذه المنسوجات قبل خياطتها تلف على قصبية تسمى "الكابة"<sup>1</sup>، وقد اشتهرت المدينة إلى جانب البرنوس<sup>2</sup> بإنتاج السجاد، والذي تم تصديره إلى المدن المتوسطة. ولا نستبعد وجود المنسوجات الحريرية في وهران لكونها استوردت الحرير من غرناطة في 8/هـ 14م<sup>3</sup>.

### الحدادة:

تعتبر الحدادة من بين الصناعات المهمة في المدن لما توفره من حاجيات ضرورية للسكان، وهران من بين المدن التي حظيت بتوفر معدن الحديد بالقرب منها، مما جعلها على ما يبدو من الصناعات المنتشرة داخل المدينة، حتى أن أحد جوامعها عرف باسم "جامع البيطار"<sup>4</sup> لقربه من زنقتها، كما أن هذه الصناعة امتعتها بعض العلماء للارتزاق وحملوا لقب "الحداد" أشهرهم علي بن قاسم الوهراني من علماء القرن 9/هـ 15م<sup>5</sup>، والذي حمل لقب الحداد.

ومن أهم المنتوجات المرتبطة بالحديد والتي عرفت بها وهران ذكرت السيوف<sup>6</sup>، والتي وجه جزء منها للتصدير. ومن الأسباب التي جعلت مدينة وهران تكثر فيها الحدادة هو وجود وتوفر المادة الأولية لهذه الصناعة قريبة من وهران، فالحديد موجود في موضعين:

**الأول:** شرق وهران على مسافة أربعين ميلا (حوالي 80 كلم)<sup>7</sup>. بقرب من مدينة أرزوا في جبل كبير<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 165.

<sup>2</sup> Eugène Cruck ; *ORAN ET Les Temoins de son passé , recits historiques et anecdotes avec un plan de la ville , 1956. p 28*

<sup>3</sup> دي ايبالنا؛ المرجع السابق، ص 251

<sup>4</sup> ذكر شرح كلمة البيطار بالحداد. يمكن الرجوع لابن محرز الوهراني، المصدر السابق، ص 74.

<sup>5</sup> وهو من "كبار فقهاء المالكية في وقته، من أهل وهران، وبها نشأ وتعلم" نويهض، المرجع السابق، ص 349.

<sup>6</sup> Fey. ; *Op. Cit. p54*

<sup>7</sup> التحويل من الميل إلى الكيلومتر بالإعتماد على كتاب المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى، ترجمة عن الألمانية كامل العسلي، دليل الاستشراق، تولى إصداره بريتو لنشبولر، المجلد - الملحق 01. ص 95.

<sup>8</sup> البكري؛ المصدر السابق، ص 70.

والثاني: غربا موضعه ما بين مدينة سبتة ووهران، في موضع قريب من ساحل البحر يسمى تمسامان<sup>1</sup>.

## 2/1/4 الصناعات والمهن المرتبطة بالساحل:

ومن المهن والصناعات المرتبطة بالمدن الساحلية ونشاطها التجاري نجد:

### 2/1/4/1 بناء السفن:

عرفت البحرية الإسلامية في العهد الموحد تطوراً وإزدهاراً وسيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ وذلك نتيجة الإهتمام المتزايد بالمنشآت الملاحية، وبناء السفن، وقد كان لوهران وهنين نصيب من الإستفادة من دعم الأسطول الموحد<sup>2</sup>، بعدد من السفن قُدِّر بمائة قطعة، كانت تنتج ببلاد إفريقية ووهران ومرسى هنين<sup>3</sup> بمعنى أن وهران كان بها دار لصناعة السفن ولكن المعلومات التاريخية لما بعد الفترة الموحدية لم توضح لنا استمرارية هذه الدار أو اضمحلالها تزامنا مع تراجع البحرية الإسلامية في البحر المتوسط. وحسب بعض الإشارات القليلة يبدو أن هذه الدار نشطت في فترة السلطان الزياني أبي حمو الثاني الذي كان له حوض لبناء السفن بوهران، وكان لابنه أبي تاشفين بهنين والجزائر نفس الشيء<sup>4</sup>.

ويبدو حسب استقراءنا لفترة أبي حمو الثاني، أن المقصود بالحوض الخاص ببناء السفن بوهران هو مجرد نواة أولية لإعادة أمجاد الدار السابقة (الموحدية)، وأن السفن المعنية بالإنتاج مجرد سفن صغيرة لا ترقى للسفن الكبيرة، لأنه هو نفسه خضع للذهاب في شونة أجنبية لترحيله إلى المشرق عندما أبعده ولده عن تلمسان - كما سبق ذكره - في الفصل الأول.

ويبدو أن هذه الدار استمرت في العمل بنفس الوتيرة في بناء المراكب الصغيرة لسنوات لاحقة،

<sup>1</sup> عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص 362.

<sup>2</sup> زغروت (فتحى)؛ الجيوش الإسلامية وحركة التغيير (في دولتي المرابطين والموحدين)، المغرب والأندلس، دار التوزيع والنشر الإسلامية. ص 291.

<sup>3</sup> السلاوي؛ المرجع السابق، ج 02. ص 143.

<sup>4</sup> سعيدان؛ علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من ق 14، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعليق وتحليل. منشورات سعيدان، سوسة (تونس)، نوفمبر، 2002، ص 46.

ونستدل بذلك من استقبال وهران لمادة الخشب القادمة لها من بجاية<sup>1</sup>، ويحتمل أنه استغل جزء منه في هذه الصناعة التي تتطلب كميات معتبرة من الخشب. ويسمى صانع السفن "نشاء"<sup>2</sup>، بمعنى أن وهران كان بها النشاءون، والذين أصبح جزء منهم من البرتغاليين بعد أن استغل الوهرانيون الأسرى البرتغاليون في بناء بعض السفن التي استغلت في مهاجمة السواحل الإسبانية<sup>3</sup>. وهذا يعبر عن التطور الذي بلغه البرتغاليون في إنشاء المراكب والتحكم في تقنيات الملاحة.

## 2/4/1/2 الحمالون:

ونستشف من المعطيات المصدرية أن الحمالين نوعان:

### 1/2/4/1/2 النوع الأول:

وهم الحمالون الذين يمتنون تفريغ البضائع من السفن التجارية الواردة إلى الميناء، ويتقاضون أجرة نظير عملهم، وقد وردت عدة إشارات عند الونشريسي حول حيثيات هذه المهنة وتأطيرها<sup>4</sup>.

### 2/2/4/1/2 النوع الثاني:

وهم الحمالون الذين يقومون بنقل البضائع من السفن الكبيرة التي ترسو في ميناء المرسى الكبير إلى ميناء وهران عبر سفن صغيرة مقابل مكوس، ويطلق الونشريسي عليها اسم "البرطيل"<sup>5</sup>. والبرطيل هو المال فوق ثمن الكراء، وهو يكثر ويقل حسب كمية السلعة المشحونة وكرم أصحابها من التجار<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> فاليرين ( دومنيك ) ؛ بجاية ميناء مغاري 1510 / 1067، ترجمة عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ج02. الجزائر، ص، ص 712 713

<sup>2</sup> وهذه التسمية خاصة بأهل المغرب والأندلس لأن تسميته الفصيحة هي "السفان"، ويسمى أهل المغرب والأندلس كذلك الحرفي الذي يباشر وضع القار على ألواح السفن والمراكب بلفظ "كفاط". الجمعباطي، حرفيو البحر في تراث الغرب الإسلامي، مجلة التفاهم، العدد 34. تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان، السنة 1432 هـ / 2011م ص 402.

<sup>3</sup> Didier: Op. Cit. p 07.

<sup>4</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج08. ص300.

<sup>5</sup> المنصوري ( محمد الطاهر )؛ دور معاهدات السلم والتجارة في التحكم في المجال التجاري، ومراقبة التجار في الحوض الغربي للمتوسط في العصر الوسيط ما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر، مجلة دراسات،

<sup>6</sup> الجمعباطي؛ المرجع السابق. ص 399. Didier: Op. Cit. p6.

الونشريسي؛ المصدر السابق، ج08. ص260.

ويتضح من الوصف أن هؤلاء الحمالين يملكون سفنا صغيرة لذلك يرجح أنهم صيادون يستغلون قواربهم في أوقات لنقل البضائع، خاصة أن هذا العمل كان موسميا، يحدث في فصل الشتاء عندما تكون هناك حالة اضطراب للأحوال الجوية، ويكون البحر هائجا وتكثر العواصف، فيتعدّر الولوج إلى ميناء وهران، فتقلع القوارب على عاداتها من المرسى الكبير محملة بالبضائع إلى وهران، وقد وردت هذه المعلومات حسب عدة شهادات لتجار قصدوا وهران أبرزهم التاجر البندقي "فيانيلي"<sup>1</sup>.

ويبدو أن أجرة صاحب القارب كانت غير محددة بتسعيرة<sup>2</sup>، بل تحكمت بها ظروف النقل البحري والمسافة المقطوعة وغيرها، ومن المحتمل أن التسعيرة كانت مرتفعة، لذلك فهي شكّلت موردا ماليا مناسباً للصيادين الوهرانيين في فصل الشتاء، فبهدوء الطقس تتوجه المراكب مباشرة إلى وهران لتفريغ بضائعها.

ويبدو أن مهنة الحمالين بنوعيتها كانت رائجة في وهران، لحجم وحركة التجارة المتوسطة بها على كامل أيام السنة، ولارتباط المرسى الكبير بمرسى وهران وحركة السفن بينهما.

## 2/1/4/3 الصيادون:

كما اشتهر المرسى الكبير بشارع رئيسي تجمعت به منازل الصيادين<sup>3</sup>، مما يدل أن الصيادين شكلوا فئة متميزة لسكان المرسى الكبير، وحتى في مدينة وهران.

## 2/1/6 مهن وصناعات أخرى في وهران:

ذكرت وهران على أنها مدينة متحضرة تتوفر على الصناعات، ولكن الكتابات التاريخية لم تفصل في ماهية كل الصناعات والحرف بل اكتفت بذكر المهن التي تعرف بها المدينة دون إعطاء تفاصيل أخرى للحرف، وربما ذلك راجع لتشابه هذه الصناعات مع مثلتها في المدن المغربية.

<sup>1</sup> Didier: Op. Cit. p 06

<sup>2</sup> الونشريسي؛ المصدر السابق، ج 08. ص 260.

<sup>3</sup> Didier: Op. Cit. p 06

ومن المهن والحرف التي نستدل على وجودها في وهران إضافة إلى ما سبق نجد النجارة، وذكر لقب المفتي أبو العباس سيدي أحمد بن أبي جمعة المغراوي النجار<sup>1</sup>.  
كما ذكر عالم وهراني بلقب ابن الخراز وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني<sup>2</sup>.

الجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

<sup>1</sup> ابن عودة المزاري؛ المرجع السابق، ص 86

<sup>2</sup> أبو جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي؛ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي)، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهرسه صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صدا- بيروت، سنة ( 1426هـ- 2005م) ص 339.



### المبحث الثالث 3 / التجارة:

#### 3 / 1 الأهمية التجارية لوهران ما بين الخلفية التاريخية والمؤهلات الجغرافية:

#### 3 / 1 / 1 الخلفية التجارية لوهران قبل الزينيين:

ارتبطت وهران طيلة تاريخها الوسيط بخريطة المسالك والطرق التجارية الثابتة في اتجاهات مألوفة، ففي الطريق البحري بين العدوتين كانت وهران محطة هامة للسفن الأندلسية، ويبدو أن هذا الطريق سيزداد أهمية تجارية وسفرية خاصة بعد تأسيس مدينة المرية<sup>1</sup> منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

وقد تنامت وازدهرت التجارة بين المدينتين وأصبح الطريق بينهما من أنشط المسالك البحرية الرابطة بين العدوتين الأندلسية والمغربية، كما تميزت بضخامة المبادلات بينهما خاصة في عهد المرابطين والموحدين، فالإدريسي يوضح: "... وهي (وهران) تقابل مدينة المرية من ساحل بر الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان<sup>2</sup>... ولها على ميلين منها (وهران) المرسى الكبير وبه ترسي المراكب الكبار والسفن السفرية..."<sup>3</sup>

والملاحظ ان توحيد أجزاء واسعة من الغرب الإسلامي وخضوعه للدولة المركزية، غير الأوضاع السياسية وحتى الاقتصادية في المنطقة، فحسب بعض المؤرخين تم تجاوز النظرة الاقتصادية التقليدية، حيث تحولت من كيانات زراعية محدودة المجال، إلى نشاط تجاري قوي منظم للدولة المركزية يحتكر الطرق<sup>4</sup>، ومن ثمة يحتكر السلع وعملية التصدير والاستيراد.

وهذا وفّر دفعا قويا للتجارة، وجعلها محركا لباقي الأنشطة، خاصة أنه تم الاستغلال الأمثل للإمكانات الفلاحية التي يتمتع بها الغرب الإسلامي عامة ومنطقة المغرب الأوسط خصوصا، ونقصد هنا توجيه الكثير من المنتوجات الفلاحية للتصدير المباشر، أو التي استغلت في تنشيط الصناعات المختلفة المرتبطة بالمجال الفلاحي مثل الصناعة النسيجية على سبيل المثال.

<sup>1</sup> وقد أشاد الكثير من الجغرافيين والمؤرخين لأهمية تجارتها، إلى جانب دورها العسكري ومن المؤكد ان المرية أصبح لها طريق.

<sup>2</sup> حدد الإدريسي مسافة "مجران" بحوالي 204 عند تقدير المسافة مع تنس الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 57 / 61

<sup>3</sup> الإدريسي؛ المصدر نفسه، ص 57.

<sup>4</sup> القبلي (محمد)؛ حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط، مقدمات أولية وقضايا، منشورات الفنك، الدار البيضاء،

سنة 1998. ص 21.

والملاحظ أن الموحدين قد استغلوا امتداد قوتهم السياسية والعسكرية في مد نفوذ تجاري قوي في جميع الاتجاهات، وتم ربط التجارة المتوسطية للضفة الغربية بالضفة الشرقية، عن طريق معاهدات رسمية جمعتهم مع الإمارات الإيطالية، فأطرت مسارات تجارية مستقرة ودائمة، وهذا بدوره خدم طرقاً ومدناً ذكرت بعينها كمحطات رئيسية في مسالك هذه الدورة التجارية.

وقد اختيرت مدينة وهران في سلسلة هذه المدن المحظوظة، التي مثلت منافذاً للتجارة والتجار والثراء، مما ساهم في ازدهارها وتنشيط حياتها في جميع المجالات، وظهر ذلك جلياً في تطوير عمرانها واتساع مدينة وهران على الجهة الشمالية في اتجاه البحر<sup>1</sup>، فأصبح بإمها الشمالي يطل على مرساهما<sup>2</sup>، مما جعل البحر مصدر رزقها ورواجها وشهرتها؛ فتعددت أسواقها داخل المدينة وعلى الطرق المؤدية إليها، وهذا ما أشادت به المعلومات التاريخية التي تتفق على أهمية وهران في التجارة المتوسطية في فترة الحكم الموحدية خاصة.

ونورد هنا وصفاً يوجز ما وصلت له وهران من ازدهار ملفت للنظر، من عيون جغرافي عاش هذه الفترة فيقول الإدريسي: ". . . وهران على مقربة من ضفة البحر وعليها سور تراب متقن وبها أسواق مقدره وصنائع كثيرة وتجارات نافقة. . ."<sup>3</sup>.

ولكن هذه المكانة والازدهار التجاري تراجعاً بسبب ضعف الدولة الموحدية وبداية ظهور ممالك وريثة لها ومنافسة لبعضها البعض، فقد أدى صراعها وصدامها إلى تفكيك وتقسيم الفضاء التجاري إلى وحدات مجزأة ومتقطعة المسالك والطرق والاتجاهات المعتادة للقوافل والسفن، فأصبحت متذبذبة مع ملاحظة انحصار المصالح التجارية للدول المغربية أكثر إلى المدن الساحلية، بسبب فقدان السيطرة على البحر المتوسط، نتيجة تنامي القوة البحرية للمسيحيين من المدن الإيطالية من جهة والممالك الإسبانية الناشئة من أراغون وقشتالة.

### 3/1/2 المؤهلات الجغرافية لمراسي وهران (مراسي وهران وموقعها على شبكة المسالك والطرق البحرية):

تتمتع وهران بخصائص ومؤهلات جغرافية مهمة، ساهمت ببروز دورها في التجارة الخارجية للدولة

تأسست مدينة وهران على بعد حوالي ميلين من البحر، وبنموها وأهمية تجارتها توسعت وبدأت تقترب تدريجياً من مرساهما<sup>1</sup>.

<sup>2</sup> الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 57.

<sup>3</sup> الإدريسي؛ المصدر نفسه، ص 57.

الزيانية خاصة على مستوى البحر المتوسط، ومن المؤهلات الجغرافية قربها من أهم مرسى في المغرب الأوسط ونقصد هنا المرسى الكبير.

### 3/1/2/1 مراسي وهران:

### 3/1/2/1 المرسى الكبير وأهميته:

يبعد المرسى الكبير بفرسخ واحد عن وهران<sup>1</sup>، ويتمتع بخصائص ينفرد بها عن باقي المراسي في المغرب الأوسط ومنها الاتساع، مما يسمح برسو السفن الكبيرة فيه<sup>2</sup>، وهذا شجع على التبادل التجاري الكمي للسلع والبضائع ذات الحجم الكبير. كما أن المرسى الكبير ينفرد بميزة أخرى مفضلة للتجارة البحرية، وهي كونه مرسى شتوي، يقلل من أخطار البحر والرياح القوية والعواصف من أي جهة من الجهات<sup>3</sup>، وحتى بعده نسبياً من الزقاق الذي وُصف بأنه "مجمع البحرين لا تزال الأمواج تتطاول فيه والماء يدور".<sup>4</sup> يقلل من قوة التيارات البحرية لهذا المرسى<sup>5</sup>، والتي كانت تزداد صعوبة في شهر جانفي مما كان يقلل من حركة الملاحة بين العدوتين<sup>6</sup>.

والواضح أن كل هذه المزايا سمحت لوهران بالإستمرارية في حركة التجارة على طول أيام السنة، وساهمت كذلك في استقطاب تجار البحر الذين كانوا يتوجهون ببضاعتهم مباشرة إلى مرسى وهران إذا كان الجو صحواً، وعند اضطراب البحر واشتداد الرياح يرتادون المرسى الكبير ومنه يوجهون بضائعهم في قوارب إلى مرسى وهران<sup>7</sup>.

وقد ساهم المرسى الكبير في تحديد حجم التجارة ونوعية المنتوجات المصدرة من وهران، حيث خصص حيز كبير منها لتصدير المنتوجات الفلاحية الثقيلة من حبوب ومواشي وغيرها، وذلك

<sup>1</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج02. ص 327.

<sup>2</sup> ويقول في ذلك حسن الوزان: "إن ميناء المرسى الكبير ما أظن في الدنيا أكبر منه، يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية..". المصدر السابق، ج02. ص 31.

<sup>3</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج02. ص 327.

<sup>4</sup> المقرئ؛ المصدر السابق، ج01. ص 146.

<sup>5</sup> ولم تكن هذه الصعوبات هي التي ترعج تجار البحر بل زادتها التيارات البحرية القوية من الزقاق الذي يفصل بين الجدارين، فالبحر في هذا الموضع "شديد الهول، ومتلاطم الأمواج" على حد تعبير المقرئ، خطط، ج01. ص 17.

<sup>6</sup> عبد السلام الجمعاطي؛ دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، ط01. الناشر دار الكتب العلمية لبنان، سنة 2012. ص20.

<sup>7</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج02. ص31.

تماشياً مع إمكانيات المرسى الكبير، وقابلية رسو المراكب الكبيرة به، والتي كانت سعة استيعابها مناسبة لنوع هذه التجارة الغذائية، كما أن هذه التجارة استفادت من قرب الأسواق المستفيدة منها، مما جعلها تجارة مربحة وآمنة<sup>1</sup>.

وقد استمرت هذه التجارة الحيوية طيلة العصر الوسيط بين وهران والمدن الأندلسية، وفي العصر الزياني أصبحت بين وهران مع أطراف أخرى، وخاصة الأراغونيين الذين استفادوا من صادرات وهران الفلاحية إلى أقصى درجة، وقد زادت أهمية المرسى الكبير في ازدهار تجارة وهران خاصة بعد تحصينه وحمايته من الغارات البحرية، وذلك ببناء برج المرسى سنة ثمان وأربعين وسبع مائة ( 748هـ / 1347) من طرف أبي الحسن المريني.

والملاحظ أن الطريق البحري لم يكن الطريق الوحيد بين وهران والمرسى الكبير، فهناك طريق آخر بري، استغل كذلك في التنقل بينهما وخاصة بعد بناء بنو زيان لمدينة صغيرة قرب المرسى الكبير<sup>2</sup>. ولكن هذا الطريق كان صعب المسلك بسبب ضيقه وكونه غير مستو، ويسمى هذا الممر الكرسي<sup>3</sup>.

### 3/1/2/1/ مرسى مدينة وهران:

وهو ثاني مرسى من حيث الأهمية بالنسبة لوهران، يقع على الحافة الغربية من الخليج، وهو بعيد عن رواسب التيار البحري<sup>4</sup>، كان موضعه يمتد من منحدرات جبل مرجاجو إلى نتوء ممتدة على شكل لسان يخترق البحر بطول حوالي 2800 متر (أي 2.8 كلم)، ويضم في القمة الجبلية من جهة البر "قلعة لامون"، والتي كانت تسمى في العهد الإسباني "برج اليهودي"، وللقلعة ميناء خاص يمتد على هكتار أو هكتارين، ومن هذا الموضع نشأ مرسى وهران<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> وحسب أوليفيا ريمي كونستيل أن من أكثر المواد تلفاً عند الابحار بما لمسافات بعيدة تكون المواد الغذائية، وذلك لتعرضها للتلف بسبب التعفن أو ضرر الحشرات، وكلما كانت المسافة قصيرة قل الضرر والتلف. يمكن الرجوع للمرجع السابق، التجارة والتجار ص 245.

<sup>2</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 31

<sup>3</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02. ص 327.

<sup>4</sup> ويحمل تيار البحر المتوسط القادم من جبل طارق رواسب يلقي بها على الحافات الشرقية أو الجنوبية للخليج، لذلك تتخذ الموانئ الحافة الغربية من الخليج. حلومي عبد القادر، المرجع السابق، ص 43.

<sup>5</sup> Chaila ( Houari) ; Oran ( Histoire d'une ville) , el gtihad ,p15.

### 3/1/2/1/3 مرسى أرزوا - أرزيو:

تبعد مدينة أرزوا عن وهران بأربعين ميلا<sup>1</sup>، وأرزيو مدينتان إحداهما قديمة تخدمت بقدوم العرب وتقع وراء إبرة وهران، ولها مرسى آمن من الرياح الشرقية والشمالية، وبالقرب من هذا المرسى يوجد مرسى آخر وهو المسمى أرزيو الجديدة، وكان مقصدا للتجار النصارى ولبضائعهم<sup>2</sup>.

### 3/2/1/1/3 موقع وهران على المسالك التجارية البحرية:

تعتبر وهران مدينة ساحلية قريبة من البحر عند نشأتها، حيث كان لا يفصلها عن البحر مسافة طويلة، وبمرور الزمن أصبحت على مرمى حجر منه وذلك أعطى لها أهمية بالغة وجعلها محطة للسفن من مختلف المناطق.

استطاعت المدن المتوسطية ربط علاقات تجارية وثيقة كان لها دور في ازدهار اقتصاد دولها، لذلك سنت معاهدات لترسيخ المسالك والطرق التجارية وتوفير الحماية للتجار والمسافرين عبر البحر، ورغم الصراع والتصادم بين القوى السياسية المتناحرة على ضفافه، إلا أن التجارة استمرت بوتيرة معينة، حافظت من خلالها على المصالح الاقتصادية الحيوية للمدن التي دخلت بشكل مباشر وغير مباشر في الدورة التجارية المتوسطية.

ولفهم دور وهران في هذه الدورة التجارية، لابد من إدراك موقعها في شبكة المسالك والطرق المتوسطية وحتى داخل العمق المغربي وحواضره ومصادر ثرواته.

### 3/1/2/2/1/3 من وهران إلى الأندلس:

تحتل وهران موقعا مهما بالنسبة إلى الأندلس، فهي من المدن المغربية التي تناظر مدنا أندلسية، ومراسيها تناظر مراسيا مهمة في مسالك التجارة والسفر. وقد أوضح الإدريسي (ق6هـ/12م) طبيعة المسافات البحرية وقياساتها بدقة ما بين وهران وما يقابلها من أرض العدو الأندلسية، والواضح أن الطريق البحري بين سواحل وهران وما يقابلها من الأندلس، حظي بأهمية خاصة في الوصف وتقدير المسافة لأهميته في حركة الملاحة البحرية، ونستعرض ما أورده الإدريسي لاستخلاص أنواع الطرق ومسافاتها بعدها، ونحدد المسالك البحرية المارة على وهران:

<sup>1</sup> البكري؛ المصدر السابق، ص 70. وكذلك الحميري، المصدر السابق، ص 28.

<sup>2</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02. ص 349.

### 3/1/2/2/1/1 النوع الأول (هو الخط المباشر):

ينطلق هذا الخط البحري من وهران إلى طرف مشانة حيث حددها الإدريسي بطريقة قطع روسية ب: 25 ميلاً<sup>1</sup>، بمعنى اتخاذ خط يشبه الخط المستقيم للوصول إلى المحطة مباشرة دون التوقف عند محطات<sup>2</sup>. ويعتمد في هذا النوع من الملاحة على الرياح ومعرفة جهات مهاجها وقدرتها على توجيه السفن وفق استقامة معينة<sup>3</sup>. ويبدو أن السفن الشراعية استخدمت بكثرة لهذا النوع من الملاحة.

### 3/1/2/2/1/3 النوع الثاني ( عن طريق المساحلة):

يذكر الإدريسي أن المسافة بين مشانة، ووهران على طريقة التَّقْوِير تقدر ب: 32 ميلاً<sup>4</sup>، وهو أسلوب الملاحة باتباع منحرجات السواحل والخلجان والرؤوس البارزة على سيف البحر، وهذا أسلوب تتبعه كثيراً السفن والمراكب الصغيرة التي لا تستطيع الابتعاد عن السواحل، لعدم قدرتها على الاحتماء من هول البحر، فتلجأ للمساحلة حماية لها بالتضاريس القريبة من بعضها، مما يمنع ظلالها في وقت الضباب والغيوم المنخفضة التي تحول دون رؤية السواحل أثناء الليل<sup>5</sup>، كما يعتمد على الملاحة عن طريق المساحلة عندما تختلف اتجاهات هبوب الرياح. فيستخدم النواتية والملاحون قوانين ملاحية هي محصلة تجربتهم في البحر<sup>6</sup>، وهذا الأسلوب وإن كان أكثر أمناً للسفن في الملاحة، فإنه في المقابل يزيد من المسافة البحرية الفارقة بين الطريقتين، والتي تصل الزيادة في المثال الذي ذكرناه إلى فارق يقدر بـ 8 أميال (بمعنى أن طريق المساحلة أطول بـ 8 أميال من الخط المباشر). وهذا الأسلوب على ما يبدو من الملاحة كان رائجا بين سواحل وهران ومدن العدو الأندلسية، لصعوبة المرور بسبب التيارات البحرية من جهة، ولسهولة التنقل بالمساحلة للسفن الصغيرة من جهة ثانية.

<sup>1</sup> الإدريسي؛ المصدر السابق، ص71.

<sup>2</sup> الجعماطي؛ دراسات في تاريخ الملاحة. 122.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ مقدمة، دار ابن الهيثم، ص 43.

<sup>4</sup> الإدريسي؛ المصدر السابق، ص71.

<sup>5</sup> الجعماطي؛ المرجع السابق، ص 75، 76.

<sup>6</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ مقدمة، دار ابن الهيثم، ص 43.

والملاحظ أن المسافات البحرية تختلف من منطقة إلى أخرى، حسب الأسلوب المتبع في الملاحة ومحطات الراحة والتوقف للتجارة ومع مدن الساحلة، وكذلك حسب اختلاف تقديرات قياس المسافات البحرية بين الفنين الجغرافيين والرحالة وغيرهم.

وعن تقدير قياس المسافات ومقارنتها ببعض عند الإدريسي، فنورد النموذج الخاص بوهران لتحديد ذلك، ومما جاء في تحديد المسافة بين وهران والمرية يذكر: "مدينة المرية من ساحل بر الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان"، وفي موضع آخر يحدد المسافة ما بين مدينة وهران ومدينة تنس والتي هي "مجريان" كذلك، وتقدر بالأميال حسبه بـ: "204 أميال"<sup>1</sup>، بمعنى أن كل مجرى يقدر بـ 102 ميل.

3/ 2/ 2/ 1/ جدول لقياس المسافات بين سواحل وهران ومختلف المدن الساحلية المتصلة معها بمسالك بحرية:

<sup>1</sup> الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 61 / 57.

## الفصل الثاني: ..... الحياة الاقتصادية في وهران

المسافة بالبحري من وهران إلى مدن أو مراسي ساحلية	المسافة بالمجرى <sup>1</sup>	المسافة بالمرحلة	المسافة بالميل <sup>2</sup> أو الفرسخ <sup>3</sup>	المسافة باليوم <sup>4</sup>
وهران إلى المرية	مجران:وردت عند (الادريسي)و(الحميري		خمسون فرسخا (الزهري)	
وهران إلى هنين			ثمانون (80 ميلا) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا	
وهران إلى تنس	مجران (الادريسي)	7مراحل (عبد الواحد المراكشي)	204 أميال (الإدريسي)	
وهران إلى سبتة		18 مرحلة (عبد الواحد المراكشي)		
المرسى الكبير إلى أسكوبرش	مجران ونصف (البكري)			
وهران إلى الأندلس				يوم وليلة (المقدسي)
وهران إلى تونس				12 يوما (خط مباشر)، وكذلك شهر و20 يوما عند التوقف في المدن (القلصادي)

<sup>1</sup> المجرى (البحري): وهي الوحدة الأساسية لتقدير المسافات في عرض البحر والمحيطات من قبل البحارة المسلمين خلال القرون الوسطى، ومعناها المسافة التي كانت تقطعها السفينة العربية الإسلامية طيلة يوم كامل من الإبحار، وهي مائة ميل، أي مائة وثمانية وثمانون كلم تقريبا، شرقي؛ التقييس الرسمي ببلاد المغرب الإسلامي (دراسة أثرية ومقاربات تحليلية لأدواته المتبقية)، أطروحة دكتوراه في آثار المغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، السنة الجامعية 2006 - 2007م. ص 174.

<sup>2</sup> الميل: (MILLE: MAILE) وهو عند أهل اللغة مدى البصر ومنهاه، وعند الجغرافيين العرب مسافة ثلاثة آلاف ذراع اصطلاحية، أما كوحدة لتقدير مسافات السفر فقد اختلف في مقداره، فمنهم من يرى طوله يقدر بألف ذراع، أي نحو 470 مترا، ومنهم من يرى طوله ألف خطوة أي 705 مترا بخطوة الرجل، أو 1410 مترا بتقدير خطوة البهائم، وهو الأقرب للصحة من سابقه، وحسب الميل البري الإنجليزي فيقدر بـ 1.906 كلم. شرقي، المرجع نفسه. ص 176.

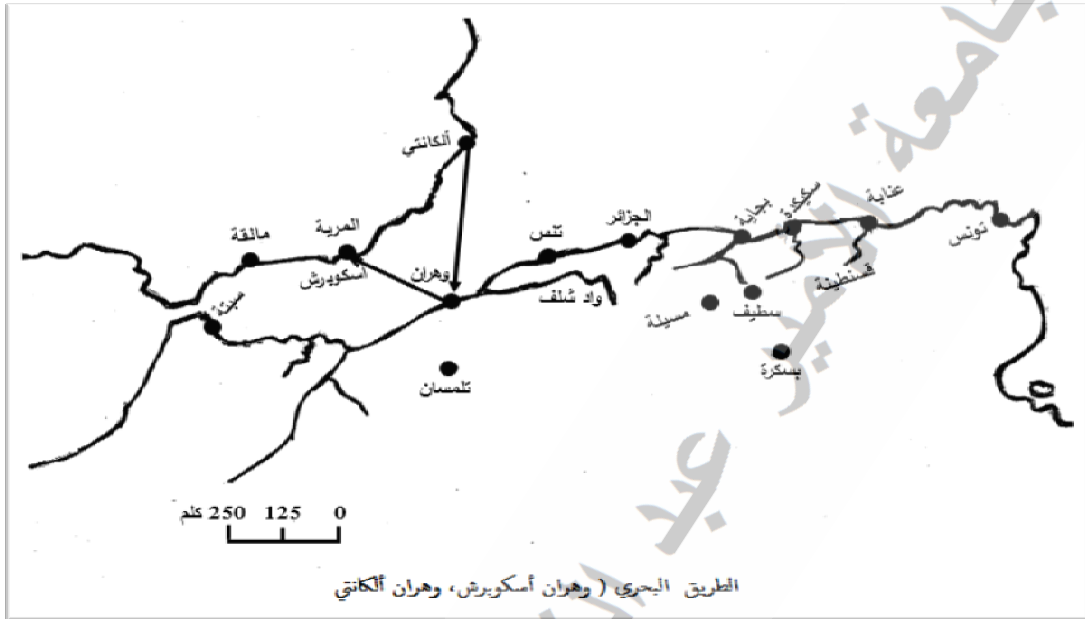
<sup>3</sup> الفرسخ (PARASANGE. FARSEKHà) كلمة مغربية عن الفارسية "فرسخ" وهي وحدة لقياس المسافات الطويلة، وتقدير المساحات الشاسعة، وقد اختلف في تقدير طوله فمنهم من يقول ثلاثة أميال، ومنهم من يقول ستة أميال ومنهم من يقول اثنا عشر ألف ذراع اصطلاحية أي 5640 مترا. يمكن الرجوع لشرقي، المرجع نفسه، ص 171.

<sup>4</sup> اليوم: وحدة قياس زمنية لتقدير مسافات السفر البعيدة، ومعناها مقدار مسيرة قافلة بشكل منتظم من مطلع الشمس إلى غروبها، حيث اليوم الخفيف مقدار خمسة عشر ميلا أي نحو 28.2 كلم واليوم الكامل عشرون ميلا أي 37.6 كلم.

شرقي، المرجع نفسه، ص 178



3/2/2/1/3 خرائط توضيحية تبرز أهمية وهران على طرق التجارة والسفر:  
خريطة 01: توضح وهران والمرافئ الأندلسية التي تربطها طرق بحرية معها<sup>1</sup>:



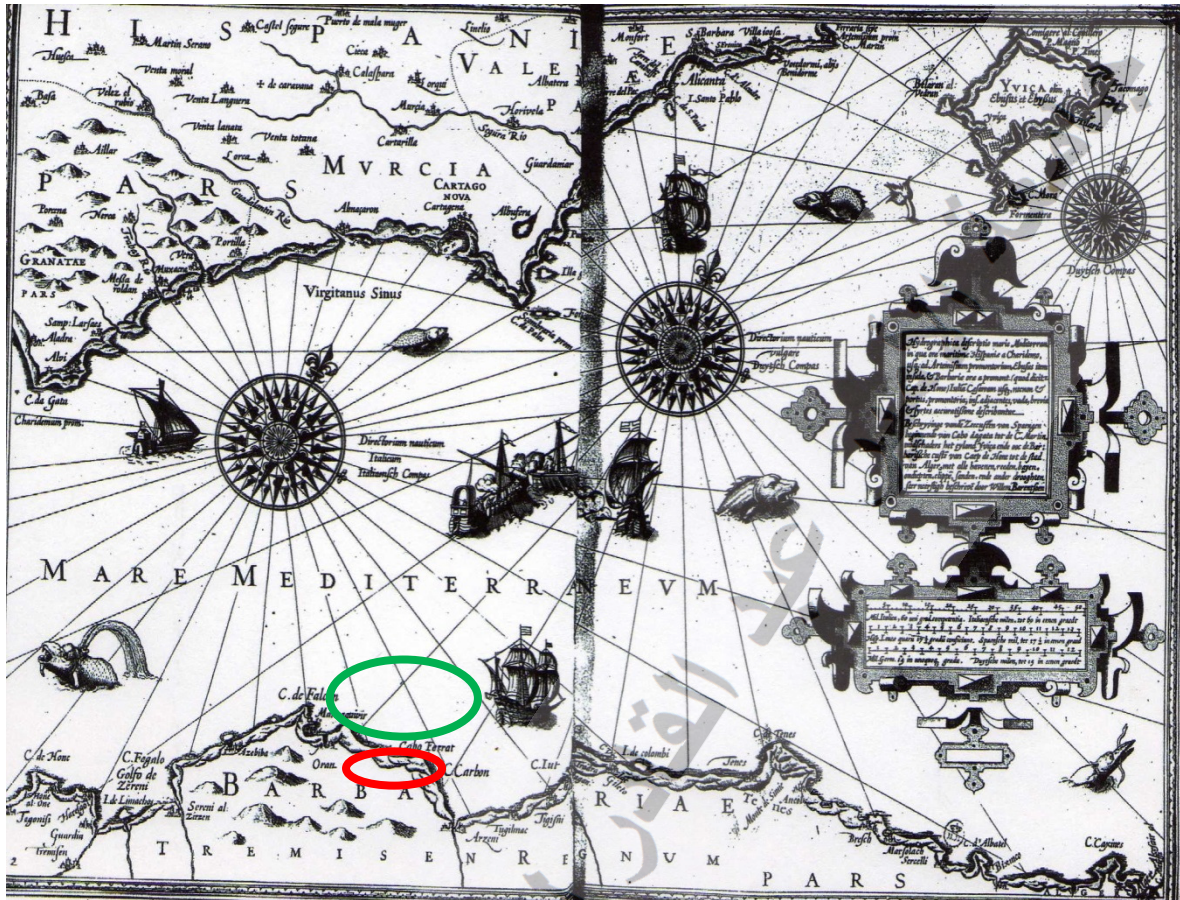
خريطة 02: توضح بعض المدن القريبة من وهران ومختلف المدن الساحلية في المغرب الأوسط<sup>2</sup>:



<sup>1</sup> خريطة من إنجاز الباحثة بالاعتماد على المعطيات الجغرافية والتاريخية .

خريطة من إنجاز الباحثة توضح أهمية موقع وهران بالنسبة للعاصمة تلمسان<sup>2</sup> .

خريطة 03: خريطة تاريخية توضح حركية الملاحة في الحوض الغربي للمتوسط ودور الجزر في ذلك<sup>1</sup>



ولقرب المسافة بين سواحل العبد واديين والضفة الجنوبية للأندلس، فقد استخدمت أنواع معينة من السفن منها الشطي بين مدينة المنكب وهنين<sup>2</sup>.

### 3/ 2 الملامح الأساسية لتجارة وهران في الفترة الزيانية:

مرت تجارة وهران في الفترة الزيانية من منتصف ق 7هـ/13م إلى الاحتلال الإسباني في ق 10هـ/16م بمراحل قوة وضعف لما شهده المغرب الأوسط من تحولات، وتغيرات مست مختلف المجالات التي أثرت على تجارتها وقد سبق لي تحديد هذه المراحل في الحياة السياسية لوهران، وسأحاول تحليل هذه المراحل من

<sup>1</sup> Corneille Nicolas Marchand Libraire Demeurant a L'enfeigne ; Description De la mer méditerranee ( Guillaune Dérnard , pilote 1608) du Livre à eferire , Lan M. DC. VII. Amsterdam. S. p

<sup>2</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج08. ص 371.

نظرة اقتصادية وخاصة تجارية لطبيعة النمط الاقتصادي السائد في وهران.

### 3/ 1/2 المرحلة الأولى:

وفي هذه المرحلة عرفت وهران تراجعاً لدورها التجاري والاقتصادي عامة، بسبب الاضطرابات والحروب المتواترة بين القوى القبلية المتصارعة على الملك والحكم، وظهر ذلك بعد تقلص النفوذ الموحد، وافتقار المغرب لقوة مماثلة توحد كياناته القبلية تحت لواء سلطة واحدة، وقد انعكس الوضع السياسي على الوضع الاقتصادي كثيراً، فتراجعت مختلف النشاطات الاقتصادية في الريف والمدن، وحتى شبكة الطرق اضطرت وقل من يرتادها في البر والبحر.

ومن المناطق التي كانت أكثر ضرراً نجد منطقة المغرب الأوسط، والتي شكلت ملتقى الأطماع وموطن المقاومة للقبائل الزناتية القوية التي لها باع طويل في المقاومة والارتداد عن الطاعة سواء للزيانيين أو للحفصيين وللمرينيين فيما بعد.

وقد أشارت المعطيات المصدرية أن مدينة وهران تراجع دورها التجاري بشكل كبير وتراكمي، حتى فقدت جزءاً كبيراً من تجارتها الخارجية، وخاصة في النصف الأخير من ق7هـ/13م، ووصف حالتها هذه ياقوت الحموي بقوله: ". . . هي مدينة صغيرة على ضفة البحر، وأكثر أهلها تجار لا يعدو نفعهم أنفسهم. "1. ويبدو من الوصف أن التجارة كانت النشاط الأول في وهران، ولكنها في المقابل كانت متواضعة من حيث الربح، وهذا يوحي بأن أهل وهران كانت تجارتهم محلية وداخلية بين وهران ومحيطها الداخلي من المجال الريفي، وبين المدن الداخلية للمغرب الأوسط، وخاصة الحاضرة تلمسان. ونعتقد أن تجار وهران تجنبوا في هذه المرحلة التجارة البحرية المباشرة للموانئ البعيدة، وذلك بسبب أخطار القرصنة وضعف الحماية على الساحل.

### 3/ 2/2 المرحلة الثانية:

تبدأ من منتصف القرن 7هـ/13م وهي فترة حكم الدولة المرينية لوهران، وما وفر ذلك من استقرار للأوضاع واهتمام بالمدن الساحلية ومنها وهران، التي زاد من تحصيلها أبو الحسن المريني، وقد وفر للمنطقة الأمن وأسقط عن السكان المغارم والضرائب المرهقة مما ساهم في ازدهار التجارة الداخلية وحتى الخارجية، ويبدو أن هذه الوضعية استمرت في عهد ابنه أبي عنان رغم بعض الاضطرابات، ورغم أن المنطقة ككل نقصد المغرب الأوسط عرفت تقلبات وتغييراً للسلطة من

<sup>1</sup> الحموي؛ المصدر السابق، ج05. ص443.

حين إلى آخر، إضافة إلى الفتن الداخلية والتمردات، إلا أن الوضع الاقتصادي كان يعرف استقرارا نسبيا، وقد ساهمت عدة أسباب في هذا الاستقرار منها استمرارية التجارة مع مختلف المدن ومجالاتها الريفية وكذلك نشاط التجار في تبادل السلع وانفتاح التجارة الداخلية للمغرب الأوسط على فضاءات واسعة ومتنوعة، كان لها دور في توفير الكثير من المنتجات والبضائع للدولة الزيانية، سواء عن طريق البحر أو عبر مسالك الصحراء، وربما هذا ما أعطى ميزة للدولة الزيانية، وأبقى على وجودها مدة طويلة رغم تعدد أعدائها واستهدافها في الكثير من الفترات ومحاولة محو وجودها.

### 3/3 صادرات وهران ما بين المنتجات المحلية وتجارة الوساطة:

من المهم أن نشير هنا أن وهران في الفترة الزيانية لعبت دورا تجاريا مهما، فهي من جهة بوابة رئيسية لتوريد الفائض من الإنتاج الفلاحي والصناعي لمملكة تلمسان، ومن جهة أخرى كان لها دور في تصدير تجارة العبور وخاصة بضائع الصحراء.

### 3/3/1 الصادرات الفلاحية والحرفية:

### 3/3/1/1 الصادرات الفلاحية:

تُؤنّه جل المصادر عن توفر إمكانيات الإنتاج الفلاحي في المغرب الأوسط، وقد أصبحت مدنه أسواقا مهمة لتصريف الفائض منه، وخاصة المدن الساحلية، فهي محطات حيوية ربطت أسواق المتوسط ببعضها.

ومدينة وهران استقطبت الكثير من التجار الأندلسيين، الذين حملوا المنتجات الزراعية من وهران إلى المدن الأندلسية، ثم أصبحت منفذا هاما لتجارة متوسطة بعيدة المدى، متصلة بالمسالك الكبرى لهذه التجارة. وعن أسباب رواجها خاصة مع الأندلس فيرجع لعوامل منها، الازدهار الفلاحي الذي عرفته منطقة المغرب الأوسط، وسهولة توريده إلى المدن الساحلية بسبب وجود طرق حيوية تربط القرى الفلاحية والمدن التجارية وعلى رأسها وهران وتنس وغيرها.

ومن المنتجات الزراعية التي اشتهرت بتصديرها وهران نجد:

### 3/3/1/1/1 الحبوب:

تشكل هذه التجارة أهمية لقيمتها الغذائية لشعوب البحر المتوسط، لذلك نجدها لا تكاد تنقطع رغم فترات ضعف بسبب الأوضاع والظروف السياسية غير المستقرة.

### 3/1/1/1/1/3 القمح:

يعتبر القمح المنتوج الفلاحي الأكثر أهمية في تجارة الحبوب، وخاصة بين العدوتين في الفترة الوسيطة، إضافة إلى أنواع أخرى من الحبوب مثل الشعير والحنطة وغيرها. والملاحظ أن القمح شكل بضاعة مطلوبة من الأندلسيين رغم توفره في بعض المناطق من الأندلس، مما يفرض تصريفه إلى المناطق البعيدة التي يختلف مناخها على منطقة الغرب الإسلامي، وهذا ما أثار الباحثين لطرح سؤال موضوعي عن أسباب الطلب المتزايد عليه من الضفة الجنوبية للأندلس.

وتبدو الإجابة عن هذا السؤال تتطلب إدراك عدة عوامل شجعت رواج هذه التجارة طيلة العصر الوسيط، بعضها متعلق بالظروف المناخية؛ ونقصد هنا سنوات القحط<sup>1</sup>، والتي تليها سنوات المجاعة التي تزايد فيها الطلب على هذه المادة الغذائية، كما ان الحالة السياسية للأندلس وانتشار الحروب والصراع أدّيا عادة إلى إهمال الفلاحة، مما تسبب في تراجع الإنتاج الزراعي، فتطلب ذلك جلب هذه المادة من المغرب.

كما لا ننسى سبب مهما لتوريد القمح إلى الأندلس، وهو تزايد المدن فيها ونمو سكانها وخاصة الجهة الساحلية الجنوبية، مما وفر ازدياد الطلب على القمح، والذي كثرت استخداماته في المطبخ الأندلسي، فإلى جانب صناعة الخبز، استخدم في تحضير الكثير من المحبوزات الأخرى التي اشتهرت بها المدن الأندلسية.

ولإشباع رغبة هذه المدن من القمح اختيرت وهران لتوريد القمح، وذلك لقربها من مدن الساحل الأندلسي وانخفاض تكاليفه؛ وهنا يذكر الإدريسي أن: ". ومنها (وهران) أكثر ميرة ساحل الأندلس"<sup>2</sup>. كما أن تراجع سعره من جهة ثانية جعل الكثير من المدن المغربية الساحلية محطات رئيسية في هذه التجارة<sup>3</sup> إلى جانب وهران.

هذه الأخيرة ارتبطت بخط تجاري قديم لهذه المادة يعود للدولة الرستمية، التي اتخذت من وهران منفذا لتصريف الفائض من إنتاجها الفلاحي من القمح وباقي الحبوب<sup>4</sup>، وقد استمرت وهران

<sup>1</sup> كولان؛ الأندلس، ص 99.

<sup>2</sup> الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 57.

<sup>3</sup> ذكرت المصادر الجغرافية أن الكثير من المدن المغربية عرفت بتصديرها للحبوب إلى الأندلس.

<sup>4</sup> Vincent Lagardere ; Le commerce des céréales entre Al – Andalus et le Maghreb aux XI et XII siècles. L'Occident Musulman et L'Occident Chretien au moyen

طيلة الفترة التي سبقت المرحلة الزبانية في توريد القمح الصلب<sup>1</sup> للمدن الأندلسية حتى اعتبرت: أكثر ميرة لساحل الأندلس".

ولكن السؤال الذي يطرح هنا هل هذا يعني أن القمح كان يورد فقط إلى الأندلس دون المدن المتوسطية الأخرى؟.

احتكار عمليات النقل ومدة طويلة كل هذه الأسباب جعلت المغرب يمون المدن الأندلسية بالقمح، خاصة أن هذا الأخير عرف بالإنتاج الوافر للحبوب.

وبسقوط الأندلس أصبحت وهران من المراكز الحيوية للتاج الأراغوني في توريد القمح إلى جانب مستغانم وتنس<sup>2</sup>.

ومن المنتجات الزراعية التي تم تصديرها كذلك الفواكه<sup>3</sup>.

### 3/1/1/2 الأصواف والماشية:

صدرت وهران الكثير من المنتجات ذات الطابع الفلاحي، المرتبط بالنشاط الرعوي وتربية

النحل، فذكرت بعض الإشارات التاريخية أن وهران كانت محطة مهمة لتصدير الأصواف والماشية،

فصدرت الصوف الخام على شكل رزم<sup>4</sup>، ويبدو أنها كانت ذات أسعار زهيدة عكس المنتجات

المصنعة، ومن المنتجات الأخرى المرتبطة بشروتها الحيوانية، صدرت وهران جلود الثور المدبوغة<sup>5</sup>.

كما صدرت العسل والشمع<sup>6</sup>، هذا الأخير الذي يتخذ من بيوت النحل، يعرف من أنواعه

"الشمع الأبيض" المسمى "الموم"<sup>7</sup>.

---

age ,coordonné par , Mohammad Hamman ,1ère édition 1995. eduteur publication de la faculté des lettres , Rabat ,p 123.

<sup>1</sup> Mohamed Bouchikhi , presion demographique , environnement et développement global de la ville d'oran ,cahiers de la méditerranée n 51 ,1, 1995ville intermédiaires en méditerranée ,tome 02/p 18

<sup>2</sup> Serge Gubert , Maria Dolores Lopez Perez ; La Corona de Aragon y el Magreb el siglo XIV (1331 1410) Annales Histoire sciences sociales. 55°années , N 3. 2000. p p 661— 664.

<sup>3</sup> Ismet Terki Hassiane ; Oran au XVIII ,Désarroi à la clairvoyance politique de lé l'Espagne , Revue Algérienne d'anthropologie et de sciences sociales, 23/24. 2004. p 197.

<sup>4</sup> أوليفيا كونستيل ؛ المرجع السابق، ص 243.

<sup>5</sup> Fey ; Op. Cit. p54

<sup>6</sup> Ismet Terki Hassiane ; Op cit. p197.

<sup>7</sup> الغساني ؛ المصدر السابق، ص 178.

### 3/1/1/3/3 تصدير الأصباغ:

صدرت وهران بعض المواد الصبغية التي كانت تنتجها مثل القرمز<sup>1</sup>.

### 3/2/3 الصادرات الحرفية:

ومن المنتوجات الحرفية التي صدرتها وهران نجد:

### 3/1/2/3/3 المنتوجات الصوفية:

عرفت وهران بتصديرها للمنتوجات الصوفية الرفيعة، وإلى جانب تصدير منتوجاتها الصوفية المحلية فقد كانت وهران معبرا لتصدير المنتوجات الصوفية التي اقتصت بها المدن الزيبانية، وخاصة الحاضرة تلمسان والتي اشتهرت بجودة صناعتها الصوفية ووفرتها وذلك لامتهان عدد كبير من ساكنتها حياكة الصوف<sup>2</sup>.

وقد تميزت المنتوجات الصوفية بتعدد الأصناف المصنعة من الصوف من المحررات<sup>3</sup> والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل المكلكلة<sup>4</sup>. وكذلك الكنايش<sup>5</sup>، والتي تميزت بها تلمسان عن غيرها من المدن الأخرى<sup>6</sup>. وفي ذلك ورد ". ومنها تحمل ثياب الصوف المفضلة في جنسها المصنوع في سائر المغرب"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> محمد حسن؛ المرجع السابق، ص 486.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 01. ص 92.

<sup>3</sup> المحرر هو الصوف المخلوطين بالحريز. ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية ( من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية ) 711هـ/1031م ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي، علي إبراهيم المنوفي وآخرون. المجلد الثاني، الجزء الأول، المجلس الأعلى للثقافة سنة 2002. 365.

<sup>4</sup> ابن ابي بكر الزهري؛ المصدر نفسه، ص 114.

<sup>5</sup> ج. م كنبوش، وهو يشير إلى صنف من الخمار تلبسه نساء الأندلس والمغرب وهي تقابل بالإسبانية كلمة cabux ويقصد بها قناع أو خمار أو نقاب يغطي الوجه، وتذهب المعاجم المحدثه إلى أنه منديل رأس أو عمارة رأس صغيرة من البز تحفظ بها رؤوس الأطفال وتقابلها بالإسبانية كلمة antifadz ذاتها ومعناها خمار يوضع على الوجه. رينهارت دوزي، المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، ط 01. الدار العربية للموسوعات، بيروت (لبنان)، سنة 1433هـ/2012م. ص، ص 344، 345.

<sup>6</sup> الحموي؛ المصدر السابق، ج 02. ص 52.

<sup>7</sup> ابن سعيد المغربي؛ كتاب الجغرافيا، ص 141.

وهذه الشهرة التجارية للمنتوج الصوفي التلمساني اكتسبت من عدة خصائص مميزة له عن باقي المنتجات الصوفية للمناطق الأخرى فإلى جانب التعدد في الأصناف الصوفية من لباس ومفروشات وغيرها، يتميز المنتج التلمساني بالجودة العالية والإتقان في الإنجاز إضافة إلى خفة اللباس، فمعاطف تلمسان سواء كانت الكبيرة أو الصغيرة، فهي رفيعة جدا ويوجد منها ما لا يزن حتى عشرة أواق<sup>1</sup>.

وقد كان لوهران دور في تصريف هذه المنتجات الصوفية التلمسانية إلى مختلف المناطق. وقد خصص جزء كبير من هذه التجارة إلى بلاد الأندلس إضافة إلى تصدير ليق الصوف<sup>2</sup>، وكذلك السجاد الذي راج في الفترة الممتدة ما بين القرنين 7هـ/13م إلى 9هـ/15م<sup>3</sup>. وعُرف نوع من الزرابي بكونها فاخرة<sup>4</sup>، وهذا يعطي انطباعا بأن المنتج التلمساني راعى متطلبات الأسواق الداخلية والخارجية، وذلك إرضاء للزبائن من مختلف الطبقات الإجتماعية.

ومن المنتجات الصوفية التي تبادلتها وهران تجاريا مع كل من التجار الأندلسيين والإيطاليين واشتهرت بها نجد "البرنوس"<sup>5</sup>، والذي يمثل جزء مهما من تقاليد وإرث أهل وهران ومنطقة المغرب الأوسط عموما. وكذلك الحنابل التي وصفت حسب وثيقة أرشيفية برتغالية بأنها نسيج صوفيا مزينا بأشرطة بيضاء وزرقاء وخضراء وحمراء، وكانت تصنع إلى جانب وهران في كل من تنس وبونة وتونس<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كاربخال ؛ المصدر السابق ج02، ص 300. وقد أشاد الزهري بجودة الصناعة الصوفية للتلمسانيين، حيث ذكر أنه يمكن أن يزن كساء كامل تسعة أواق. ابن أبي بكر الزهري ؛ المصدر السابق، ص 114.

<sup>2</sup> ابن أبي بكر الزهري ؛ المصدر نفسه، ص 114

<sup>3</sup> Mohamed Bouchikhi ; Op. Cit, p 18

<sup>4</sup> كاربخال ؛ المصدر السابق، ج02، ص 300.

<sup>5</sup> Eugène Cruck ; ORAN ET Les Temoins de son passé , recits historiques et anecdotes avec un plan de la ville , 1956. p 28.

<sup>6</sup> محمد حسن ؛ المرسى الكبير بوهران ودوره في الملاحة المتوسطية من النشأة إلى الإحتلال الإسباني، من أعمال الملتقى الدولي المنعقد بجامعة الجزائر، المعنون بالموانئ الجزائرية عبر العصور (سلما وحربا)، والمنعقد يومي 7 و8 ديسمبر 2009 منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني، ص 612.



### 3/4 دور وهران في تجارة الوساطة:

كان للمجال المغربي طيلة العصر الوسيط دور مهم في شبكة التجارة العالمية، لذلك كانت تجارته نشطة وخاصة "تجارة الوساطة" أو "تجارة العبور"، وتحولت البلاد جزئياً إلى "منطقة ترانزيت" تربط بين الصحراء والبحر<sup>1</sup>، وقد اهتم الحكام كثيراً بهذه التجارة لما توفره من أرباح هائلة مقارنة بمدخيل النشاط الفلاحي والحرفي<sup>2</sup>.

ولذلك حظيت شبكة المسالك والطرق بأهمية كبيرة لضمان بقاء هذه التجارة، ومن المؤشرات الدالة على حيويتها إلى جانب نشاط مسالكها نجد نمواً متسارعاً للمدن التجارية الساحلية التي لعبت دوراً تجارياً ومالياً مهماً في دعم ازدهار تجارة العبور، وشكلت مرافئها محطات بارزة لتفريغ البضائع والسلع القادمة من مناطق بعيدة تصل إلى الصحراء الإفريقية، وأخرى قادمة من الهند والصين وأوروبا وغيرها.

وهران من المدن الساحلية التي استفادت من هذه التجارة وخاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر (15 و16 م/9 و10 هـ)، ويبدو حسب بروديل أن سلع تجارة العبور طغت على المبادلات التجارية في المدن الساحلية مع التجار الأوربيين الباحثين عن الذهب والعبود، وتم تجاوز النظرة الخاطئة لكون منطقة شمال إفريقيا بلاداً زراعية بامتياز<sup>3</sup>.

### 3/4/1 مسلك ترانزيت:

سجلماسة، تلمسان، وهران:

ما يلاحظ على هذه التجارة الرابطة بين الصحراء والبحر، أنها كانت لها محاور رئيسية تنطلق من حواضر عدة مثل فاس والقيروان وتلمسان وغيرها، وتنتهي إلى المراكز التي تليها على أبواب الصحراء مثل المسيلة وتوزر وسجلماسة ودرعة وتغازي، وصولاً إلى المراكز التجارية المقصودة

<sup>1</sup> بروديل (قرنان)؛ المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإيجاز، مروان أبي سمرا، ط01. دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع بيروت (لبنان)، سنة 1413 هـ/1993 م. ص 102.

<sup>2</sup> عبد الرزاق السعيد؛ منظومة اقتصاد الوساطة في مغارب العصر الوسيط خلال العصر الموحد (أواخر 5هـ/وبداية ق6هـ)، ذخائر للعلوم الإنسانية، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، العدد الأول، جوان 2017. ص 25.

<sup>3</sup> بروديل؛ المرجع السابق، ص 102.

كأولليل وأودغيست وغاناوكاو<sup>1</sup>، لتعود من جديد للوصول إلى المدن الساحلية المصدرة لمنتجاتها. لذلك كانت هذه التجارة تعتمد على الطرق الحوافية<sup>2</sup>، غير أن هذه الطرق كانت غير متاحة لكل الجماعات القبلية الموجودة في المغرب الإسلامي، وكان الطريق تلمسان - سجلماسة ينقسم إلى فرعين:

الأول: يصل بين تلمسان ومدينة وجدة، ليصل إلى منطقة تازة عبر تاوريرت وجرسيف إلى فاس، ليمر على تادلا وأغمات ودرعة ثم سجلماسة.

الثاني: ينطلق من تلمسان، وجدة ثم جبل تامريت، لينتهي إلى سجلماسة، ويلتقي الطريقان إلى سجلماسة، وتبلغ المسافة بين تلمسان وسجلماسة حوالي عشر مراحل<sup>3</sup>.

والملاحظ أن المسلك بين تلمسان وسجلماسة، وبين سجلماسة وبلاد السودان الغربي<sup>4</sup> كان صعبا بسبب طول المسافة وقلة الآبار والعيون، فالوسيلة الأساسية المستخدمة كانت قافلة الإبل وليست كل الإبل مهيأة للسفر فقد كانت تختار بعناية وتكون مصيرة على الظم<sup>5</sup> وخاصة المهاري، والتي أتاحت للقبائل البدوية القدرة المذهلة على التحرك والانتقال<sup>6</sup> لمسافات طويلة.

وقد ارتبطت هذه التجارة حسب أحد الباحثين، بنمط معيشة القبائل البدوية البترية من زناتة، خاصة الذين تموضعوا على الحزام الشمالي للصحراء، فمنذ فترة طويلة تمتد قبل العصر الوسيط إلى ق 5هـ/11م في شرق المغرب وإلى ق 8هـ/14م في غرب المغرب، كانت قبائل من زناتة تسيطر على محاور التجارة الصحراوية في مراحل تاريخية مهمة، لتنتقل هذه المهمة إلى قبائل أخرى منافسة

<sup>1</sup> قدوري ( الطاهر)؛ الطرق التجارية الصحراوية وامتداداتها في البحر المتوسط في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15(2011). 89.

<sup>2</sup> قدوري؛ المرجع السابق، ص 89.

<sup>3</sup> بودواية (مبخوت)، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - السنة الجامعية 1426 - 1427 هـ / 2005 - 2006 م. ص 310. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 357.

<sup>4</sup> السودان الغربي يطلق على المناطق التي تشكل الأجزاء العليا لحوضي السنغال والنيجر، وهي تمتد من الشمال، فتحدها الصحراء الإفريقية الكبرى ومنطقة باخوي وباوي إلى منطقة الغابات الاستوائية الممطرة جنوبا، ومن الضفاف الشرقية لنهر النيجر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا. نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، ص 04.

<sup>5</sup> عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص 94.

<sup>6</sup> بوفيل؛ المرجع السابق، 47.

لها تتبع نفس نمط معيشة القبائل الزناتية ولها قوة التعداد وهي القبائل العربية البدوية التي انتشرت في الصحراء الغربية<sup>1</sup>، مستغلة اضمحلال القبائل الزناتية وتلاشي قوتها البدوية في ظل استقرار أهم بطونها من بني عبد الواد والمرينيين في تأسيس المدن وبنو نوجين ومغراوة التي اختارت السهول. وقد شكل مسار التجارة من الصحراء إلى الحواضر، أهمية للدول المركزية الناشئة في المغرب، وأصبحت كل دولة تريد إخضاع مسالك التجارة الصحراوية إليها، من خلال ربط علاقات مصلحية مع القبائل البدوية المسيطرة على مسالكها الوعرة و، كذلك السيطرة على المدن المتموضعة على شبكتها لضمان وتأمين جل أرباحها. ومن القبائل العربية التي كان لها نفوذ على الطرق الحوافية وخاصة مسلك سجلماسة نجد عرب المنبات من عرب المعقل<sup>2</sup>. ولكن المسلك الصحراوي عرف تغيرات في مساره بتغير بعض المحطات الرئيسية، فقد عوضت توات سجلماسة ابتداء من ق 8/14م ليصبح هذا المسلك يمر على محاور تمدنية منها:

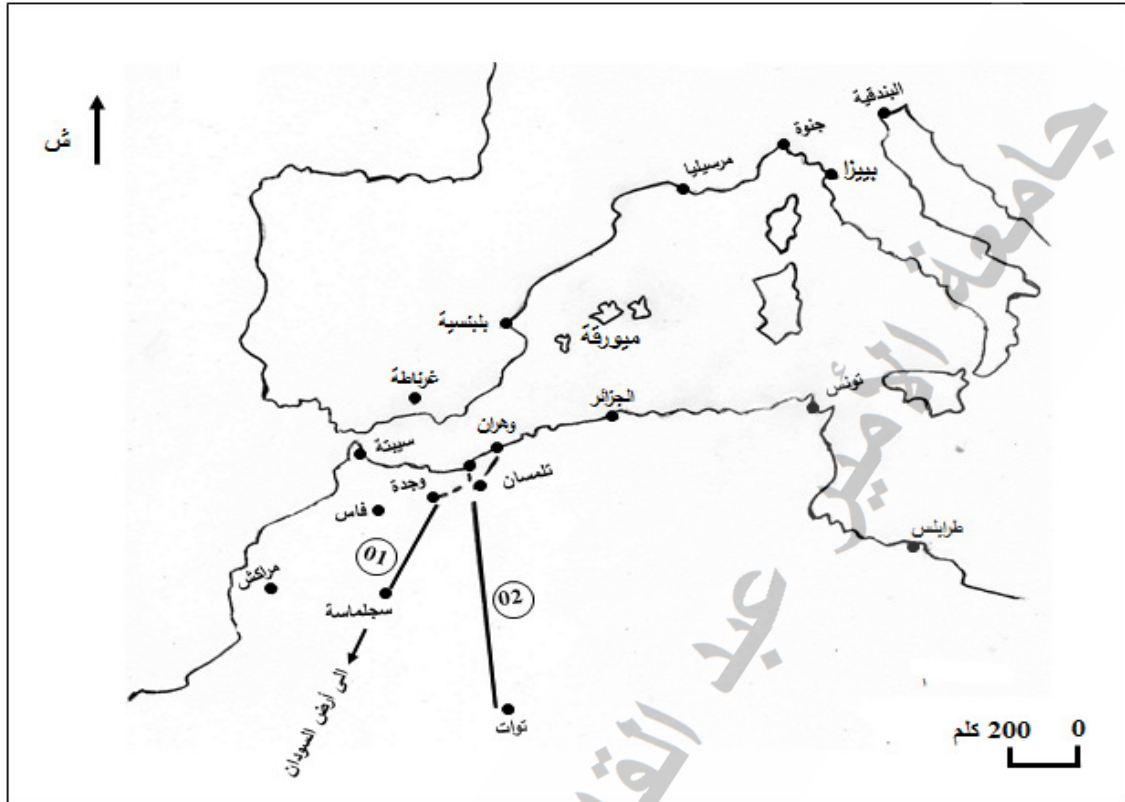
توات - تلمسان - هنين و توات - تلمسان - وهران

والخريطة التالية<sup>3</sup> توضح ذلك:

<sup>1</sup> بوفيل؛ المرجع نفسه، 102.

<sup>2</sup> ابن خلدون، العبر، ج 07. ص 112. وكذلك حافظي (حسن علوي)، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية. سنة 1418هـ/1997م. ص 28.

<sup>3</sup> الخريطة من إنجاز الباحثة اعتمادا على المعلومات السابقة.



01 طريق: سجلماسة - تلمسان - وهران

02 طريق: توات - تلمسان - وهران

وقد تكامل المينائين وهران وهنين في تصدير بضائع الصحراء<sup>1</sup> إلى ما وراء البحر انطلاقاً من الحاضرة تلمسان وبالرجوع للمسلك توات - تلمسان - وهران ويعتبر أهم مسلك فمن تلمسان يمر الطريق بغرداية وتوات وينتهي إلى تومبوكتو<sup>2</sup>. وقد كان لليهود التواتيين علاقات وثيقة مع تلمسان ووهران، حيث باعوا مسحوق الذهب وريش النعام في مقابل القمح والنحاس<sup>3</sup>.

ولكن هذه التجارة الصحراوية عرفت صراعاً مريراً ما بين الكارافيل والقافلة بداية من 15م/9هـ، وذلك بانتقال مسالكها البرية إلى الطرق البحرية عبر المحيط الأطلسي عن طريق السفن الإيبيرية، والتي حققت انتصاراً في الاستحواذ على مكاسب هذه التجارة بسبب القدرة

<sup>1</sup> محمد حسن؛ المرسى الكبير بوهران، المرجع السابق، ص 607.

<sup>2</sup> وكانت هناك طرق مسالك أخرى هامة لتجارة الصحراء منها من ينطلق من غاو مباشرة ويصل إلى جزائر بني مرزغنة وبجاية، ومنها ما ينطلق من واحة الجريد في جنوب تونس وتمر قوافله من ورقلة وسوف وغدامس، وأخرى من طرابلس الغرب إلى غدامس ويمر فرع منها بفزان وينتهي إلى بورنو وغاو، وغيرها من المسالك. بودواية، المرجع السابق، ص 311.

<sup>3</sup> Abitbol Michel. Juifs maghrébins et commerce transsaharien (VIIIe- XVe siècles). In: Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 66, n°242-243, 1er et 2e trimestres 187 1979. P

الإستيعابية الكبيرة لحمولة سفنها فهي تتجاوز أحيانا 1200 طن إضافة أن التجارة البحرية تقلص المسافات الزمنية بين أوربا وبلاد السودان<sup>1</sup>.

### 3/ 2/4/ ذهب السودان ما بين الجودة والطلب:

من السلع الوسيطة التي حظيت بالصيت الواسع والإطراد عبر المصادر الجغرافية، نجد "ذهب السودان" أو "بتر السودان"، حيث أشادت هذه الأخيرة في ذكر جودته ووفرتة في أرض السودان وتوغلت حتى في وصف مسالكه الرئيسية الموصلة إلى تجارته، وقد حظيت سجلماسة<sup>2</sup> بأهمية كبيرة لكونها محطة تزود بذهب السودان فهي على حد قول عبد الواحد المراكشي: "أنها باب الصحراء إلى أرض السودان وبلادهم مفرازة الذهب"<sup>3</sup>. وخاصة أنها كانت لها طرق ثابتة ودائمة مع عدة حواضر ومدن متصلة في هذه التجارة تنتهي إلى المراكز التجارية الساحلية<sup>4</sup> كسبته وهنين ووهران وبجاية وغيرها، ومنها يتم تصدير البضائع الصحراوية إلى مناطق عديدة.

وعرف عن ذهب السودان ووفرتة بكميات كبيرة، فمن الشهادات المصدرة التي أشارت إلى وفرة الذهب من سجلماسة نجد اليعقوبي (ق3ه/9م) حيث يذكر أن معادن الذهب والفضة توجد "كالنبات" حول سجلماسة<sup>5</sup>.

بينما الاضطخري فيذكر أن: "سجلماسة منقطة، وهي قريبة من معدن الذهب"، وأن "معدن الذهب أوسع ولا أصفى منه، إلا أن المسلك إليه صعب"<sup>6</sup>، ويذكر ياقوت الحموي "بلاد من

<sup>1</sup> الشكري (أحمد)؛ الصحراء والتجارة الصحراوية بعيون المؤرخ الفرنسي ريموند موني، من أعمال اليوم الدراسي "الذاكرة والهوية" كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بنمسك، المغرب، السنة 2013. ص 219.

<sup>2</sup> مدلول سجلماسة في المجال غير ثابت ففي فترات تتسع لتصل مساحات واسعة، وأحيانا تتقلص مساحتها تبعا للتطورات السياسية التي تمر بها، وقد شكلت سجلماسة محور صراع بين المرينيين والزيانيين نظرا لأهميتها التجارية وقربها من الحواضر لكنتا الدولتين، وسجلماسة تعد في المصادر من "بلاد القبلة". للإطلاع أكثر على تاريخها وأهميتها التجارية يرجع إلى حسن حافظي علوي، المرجع السابق، ص - ص 23 - 28.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 93.

<sup>4</sup> قدوري؛ المرجع السابق. ص، ص 90، 91.

<sup>5</sup> اليعقوبي؛ البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، ط01. دار الكتب العلمية، بيروت، (لبنان)، سنة 1422ه/2002م. ص 198.

<sup>6</sup> الاضطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي)؛ المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحيني، مراجعة، محمد سفيق غربال. ص 34.

بلاد السودان تعرف ببلاد التبر وإليها ينسب الذهب الخالص. . . "1.

### 3/4/3 العيد السود:

اعتبر الذهب والرقيق السود من أساسيات تجارة بلاد المغرب مع السودان منذ قرون عديدة<sup>2</sup>، ونتيجة للطلب المتزايد على العيد من التجار الأوربيين ومنهم القطلانيين في ق 13م ازداد عددهم عن طريق تلمسان<sup>3</sup>، والتي استوردت العديد منهم<sup>4</sup> ومنها إلى المدن الساحلية الزبانية، مثل وهران.

### 3/4/4 منتجات أخرى:

من المعلوم أن وهران كانت معبرا لتجارة الصحراء لذلك فقد صدرت بعض المنتجات الغذائية الصحراوية وخاصة التمر<sup>5</sup>. وقد استغل جزء من هذا المنتج الصحراوي في الاستهلاك المحلي<sup>6</sup>. ومن المنتجات التي جلبت من الصحراء ووجهت للتصدير كذلك العاج، ريش النعام، الجلود، جوز الكولا<sup>7</sup>.

### 3/5/5 وهران محطة في التجارة المتوسطية:

### 3/5/1 التجارة مع الإمارات الإيطالية:

### 3/5/1/1 مع بيزا وجنوة:

ابتداء من القرن 6هـ/12م نشأت ثورة تجارية حقيقية بين الموانئ المتوسطية، وذلك بعد ربط الموانئ الإيطالية للتواصل بين جهتي البحر المتوسط<sup>8</sup>، خاصة أنهم استغلوا دعم حكوماتهم وامتلاكهم لأساطيل خاصة<sup>9</sup>، وقد ارتبطت تجارة الغرب الإسلامي مع المدن الإيطالية بفضل تشجيع السلطة السياسية لها ومدينة وهران استفادت من امتياز تجاري هام، ففي سنة

<sup>1</sup> الحموي ؛ المصدر السابق، ج02. ص14.

<sup>2</sup> بوفيل ؛ المرجع السابق، ص17.

<sup>3</sup> سعيدان ؛ المرجع السابق، ج02. ص30.

<sup>4</sup> كاربخال ؛ المصدر السابق، ج02. ص300.

5 Mohamed Bouchikhi ; Op. Cit ,p 18

<sup>6</sup> ابن سعد التلمساني ؛ المصدر السابق، ص183.

<sup>7</sup> بوفيل ؛ المرجع السابق، ص17

<sup>8</sup> فاليريان ؛ المرجع السابق، ج01.، ص12.

<sup>9</sup> لوبيز (روبرت) ؛ ثورة العصور الوسطى، ص87.

## الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية في وهران

582هـ/1186م وقع المنصور الموحي مع حكومة بيشة<sup>1</sup> إتفاقية التجارة والسلام، وحددت مدة صلاحيتها بخمسة وعشرين سنة (25 سنة)، وقد اختيرت بموجبها أربع محطات موحدة ساحلية للمتاجرة مع بيشة إلى جانب وهران، وهي سبتة وبجاية وتونس وشددت الإتفاقية المبرمة على منع الإرساء خارج المدن المذكورة<sup>2</sup>.

ويبدو أنه منذ سنة 582هـ/1186م نشطت الحركة التجارية المتوسطة في وهران، وتظهر الإحصائيات الأرشيفية لإحدى الدراسات حركية التجار الجنوبيين<sup>3</sup> إلى وهران، والجدول التالي يوضح الإستثمارات الجنوبية لبعض المدن الإسلامية من 1182م/1191م باليفر الجنوبي<sup>4</sup>:

المجموع	1191	1190	582هـ/1186م	1184	1182	
9741.55	4672.3	0	1983.1	973	1.2113	سبتة
%57.2	%44.6	0	%76.3	%83.2	%78.4	حصة سبتة /المغرب
2559.05	2081.4	0	0	47.4	430.25	بجاية
%15	%19.9	0	0	%4.1	%16	حصة بجاية /المغرب
2359.89	1460.4	0	600.4	149.05	150	تونس
%13.9	%13.9	0	%23.1	%12.7	%5.6	حصة تونس /المغرب
405.5	400	0	5.5	0	0	وهران
1143	1047	86	10	0	0	الغرب
389.65	389.65	%1.2	0	0	0	طرابلس

<sup>1</sup> بيشة أو بيجة وهي تلي مدينة جنوة من الشرق على ساحل البحر وهي أعظم من مدينة جنوة، أهلها أكثر بأسا في الحرب وأكثر حيلة في البحر. الزهري، المصدر السابق، ص 78.

<sup>2</sup> رسائل موحدة، تحقيق ودراسة أحمد العزاوي، ط01. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيظرة، القسم الأول سنة 1416هـ/1995م ص174

<sup>3</sup> عرف التجار الجنوبيين بأنهم مياسير يسافرون برا وبحرا، فمن بلاد الشام إلى بلاد الأندلس ولهم أسطول قوي، وشدة في البحر، وشبهوا نتيجة لنشاطهم التجاري بـ: "قريش الروم"، أما مدينتهم جنوة فهي أعظم مدن الروم والإفرنج. يمكن الرجوع إلى الزهري، المصدر السابق، ص 77. وكذلك الحميري، المصدر السابق، ص 173.

<sup>4</sup> فاليرين؛ المرجع السابق، ج02. ص 801.

## الفصل الثاني: ..... الحياة الاقتصادية في وهران

225	225	0	0	0	0	إفريقية) (المهدية)
205.7	205.7	0	0	0	0	بلاد البربر
17029.34	10481.49	86	2599.05	1169.45	2693.5	مجموع المغرب
%23.9	%25.5	%1.2	%21.9	%28.2	%39.6	حصة المغرب /الكل
961.9		0	246.2	174.7	540.6	الإسكندرية
15514.95	8921.25	1721.25	3549.4	1196.05	127	سوريا
7014.4	5096.45	0	1917.95	0	0	قسنطينة

ويبدو من الجدول أن التجارة الجنوبية تتفاوت من سنة إلى أخرى إلى مدينة وهران، وأن الموانئ الرئيسية لها في بلاد المغرب هي سبتة وبجاية وتونس والتي تتناوب فيما بينها على الصدارة في قيمة التجارة مع جنوة، ولكن يبدو أن وهران عرفت زيادة في قيمة التجارة الجنوبية في السنوات اللاحقة والجدول<sup>1</sup> التالي يوضح ذلك:

السنوات من 1194 - 1198م	السنوات من 1189 - 1193م	المدينة
2908 ليرة	7293 ليرة	سبتة
432 ليرة	3735 ليرة	بجاية
98 ليرة	1901 ليرة	تونس
46 ليرة	1098 ليرة	وهران

كما أن الفترات التي برز فيها حكام أقوياء للدولة الموحدية والذين ضموا مدنا ساحلية كثيرة، مما جعلها منافذا للتجارة المتوسطية على طول ساحل متاح للسفن الجنوبية في محطات متسلسلة تضمن المساحلة للتجار الجنوبيين وذلك للتزود بمنتجات مغاربية.

وقد كان للمراكب المتوسطية الجنوبية دور في الربط بين الموانئ المسلمة والغرب، ففي سنة

<sup>1</sup> الشريف (محمد) ؛ سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي، ط02. منشورات جمعية تطاون، المغرب، السنة 2006. ص 86.



1201/598 انطلق مركب لنفرانكو دو تيركا من سافون في رحلة طويلة قادته على التوالي إلى جنوة ومرسيليا وسبتة ووهران وبجاية وتونس ومسينا والإسكندرية، ثم من جديد سبتة والإسكندرية<sup>1</sup>.

ونستشف من المعلومات التاريخية السابقة أن لوهران روابط تجارية مع التجار الإيطاليين خاصة مع الجنوبيين في فترة حكم الموحدين، فهي في الصف الثاني من حيث الأهمية التجارية مقارنة مع المدن الساحلية الرئيسية التي تتوسط المجالات الكبرى لبلاد المغرب على غرار سبتة وبجاية وتونس.

وكانت الرحلات الجنوبية عادة مبرمجة للمرور بعدة موانئ متوسطة، مثل اتجاه الرحلة لدمنيكو دو كاميلا Domenico de Camilla، فكان يرتقب انطلاق مركبه في فيفري سنة 855هـ/1451م محملا بالقطن خاصة للذهاب إلى مودون Modon ثم مباشرة إلى المغرب حيث سيقى أربعة أيام ليتابع رحلته نحو قادس Cadix، وسوتامبتون Southampton وإيكليز Ecluse، وكان المرور من المرفئ المغاربية مرتقب في تونس والجزائر وبجاية ووهران<sup>2</sup>.

وما يميز الملاحة الجنوبية أنها أحيانا تكون لسفنها القدرة على التوقف في الكثير من الموانئ من هنين إلى طرابلس في رحلة واحدة، كما أن جزء كبيرا من حركة المرور الجنوبية الرابطة بين موانئ البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وصولا إلى فلاندرز وإنجلترا لا تمر على مدينة جنوة نفسها<sup>3</sup>، بمعنى أن التجار الجنوبيين أصبحوا تجارا متوسطيين ووسطاء تجاريين، وحتى سفنهم أضحت مراكبا مخصصة للتجار والتجارة البحرية من البحر المتوسط إلى السواحل المطلة على المحيط الأطلسي من شمال أوروبا

ويشير الرحالة عبد الباسط أنه في 29 صفر سنة 871هـ/1466م: "ورد إلى ساحل مدينة وهران شونوية<sup>4</sup> عظيمة من مراكب الجنوبيين برسم الإتجار في الجوخ<sup>1</sup>، وكانت وردت من

<sup>1</sup> فاليرين؛ المرجع السابق، ج.02. ص 827. كذلك يمكن الرجوع لمحمد حسن، المرسى الكبير بوههران، المرجع السابق، ص.605.

<sup>2</sup> فاليرين؛ المرجع السابق، ج.02. ص 875.

<sup>3</sup> *Génes et L'Afrique du Nord vers 1450, les voyages « PER Coseriam. Anuario de Estudios Medievales, vol,21(1991) p 234.*

<sup>4</sup> شونوية، الشيني، وجمعها شواني، وهي سفن مستطيلة الشكل، وتتكون من عدة طوابق كالقلعة، وهي مجهزة بشراعين أو ثلاثة، وتستعمل المجاذيف في حالة سكون الرياح، وقد أصبحت منصرا أساسيا للأساطيل التجارية بعد الشلندي منذ القرن 3هـ /9م. يمكن الرجوع للطيبة بشاري، النقل البحري في إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن 10هـ

المحيط من بلاد أفلندة<sup>2</sup> ونحوها من بلاد الفرنج بالمحيط. .<sup>3</sup>

ويتضح من ذلك اهتمام الجنويين بربط علاقات تجارية قوية مع وهران على اعتبار أنها محطة ثابتة وقارة في المسلك التجاري للسفن الجنوبية، التي تجوب سواحل الغرب المتوسطي، ثم المحيط وصولاً إلى بلاد أفلندة في ذلك الوقت، وكذلك لطبيعة هذا المسار البحري طويل المسافة، فإن السفن الجنوبية كانت ضخمة فذكرت "الشونية العظيمة"، وذلك لضخامة هذه التجارة المتوسطية التي تعتمد على سلع وبضائع بحجم كبير على غرار الجوخ، حتى أن نفس السفينة التي أشار لها عبد الباسط أبطأت في سيرها عند توجهه إلى تونس بسبب ثقلها<sup>4</sup>، كما أن هذه السفن استغلت في حمل التجار المغاربة والمسلمين من مدينة إلى أخرى، فهي وفرت حركية ونشاطاً للتجارة والتجار من مختلف المدن المتوسطية، وضمنت لفترات عديدة استمرارية التجارة البحرية وحتى السفر للحجيج والمسافرين.

### 3/ 2/1/5 مع البندقية:

كان توافد التجار البنادقة على وهران متواتراً واعتبرت وهران إحدى المحطات المهمة في الإقامة للتجار البنادقة، ففي أواسط ق 8هـ/14م كانت مدة إقامتهم في وهران أكثر من عشرة أيام، فيما اقتصر على أربعة بالنسبة لبجاية والجزائر<sup>5</sup>.

ويبدو أن السفن البندقية اختارت التجارة مع بني عبد الواد عبر وهران وميناء هنين، وقد استقبلت وهران سفن البنادقة في كل سنة وذلك مهما كانت الظروف المناخية، فعند اضطراب الجو تلجأ إلى المرسى الكبير لحصانته، ويرسل التجار بضائعهم لوهران عبر قوارب، أما في الحالات

(16/13م) ضمن أعمال الملتقى الدولي المنعقد يومي 7-8 ديسمبر 2009. مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر، ص 440.

<sup>1</sup> والجوخ هو نوع من ثياب الصوف، الرجوع للعمري، المصدر السابق، ص 64.

<sup>2</sup> أفلندة وهي من مدن بلاد الافرنج يعمل بها ثياب الفُشطان من نبات الحَمْطِي، وهو نوع من الديداج وتقع على الجنوب منها مدينة فلندة، وهي أعظم بلاد الافرنج على مقربة من البحر الرومي بعشرين فرسخاً وعندهم تعمل ثياب الملف. الزهري،

المصدر السابق، ص 76

عبد الباسط ؛ المصدر السابق، ص 67<sup>3</sup>.

<sup>4</sup> عبد الباسط ؛ المصدر نفسه، ص 67.

<sup>5</sup> محمد حسن ؛ المرجع السابق، ص 610.

العادية فتقصد السفن ساحل وهران مباشرة<sup>1</sup>.

والواضح أن التجارة مع البنادقة حققت أرباحا مهمة لتجار تلمسان<sup>2</sup>.

### 3/1/5/3 مع فلورنسا:

كان ميناء فلورنسا تخرج منه سفينتان سنويا من بورتو بيزانو لتقصد السواحل الشمالية لبلاد المغرب، وفي مسارها تمر على جنوة وتجهان إلى وهران وهنين من المغرب الأوسط، وذلك منذ سنة 1458م/863هـ<sup>3</sup>، وطيلة القرن الخامس عشر 15م/9هـ، وبفضل السفن الفلورانسية والبيزية ظل الخط التجاري البحري عاملا يربط عدة مدن ساحلية من تونس إلى قادس بإسبانيا ذهابا وإيابا، مع التوقف لثلاثة أيام بالجزائر ومثلها بهنين وستة أيام بوهران والمرسى الكبير<sup>4</sup>.

### 3/2/5/3 التجارة مع أراغون

### 3/1/2/5/3 مملكة أراغون ما بين التهديد العسكري والمصالح التجارية مع الزيبانيين:

يورد عبد الواحد المراكشي من أهل ق 7هـ/13م أن جزيرة الأندلس اقتسمت إلى أربع جهات بين الملوك المسيحيين ففي شرقي الجزيرة مما يقابل الجنوب منها تتموضع أراغون، وفي الجهة الأخرى وهي المملكة الكبرى بلاد قشتال يملكها الأدفنش، وفي أول الحد الشمالي الغربي ليون أما في الشمال مما يلي البحر الأعظم (المحيط الأطلسي) بحر أقيانس أرض يملكها رجل يعرف بابن الريق والجزيرة بأسرها الأندلس كانت تسمى في قديم الدهر جزيرة أشبانية<sup>5</sup>.

إن قيام عدة ممالك مسيحية في الأندلس كان شبيها بحكم ملوك الطوائف المسلمين، حتى أن أحد الباحثين شبه هذه الفترة بحكم الطوائف المسيحيين<sup>6</sup>.

وقد بدأت العلاقة بين الأراغونيين ومدينة وهران في العصر الزياني حيث كانت العلاقة بينهما عدائية في بداياتها، وقد وجه الأراغونيون حملة عسكرية لمهاجمة وهران سنة 628هـ/1213م،

<sup>1</sup> الوزان ؛ المصدر السابق، ج 02. ص/ص 15 / 31.

<sup>2</sup> الوزان ؛ المصدر نفسه، ج 02. ص 15.

<sup>3</sup> بشاري ؛ التنقل البحري، المرجع السابق، ص 437.

<sup>4</sup> سعيديني ؛ المرجع السابق، ص 145.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 320.

<sup>6</sup> كاسترو ( أميركو) ؛ إسبانيا في تاريخها ( المسيحيون والمسلمون واليهود )، تر علي إبراهيم منوفي، مر حامد أبو أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 522. القاهرة، السنة 2003. ص 60.

وذلك بعد ضمهم لجزيرة ميورقة<sup>1</sup> سنة 627هـ/1229م، في عهد ملكهم خايبي الأول<sup>2</sup>، فكانت حركتهم الواسعة في محاولة للإستيلاء على الطريق التجاري البحري الغربي من جهة، ومن جهة أخرى مواصلة حركة الاسترداد (a Reconquista) والتوسع على الأراضي الإسلامية مما جعل موازين القوة البحرية تنزاح للقوى المسيحية وخاصة لأراغون في الحوض الغربي للبحر المتوسط. وقد استطاع الأراغونيون من مد سيطرتهم إلى صقلية، وفي نفس الوقت كان تجار مملكة أراغون يوسعون من دائرة نشاطهم التجاري متجهين شرق المتوسط بحثا عن امتيازات في الاسكندرية وتونس وغيرها، وبدأت المنافسة على أوجها ما بين أراغون والإيطاليين<sup>3</sup>.

ولكن لم تلبث العلاقة العدائية بين الطرفين طويلا، فتحسنت تدريجيا بين مملكة أراغونة ممثلة في ملكها جقمعة الأول والأمير يغمراسن بن زيان، وخاصة فيما يخص العلاقات التجارية بين المدن التي استمرت في عهد الملك الأراغوني بطرس الثالث، حيث كان تجار برشلونة يرتادون الموانئ الزيبانية خاصة هنين ووهران مع باقي التجار القادمين من البحر والقاصدين أسواق العاصمة تلمسان.

### 3/2/5/2 تجارة العبيد بين الأراغونيين والزيبانيين:

وقد جذب العبيد من السود وحتى المسلمين رعايا الملك الأراغوني، لذلك حددت تجارته أطر قانونية تضمن لأراغونة تحقيق أبعاد استراتيجية، تتمثل في توفير اليد العاملة المناسبة لها لسد الفراغ الموجود بسبب نزيف الهجرة وتزايد النزوح الموريسكي إلى الأراضي الإسلامية، حتى أن إحدى الدراسات رجحت أن من أهداف احتلال ميورقة إضافة إلى توسيع مملكة أراغون وأهمية الموقع الاستراتيجي لجزر ميورقة ومنورقة، كان الهدف كذلك الحصول على "غنيمة بشرية" واضحا عن

<sup>1</sup> جزيرة ميورقة المشهورة بالخصب، ومسافة الجزيرة ستون ميلا، وهي آخذة من الشمال إلى الجنوب، وفي شرقها جزيرة منورقة، وهي آخر معقل للمسلمين في جزر البليار. ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 168.

<sup>2</sup> خايبي الأول ويدعى جاقمه كما يسميه ابن عميرة المخزومي هو ملك قطلونية، وأراغون تولى الحكم بعد وفاة والده بيدرو الثاني سنة 624هـ/1227م، وقد كبح جماح منافسيه من العائلة وقضى على الفوضى التي صاحبته والتي دامت خمسة عشر عاما وبعدها عمد على التوسع على الجزر المتوسطية. من تحقيق كتاب أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (ت 658هـ) الموسوم بتاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق، محمد بن عمر ط01. دار الكتب لعلمية، بيروت (لبنان)، سنة 1428هـ/2007. ص، ص 32، 33.

<sup>3</sup> أوليفيا ريمي؛ المرجع السابق، ص 201.

طريق تحفيز الجيش المسيحي للحصول على عبيد من سكان ميورقة، مما شجعهم على الاستمرار في الحملة العسكرية على جزر الأرخيبيل<sup>1</sup>.

ومن القوانين التي سهلت هذه التجارة قانون 673هـ/1274م، والذي يسمح للأراغونيين بالإتجار مع مملكة بني عبد الواد في العبيد، فيمكنهم من شراء النساء والرجال وبيعهم بأراغون كما يسمح لهم بأخذ الراغبين عن طواعية في الاستيطان بأراغون بصفة عبيد بالنسبة للمسلمين من بلاد المغرب الأوسط الذين يرغبون في الاسترقاق ومغادرة مملكة تلمسان<sup>2</sup>. ويبدو أن هذه الصيغة الأخيرة تبدو غريبة وتثير الكثير من التساؤلات خاصة أنها تصطدم بالأطر المرجعية لتجارة العبيد في الحوض المتوسطي. فما هي أسباب ذلك؟.

وللإجابة عن هذا السؤال المحوري نحاول استقراء ماهية هذه التجارة في الفضاء المتوسطي لفهم وإدراك واقعها وعلاقتها في توجيه مسارات العلاقات بين الدول المعنية بها، ويمكن كذلك استكشاف دور المدن الساحلية في تفعيل هذه التجارة التي امتدت إلى الداخل المغربي وإلى مناطق بعيدة من آسيا، إضافة إلى عائدات القرصنة في البحر المتوسط، وبالرجوع لإحدى الدراسات التي حاولت تشريح هذه التجارة المهمة، والتي اعتبرتها تجارة قانونية لقت قبولا إجتماعيا من الجانب المسيحي والإسلامي، حيث تم قبول العبيد كمنتج وسلعة بشرية تحكمت بها شبكات تجارية معروفة.

وقد عبر الاسترقاق عن وضع قانوني يعبر عن الإعاقة القانونية، تحرم صاحبها من الامتلاك أو التوريث أو الإدلاء بشهادة أو شغل مناصب سلطوية وغيرها، لذلك كان العبيد من الغرباء، فلا ينبغي استعباد اتباع دين الفرد، فقد سمح للمسيحيين باستعباد المسلمين والعكس صحيح، ولا يتم استعباد نفس الديانة إلا في حالات قليلة<sup>3</sup>. فما هي الأسباب الموضوعية التي جعلت من المسلمين في المغرب الأوسط يقبلون بيعهم كعبيد للمسيحيين؟ وهل لقيت قبولا اجتماعيا أم شكلت سلوكا

<sup>1</sup> *IMAGO TEMPORIS Medium Aevum 13 (2019) XIII: Editor Flocel Sabaté Scientific board Stefano Asperti, Martin Aurell, Attila Barány, Dominique Barthélemy, Edicions de la Universitat de Lleida, 2019 Layout: Edicions i Publicacions de la UdL Cover design: cat & cas ISSN , www. medieval. udl. cat*

<sup>2</sup> سعيدان؛ المرجع السابق، ص 31.

<sup>3</sup> *Barker ( Hannah) ; Egyptian and Italian Merchant in the black sea slave trade 1260/1500. P, p 18, 19.*

منبوذا ورفضاً إجتماعياً ؟

ويبدو أن من عوامل قبول المسلمين للاسترقاق يرجع إلى الظروف القاهرة، ومحاولة الحصول على عمل يضمن الحد الأدنى من العيش، لذلك فصفة العبد تسمح بحركة سلسلة للأفراد المهمشين والفقراء الذين تقطعت بهم السبل في الحصول على حياة طبيعية وعادية، وهذا يدفعنا على الاعتقاد أن مدينة وهران استقطبت عدداً من المهمشين والفقراء واليائسين، القادمين من مناطق داخل المغرب الأوسط الراغبين في الولوج إلى مناطق الجذب التي توفر لهم ظروفاً أحسن للعيش والعمل، وذلك عبر بوابة البحر. ويبدو أن الخيارات المتاحة كانت أذناها إمكانية الهجرة على صفة العبيد إلى بلاد أراغون.

وتبرز المعطيات التاريخية المتوفرة لنا الأصول الجغرافية للعبيد المتواجدين في وهران، ما بين العبيد السود القادمين من أعماق الصحراء<sup>1</sup>، والعبيد البيض الذين شكل جزء منهم مسلمين، والباقي أجناس مختلفة بعضهم قدم من شبكات تجارية قوية لجنوة، التي ربطت بين ضفتي المتوسط، فهي تجلب العبيد من مناطق آسيوية بعيدة، قريبة من البحر الأسود، لتصل بهم إلى سواحل البحر المتوسط من مصر إلى سواحل شمال إفريقيا.

وقد ارتبط الاسترقاق بحركة القرصنة المتوسطية، فالمدن التي اشتهرت بالقرصنة تحصلت على عدد هام من الأسرى، وقد استطاع الوهرانيون الحصول على الكثير من الأسرى، لتجهيزهم حملات بحرية استهدفت خاصة السواحل الإسبانية والجزر القريبة، وتوجت بأسرى مسيحيين، كما أن بعض الحملات الأوربية الفاشلة على وهران والمرسى الكبير انتهت بغنيمة ثمينة، هي أسر المشاركين في الهجوم مثلما حدث في الحملة البرتغالية سنة 1501م على المرسى الكبير<sup>2</sup>.

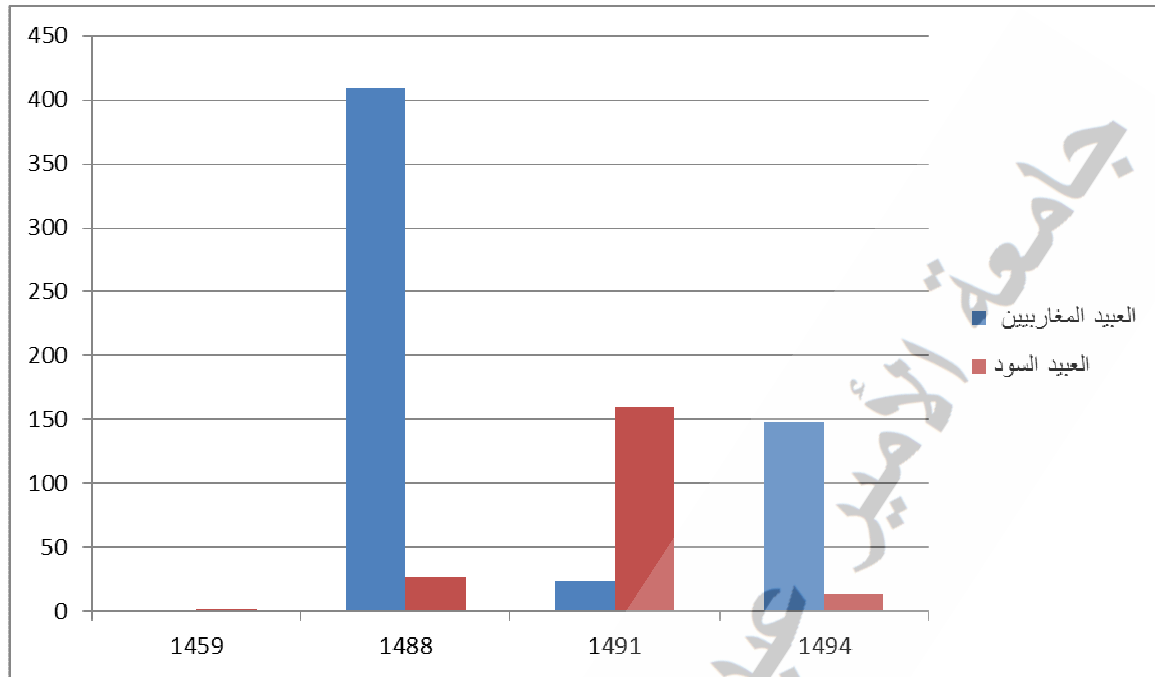
كان الأسرى يمكثون في المدينة وهم يأملون فدائهم وتحريرهم من طرف دولهم، ولكن في حالة تجاهلهم من دولهم أو تمسك الدولة الزيانية بهم ورفض تسريحهم، يتحولون إلى صفة عبيد ويصبحون سلعة بشرية متاحة للمتاجرة.

ونأخذ الرسم التالي لتوضيح ملامح هذه التجارة لمدينة للعبيد المستوردين إلى بلنسية<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> سبق الإشارة إليها في تجارة الوساطة.

<sup>2</sup> كارخال ؛ المصدر السابق، ج02. ص 328.

<sup>3</sup> Jacqueline Girual; Op. Cit p



ومن السلع التي جذبت التجار القطلونيين إلى سواحل الدولة الزيانية نجد ذهب السودان، حيث اهتموا بربط علاقة وطيدة بالدولة الزيانية والسيطرة على تجارتها الخارجية<sup>1</sup>.

### 3/2/5/3 حركية وحجم التجارة الكتالونية الأراغونية عبر وهران:

تعززت الروابط التجارية بين أراغون وتلمسان بإبرام معاهدة بين عثمان بن يغمراسن وأدفونش الثالث ملك أراغون سنة (686هـ/1286م)، والتي تنظم وتحدد شروط التعامل بينهما، ومما جاء فيها "تعهد الملك عثمان بإعطاء أدفونش نصف المداخيل التي يحصل عليها من موانئه الحالية. .

كما "يمنح الملك أدفونش فندقا للمسيحيين في مدينة وهران". مع الإشارة أن دفع المداخيل سيكون للمشرف الأراغوني المقيم في وهران، فأصبحت بذلك وهران مهبطا رئيسيا للتجار القطلونيين، خاصة أنها كانت كذلك مهبطا لتجارة القوافل الصحراوية ضمن مسالك ربطت منطقة السودان الغربي بتلمسان ثم بموانئها.

وقد تكاملت المصالح التجارية لبرشلونة وفالنسيا وميورقة مع بلاد المغرب حيث كانت القوارب من بلنسية تتجه إلى سواحل المغرب، وكان مسار ألكوديا - وهران من مسارات العبور للسلع المستوردة، ثم يعيد تصديرها من جديد إلى مناطق أخرى إضافة إلى مسار ألكوديا - تونس<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> لطيفة بشاري؛ المرجع السابق، ص، ص 94، 95.

664. —<sup>2</sup> Serge Gubert, Maria Dolores Lopez Pèrez ; Op. Cit p p 661

وردت في سجل جمركي لميورقة ما بين 23 فيفري و18 مارس انطلاق المراكب الميورقية كانت وجهتها الأولى بجاية بست (06) رحلات، ثم تأتي القل بأربع رحلات (04) والكدية ووهران والجزائر ومستغانم وبونة وهنين بثلاثة مراكب أما جيغل ومزجران ودلس وبرشك اثنتان (02) وتنس وتونس بوحدة<sup>1</sup>.

ففي سنة 784هـ/1382م غادر الميورقي بيرو بيدرو (Père Pedro)، وهو صاحب مركب بالما (Palma) إلى وهران حيث حمل قمح تاجر مسلم إلى بجاية، وأجبر على ترك رهينة أنتوني ماركدر (Anthoni Mercader)، والذي هو كاتب المركب بينما ذهب صاحب المركب إلى إييزا حيث أفرغ الحمولة وتاجر مسلمًا وآخرين، ومكث أنتوني في سجن السلطان<sup>2</sup>. ومن ميورقة ذكرت سلسلة سجلات التراخيص المستمرة (guiatages de Mallorca) والمسجلة بين (1385 - 1419م) (787 - 822هـ) تزامن حالة الحرب مع الحفاظ على التبادلات التجارية بشكل عام مع بلاد المغرب الأوسط<sup>3</sup>، وعن حجم التعامل التجاري فأن قرابة الثلثين من المراكب الميورقية كانت وجهاتها موانئ السلطنة العبد الوادية والبقية نحو إفريقية أساسا. جدول لتوزيع إنطلاق السفن الميورقية نحو المغرب حسب الوجهة (787هـ/1385م إلى 822هـ/1419م)<sup>4</sup>

<sup>1</sup> فاليرين؛ المرجع السابق، ج02. ص822.

<sup>2</sup> وردت هذه المعلومة في تهميش كتاب فاليرين، المرجع نفسه، ج02. ص719

<sup>3</sup> Serge Gubert , Maria Dolores Lopez Pérez ; Op. Cit p p 661. — 664.

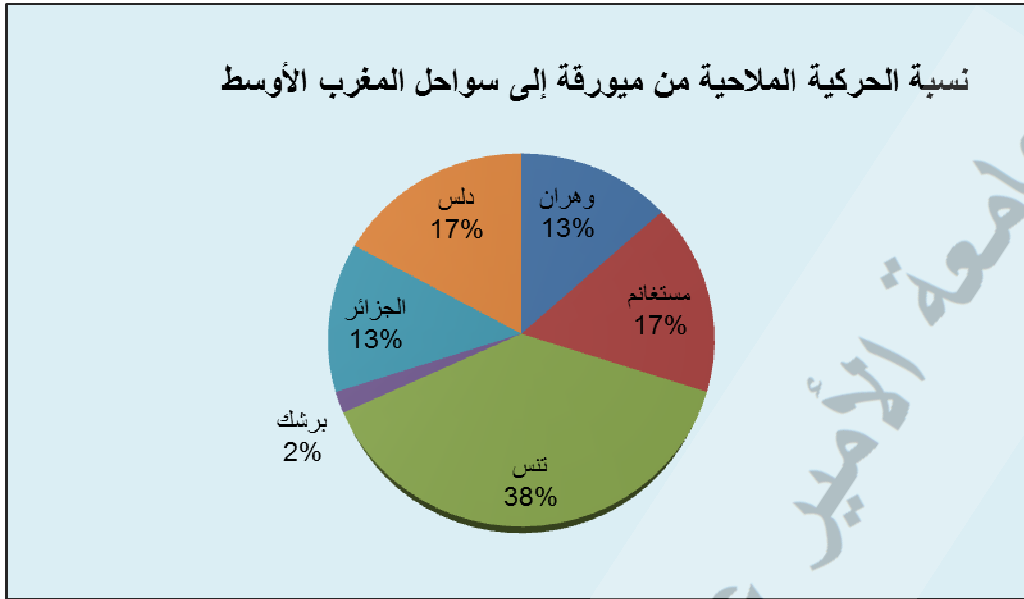
<sup>4</sup> فاليرين؛ المرجع السابق، ج02. ص، ص847، 848.



الفصل الثاني: ..... الحياة الاقتصادية في وهران

عدد الرحلات	النسبة من إجمالي السلطنة	الحصة الإجمالية للمغرب
363		%62.59
49	%13.5	%8.45
36	%9.92	%6.2
45	%12.4	%7.76
103	%28.37	%17.76
5	%1.38	%0.86
35	%9.64	%6.03
46	%12.67	%7.93
44	%12.12	%7.59
184		%31.72
	الحصة الإجمالية للسلطنة	
58	%31.52	%10
7	%3.8	%1.21
47	%25.54	%8.1
48	%26.09	%8.28
23	%12.5	%3.97
1	%0.54	%0.17
33		%5.69
	الحصة الإجمالية للسلطنة	
28	%84.85	%4.83
5	%15.15	%0.86

وللمقارنة بين وهران ومدن المغرب الأوسط نأخذ الشكل التالي:



ويظهر الرسم البياني أن تنس كانت الوجهة المفضلة والرئيسية للسفن الميورقية ثم تليها موانئ مستغانم ودلس ووهران في الفترة الممتدة ما بين (787هـ/1385م إلى 822هـ/1419م)

ورغم أن حركة التجار الميورقيون كانت نشطة إلى وهران وإلى باقي المدن الزيبانية، إلا أن هؤلاء التجار كانوا أحيانا ضحايا لعدم الاستقرار ولهجومات معادية مثلما حدث لهم سنة 1388م/791هـ في وهران وسنة 1403م/806هـ في مدينة الجزائر<sup>1</sup>.

وقد ورد أنه في عام 1414 م أرسل Mahomat Arraz Bayda محمد الراس بيضاء من وهران الشمع إلى Ali Xupio علي زويبو، أحد كبار التجار في Moreria de Valence، وفي 25 يونيو 1418 Galip Ben Xarnit، غالب بن زرنيت، من وهران كذلك يقوم ببيع 23 قفيز من القمح و25 زوج الذهب مورسكي في بلنسية<sup>2</sup>. ويتضح أن بلنسية<sup>3</sup> كانت من الوجهات المفضلة للوهرانيين في ق15م، ورغم الاعتداءات المتواترة في هذا المجرى المائي بين الضفتين إلا أن الحركة الملاحية والمبادلات التجارية كانت موجودة وفعالة بين

<sup>1</sup> Serge Gubert , Maria Dolores Lopez Pèrez ; Op. Cit p p 661 — 664.

<sup>2</sup> Jacqueline Girual p110

<sup>3</sup> بلنسية (فالنسيا)، وهي مشهورة بالحسن، وتسمى بستان الأندلس لطبيعتها السهلية، تقع في شرق الأندلس على شمالها الشرقي مدينة طرطوشة، وفي الشرق باتجاه البحر تقع جزيرة ميورقة. وتعتبر بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس، وهي كثيرة التجارات، استولى عليها ملك أراغون سنة 636هـ/ من طرف جاقمه. للإطلاع أكثر يرجع لابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 167. وكذلك الحميري، المصدر السابق، ص 97.

مختلف السواحل المغاربية والأراغونية.

ففي سنة 808هـ/1405م أسر مركب قشتالي مركبا بجائيا قرب مستغانم، محملا بالخشب والجلود باتجاه وهران وعلى متنه ستة وعشرون شخصا، وقد حدث سنة (812هـ/1409م) بأسر البننسيون مركبا بنوتيته (بحارته) ومسافرين من ممالك فاس وتلمسان وبجاية وتونس، والذين كانوا يعملون في التجارة على مسار مالقة، حيث يبيعون القمح المشتري من وهران مع الرماح المستقدمة من بجاية، وفي سنة (823هـ/1420م) تم اعتراض مركب في مياه الجزائر يحمل الخشب البجائي إلى وهران وعلى متنه أحد عشر مسلما<sup>1</sup>.

ويتضح أن التجار من التاج الأراغوني، والتجار الزبانيين ومن بلاد المغرب بشكل عام، قد تكييفوا وتأقلموا مع الظروف الصعبة، وحافظوا على مسارات التجارة بين ضفتي المتوسط في المجال الساحلي الممتد من هنين إلى بونة على الأقل وما يقابله من مدن التاج<sup>2</sup>.

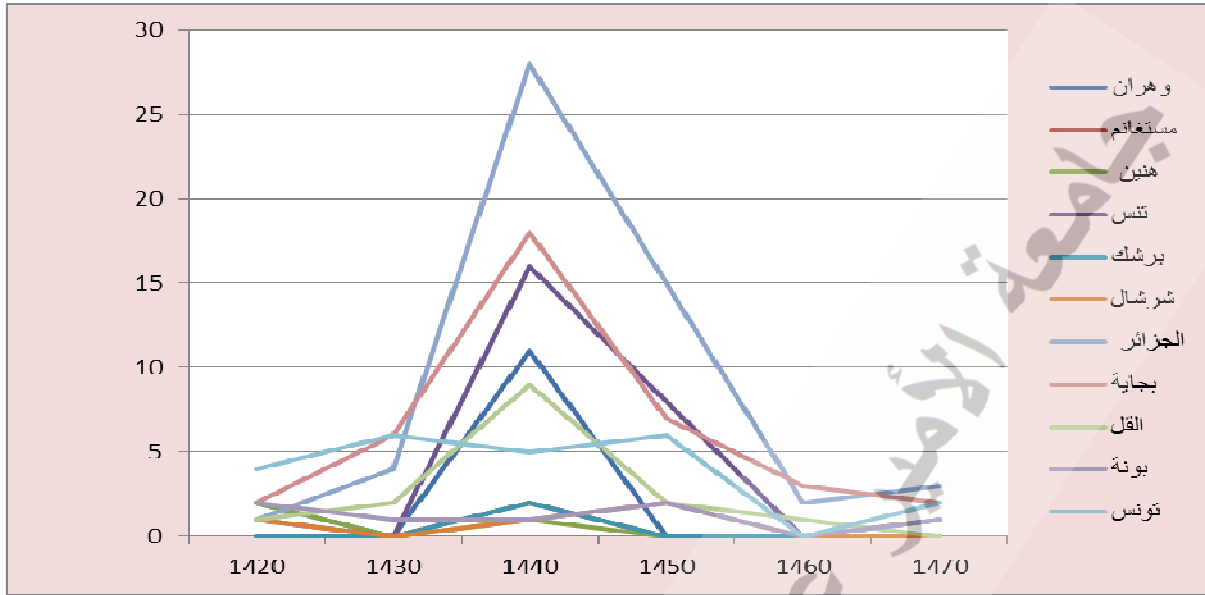
جدول يبين الرخص الممنوحة في ميورقة للوجهات المغربية<sup>3</sup>

العدد	هنين	وهران	مستغانم	تس	برشك	شرشال	الجزا ئر	بجا ية	القل	بونة	تونس	المجموع
1420/9	2	2	0	1	0	1	1	2	1	2	4	16
1430/9	0	0	0	0	0	0	4	6	2	1	6	19
1440/9	1	11	2	16	2	1	28	18	9	1	5	94
1450/9	0	0	0	8	0	2	15	7	2	2	6	42
1460/9	0	0	0	0	0	0	2	3	1	0	0	6
1470/9	0	1	0	0	0	0	3	2	0	1	2	9
1480/9	0	2	0	1	0	0	8	8	0	0	2	21
1490/9	0	0	2	0	0	0	2	4	0	0	0	8
المجموع	3	16	4	26	2	4	63	50	15	7	25	215

<sup>1</sup>. فاليرين؛ المرجع السابق، ج 02، ص، ص 712، 713.

<sup>2</sup> Serge Gubert *Op. Cit* p p 661 — 664

<sup>3</sup> فاليرين؛ المرجع السابق، ج 02. ص 881..



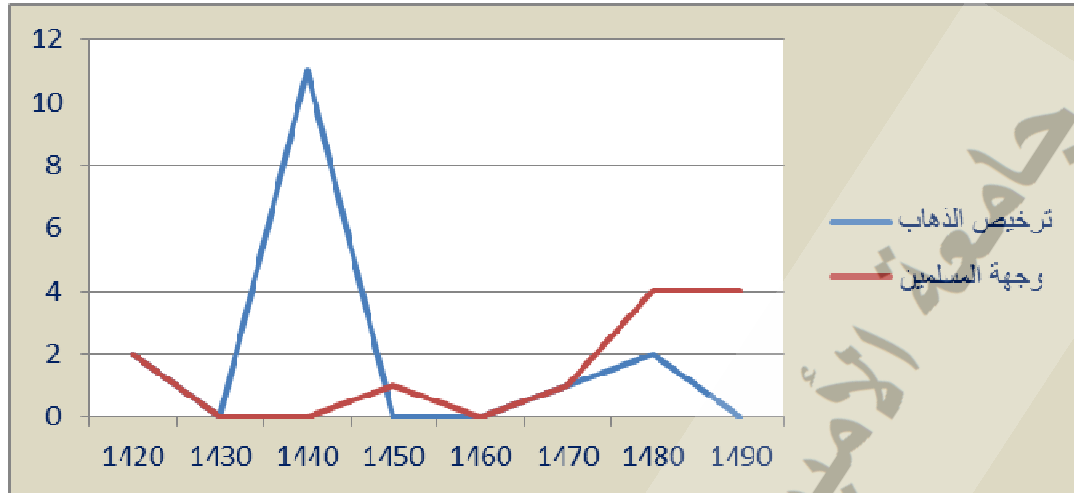
والملاحظ من الرسم البياني أن الرخص الممنوحة من ميورقة للوجهات المغاربية تعرف تقريبا نفس سنوات الذروة، والتي بدأت من سنة (1430م / 834هـ)، وخاصة سنة (1440م / 844هـ) لتتخفف بعد ذلك. والجدول التالي يوضح وجهات المسلمين من نفس مكان الانطلاقة "ميورقة" ولنفس السنوات السابقة ولكن عدد الرحلات الخاصة بالمسلمين.

#### جدول وجهات المسلمين الذين غادروا جزيرة ميورقة<sup>1</sup>:

المجموع	تونس	بونة	القل	بجاية	الجزائر	شرشال	تنس	وهران	هنين	
28	12	2	1	4	3	1	1	2	2	1420/9
32	11	1	2	11	7	0	0	0	0	1430/9
48	9	0	1	17	11	0	1	9	0	1440/9
38	8	3	1	9	13	1	2	1	0	1450/9
11	1	0	2	4	4	0	0	0	0	1460/9
21	4	3	0	7	6	0	0	1	0	1470/9
42	2	0	0	9	26	0	1	4	0	1480/9
11	0	0	0	3	4	0	0	4	0	1490/9
231	47	9	7	64	74	2	5	21	2	المجموع

ولتوضيح نسبة رحلات المسلمين من إجمالي الرحلات المنطلقة من ميورقة إلى وهران من سنة 1420 إلى 1490م) نأخذ الرسم البياني التالي للمقارنة:

فاليرين؛ المرجع السابق، ج02. ص 882<sup>1</sup>.



والرسم البياني يوضح قلة المسلمين المتجهين من ميورقة إلى وهران، مع تباين في حركة المرور من سنة إلى أخرى في الفترة الممتدة ما بين ( 1420م / 823هـ إلى 1490م / 896هـ ).

بقي دور التجار المغاربة شبه مغيب في بلنسية (فالنسيا)، فمن عام 1410م/813هـ إلى عام 1434م/838هـ، نجد من أصل 16 تاجرًا تم ذكر اثنين فقط من التجار المغاربة، ففي عام 1414م/817هـ أرسل "محمد الراس بيضاء" (Mahomat Arraz Bayda) الذي يبدو أنه تاجر، وهو من وهران أرسل الشمع إلى "علي زويبو" (Ali Xupio)، أحد كبار التجار في Moreria de Valence<sup>1</sup>.

وفي 25 يونيو 1418م/821هـ غالب بن زرنيت (Galip Ben Xarnit) من وهران، يبيع 23 قفيز من القمح و25 زوج من الذهب المورسكي - doubles d'or morisques<sup>2</sup> - ونستشف من معطيات أرشيفية أخرى حركية الملاحة من بلنسية إلى المدن المغربية، ففي الفترة الممتدة من (1459 إلى 1494) نرصد رحلات بحرية قدمت إلى بلنسية موضحة في الجدول التالي:

<sup>1</sup> Jacqueline Girual ; Op. Cit p 110

<sup>2</sup> Jacqueline Girual ; Ibid. p 110

## الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية في وهران

قوارب من البربر قادمة إلى بننسية<sup>1</sup>:

( حسب سلسلة رسوم البحر )

الموانئ	1459م/864هـ	1488م/894هـ	1491م/897هـ	1494م/900هـ
بجاية	1		1	
مستغانم	1			
وهران		3	2	
بلاد البربر	4		2	6
المجموع	2+5 قوادس من فلورنسا	3	5	6

ويتضح من الجدول أن الرحلات القادمة من وهران إلى بننسية تختفي في سنوات، لتظهر بقوة في سنوات أخرى، وتعتبر سنة 1488م/894هـ سنة الذروة، ثم سنة 1491م/897هـ وهما السنتان المهمتان في حركة الملاحة من وهران إلى بننسية.

والملاحظ أن المدن المغاربية التي انطلقت منها الرحلات البحرية إلى بننسية، هي تعبر عن المحطات الأخيرة للسفن القادمة إليها من وجهات مختلفة، وهي في حقيقتها سفن أجنبية لتجار مسيحيين، حملت معها تجارا مغاربية، مسلمين ويهودا للإتجار في بننسية وغيرها من المناطق.

والجدول التالي يوضح ماهية السفن التي انطلقت من وهران في السنتان السابقتان، وكانت وجهتهما بننسية<sup>2</sup>:

أرشيف المملكة قسم البيليا ملحق رقم 68	عام 1488م/894 هـ
<b>Caravelle de Nofre Roger d'Oran, patron Alfonso Borello</b> السفينة الشراعية نوفري روجي من وهران. رئيس ألفونسو بوريلو	19 مارس
<b>Galeassa del Règne de France et d'Oran, patron Esteve de Andrea</b> جاليسا من مملكة فرنسا ووهران، رئيس Esteve de Andrea	31 ماي
<b>Nau de Ynego Dортиago d'Oran Caller Dénia</b> / سفينة من وهران	28 اوت
أرشيف المملكة القسم الرئيسي النظري الرقم 11. 060	عام 1491 / 897 هـ:
<b>Caravelle de Perot Vais, patron Perot Ribesaltesde Berbérie</b> السفينة الشراعية Perot Vais . رئيس Perot Ribesaltes	21 جاتفي
<b>Caravelle de Andres Gallart d'Oran fol 103</b>	28 فيفري

<sup>1</sup> Jacqueline Girual ;Ibid. p 121

<sup>2</sup> Jacqueline Girual ; Ibid. p 121

السفينة الشراعية <b>Andres Gallart</b> من وهران الصحيفة 103	
<b>Caravelle de Johan Chapali de Bougie fol 159</b> السفينة الشراعية <b>Johan Chapali</b> من بجاية الصحيفة 159	15 افريل
<b>Nau de Francisco Albertinelli d'Oran fol 170</b> سفينة <b>Francisco Albertinelli</b> من وهران الصحيفة 170	30 افريل
<b>Caravelle de Johan Ferrandis de Berbérie et d'Oran</b> السفينة الشراعية <b>Johan Ferrandis</b> من بلاد البربر وهران	11 جويلية

ويتضح من الجدول أن إقلاع السفن من جنوب المتوسط (وهران) إلى شمال البحر بلنسية يكون خاصة في فصلي الربيع والشتاء، كما أن السفن المعنية بالإتجار هي سفن شراعية.

وقد أوضح شارل إيمانويل ديفورك نوعية السفن المستخدمة في الملاحة، وبين أن السفن المدعمة بأشرعة عادة تكون كبيرة، فصنف السفن ( nau ) والتي ذكرت في وهران كانت تحتوي على اثنين أو ثلاثة جسور (طوابق) مغطاة، لذلك تعتبر من أكبر السفن للنقل البحري<sup>1</sup>. ويمكن أخذ الجدول الموالي للمقارنة بين عدة سنوات في تواريخ الانطلاق من المراسي الخاصة بالضفة الجنوبية الغربية للمتوسط ومحطة الوصول بلنسية:

المعدل السنوي لحركة المرور من بربريا (سلسلة رسوم عبور البحر، تواريخ وصول القوارب إلى بلنسية)<sup>2</sup>:

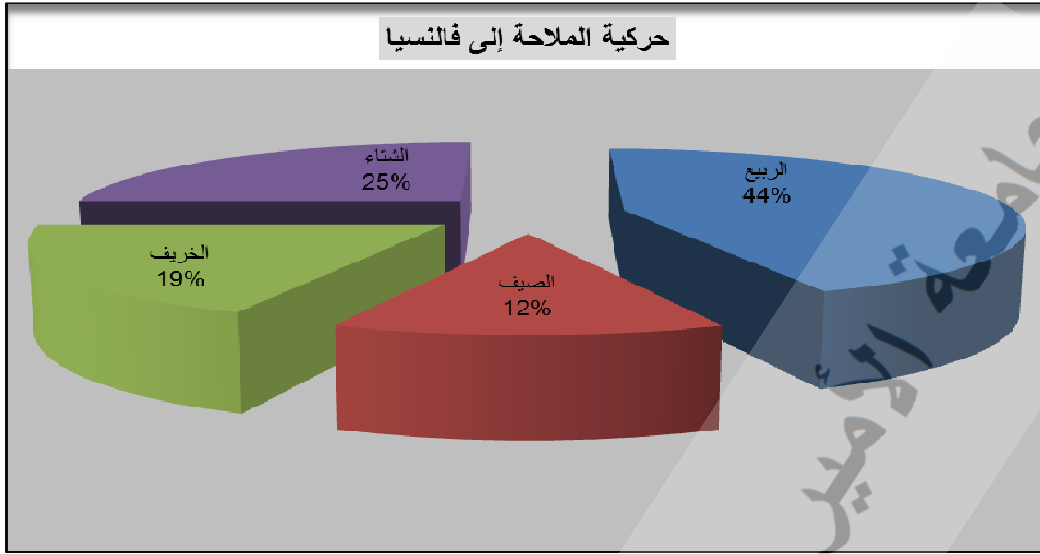
السنة	ج	ف	م	ا	م	ج	ج	ا	س	ا	ن	د
1459	18			29	12							
1488			19		31		28					
1491 <sup>3</sup>	21	28		15		11						
				30								
1494		6	3					15	6			
								29				

والجدول يوضح حركية الملاحة المغاربية إلى بلنسية، وتظهر أن الرحلات غالبا ما تكون في فصل الربيع والرسم البياني التالي يترجم ذلك:

<sup>1</sup> Charles Emmanuel Dufourcq ; *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII et XIV siècles: presses universitaires de France. 108: boulevard saint germain: paris: p 37*

<sup>2</sup> Jacqueline Girual ; *Op. Cit p 121*

<sup>3</sup> وهذا السجل غير مكتمل فسجل الرسوم توقف في يوليو (جويلية) لذلك هو غير مكتمل.



وعن الفاعلين في حركة الملاحة بين بلاد المغرب وبلنسية، نجد المسلمين واليهود الذين مارسوا التجارة، والجدول التالي يوضح

فقد كان للمدجنين في بلنسية (فالنسيا) دور نشط جدا في التجارة المتوسطة، حيث رخص لهم الملوك بالذهاب إلى المغرب للإقامة المؤقتة به<sup>1</sup>. ففي 1492/6/22 (898هـ) قام شاملو المالقي وهو يهودي من كزاتيفا ومقيم ببلنسية باستئجار بحري إلى وهران وبجاية والجزائر أو تنس<sup>2</sup>. وعلى ضوء سجل الرسوم تبدو التبادلات بين مملكة بلنسية، وبلاد البربر منتظمة ومنتشرة عمليا طوال العام بأكمله.

### 3/5/3 التجارة مع مرسيليا:

كانت لمرسيليا تجارة مع مدن شمال إفريقيا، ففي أواخر القرن 12م/6هـ حسب أحد الباحثين كان لهم فندق خاص بوهران، وهو عبارة عن حي صغير بفرن وحمات، وكان فيه قنصل خاص يقيم به باستمرار، ويبدو أنه يساعده في عمله مستشار وكتاب عدل وبوابون وكتاب<sup>3</sup>. وقد كان تجار الجملة المرسيليون يترددون على كل من بجاية وسبتة والإسكندرية بكثرة<sup>4</sup>، إلى

<sup>1</sup> فاليرين؛ المرجع السابق، ج02 ص687.

<sup>2</sup> فاليرين؛ المرجع نفسه، ج02 ص690.

<sup>3</sup> بورية؛ المرجع السابق، ص28.

<sup>4</sup> *Histoire du Commerce de Marseille, publiée par la chambre de commerce de marseille, sous la direction de gaston rambert, Tome I ( Le moyen age jusqu'en 1294, Librairie plon, Paris P 169*



جانبا ذلك نجد تجار مرسيليا كذلك في وهران وتونس وتلمسان، والذين كانوا مفوضين لعائلات تجارية معروفة<sup>1</sup> للتعامل مع المدن المذكورة، حيث كانت لعائلة ماندال (manduel) أسواق في شمال إفريقيا فاوضت عليها، لذلك نجد تجار مرسيليا في كل من وهران وتونس، وكذلك تلمسان<sup>2</sup>، وقد بلغ عدد الرحلات التجارية بين وهران ومرسيليا في القرن 7هـ/13م ثلاث رحلات فيما كانت خمس رحلات إلى تونس وثلاثون رحلة إلى سبتة واثني وسبعون رحلة إلى بجاية<sup>3</sup>. والجدول التالي يوضح توزيع الطلبات المرسلية حسب الإتجاهات من ق 13م/6هـ، وذلك حسب عدد العقود<sup>4</sup>:

الجموع	آخرون	أمريك Amalric	مانديال Manduel	
16	5	9	2	جنوب فرنسا
16	1	10	5	شمال فرنسا وانجلترا
65	20	43	2	إيطاليا
121	1	116	4	مملكة صقلية
37	4	28	5	شبه الجزيرة الإيبيرية
225	28	184	13	الشرق المتوسطي
117	1	73	43	المغرب
1		1		الجزائر
4		3	1	بلاد البربر
72	1	50	21	بجاية
30		18	12	سبتة
3			3	وهران
2			2	تلمسان
5		1	4	تونس
597	60	463	74	المجموع

<sup>1</sup> Histoire du Commerce Ibid P 170

<sup>2</sup> Histoire du Commerce p Ibid 173.

<sup>3</sup> محمد حسن؛ المرجع السابق، ص 609.

<sup>4</sup> فاليريان؛ المرجع السابق، ص 825.

والملاحظ من الجدول أن عائلة مانديال Manduel هي التي احتكرت عدد العقود التجارية مع وهران، وحتى مع تلمسان، على عكس مدينة سبتة.

ومرسيليا كانت محطة في مسار رحلات تجارية ربطت بين ضفتي المتوسط، ففي سنة 1201م / انطلق مركب لنفرانكو دو تيركا (Lanfranco de Turca) من سافون في رحلة طويلة عبر مسار من جنوة، مرسيليا، سبتة، وهران، بجاية، تونس، مسينا، والإسكندرية ثم العودة من جديد<sup>1</sup>، ومما كانت تستورده مرسيليا بكثرة من شمال إفريقيا هي الجلود والشمع<sup>2</sup>. بينما كانت تحمل التجارة المرسلية إلى شمال إفريقيا القطن والتوابل إضافة إلى الخمر<sup>3</sup>.

### 3 / 6 واردات وهران ما بين السلع المتشابهة وأخرى مختلفة:

#### 3 / 6 / 1 السلع الواردة من المدن الأندلسية:

#### 3 / 6 / 1 / 1 المنتجات الغذائية:

تشير المادة المصدرية إلى دخول منتجات فلاحية على وهران رغم تشابهها مع ما تنتجه المنطقة. ومن المنتجات الفلاحية التي تستوردها وهران:

#### 3 / 6 / 1 / 1 / 1 زيت الزيتون والتين:

من بين المنتجات الزراعية التي كانت تستوردها وهران من الأندلس زيت الزيتون، والذي استجلب من إشبيلية<sup>4</sup>، التي عرفت بتجارته طيلة تاريخها الوسيط<sup>5</sup>، وإلى جانب زيت الزيتون اشتهرت إشبيلية بإنتاج وتصدير التين<sup>6</sup>، وقد تميز تينها بجودته وحسن مذاقه، وعرف منه صنفان هما التين القوطي والتين الشعري<sup>7</sup>، وقد وفرت التجارة في المنتجات الغذائية ربحا كبيرا لتجار

<sup>1</sup> فاليريان؛ المرجع نفسه، ج 02. ص 827.

<sup>2</sup> *Histoire du Commerce, Ibid. p 170.*

<sup>3</sup> *Histoire du Commerce, Ibid. p /p 173 /176.*

<sup>4</sup> وهي من أعظم مدن الأندلس، تطل على النهر الهابط إليها من قرطبة، وتعتبر إشبيلية مدينة برية وبحرية نتيجة لنهرها، وتعرف بسهلها الخصب المسمى الشرف. الرشاطي المصدر السابق، ص 102.

<sup>5</sup> كان إنتاج الزيت من اختصاصات إشبيلية وقد عرفت به حتى بعد زوال الحكم الإسلامي لها. مانوال غوثاليث خيمانيث إشبيلية في أواخر القرون الوسطى. ص 154.

<sup>6</sup> ابن اسماعيل البادسي؛ المصدر السابق، ص 106.

<sup>7</sup> المقرئ التلمساني؛ المصدر السابق، ج 01. ص 200.

إشبيلية<sup>1</sup>، فزيت الزيتون على سبيل المثال كان مطلوباً من فئات معينة من المجتمع الوهراني، الذي جذبته الجودة في اقتناء المنتوجات الغذائية المتوفرة في وهران<sup>2</sup>، وهذا ما يجعلنا نطرح تساؤلات حول طبيعة السوق الغذائية في وهران، فهل هذه المنتوجات الغذائية من تين وزيت زيتون كانت تستورد لعدم توفرها في الإنتاج المحلي؟ أم أنها متوفرة في السوق واستورد المنتج الإشبيلي نتيجة لخضوع السوق لمبدأ الطلب على منتوجات بعينها؟ وإن صحت هذه الفرضية نتساءل عن العوامل التي ساهمت في تزويد وهران بمختلف المنتوجات الغذائية المستوردة؟

تشير بعض الإشارات التاريخية إلى حادثة وفاة مفاجئة لابن خلاص صاحب سبته عند استراحتة في وهران، ويرجع سبب وفاته إلى مغص أصاب أمعائه بسبب تناوله فاكهة التين<sup>3</sup>، ونستشف من الواقعة على توفر التين بوهران، وذلك كما أشرنا سابقاً لإمكانية استيراده من إشبيلية بسهولة، لقرب المسافة بين مدينة وهران وإشبيلية، التي رغم موقعها البري إلا أن نهرها الكبير جعلها شبه مدينة ساحلية لحرية الملاحة به، مما ساهم في تنشيط التجارة وتصريف منتوجاتها الفلاحية.

ومن المعلوم كذلك أن التين كان متوفر في مدينة تلمسان نتيجة لكثرة منتزهاتها<sup>4</sup>، وعرف تين تلمسان بأنه شديد الحلاوة ويجفف ليؤكل في الشتاء<sup>5</sup>، ويحتمل أن جزءاً من تجارته جلبت إلى سوق وهران، كما لا نستبعد وجود منتج محلي لهذا الصنف من الفواكه في بساتين وجنان وهران الواسعة. ويبدو أن فاكهة التين كانت مفضلة في المدينة لتوفر أصناف متعددة منها، إضافة أنها متوفرة على طول العام سواء في موسمها أو مجففة في الشتاء.

### 3/6/2 واردات وهران من المدن المسيحية:

من بين المنتوجات التي دخلت إلى وهران بهدف الإتجار بها نجد الزباد، وهو نوع من الطيب

<sup>1</sup> وقد قال الشاعر في ذلك: لا تنس لإشبيلية تينها وأذكر مع التين زياتينها. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 01. ص 152/ 159.

<sup>2</sup> وقد ذكر ابن اسماعيل البادسي أن زيت إشبيلية كان له صيت وسمعة حسنة لدى المتصوفة، المصدر السابق، ص 70.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 06. ص 395.

<sup>4</sup> يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ص 10.

<sup>5</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 20.

الذي يحمل من بلاد الهند إلى بلاد المغرب، ورائحته أفضل من المسك خاصة عند وصوله إلى بلاد المغرب<sup>1</sup>.

وقد استوردت وهران من الأوربيين الأقمشة والتوابل ومواد الصباغة والصيدلة، وأواني النحاس والبلور البندقي<sup>2</sup>.

### 3/6/2/1 سلع وبضائع تستورد لوجود الجاليات الاجنبية:

ويذكر أن المدن كانت تستورد بعض المنتجات الغذائية التي تدخل في طلب الجاليات الاجنبية الموجودة بها، ومثال ذلك الأرز<sup>3</sup> الذي يستورد من بلاد الافرنج وكذلك السكر<sup>4</sup> وغيره. وتشير المصادر أن هذه المواد أصبحت لها قيمة اجتماعية بعدما عرفت فوائدها الصحية على غرار الارز<sup>5</sup>،

كما أن بعض السلع والبضائع كانت تستورد لفوائدها العلاجية، لذا اشتهرت منتجات عابرة للبحار وارتبطت بالصيدلة وصناعة العطور.

### 3/6/2/2 تجارة الخمر في وهران:

أدى الدخول المتزايد للتجار الايطاليين والمرسليين والقطلانيين إلى تنامي التجارة المتوسطة وما جلبته من مردود جبائي هام لدول المغرب الاسلامي<sup>6</sup>، وهذا ما أدى بالسلطة السياسية إلى تقديم تسهيلات كثيرة للتجار الأوربيين، وتشجيعهم على توسيع نشاطاتهم التجارية إلى العمق المغربي، والحرص على ضمان ديمومتها عن طريق السماح لهم بالإشراف على بعض المنشآت التجارية داخل المدن المغربية والأندلسية، وخاصة الفنادق من جهة وتأمين المسالك البرية لربطهم بأسواق المدن الداخلية من جهة ثانية.

1 ويستخرج "الزباد" من حيوان الزباد شبه بالسنور ويكون على شكل عرق يؤخذ من الحيوان، وهو كالقطران الأسود تخين يسيل من جسده. أبو حامد الأندلسي الغرناطي، تحفة الألباب ونجبة الإعجاب، تحقيق، اسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب. ص45.

<sup>2</sup> محمد حسن؛ المرجع السابق، ص 611.

3 وهو من جنس الحبوب، ومن نوع الحنطة، ينطق بالبربرية بضم الراء وسكون الواو سكونا حيا. قاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني الشهير بالوزير، المصدر السابق. ص 33.

4 العمري؛ المصدر السابق، ص83.

5 العمري؛ المصدر نفسه، ص 85.

<sup>6</sup> أوليفيا كونستيل؛ المرجع السابق، ص 166.

ويتضح من استقراء المادة المصدرية أن المدن المغربية شهدت جالية مسيحية أوروبية، وحتى يهودية تطلب وجودها توفير حاجيات خاصة بثقافتهم وطقوس عبادتهم، ومنها الخمر، والذي تزايدت تجارته في المدن الساحلية ومنها ما كان ينفذ إلى المدن الداخلية خاصة الكبرى منها. وقد خضعت تجارة الخمر لموانع دينية للحد من انتشاره في المدن وربط بيعه بالفنادق<sup>1</sup> لوجود الجاليات غير الإسلامية، وعن مدينة وهران فارتبط جزء من تجارتها باستيراد الخمر وبيعه خاصة من التجار المرسلين الذين توافدوا على المدينة حاملين معهم الخمر، فحسب وثائق أرشيفية تخص قانون بلدية مرسيليا، فهناك تجارة خمور ربطتها مع مدن من الضفة الجنوبية للمتوسط، وهي وهران وبجاية وسبتة<sup>2</sup> وعادة ما كان يباع الخمر في الفنادق الصغيرة ويباع على وجهين إما بالمفرق (التجزئة) أو بالجملة، وجزء منه يوجه لبيع إلى المسلمين الراغبين في شرائه<sup>3</sup>.

### 3/2/6/3 من المستفيد من تجارة وهران ؟

نستشف من الاشارات الواردة عن التجارة في وهران، أنها احتكرت من القوى التجارية الكبرى المسيطرة على البحر المتوسط، ويبدو أن عائداتها الضخمة زادت من ثراء التجار الأوربيين من الإيطاليين والقطالونيين على حساب صغار التجار المحليين من وهران أو حتى التلمسانيين. وإن كان جزء من الربح التجاري تستفيد منه السلطة الزيانية التي أشرفت بصورة مباشرة على تحصيل الضرائب من الميناء<sup>4</sup>، ونلمح احتكار التجار الأوربيين للتجارة في وهران من خلال تخصيص الجنويين وغيرهم من التجار أماكن للإقامة داخل المدينة، فقد عرفت دار باسمهم " دار الجنويين"، كما وجدت فنادق عديدة بالمدينة<sup>5</sup> من أجل الإشراف على مسار التجارة من البحر، ثم تتبع تسويقها إلى مختلف المدن الداخلية، فنجد التجار الأوربيين في تلمسان وغيرها من المدن الأخرى حملوا السلع والبضائع من الداخل وتم الإتجار بها إلى المدن المتوسطة شرقا وغربا وشمالا، مما جعل التاجر الأجنبي يحتكر الممارسة التجارية من السيطرة على طرق ومسالك بحرية إلى

<sup>1</sup> أوليفيا كونستيل ؛ المرجع نفسه، ص 212.

<sup>2</sup> فيلالى ( عبد العزيز) ؛ دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة ( الجزائر) للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 2012. ص 62.

<sup>3</sup> أوليفيا كونستيل ؛ المرجع السابق، ص 213.

<sup>4</sup> عبد الباسط ؛ المصدر السابق ص

<sup>5</sup> الوزان ؛ المصدر السابق، ج02. ص 30.

عمليات التخزين والبيع التي عادة تقام في الفنادق المخصصة لهم، وهذا ما جعل هامش الربح يتضاعف للتجار المتوسطين الأوروبيين على حساب التجار الوهرانيين خاصة في أواخر العصر الوسيط.

وتظهر بعض المعطيات المصدرية أن حالة الثراء لم تشمل ساكنة وهران، فمستواهم المعيشي للأغلبية كان متواضعا، وربما ذلك لكونهم ليسوا من كبار التجار، فقد اقتصر معظمهم في نشاطهم على الحياكة وبعض الصناعات التي لا توفر الثراء مثل التجارة.

وقد وردت إشارات أن سكان مدينة وهران استفادوا بإعفائهم من التفتيش على أبواب المدينة وهذا يدل أنهم من صغار التجار، يحملون بضائع وسلع لا يبدو أنها ذات قيمة مالية كبيرة عند تعشيرها<sup>1</sup> مقارنة بأرباح السلع والبضائع الأجنبية التي توفر أرباحا وفيرة للدولة الزيانية.

والسؤال الذي يطرح هنا عن الأسباب الموضوعية التي جعلت أغلبية أهل وهران يعزفون عن التجارة البحرية، ويتركون الربح للأجانب رغم وجود ساكنة أندلسية مهمة عرفت بنشاطها التجاري، كما أن موقع المدينة يسمح بالإبحار بالبضائع شرقا وغربا وشمالا. فهل يمكن التسليم بعدم وجود تجار وهرانيين برزوا في التجارة البحرية إلى السواحل والجزر القريبة؟ وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من رؤية هذا الواقع من زوايا متعددة اقتصادية وسياسية وغيرها.

ومن الأسباب التي وقفت حائلا أمام التجار الوهرانيين نلمح غيابا شبه كلي للبحرية الزيانية، سواء على مستوى الأسطول العسكري أو التجاري مما جعل البحر يشكل هاجسا ومصدر خوف دائم لساكنة المدن الساحلية، حتى أن الحج عبر البحر يكون من خلال السفن الأوربية، هذه الأخيرة التي سيطرت على النقل البحري بين ضفاف المتوسط ومن ثمة على التجارة، لامتلاكها الأساطيل القوية وتنامي خبراتها الملاحية، وقد اعتمدت التجارة المتوسطية على أربعة أساطيل لنقل البضائع والتجار عبر مسارات بعضها كان منتظما، وهي الجنوبية والقطالونية والأراغونية والبنديقية.

كما أن التجارة عرفت نكسة بسقوط الأندلس وتراجعها الكبير، حتى أن التجار أصبحوا يجهزون سفنا شرعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة ويجتاحون سواحل قطلونية وجزر يابسة ومنورقة

<sup>1</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق ص، ص 64، 65.

وميورقة، وتحولت السلع والبضائع إلى أسرى مسيحين<sup>1</sup>.

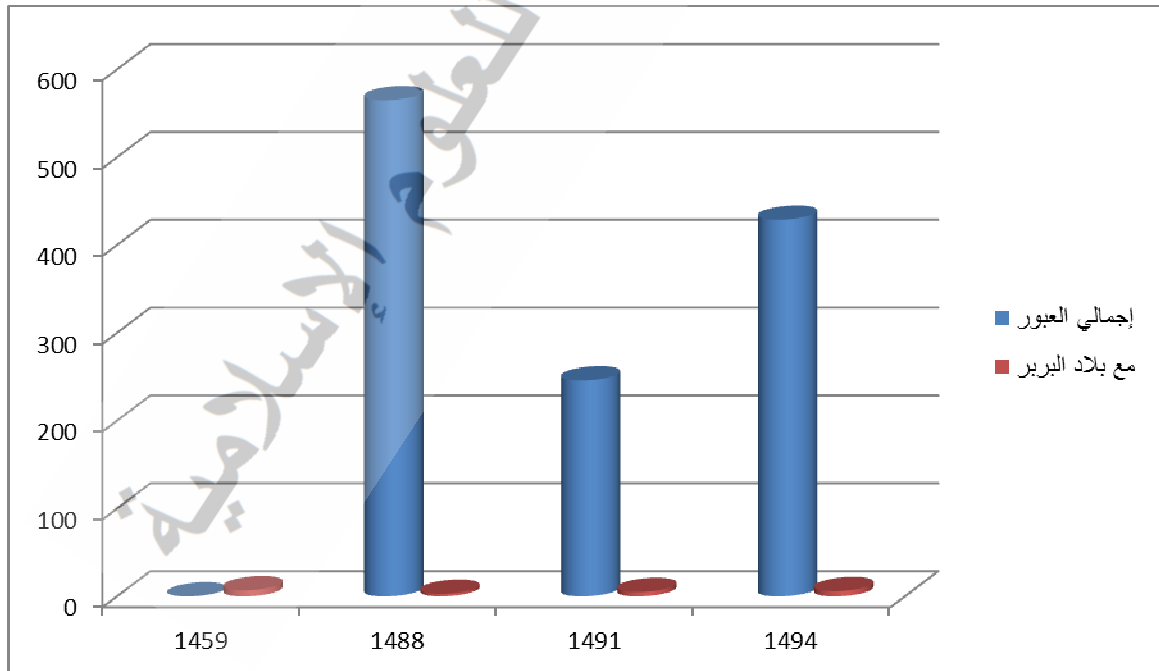
### 3/6/3 حجم تجارة وهران المتوسطية:

من الصعب تتبع حجم التجارة المارة على وهران ونسبتها من التجارة المتوسطية وتجارة تلمسان، ولكن ورود بعض المعطيات الأرشيفية لمدن مملكة أراغون يمكّننا من رصد أرقام إحصائية من شأنها إعطاء ملامح عن حجم التجارة المارة على وهران في فترات معينة، ومقارنتها بالرحلات الأخرى التي استقبلتها بلنسية.

حجم حركة المرور من البربر مقارنة بإجمالي حركة المرور:<sup>2</sup>  
(سلسلة رسوم البحر)

السنة	إجمالي حركة العبور	حركة العبور مع بلاد البربر	النسبة
1459: من 1-1 الى 4-6-1459	162 سفينة	07 سفينة	3.4
1488: من 1-1 الى 31-12-1488	565 سفينة	03 سفينة	50.0
1491: من 1-1 الى 11-7-1491	246 سفينة	05 سفينة	07.2
1494: من 1-1 الى 31-12-1494	429 سفينة	06 سفينة	60.1

ولتوضيح المقارنة نأخذ الرسم التالي:



ويُتضح من الرسم ضآلة التعامل مع بلاد البربر مع بلنسية مقارنة بإجمالي حركة العبور عامة.

<sup>1</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02، ص 08.

<sup>2</sup> Ibid. p ; <sup>2</sup> Jacqueline Girual

ومن الملاحظ أن حجم التجارة المتوسطة انخفضت بشكل ملحوظ، بسبب تراجع السفن التجارية للفلورنسيين والبنادقة، وسيطرت التجار الجنوبيون والنابوليونيين على العلاقات التجارية في غرب المتوسط، فقد ذكرت احصائيات للتدفقات التجارية على الموانئ المعتادة ففي سنة 864هـ/1459م بلغت 3% أما سنة 894هـ/1488م فانخفضت إلى 0.3 % ممثلة فقط في سفينتين واحدة إلى وهران والأخرى إلى وجهة أخرى<sup>1</sup>.

والملاحظ أن وهران نمت تجارتها في غرب المتوسط، حتى أنه عُرف فندق في مدينة سبتة باسم "فندق الوهراني" في القرن 9هـ/15م، ونرجح أنه يعود لأحد كبار التجار الوهرانيين الذين يتمتعون بالثروة والجاه خاصة من الحكام<sup>2</sup>، لأن هذا الفندق عرف بفخامته<sup>3</sup>، وتصفه المصادر ب: "...وأبدعها صنعة فندق الوهراني، جمع هذا الفندق صنائع الجص والنجارة، وعلى بابه عقاب غريب الشكل مفقود النظير..."<sup>4</sup>.

### 3/7 التنظيمات والمنشآت التجارية:

#### 3/7/1 التنظيمات التجارية:

اتضح مما سبق ثقل المجال التجاري والمالي لوهران، فهي تمثل سوقا ومنفذا رئيسيا لتجارة الدولة الزيانية لذلك فقد حظيت بتنظيمات وترتيبات تجارية ضرائبية، للاستفادة من حركية السلع والبضائع الواردة من البحر وعبر أبواب المدينة، وبرزت مهام منها:

#### 3/7/1/1 المشرف:

والمشرف كلمة إدارية تدل على جباية الأموال لخزينة الدولة، وعُرف أن دار الإشراف تكون على عمالة الديوان أمام فنادق تجار النصارى<sup>5</sup> حيث مركز التجارة والضرائب. فيكون المشرف

1

<sup>2</sup> رجحت إحدى الدراسات أن إنجاز الفنادق من اهتمام الحكام والأمراء، لما لهم من ثروة وجاه ولاستغلال هذه المنشأة في تحصيل الأرباح، وأدوات لفعل الخير ووسائل للدعاية. يرجع لأويفيا ريمي، المرجع السابق، ص 81.

<sup>3</sup> الشريف (محمد)؛ سبتة الإسلامية، دراسات في تاريخها الإقتصادي والإجتماعي (عصر الموحدين والمرينيين)، منشورات جمعية تطاون - أسمير، سنة 2006. ص 60.

<sup>4</sup> ابن القاسم الأنصاري السبتي (محمد)؛ إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ط02. الرباط، سنة 1403هـ/1983م. ص 39.

<sup>5</sup> وذكر أن بعض المدن الساحلية كان بها عدة ديار للإشراف لثقل تجارتها. يمكن الرجوع إلى متن والإحالة الخاصة بها من كتاب لابن القاسم الأنصاري السبتي، المصدر نفسه، ص 41.



مسؤولاً عن التجار الأجانب في المدينة، خاصة فيما يخص الحقوق اللازمة عن الإيراد والإصدار للسلع<sup>1</sup>، ولكن صلاحيات المشرف في وهران اتسعت لتشمل وظائف أخرى داخل المدينة، وحسب الإشارات المصدرية، فإن تحصيل الضرائب للسفن التجارية الكبيرة وتعشيرها، هي من مهام رجال الدولة الزيانية فقد أورد عبد الباسط قدوم "عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بابن النجار"<sup>2</sup> ولد صاحب الأشغال لمملكة تلمسان من أجل تعشير مراكب قدمت لمدينة وهران للإتجار، وحسب عبد الباسط فإن عبد الله مكث أيام في وهران ليعود فيما بعد إلى العاصمة تلمسان<sup>3</sup>.

ويدل ذلك على أهمية التجارة البحرية للدولة الزيانية، لما توفره من عائدات مالية لخزينة الدولة، استوجب تحصيلها حضور ثقة وأمناء من رجالات الدولة إلى وهران للإشراف على العملية.

### 3/1/7/2 المحتسب:

وقد شكل نظام الحسبة ميزة حضرية للمدن الإسلامية، فالحسبة باتفاق من العلماء المسلمين هي "أمر بمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن منكر إذا ظهر فعله"<sup>4</sup>، وهي وظيفة دينية رقابية فُرضت على القائم بأمر المسلمين، وعليه تعيين من يراه أهلاً له، وللمحتسب أعوان يساعده على البحث عن المنكرات<sup>5</sup>. ويشتترط على من يتولى الحسبة أن يكون خبيراً، عدلاً، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة<sup>6</sup>.

### 3/1/7/3 أمير الباب:

يكنى صاحب الباب، وكذلك المعشر وهو الشخص المسؤول عن تعشير السلع والبضائع القادمة إلى المدينة، حيث يتم تعشير السلع عند مداخل الأبواب، أين يجلس صاحب التعشير

<sup>1</sup> الخزاعي ؛ أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الدار العربية للموسوعات، ص 229.

<sup>2</sup> عبد الباسط ؛ المصدر السابق، ص 59.

<sup>3</sup> عبد الباسط ؛ المصدر نفسه، ص 60.

<sup>4</sup> المنيس ( وليد عبد الله) ؛ الحسبة على المدن والعمران، ط01. الإصدار 99. تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، ص 37.

<sup>5</sup> ابن خلدون ؛ مقدمة ص180.

<sup>6</sup> المنيس ؛ المرجع السابق، ص 37.

ليؤدي وظيفته<sup>1</sup>، وحسب كاربخال فإن مدينة وهران كان بها بابان، باب تلمسان في جهة الجنوب، وباب قسطلية في جهة الشرق<sup>2</sup>، وهذا يعبر على أن المدينة كان بها أميران للباب - على الأقل - تماشياً مع عدد الأبواب الموجودة آنذاك.

والواضح أن هذه الوظيفة كانت سمعتها سيئة عند التجار لما فيها من مظالم<sup>3</sup> مسلطة عليهم، على الرغم من أن بعض من تولى هذه الوظيفة تمتع بسمعة حسنة وبأخلاق حميدة، كما ورد في شهادة الرحالة عبد الباسط عند وصفه لأحد أصحاب الباب وتكتمه على عشور لأحد التجار الأجانب عن المدينة بقوله: " فعجبت من هذا الإنسان (صاحب الباب) غاية التعجب مع ظلمه ووقوفه في هذه الوظيفة كيف عف وكف لكنني أعرف أصالته وكونه من ذوي البيوتات. . "4.

كان أمير الباب يساعده في عمله عدة أشخاص آخرين من أهل الباب<sup>5</sup>، لكل واحد تخصصه فهناك من يقوم بتفتيش القادمين إلى المدينة من الجنسين، رجالاً ونساء<sup>6</sup>.

### 3/7/2 المنشآت الاقتصادية:

وهران مدينة تجارية تتمتع بوجود منشآت ومرافق اقتصادية مهمة، ذكرتها مختلف المصادر وخاصة التجارية ومنها:

### 3/7/1 الأسواق:

الأسواق هي انعكاس مباشر لحاجيات الناس، فهي تحتوي على ما هو ضروري من أقوات الحبوب (الحنطة والشعير. . .)، والخضروات (بصل وثوم. . .)، كما تحتوي على الحاجي والكمالي مثل اللحوم بأنواعها والفواكه والملابس والمعاون وسائر الصنائع والمباني، على حد قول ابن خلدون<sup>7</sup>، هذا عن محتوياتها، وتختلف الأسواق إلى أصناف حسب أوقاتها ففي الدولة الزيانية

<sup>1</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 64.

<sup>2</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02. ص 329.

<sup>3</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 64.

<sup>4</sup> عبد الباسط؛ المصدر نفسه، ص، ص 64، 65.

<sup>5</sup> عبد الباسط؛ المصدر نفسه، ص 65.

<sup>6</sup> ابن مرزوق التلمساني؛ المسند، المصدر السابق، ص 285.

<sup>7</sup> المصدر السابق، مج 5. ص 89.

وجدت:

- الأسواق اليومية: وهي الأكثر انتشارا في كامل المدن الزبانية.
- الأسواق الأسبوعية: وتقام في يوم معين من أيام الأسبوع.
- الأسواق العسكرية: تصحب المتحاربين في محلهم<sup>1</sup>.
- الأسواق الموسمية: وهي التي ترتبط بمناسبات دينية، فالج كان مناسبة مهمة للترويج التجاري داخل المدن الساحلية.

وبالرجوع لوهران فقد وصفت بأن بها "تجارات واسعة"<sup>2</sup>، فتوفر الأسواق اليومية والأسبوعية يعبر عن التفاعل والتبادل بين المنتوجات الحضرية والمنتوجات الريفية الضرورية لحياة الساكنة، ونلمح من النصوص التاريخية والجغرافية بعض المنتوجات التي توفرت قرب وهران، وشكلت سلعا سهلة التداول في أسواق وهران اليومية والأسبوعية، ومنها الحبوب خاصة الشعير الذي شكل الغذاء الأساسي لسكان المدينة في أواخر العصر الوسيط<sup>3</sup>.

كما أن وهران تلقت كميات وافرة من القمح من المناطق المجاورة<sup>4</sup>، فعلى بعد ستة (6) فراسخ منها يوجد سهل تسلة (تسالة) المعروف بإنتاجه الوفير للحبوب من القمح والشعير<sup>5</sup>، إضافة إلى سهل البطحاء، والذي كان يمؤن وهران من المنتوجات الغذائية عند احتلال الاسبان<sup>6</sup> لها، مما يعني أهميته قبل سقوط وهران في يد الاسبان.

وكان تجار النواحي يقصدون وهران للمتاجرة، وإضافة إلى توفر الفواكه والخضر والتي كان لها سوق بوهران<sup>7</sup>، فقد توفرت أيضا مختلف المنتوجات الحيوانية من لحم وسمن وعسل، وكثرة وجودها في أسواق وهران جعل ثمنها زهيدا، كما كانت وهران مقصدا للجبيليين من جبل أغبال لبيع

<sup>1</sup> بلعربي؛ الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزباني، دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر 2009. ص 32.

<sup>2</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02. ص 329.

<sup>3</sup> الوزان، المصدر السابق، ج 02. ص 30.

<sup>4</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02. ص 329.

<sup>5</sup> كاربخال؛ المصدر نفسه، ج 02. ص 325.

<sup>6</sup> حساني (مختار)؛ تاريخ الدولة الزبانية، منشورات الحضارة، ج 02. سنة 2009. ص 26.

<sup>7</sup> بلعربي؛ المرجع السابق، ص 37.

## الفصل الثاني: ..... الحياة الاقتصادية في وهران

الحطب<sup>1</sup>، واستقبلت وهران أنواعا من الخشب من مناطق عديدة، منها خشب قسطيلية المعروف بلونه الأحمر الذي على ما يبدو كان غالي الثمن<sup>2</sup>.

ونأخذ الجدول التالي لبعض المنتوجات الخاصة بالمنطقة وأسعارها، حسب حالة الرخاء أو المجاعة<sup>3</sup>:

المنتوج الزراعي	السنة	المنطقة	السعر أو الكمية	المصدر	الملاحظات
الشعير	1357/758هـ	وهران	400 مد كبير أي ما يعادل 24000 برشالة	يحي بن خلدون، ج01	أيام الرخاء والازدهار
البر		وهران	400 مد كبير أي ما يعادل 24000 برشالة		
البقلاء		وهران	400 مد كبير أي ما يعادل 24000 برشالة		
ثماني صيعان من القمح	706هـ	تلمسان	دينار واحد	يحي بن خلدون، ج01	يوم واحد بعد خروج المرزبين من تلمسان والحصار الذي فرضوه عليها والذي دام 8 سنوات ( 706.698هـ )
ستة عشرة صاعا من الشعير	1306م	تلمسان	دينار واحد		
المد الواحد من القمح	1293/693هـ	كامل بلاد المغرب	10 دراهم	ابن أبي زرع، القرطاس	أيام المجاعة التي أصابت كامل بلاد المغرب
ستة أواق دقيق			6 دراهم	ابن أبي زرع، القرطاس	

<sup>1</sup> الوزن ؛ المصدر السابق، ج02. ص 44.

<sup>2</sup> كاربخال ؛ المصدر السابق، ج02. ص 348.

<sup>3</sup> نقلا عن بلعربي، المرجع السابق، ص 36.

ولكثرة المنتوجات الفلاحية في وهران والمناطق المجاورة لها، فقد وُجِّه الفائض منها للتصدير، إلى جانب المنتوجات الحرفية والصناعية سابقة الذكر.

وتجدر الإشارة إلى توفر بعض المواد المهمة في التجارة المتوسطية مثل مادة الملح، التي كانت موجودة بالقرب من وهران في منطقة البطحاء<sup>1</sup>، وقد خصص لها الزبانيون مخازنًا في المدن الساحلية من أجل تصديرها عبر البحر، وقد كانت مدينة أرزيو من المعنيين بهذه التجارة<sup>2</sup>، ولا نستبعد أن وهران كانت من المصدرين لهذه المادة كذلك، لقرىها من البطحاء وأهمية ميناءها في التجارة المتوسطية.

ومن الأسواق الموسمية التي عرفت وهران الأسواق الخاصة بالحجيج، وذلك لكونها محطة في طريق ركب الحج الأندلسي، ووهان كانت مهبطًا للحجيج الأندلسيين القادمين لها من أرض العدو في خط بحري مباشر ينطلق من مرفأ المنكب إلى وهران.

وهذا الطريق ذكره القلصادي، والذي قدم المحطات الأساسية لهذا المسلك من بسطة نقطة انطلاقه إلى البلد الحرام، فذكر المسار على النحو التالي: من بسطة إلى مرفأ المنكب، فوهان، فتلمسان، فتونس، فجربة فطرابلس، فلاسكندرية، فالقاهرة، فالطور، فالينبع، فراغ فجدة<sup>3</sup>. ويبدو أن طرق ركب الحجيج تعددت من الطرق البحرية والبرية، فذكرت هنين كمرفأ لإقلاع ركب حجيج تلمسان في عهد أبي تاشفين الأول<sup>4</sup>، لتظهر وهران كمرفأ للإقلاع للحج في عهد أبي حمو الثاني عندما أركبه ابنه أبي تاشفين في السفين المتجه إلى الاسكندرية<sup>5</sup>. ومهما يكن فما يهمنا هنا أن المدن في هذه المواسم الدينية يزداد نشاطها التجاري لارتباطه بكثرة الطلب على السلع والبضائع التي يحتاج إليها الحاج في طريقه إلى البلد الحرام.

وكانت الأسواق تخضع لسلطة المحتسب، فهو يتولى تسعير الخضر والفواكه في الأسواق ويفرض ذلك على أصحابها، فالعادة أن يشتري الباعة المنتوجات الزراعية من الجلاب أو من أصحاب المزارع والبساتين دون سعر محدد، ثم يقوم صاحب السوق ( المحتسب ) بتحديد السعر بعد أن

<sup>1</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج06. ص 135. وكذلك ج08. ص 293.

<sup>2</sup> كاربخال ؛ المصدر السابق، ج02. ص 349.

<sup>3</sup> القلصادي ؛ المصدر السابق، ص 70.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر السابق، ج 07. ص 153.

<sup>5</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر نفسه، ج 07. ص 480.

يعرف قيمة ما اشتروه<sup>1</sup>. وجولات التفتيش لرقابة ما يجري في الأسواق كانت منتظمة ودورية بداخل أسواق المدن، حيث كان المحتسب وأعوانه يجوبون بمعاييرهم وموازنينهم ومكاييلهم النموذجية شوارع الأحياء ويرصدون كل الشبهات والمخالفات<sup>2</sup>.

### 3/ 2/2/7/ الفنادق:

الفنادق وهي منشآت تجارية وسكنية للتجار سواء من الأجانب أو من المحليين، توجد داخل الحي التجاري، والذي يخصص جزأها العلوي للإقامة وجزأها السفلي للبيع والشراء<sup>3</sup>. وُصفت وهران أنها مدينة متحضرة تتوفر على الكثير من المرافق والمؤسسات والبنائيات ومنها الفنادق<sup>4</sup>، وذلك لطابعها التجاري المهم، فقد أشارت المصادر اللاتينية إلى وجود فنادق للتجار الأوروبيين بمدينة وهران منذ سنة 1228 / 626 إلى جانب كل من بجاية وتونس وسبتة<sup>5</sup>. وفي الفترة الزبانية شهدت وهران وجود فندق للجنوبيين وآخر للأراغونيين، ويبدو أن نوعية الفنادق وكيفية تسييرها وماهية مرتديها تتشابه كثيرا مع الفنادق الموجودة في العاصمة تلمسان، إن لم تكن امتدادا لها وتكملة لوظيفتها التجارية داخل الدولة، حيث تتشابه الفنادق من حيث التخصص لتجار جنوة والبندقية<sup>6</sup>.

وعن طريقة عمل الفنادق الأوروبية فقد خضعت لنظام داخلي خاص بها؛ ففندق أراغون كان تحت إدارة مشرف يخضع لسلطة القائد<sup>7</sup>، والفندق الخاص بالمرسلين كان على رأسه مدير معين من طرف قناصل مرسلينا<sup>8</sup>. ويعيّن المشرف على الفندق لمدة محددة، ويتمتعون بامتياز فتح متجر

<sup>1</sup> أبو مصطفى (كمال)؛ جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - من خلال نوازل الوثائقيسي - الناشر مؤسسة شباب الجامعة

<sup>2</sup> شرقي؛ التقييس، ص 73.

<sup>3</sup> المنيس؛ المرجع السابق، ص 97.

<sup>4</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 30.

<sup>5</sup> محمد حسن؛ المرجع السابق، ص 605.

<sup>6</sup> الوزان؛ المصدر نفسه، ج 02. ص 20.

<sup>7</sup> محمد حسن؛ المرجع السابق، ص 609.

<sup>8</sup> بوروية؛ المرجع السابق، ص 28.

لبيع الخمر في فنادقهم الصغيرة<sup>1</sup>.

ومن الإشارات التاريخية الواردة في المصادر، تبين وجود فندق يدعى بالوهراني خارج وهران في مدينة سبتة<sup>2</sup>، ورغم عدم توفر معلومات كافية عنه، إلا أن ذلك يشير أن هذا المرفق التجاري كان له حضور قوي في تجارة وهران سواء داخل المدينة أو حتى خارجها.

وكان بمدينة وهران كذلك دور للكراء، وذكر كاربخال توفر وهران على محلات النزول، وهي لنزول التجار والمسافرين وحتى للزوار الغرباء عن المدينة، وتستخدم للمبيت وتخزين السلع فيها<sup>3</sup>، وربما توفر خيارات النزول وفر حلولاً للمسافرين الذين قدم بعضهم للمدينة على شكل عائلات، ربما كان خيارها المناسب هو كراء دور بدلا من الإقامة في الفنادق الجماعية حفاظا على خصوصيتها، وهذا لا يعني أن كل المسافرين والتجار كانوا ينزلون في الفنادق والدور الخاصة للكراء، فهناك من كان ينام خارج البيوت أو تحت الخيام أو على ظهور السفن<sup>4</sup>، كما كان البعض منهم يقصد الزاوية التازية خاصة من المريدين لها من الطلبة والعلماء، وكانت إقامتهم مؤقتة<sup>5</sup>.

والجدير بالملاحظة أن الفنادق وبعض الدور المعدة للكراء استُغلت في تخزين المنتوجات الزراعية خاصة من الحبوب التي جلبت من البادية<sup>6</sup> قصد بيعها في المدينة أو تصديرها، مما يوسع من وظائف الفندق ويعطي له أهمية على المستوى الاقتصادي والمستوى الاجتماعي.

كما كان بوهران دار ضيافة تعود ملكيتها إلى الحكام الزيانيين<sup>7</sup>، وربما لم تكن واحدة بل تعددت ويذكر عبد الباسط أن عبد الرحمان بن النجار، وهو من رجالات الدولة الزيانية أنزله بمكان بوهران إلى حين سفره". . . ورتب له فيه شيئا ما بين لحم ودقيق وعليق<sup>8</sup> . . . "1.

<sup>1</sup> أوليفيا ريمي ؛ المرجع السابق، ص 213

<sup>2</sup> سبق الإشارة إليه.

<sup>3</sup> وقد وردت هذه المعلومات في كتاب المعيار والتي تعبر عن أهمية هذه المنشآت من فنادق ودور للتجارة الداخلية بين المدن والأرياف. أبو مصطفى، المرجع السابق. ص 74.

<sup>4</sup> أوليفيا ريمي ؛ المرجع السابق، ص 104.

<sup>5</sup> ابن سعد التلمساني ؛ المصدر السابق، ص، ص 161، 162.

<sup>6</sup> العقباني ؛ المصدر السابق، ص 128.

<sup>7</sup> عبد الباسط ؛ المصدر السابق، ص 62.

<sup>8</sup> العليق وهو الشعير المخصص لإطعام البهائم المعدة للسفر، وقد وردت هذه المعلومة في موضع آخر من كتاب رحلة عبد الباسط عند حديثه عن صاحب تونس الذي رتب لأحدهم لحم ودقيق وشعير لعليق بمائمه، ويبدو أن العليق مثل فصيلة

ويتضح من شهادة عبد الباسط أن رجال السلطة الزيانية كانت لهم صلاحيات في تقديم تسهيلات كثيرة لبعض التجار الأجانب من:

- توفير محل للإقامة، ويحتمل أن تكون دار ضيافة مخصصة لموظفي الدولة المقيمين مؤقتا في وهران وللبعض التجار المدرجين في صنف المقربين من السلطة.
- تقديم مستلزمات الإقامة من مأكّل مناسب (لحم ودقيق)، إلى جانب علف لحيواناته.
- منح التاجر ظهير<sup>2</sup> لتسهيل تجارة المستفيد.

وما يميز مرافق وهران، ومنها الفنادق أنّها رائقة البناء، وعرفت أزقتها وساحاتها بأنّها جيدة الترتيب<sup>3</sup>.

### 3/2/7/3 الديوانة الجمركية:

وهي ديوانة البحر، وتخضع لقوانين الديوانة والتي تتشابه مع المدن المغاربية، حيث يتم دفع "عشر" قيمة البضائع للديوانة، وتدفع نقدا وأحيانا بضاعة، أما الدراهم التي كانت تجلب وتدخل البلاد فيدفع منها الخمس بالمائة سواء كانت ذهبا أو فضة<sup>4</sup>. وقد كان مركز جمرك بوهران يحقق مداخيل للدولة الزيانية، فكانت المملكة تحقق مردودا يبلغ حسب الوزن ثلاثمائة ألف، ويصل إلى أربعمائة ألف دينار<sup>5</sup>، وذلك عندما كانت وهران تابعة للزيانيين، ولكن بسقوط وهران في يد الإسبان استطاع الزيانيون تعويض خسائرهم وتحقيق مداخيل إضافية عن طريق:

- الزيادة في الضرائب ورسوم تجارية جديدة على ساكنة تلمسان<sup>6</sup>.
- أهمية مداخيل مدينة الجزائر وزيادة إيراداتها بشكل كبير. فحسب كاربخال فإن فقدان الزيانيين لوهران لم يؤثر كثيرا على إيرادات الدولة بسبب مداخيل جمرك مدينة الجزائر،

محددة من الحبوب أو أنواع من الشعير، حيث كان يزرع كعقيق. يمكن الرجوع لعبد الباسط، لمصدر نفسه، ص 28. وكذلك العمري المصدر السابق، ص 100.

<sup>1</sup> عبد الباسط؛ المصدر نفسه، ص 48.

<sup>2</sup> الظهير وهو الوثيقة التي يمنحها السلطان للمستفيد، وإقطاع الاستغلال كان يعطى عادة مقابل نسبة من المحصول أو دفع مبلغ مالي محدود، ويرتبط غالبا بالأرض التي تمنح للاستغلال. مكّي زيان، المرجع السابق، ص 209.

<sup>3</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02. ص 329.

<sup>4</sup> سعيدان؛ المرجع السابق، ج 02. ص 55.

<sup>5</sup> الوزن؛ المصدر السابق، ج 02. ص 23.

<sup>6</sup> الوزن؛ المصدر نفسه، ج 02. ص 23



التي تضاعفت لتفوق إيرادات الدولة بكاملها، ويرجع كاربخال ذلك إلى أعمال القرصنة ومداخيل التجارة البرية مع البربر، ويُذكر أن باب البر لمدينة الجزائر لوحده يُكسبها مليون مثقال من الذهب في السنة<sup>1</sup>.

ولكن هذه الوضعية لم تستمر طويلا، فقد استطاع عروج الدخول إلى مدينة الجزائر وتصفية خصومه سنة 1516م<sup>2</sup> / 922هـ، لتفقد بذلك تلمسان المكاسب المالية الكبيرة لهذه المدينة.

### 3/ 8 بعض المشاكل التي طرحت:

من الصعب تتبع المشاكل التي طرحت على مستوى مدينة وهران في المجال التجاري، لشحّ الكتابات التاريخية في هذا المجال، ولكن يمكن استقراء بعض الإشارات المتواترة عن المشاكل التي واجهت تغيير السلطة في المدينة، أو من نوازل أظهرت الخلل في المكايل التي مست المنطقة، لذلك سنسلط الضوء عليها كمعطى واقعي له ارتباط مباشر بالمدينة.

### 3/ 8/ 1 مغارم الأبواب:

من المغارم التي ذكرت أنها أسقطت على ساكنة المدن الزيانية في نهاية فترة أبي تاشفين الأول، بعد الخضوع لسلطة أبي الحسن المريني وحسب ما أورده ابن مرزوق في المسند الصحيح، نجد مغارم فُرِضت على أبواب المدن الزيانية، والتي قُدّرت بالربيع على السلع الواردة على الأبواب، وكانت المطالبات تخضع لتفتيش دقيق لا يحترم فيه حرمة المسلمين، حيث يتولى تفتيشهم من طرف نصراني ويهودي، ويكون التفتيش صارما من الرأس إلى القدمين، ظاهرا وباطنا، كما أن النساء يخضعن لتفتيش دقيق على أيدي يهوديات<sup>3</sup>.

ويبدو أن المغارم والضرائب زادت في فترة أبو تاشفين الأول، والذي عمد على اتباع سياسة مالية صارمة، مما أكسبه الكثير من الأموال التي كان يتفاخر بها على باقي ملوك عصره، ولكنها في المقابل تسببت له في نفور الرعية منه لشعورهم بالظلم، وبجالة من القهر<sup>4</sup> لكثرة الضرائب المفروضة عليهم والصرامة في تنفيذها. ولكن بنهاية فترته على يد أبي الحسن المريني الذي وحد المغرب

<sup>1</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 02. ص 302.

<sup>2</sup> دادة (محمد)؛ تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في ق 16، مجلة عصور الجديدة العدد 02، عدد خاص بتلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية، السنة 1432هـ/2011م. ص 194.

<sup>3</sup> ابن مرزوق التلمساني؛ المصدر السابق، ص 285.

<sup>4</sup> ابن الصباح؛ المصدر السابق، ص 92.

الأقصى والأوسط، ألغيت المكوس وعقد الضمان على الساكنة<sup>1</sup>، وبعودة الحكم الزياني للمغرب الأوسط عادت مغارم الأبواب إلى العرف المعمول به في سائر المدن التجارية المغاربية، فكان يقتطع من المسلمين ما نسبته اثنين ونصف في المائة ( 2. 5) من جميع البضائع أو المال، وعشرة بالمائة (10) بالنسبة لأهل الذمة من نصارى ويهود<sup>2</sup>.

وقد استطاع الوهرايون التخلص من التفتيش والاكتفاء بدفع العشر<sup>3</sup> على السلع الظاهرة، والتي يتم الولوج بها من الباب في ق9هـ/15م حسب شهادة الرحالة عبد الباسط، ولا نعرف بالضبط الأسباب المباشرة التي أدت إلى هذا النوع من التسامح الضريبي مع أهل وهران.

### 3 / 2/8 المكايل والموازين في المغرب الأوسط:

الموازين: وهي تختلف من:

المثقال: يقدر المثقال الشرعي بوزن 72 حبة من الشعير المتوسط الحجم، وأربعة وعشرون قيراطا، وكل قيراط من ثلاث حبات<sup>4</sup>.

الدرهم: استعمل في العهد الزياني لوزن الحاجيات الثمينة، يتراوح وزنه 1. 49 إلى 1. 50 غرام<sup>5</sup> الأوقية: تساوي 12 درهما، أي 37. 5 غرام.

القيراط: ومقداره 16/1 من الدرهم أو 24/1 من المثقال، ويتألف من خمس حبات أي 0. 446 غرام<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> العمري؛ المصدر السابق، ص 81.

<sup>2</sup> كارنخال؛ المصدر السابق، ج02. ص301.

<sup>3</sup> العشر أو العشور، وهي ضريبة شرعية واجبة للدولة، وقد تطورت تاريخيا في الغرب الاسلامي واختلفت نسبتها من دولة لأخرى وفي العهد الزياني عبرت على الضريبة الجمركية والتي تحصل على مستوى إدارة مرسى هنين ووهران وكانت تعنى بالسفن الأجنبية. بصديق (عبد الكريم)، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6 هـ - 9 هـ / 12 - 15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، السنة الجامعية 1438 - 1439 هـ / 2017 - 2018م. ص428.

<sup>4</sup> ابن يوسف الحكيم (أبو الحسن علي)؛ الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة، تح حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مج 06. العدد01 - 02 مدريد، السنة 1378هـ/1958م ص 108.

<sup>5</sup> بصديق؛ المرجع السابق، ص 203.

<sup>6</sup> الخزاعي؛ المرجع السابق، ص254.

المكايل: وهي متنوعة من:

الصاع: وهو يعادل أربعة أمداد نبوية، ويذكر الونشريسي أن الصاع الشرعي يساوي أربع حفنات<sup>1</sup>، وهو وحدة لكيل الحبوب والبقول، الفواكه الجافة والزيت<sup>2</sup>.

المد: كان يساوي 60 برشالة، وكل برشاله تعادل حوالي 13 رطلا<sup>3</sup>.

البرشالة: مقدارها اثنا عشر رطلا ونصف، أي ما يقارب مثقالان ونصف، وحسب يحي بن خلدون أن كل برشالة تساوي مدا كبيرا وزنتها 12 رطلا، وقد دخلت البرشالة التلمسانية المكايل المرينية بعد انضمام المغرب الأوسط للمجال المريني<sup>4</sup>.

الرطل: يبلغ في عهد الدولة الزيانية 16 أوقية، أي ما يعادل 504 غراما<sup>5</sup>.

القنطار: يبلغ 8 كيلوغراما<sup>6</sup>.

القفيز: كان يساوي 16 وية، والوية تساوي 12 مدا قرويا، وهو يقارب مد النبي صلى الله عليه وسلم أي حوالي 192<sup>7</sup>.

الوسق: يساوي 60 صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم<sup>8</sup>.

إضافة إلى المقاييس: وقد تنوعت واختلفت وحداتها حسب طبيعة المواد المراد قياسها من منسوجات وأثواب، والمواد الدقيقة والخفيفة، ومقاييس خاصة بالأطوال والمسافات<sup>9</sup>، ومنها على سبيل المثال - لا الحصر - نجد:

الذراع: وعرف الذراع الملكي في قياس الأقمشة على عهد الدولة الزيانية، وهو يساوي 47 سم<sup>10</sup>.

القصة: وحدة قياس أطوال، وقد ذكر مقياس القصة في وهران عند الحديث عن البرنوس، والذي

<sup>1</sup> أبو مصطفى؛ المرجع السابق. ص 82.

<sup>2</sup> بصدیق؛ المرجع السابق، ص 187.

<sup>3</sup> بلعري؛ المرجع السابق، ص 35.

<sup>4</sup> الخزاعي؛ المرجع السابق، ص 171.

<sup>5</sup> بلعري؛ المرجع السابق، ص 35.

<sup>6</sup> بلعري؛ المرجع نفسه، ص 35.

<sup>7</sup> بلعري؛ المرجع نفسه ص 35.

<sup>8</sup> الخزاعي؛ المرجع السابق، ص 257.

<sup>9</sup> بصدیق؛ المرجع السابق، ص 207.

<sup>10</sup> بصدیق؛ المرجع نفسه، ص 208.

يتطلب على ما يبدو قسبة ونصف من الملف<sup>1</sup>، والقسبة يحتمل أنه شاع استخدامها عند مسلمي الأندلس لتقدير مساحات البساتين والحدائق على وجه الخصوص، ومقدارها ستة أذرع الرشاشي، أي نحو ثلاثة أمتار وثلاثون سنتمرا بتقدير النظام المتري الحديث<sup>2</sup>.  
ويبدو أن المكاييل والمقاييس والأوزان في بلاد المغرب، كانت متداولة حسب قيمتها ومجال توسع الدول التي استعملتها.

### 3/8/3 الغش في المكاييل

وكان المحتسب من يتولى شؤون إدارة ورقابة التقييس المعتمد من الدولة، فكان يتحقق من سعتها ومعاييرها والحثم عليها بختمه الرسمي الخاص، إضافة إلى رقابته لموازين ومكاييل التجار، ومصادرة ما هو غير صالح منها، وأمر أصحابها باقتناء موازين جديدة من دار الضرب في الحال، أو يأمرهم بإصلاحها بدار الضرب التي لها صلاحية القيام بمثل هذه الأعمال الدقيقة، ويبدو حسب أحد الباحثين أن بلاد المغرب عرفت ورشة واحدة تجمع دار السكة ودار الغيار معا.  
فقد لجأت الدولة الزيانية في عهد قاضي الجماعة أبي عبد الله بن سعيد العقباني(ت 1468/871) إلى قطع التعامل بالمكيال الرسمي المعروف بالتاشفيني، وأصبح يعرف بالوهراني، وذلك من أجل رفع مداخل بيت المال، ولكن العقباني اعترض على ذلك مراعاة للعرف السائد وحماية لمصلحة الناس<sup>3</sup>، واعتبره مفسدة الزيادة في الصاع<sup>4</sup>.

ويبدو أن ما شجع التحايل على المكاييل هو شيوع التعامل بالمقايضة<sup>5</sup> بين التجار المحليين وحتى الأجانب، وقد شملت المقايضة عدة سلع مطلوبة في السوق من الكتان والعطر والتين وأواني النحاس والتمر وغيرها، بل أن المقايضة تعدت إلى سوق النخاسة، أي مقايضة العبيد والجواري<sup>6</sup> بالسلع.

وهناك أسباب عديدة أدت إلى انتشار التعامل بالمقايضة في المغرب الأوسط وفي كامل بلاد

<sup>1</sup> ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 165.

<sup>2</sup> شرقي؛ التقييس، المرجع السابق، ص 173.

<sup>3</sup> شرقي؛ المرجع نفسه، ص 121.

<sup>4</sup> العقباني التلمساني؛ المصدر السابق، ص 105.

<sup>5</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02، ص 09.

<sup>6</sup> بصديق؛ المرجع السابق، ص 219.

المغرب، ومنها الغش في العملات، مما يضعف من قيمتها العينية، فقد أشار الوزان إلى رداءة الذهب المستخدم في سك الدينار الزبانية، ونفس الشيء ينطبق على النقود الفضية والنحاسية، وفي ذلك جاء: ". . . ويسلك الملك نقودا من الذهب الرديء كالدنانير التي تسمى في إيطاليا بسلاتشي غير أن القطعة الواحدة منها تساوي دينارا وربعاً إيطاليا لكونها كبيرة جداً، ويسك أيضاً نقوداً فضية غير خالصة، وأخرى نحاسية متفاوتة القيمة والنوع"<sup>1</sup>.

ويتضح من وصف الوزان أن حتى بعض النقود الإيطالية تشبه في نوعيتها الدينار الزبانية، مما يجعل مقايضة السلع بين التجار المغاربة والاوروبيين مفضلة لكونها تحمي قيمة المبيعات في التعامل التجاري لكل الأطراف، خاصة أن الغش في العملات مس الكثير من العملات الإسلامية في المنطقة<sup>2</sup>.

كما أن المقايضة شكلت حلاً شرعياً لبعض التجار المسلمين، الذين تجنبوا تبادل السلع بالعملات المحلية التي تحوي اسم الجلالة مع تجار الدول المسيحية، وقد جاء في الدرر المكنونة في نوازل مازونة في جواب نازلة حكم مبايعة أهل الكتاب ما نصه: "أما دراهمهم فمباحة لنا والطعام ونحوه، فذلك جائز بخلاف المصحف والخيل وما فيه مضرة للمسلمين، وأما أخذهم لدراهمنا التي فيها اسم الله فلا يجوز على المشهور"<sup>3</sup>.

ويبدو كذلك أن التعامل التجاري بين مدينة وهران ومجالها الريفي الذي غلب عليه الأعراب، كان تعاملًا بالمقايضة، وهذا ما جعل فساد المكايل يؤثر سلباً على الساكنة، في حين أنه على ما يبدو شكل حلاً مناسباً للسلطة في وهران.

<sup>1</sup> الوزان ؛ المصدر السابق، ج02. ص 23.

<sup>2</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج 01. ص 389.

<sup>3</sup> المازوني ؛ المصدر السابق، ج04. ص 708.

## الفصل الثالث

# الحياة الاجتماعية في وهران

جامعة الأمير عبد القادر  
الجزائر  
المركز الوطني للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

## 1 / التركيبة السكانية لوهران:

### 1/1 المجتمع الوهراني بين الدلالة العرقية والانتماء الحضري:

تشير بعض التعريفات اللغوية أن المدينة هي كيان اجتماعي، إلى جانب الكيان المادي، فهي لا تقام إلا بوجود استيطان بشري حضاري<sup>1</sup>. لذلك فإن إعادة بناء الواقع الاجتماعي من تركيبة سكانية حضرية وريفية لوهران يحتاج إلى قراءة متأنية ومقارنة لمختلف المعطيات المصدرية واستخلاص دينامية الهجرة من الداخل القبلي والحضري حتى يتسنى لنا إدراك طبيعة التركيبة البشرية، كما أن تتبع دينامية الهجرة إلى وهران من بوابة البحر يكشف عن هوية جزء من ساكنتها، فالمجتمع الحضري للمدن الحية يعبر عن هجرات تراكمية لعناصر بشرية توافدت على منطقة ما بشكل فردي أو جماعي بشكل اختياري وأحيانا أخرى بشكل اضطراري وذلك لتعدد الأسباب من سياسية واقتصادية وغيرها.

والمعلوم أنه كلما كانت المنطقة أو المدينة على مفترق طرق رئيسية أو على مسالك كبرى للتجارة والسفر كانت محلا لنزول عناصر كثيرة ومختلفة الانتماءات القبلية والجغرافية، لذا فمدينة وهران ولوقوعها على شبكة طرق تجارية وسفريّة مهمة شهدت طيلة تاريخها الإسلامي حركة نشيطة لهجرات متواترة سواء من الداخل عبر ظهيرها القبلي أو من الواجهة البحرية عبر روافد المدن الساحلية وهذا ما جعلني أجملها على شكل إشكاليات تاريخية رئيسية تهدف إلى الغوص في حقيقة الهجرات البشرية وعلاقتها بالنسيج الاجتماعي لسكان وهران وذلك عن طريق تحليلها وتتبع تحولاتها الاجتماعية العميقة التي مست المجتمع، خاصة في الفترة الزبانية من تاريخ وهران.

### 1/2 هل يمكن اعتبار التركيبة السكانية القبلية للمدينة عاكسة للظهير الوهراني؟:

قبل الإجابة عن هذا التساؤل في الفترة الزبانية، كان لابد لي من الرجوع إلى حركة القبائل الكبرى التي استوطنت الظهير الوهراني قبل الفترة الزبانية وذلك لفهم ورصد العناصر القبلية التي ساهمت في تعمير مدينة وهران منذ تأسيسها إلى فترة إلحاقها بالدولة الزبانية، كما يمكننا كذلك إدراك العناصر الجديدة الوافدة من الداخل المغربي وخاصة من الظهير القريب من وهران.

<sup>1</sup> محمد عبد الستار عثمان؛ المرجع السابق، ص 19.

### 1/2/1 قبل الفترة الزيانية:

من الواضح أن مدينة وهران قد تكونت نواتها التمدنية من عناصر قبلية زناتية، استقرت قرب الساحل على ضفاف واد الرحي، ممثلة في كل من: بني مسقن ونفزة وقد شهدت المدينة طيلة الفترة التي سبقت قيام دولة بني عبد الواد استقطاب لعناصر قبلية جديدة، من بني يفرن حسب ما أشارت إليه بعض المصادر.

ويبدو أن العناصر الوافدة على المدينة، هي عناصر قبلية تنتمي إلى قبائل زناتية قوية ومسيطرة على باقي البطون الأخرى ولكن المعطيات المصدرية تشير إلى أنه ليس بالضرورة دائما أن يكون للظهير دورا وعلاقة مباشرة بتعمير المدينة القريبة منه، فمدينة وهران لم تشهد - حسب المعلومات المتوفرة - استقطاب للعناصر الصنهاجية، التي شكلت الأغلبية السكانية للأرياف القريبة من وهران وأحدثت تحول سكاني لظهيرها وريفها بعد زحزحة للقبائل الزناتية، التي اتجهت نحو الغرب فرارا منها ولكنها لم تلج إلى الاستقرار في المدن.

ومن الهجرات القبلية الكبيرة التي عرفت المنطقة الهجرة الهلالية نحو الغرب، فالإشارات المصدرية التي أرخت للهجرة الهلالية إلى منطقة المغرب الأوسط لم تذكر دخول عناصر من العرب إلى مدينة وهران واكتفائهم بالمجال الريفي وتجنّبهم المدن<sup>1</sup>. ويرجع ذلك حسب ابن خلدون إلى طبيعة العرب في الرحلة والتقلب في البلاد وذلك مناقض للسكن والاستقرار في المدن<sup>2</sup>.

ويبدو أن الأعراب قد استقرت منهم بطون ومارسوا الزراعة، ولكن بعض البطون بقت تسيطر على المسالك والطرق لنيل الضرائب وفرضها على المارة كما سبق ذكره في الفصل الأول.

### 1/2/2 أثناء الفترة الزيانية:

#### 1/2/2/1 القبائل الزناتية منتجعين او حضريين:

إن تسليط الضوء على جغرافية القبائل الزناتية يلاحظ دينامية وحركية لمسار تصاعدي للقبائل الرعوية من الطبقة الثانية - على حد تعبير ابن خلدون - التي اختارت التموضع قرب الجبال والمياه وأصبحت تتنافس لضمان سيطرتها على توسيع مجالها الرعوي ويبدو أن هذا التوجه أدى الى نشوء توجه سياسي يهدف إلى الملك، وتحقق ذلك لبني عبد الواد وتأسيس دولتهم بداية من الثلث

<sup>1</sup> البادسي؛ المصدر السابق، ص 61.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المقدمة، مج 01. ص 247.



الأول من القرن السابع الهجري (7هـ/ق 13م).

وقد أثر تأسيس دولتان من بطون زناتة، العبد وادية والمرينية بشكل تدريجي على تغير المعطيات الديمغرافية ومعها حدود المجالات القبلية، خاصة بقدوم العناصر العربية، فأصبحت المنطقة عرضة للتغيير والتداخل والتنافس بين القبائل، مما أعاد تشكل موازين قوى جديدة والتي لم تحسم لطرف محدد ولفترة طويلة، لذلك فتتبع الهجرات القبلية للمنطقة صعب وتحديد مواضعها ومجالات وحدود بدقة أصعب.

كما نجد عائق آخر يتعلق بتتبع العناصر القبلية الوافدة إلى مدينة وهران، فلا نجد ما يشفي غليلنا عن ذلك إلا بعض الإشارات الضئيلة التي يمكن رصدها فيما يأتي:

### 1/2/2/2 علاقة الظهير بتعمير مدينة وهران:

أدت الحروب المتكررة التي خاضتها الدولة العبد الوادية في مجالها الريفي والبدوي إلى تهديد الحياة الريفية للعديد من البطون القبلية الضعيفة وخاصة من زناتة. والتي أنهكتها تداعيات الحملات العسكرية المتعددة والمغارم التي فرضتها القوة والسلطة الجديدة وما تحدته من تدمير للقدرات الانتاجية للمنطقة، مما أدى إلى تدهور وتراجع كبير لنشاطها الفلاحي والمعيشي، فأجبرت القبائل المنهكة إلى الانتقال والتخلي عن مواضعها، وحتى أن بعضها غير نمط المعيشة تماشياً مع الظروف القاهرة.

ونلمح ذلك في المنطقة الريفية القريبة من وهران والتي شهدت حركية متواترة من الريف إلى المدينة وإن بدت بوتيرة بطيئة في بداية القرن 7هـ/13م، وذلك راجع لمقاومة هذه العناصر القبلية لواقع ولتداعيات الحروب بين القبائل الزناتية القوية في المنطقة والتي كان هدفها لا يتعدى توسيع هيمنتها على مختلف المجالات القبلية، لتحقيق أطماع جبائية وسياسية.

ولكن بقدوم القبائل العربية القوية أصبحت المسألة وجودية، تتعلق بتموضُعها في مجالاتهم وبرعاية ورغبة من السلطة المركزية، فأصبحت الهجرة اضطرارية هدفها البحث عن خيارات تكون آمنة للعناصر القبلية الزناتية الضعيفة. فكانت الوجهة المفضلة لها الاستقرار في المدن المحصنة والابتعاد عن مختلف التهديدات التي أملت بأرياف المغرب الأوسط وبواديها.

ومدينة وهران استقطبت عددا من الجماعات القبلية من ظهيرها وحتى من المناطق القريبة منها، فعرفت دخول عناصر قبلية مختلفة ونلمح ذلك من ألقاب بعض العلماء الذين برزوا في حياة

المدينة ومنهم خطيب الجامع "ابن جذورة" وربما اللقب الأصح لهذا العالم هو "ابن خرزوزة" وذلك يناسب موضع "خرزوزة"<sup>1</sup> الواقع على ما يبدو في الحدود الغربية للدولة الزيانية. وقد كان هذا الموضع مسرحا لالتقاء الجيش الزياني بالمريني عند زحفه لتلمسان مما يجعلها منطقة غير آمنة، لذا نرحب نزوح عناصر منها هروبا إلى وهران، من المجالات المغراوية المجاورة لها وذلك لأسباب كثيرة منها ما هو سياسي خاص بالاضطرابات في المنطقة خاصة الفضاء الريفي الذي أصبح مهدد بالحروب المتواترة بين عدة قوى متصارعة على السيطرة على المجال الزناتي، بحيث أصبحت المدن محمية بأسوارها تصمد أكثر أمام الحملات العسكرية هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن دخولهم إلى المدينة كان لحاجتهم إلى التعاضد والحماية بسبب ضعفهم وقلة عددهم.

ويبدو أن تراجع الديموغرافيا في الريف يعود كذلك إلى عوامل قاهرة متعلقة بموجات الموت المدمرة بسبب كثرة الحروب وانتشارها والتي تؤدي إلى تدهور الجانب المعيشي والصحي غير المحمي في الأرياف، فانتشار الطاعون الذي ضرب الكثير من المناطق في القرن الثامن 8هـ/14م<sup>2</sup>، كما يذكر ابن خلدون ". وفي منتصف هذه المائة الثامنة من الآفة السماوية في الطاعون الجارف. . . ذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاهها. . . وختل الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل، وتبدل الساكن. . ." <sup>3</sup>. ومن النص يتضح الانعكاسات السلبية والآفات التي انتشرت في المنطقة بسبب الطاعون وتبعاتها على التعمير البشري وتأكله في الريف.

والواضح أن العناصر القبلية الريفية التي استقرت بوهران، كانت تبحث عن الحماية لقلة عددها ولفقدانها أراضيها بعد توطن قبائل الأعراب، بمجالها الريفي، فوجدت في وهران نوع من الأمان والتعايش مع ساكنتها، حيث لم تشر المعلومات المصدرية تعرض مدينة وهران لفتن داخلية بين

<sup>1</sup> ما يجعلنا نعتقد أن اللقب الأصح للعالم المذكور هو "ابن خرزوزة" هو اختلاف النسخ المعتمدة في كتاب العبر في كتابة لقبه بين "ابن جذورة" و"ابن خزروت" و"خرزوزة"، وفي موضع آخر يذكر عبد الرحمان بن خلدون منطقة خرزوزة والتي يبدو أنها الموطن الأصلي لهذا العالم وقد شهدت واقعة بين يغمراسن ويعقوب بن عبد الحق حوالي سنة 680هـ/1281م. المصدر السابق ج 07. ص 120.

عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر نفسه، مج 01. ص 46<sup>2</sup>.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر نفسه، مج 04، ص 33.

مختلف عناصرها القبلية، فتعدد الانتماءات القبلية والجغرافية انصهرت داخل أسوار المدينة ربما لشعور ساكنة المدينة بأن الأخطار الخارجية هي التي تهددهم فوجب التعايش والتعاون لتحقيق المصلحة العامة.

وقد وفرت هذه العناصر القبلية المغراوية رجال قادرين على حماية المدينة، فهم متمرسين على القتال<sup>1</sup> ومجاهة الأخطار لطبيعتهم البدوية<sup>2</sup>، عكس الساكنة الحضرية المتحذرة في وهران، والتي تعودت على الأمن والاحتماء بالأسوار، فقدت تدريجياً عاداتها في القتال والمجاهة.

ونستشف من المعطيات المصدرية إشارات عن دخول عناصر قبلية من المنطقة المغراوية وبعض المناطق الأخرى إلى مدينة وهران في القرن 8هـ/14م، رغم أننا نعتقد أن بعض العناصر من بطون القبيلة دخلت قبل ذلك بسبب أهاك هذه القبلة طيلة الفترة الوسيطية، ومن مختلف القبائل المنافسة.

تظهر الكتابات التاريخية ألقاب بعض العلماء الذين وردوا لوهران في ق 8هـ/14م، ومنهم "المتصوف محمد بن عمر المغراوي الهواري"<sup>3</sup> والذي إختار الاستقرار في وهران بعد جولته لعدة مدن وحواضر إسلامية مغرباً ومشرقاً، ولكنه في الأخير استقر رأيه على مدينة وهران، وذلك لأسباب موضوعية ترجع إلى الظروف التي عرفتها المنطقة من انتشار الخوف واضطراب الريف وانتشار لظواهر غير مرغوب فيها بسبب سيطرة الأعراب على المجال الريفي القريب من المدن الزيبانية وهذه الأخيرة أصبحت ملاذ للعلماء يضمن لهم الابتعاد عن الاعتداءات المتكررة للأعراب.

<sup>1</sup> ذكر ابن الصباح في هذه الفترة من ق 8هـ/14م أن وهران كان بها الرجال الزعم بالقتال. أنساب الأخبار وتذكرة، هذبها وأصلح خللها وعلق حواشيتها، محمد بنشريفية، ط01. دار أبي رقراق للطباعة والنشر، سنة 2008. ص95.

<sup>2</sup> وتشير كتابات الفكر الوسيط أن البدو عادة هم أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضرة لأن أهل الحضرة انغمسوا في النعم واعتمدوا على الولاة والحماة في المدافعة عنهم عكس أهل البدو لتوحشهم وانفرادهم عن الحماية لذلك هم قائمون على الدفاع عن أنفسهم لا يكلونه إلى غيرهم مع العلم أن البدو مستويات تتحدد شجاعتهم حسب طبيعة انتجاعهم فإن كانوا أعرق بداوة في القفار فهم أشد شجاعة وإن نزلوا الأرياف واستقروا بها نقصت شجاعتهم بقدر معين. يمكن الرجوع إلى ابن الأزرق (أبو عبد الله)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق، علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ج01. سنة 1429هـ/2008م. ص/ص 63/55.

<sup>3</sup> عرف بأنه الشيخ محمد بن عمر بن عثمان بن يسع بن عياش بن عكاشة ثم المغراوي والمعروف بالهواري. عبد الرحمان التوجيني عقد الجمان النفيس، مخطوط، عدد الأوراق 155. رقم المخطوط 3323. ورقة 12.

وهذا النزوح لعناصر قبلية إلى الحواضر والمدن في المغرب الأوسط زادت حدته بسبب الضغط الديمغرافي المسلط على البوادي من الأعراب، وإن كان هذا النزوح إلى المدن مس العديد من المناطق من إفريقية بداية من ق 5/11م التي سبقت المغرب الأوسط في التغيرات التي لحقت بالتركيبة الحضرية للمدن، وتأخر مدن المغرب الأوسط نسبياً إلى ق 8/14م، وذلك راجع لأسباب سياسية ساهمت في زحزحة هذه القبائل غرباً.

كما أن اختيار سكنى المدينة من العناصر الريفية جاء لضرورة شرعية، واستجابة لدعوة العلماء والفقهاء للحفاظ على العلم والحرمة عن طريق التحصن بالمدن، ونجد هذا التوجه كان بإجماع معظم العلماء الذين اعتبروا البادية تشكل آفة العلم كما ورد في الأثر من وصية الإمام الشافعي: "لا تسكن الريف، فيذهب علمك، وتهتك حرمتك"<sup>1</sup>. فأصبح طلاب العلم والعلماء يفضلون المدن على الريف.

لذلك نعتقد أن مدينة وهران استقطبت بداية من القرن 8/14م، وحتى ق 9/15م عدد كبير من العلماء مثل العالم "المغراوي الهواري" ت 843/1439م، والذي ذكر أنه فضل الاستقرار في مدينة وهران على الرغم من أن مسقط رأسه هي مغراوة<sup>2</sup> من بلاد الشلف على رأي أحد الباحثين<sup>3</sup> وهذا ساهم بدوره في إستقطاب الجماعات الريفية من منطقة شلف وغيرها. وهذا الاستقطاب كان بنوعين فمن العناصر الريفية من فضل الاستقرار في المدينة ومنهم من فضل الإقامة المؤقتة لغاية انتهاء غرضه من زيارة الشيخ، وقد ورد في الكتابات التي ترجمت للهواري العديد من علماء المنطقة الذين توافدوا لزيارة الشيخ بوهران، وهم من مناطق ومدن عديدة ومن المناطق التي زار علمائها الهواري في وهران ذكرت قلعة هواوة وونشريس<sup>4</sup>

ولكن على ما يبدو أن دخول عناصر ريفية وبدوية إلى وهران في هذه الفترة حافظ على استمرار المدينة بمنظور اجتماعي أكثر مما هو مادي ومعماري وذلك لقلّة ارتباط هذه العناصر

<sup>1</sup> أبو راس الناصري ؛ فتح الإله، المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup> نويهض ؛ المرجع السابق، ص 336.

<sup>3</sup> فحسب الباحث عبد القادر بوعقادة أن الهواري نشأ بمغراوة من منطقة شلف وترى بمغراوة حيث انتقل في طفولته إلى قلعة هواوة الواقعة ببلاد شرق معسكر بينما دراسة أخرى تعتبر هواوة هي مسقط رأسه الواقعة شرق مستغانم. الرجوع الحركة الفقهية، ص 765.

<sup>4</sup> ابن مريم التلمساني ؛ المصدر السابق، ص، ص 229، 230.

## الفصل الثالث: ..... الحياة الاجتماعية في وهران

بالبناء والتشييد واعتمادهم على البساطة والبداوة، ويظهر ذلك في عدة ملامح تدل على تريف وهران وتراجعها الحضاري في النصف الأول من ق 8هـ/14م.

ويبدو أن إزدهار وهران في النصف الثاني من ق 8هـ/16م إلى القرن 9 و10هـ/15 و16م وأكبه نزوح عدة علماء من مناطق متفرقة إلى وهران، ويعزى لبعضهم الفضل في تحضر وهران، وتمدنها وعلى رأسهم العالم المتصوف "إبراهيم التازي"، وفي ذلك جاء عند ابن سعد أن إبراهيم التازي نقل وهران من التبيدي إلى الحضارة، فعظمت العمارة<sup>1</sup>.

ومن تراجع لبعض العلماء المستقرين في وهران والقادمين من عدة مناطق نلمح الإنتماء الجغرافي للعناصر الوافدة على المدينة، والتي يمكن تحديدها في الجدول التالي:

اسم المنطقة التي ينحدر منها العالم	اسم ولقب العالم	زمنه	صفته في مدينة وهران	المصدر أو المرجع
خرزوزة	ابن خرزوزة	حي سنة 790هـ/1388م	خطيب البلد	عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج07. ص 480.
مغراوة (الشلف)	محمد الهواري المغراوي	ت 843هـ/1439	عالم ومتصوف	ابن مريم ؛ المصدر السابق، ص 288 وكذلك أحمد بابا التيبكتي ؛ المصدر السابق، ج2. ص 151، وآخرون
تازة	إبراهيم التازي اللامي	ت 866هـ/1461م	عالم ومتصوف	عبد الرحمان التوجيني، عقد الجمان النفيس، ورقة 13.
مديونة	أحمد بن محمد بن جيدة المديوني الوهراني	ت 951هـ/1544م	متصوف	أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس
هنين	يحي الهيني	حي سنة 847هـ/1444م	فقيه	القلصادي، المصدر السابق ص112، بابا التيبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 224.

<sup>1</sup> ابن سعد التلمساني ؛ روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، المؤسسة الوطنية للإشهار، الجزائر سنة 2004، ص 140.

### 1/2/3 القبائل العربية وتعميرها للمجال الريفي الوهراني:

ومن العناصر القبلية التي شكلت قاعدة بشرية هامة للمجال الريفي الوهراني كما أوضحنا سابقا نجد قبائل من بني هلال والذين انتشروا على كامل بلاد عبد الواد في القرن الثامن الهجري ( 8هـ/14م)<sup>1</sup>.

وقد استوطنت قبائل بني عامر الأرض الممتدة من نواحي وهران إلى تلمسان، فهم متموضعين على تاسالة<sup>2</sup> وميلانة إلى صيرور إلى كيدزة، وهو الجبل المشرف على وهران<sup>3</sup>، وذلك على سبيل الإقطاع الحربي في عهد يغمراسن بن زيان<sup>4</sup>، وقد كان يستأجرهم ملك تلمسان في كل مرة يحتاج إليهم حيث عرفوا بشجاعتهم وثروتهم الطائلة وحسب حسن الوزان فإن عدد فرسانهم نحو ستة آلاف فارس<sup>5</sup>.

أما فرع هبرة فقد كانت ديارهم في السهل الممتد بين وهران ومستغانم، وعرفوا بأنهم فلاحون يؤدون الخراج لملك تلمسان ويبدو أن عددهم حوالي مائة فارس<sup>6</sup>.

ومن تتبع المجال الريفي لوهران واستقرار القبائل العربية فيه يتبين محافظته على نقاوة التركيبة القبلية إلى أبعد مدى بسبب تباعد المجالين القبلي العربي والحضري في العادات والتقاليد - رغم بعض الاستثناءات - وكذلك في الذهنيات إلى جانب نفور العناصر العربية على ما يبدو من سكنى المدينة التي يرون فيها مجال للتبادل التجاري حيث كانوا يقدمون على بيع إنتاجهم من القمح والصوف والشمع والعسل<sup>7</sup> وكذلك أن مشايخ العرب كانوا يدخلون وهران من حين لآخر

<sup>1</sup> الحاج بن الصباح ؛ المصدر السابق، ص 242

<sup>2</sup> تسالة أو تسلة، مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل كبير يمتد على مسافة نحو عشرين ميلا، إنتاجها الفلاحي يغلب عليه الحبوب الذي يكفي لوحده تلمسان بما تحتاجه من حبوب، يعيش أهلها تحت الخيام بسبب خراب المدينة والسهل يحمل اسم المدينة. ويرى يحي بوعزيز في تعليقه على المعلومات التي قدمها الوزان أن سهل تسلة هو سهل سيدي بلعباس حاليا. يمكن الرجوع إلى الوزان، المصدر السابق، ج02. ص 25.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر السابق، ج06. ص 64.

<sup>4</sup> مكّي ؛ المرجع السابق، ص 217.

<sup>5</sup> الوزان ؛ المصدر السابق، ج01. ص 51.

<sup>6</sup> الوزان ؛ المصدر نفسه، ج01. ص 51.

<sup>7</sup> رحلة ج. أو. هابنسرايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس ( 1145هـ / 1732)، تر، تقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي. ص 60.

لملاقاة وزيارة شيوخ التصوف مثل ما حدث في عهد الهواري<sup>1</sup>. ونفس النظرة نجدها لساكنة الحاضرة حيث نستشف من النوازل نفور الحضر من سكنى الريف وخاصة مخالطة الأعراب. ولم يستفد المجال الريفي لوهران من التعمير الأندلسي بسبب رفض الأعراب القبول بهم وتم الإعتداء على المهاجرين الأندلسيين، والذين تعرضوا لمعاملة سيئة<sup>2</sup> جعلتهم يتحاشون المرور بمواطنهم لذلك فالجمال الريفي وظهير وهران بقى محافظا على تركيبته العربية مدة طويلة حتى إحتلال وهران من الإسبان.

### 3/1 بوابة البحر منفذ بشري نشيط لتعمير وهران:

#### 1/3/1 تحليل الهجرة الأندلسية :

يشكل الأندلسيون جزء مهم من ساكنة وهران فمنذ تأسيسها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وطيلة الفترة الوسيطة تواترت الهجرات الأندلسية إلى وهران وتنوعت لتشمل مختلف الفئات المجتمعية ومختلف المناطق الأندلسية كذلك.

ويمكن التأكيد على أن الأندلسيين تجذر وجودهم في وهران منذ تأسيسها سنة 290هـ/902م وطيلة تاريخها الوسيط، وشكلوا جزء من عمرانها البشري وبالمصاهرة مع القبائل الزناتية من بني يسقن ونفزة وباقي العناصر المركبة للنسيج التمدني للمدينة كونت مع مرور الزمن أجيال هجينة داخل وهران لذلك فإننا سنتبع الهجرات الأندلسية لوهران في الفترة الزبانية للكشف عن التأثير الكمي والنوعي للهجرة في تركيب النسيج السكاني لوهران.

والملاحظ أن هذه الهجرات الأندلسية عرفت تصاعدا ملحوظ في الفترة الزبانية لارتباطها بالظروف والأحداث التي عرفتها العدوتين وخاصة التحولات والتغيرات التي طرأت على الخريطة البشرية ببروز قوى مسيحية جديدة تنامت قوتها في الأندلس واستطاعت تحديد ورسم الخطوط الرئيسية للهجرة الجماعية لأعداد وفيرة من الأندلسيين على مستوى الداخل (الأندلسي) ثم فيما بعد على مستوى الخطوط الخارجية التي أرخت لعمليات الطرد.

فقد بدت الهجرة الأندلسية لوهران في بداية الفترة الزبانية ق 7هـ/13م بطيئة وبأعداد قليلة نوعا ما، وكانت تخص فئات معينة من المجتمع الأندلسي، ولكنها بتسارع الأحداث وتآكل أراضي

<sup>1</sup> ابن مريم؛ المصدر السابق، ص 233.

<sup>2</sup> زروق؛ المرجع السابق، ص 131.

الأندلس المسلمة تسارعت الهجرة الجماعية وتحولت تدريجياً من هجرة إختيارية إلى هجرة إضطرارية في المرحلة الأخيرة من العصر الوسيط حيث ضمت جميع فئات المجتمع الأندلسي المتدفق عبر غرناطة إلى مختلف المدن الساحلية في العدة المسلمة خاصة فأصبحت أفواج المهاجرين أو المهجرين تصل بالألاف إلى وهران.

### 1/1/3/ 1 الهجرة الأندلسية في الفترة الأولى (من القرن 7 هـ /13م إلى ق9هـ/15م):

إن تتبع الهجرة الأندلسية إلى وهران في الفترة الزبانية يستوجب على الباحث تسليط الضوء على حركية الطريق البحري الذي يربط ما بين الأندلس و وهران والكشف عن القوى المتحكمة فيه والملاحظ أنه ابتداءً من أواخر ق6هـ/12م بدأت تظهر هيمنة البحرية المسيحية على غرب البحر المتوسط سواء على مستوى السيطرة السياسية أو التجارية، وذلك لصالح المدن الإيطالية ثم لتاج أرغون<sup>1</sup>. وبسبب تذبذب العلاقات السياسية بين أرغون والدولة الزبانية الناشئة فإن مدينة وهران تعرضت لعمليات تخريب لسورها ففقدت حصانتها من جهة البحر كما أن عدم استقرار السلطة الزبانية ساهم في اضطراب مسلكها البري كذلك فاضطرت مسالكها وقل روادها من تجار ومسافرين وغيرهم.

وبعد استقرار الأوضاع نسبياً، تواصلت الهجرات الأندلسية وخاصة من العلماء إلى مدينة وهران والتي ساهمت بشكل كبير في المحافظة على تمدن وهران لما للأندلسيين من عوائد التحضر<sup>2</sup> فأصبحت وهران تستقطب الكثير من الوافدين، ومنهم طلبة العلم الذين استقروا بها لمدة ليست بالقصيرة للاستفادة والاستزادة بعلمائها وفقهائها ومتصوفتها خاصة في مدة العالم الرباني محمد بن عمر الهواري (ت 1439/843) وبعده إبراهيم التازي (ت 1462/866)<sup>3</sup>.

والملفت للنظر أن طلبة العلم والمريدين للزاوية التازية كانوا يلقون معاملة جيدة وتسهيلات كثيرة نعتقد أنها في الكثير من الحالات تحولت إلى إقامة دائمة في المدينة لتوفر الظروف المناسبة من

<sup>1</sup> Jennifer Vanz, *Le Maghreb Médiéval Des Cartes Marines De l'image mentale d'un espace aux enjeux politiques et commerciaux Éditions de la Sorbonne* | « Hypothèses » 2016. p55.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، مج5. ص 102.

<sup>3</sup> وقد ذكر ابن سعد التلمساني بأن مدينة وهران " ارتحل إليها كثير من أهل الجزيرة" في عهد إبراهيم التازي الذي "قصده الواردون من جميع الآفاق". المصدر السابق، ص 146.



عمل مناسب، ولحسن الضيافة من أهلها<sup>1</sup> يجعل وهران مكان مفضل للإستقرار خاصة أن أجواء الحياة فيها تشبه إلى حد كبير نظيرتها في المدن الأندلسية.

كما أن وهران تعتبر إحدى البوابات الرئيسية للولوج إلى العاصمة الزبانية تلمسان خاصة أن المسافة بينهما قصيرة<sup>2</sup> وأمنة إلى حد ما، وهذا ما سهل حركية التنقل بين العدوتين للتجار والعلماء والمسافرين الأندلسيين إلى وهران ثم إلى تلمسان، وقد استغلت السلطة الزبانية وجودهم وحفزتهم على البقاء في أراضيها، وتم منحهم مكانة في المجتمع الحضري للمدن الزبانية، ويظهر ذلك في رحلة القلصادي الذي التقى بعدد منهم في مدينة وهران، وأشاد بأبي عثمان سعد الشلوبي (ق9ه/15م) وبمكانته الدينية وأصوله الأندلسية المنحدرة من قندية بأرض شاطبة، وكان متولي لإمامة الجامع الأعظم بوهران عند زيارته لها سنة (847ه/1444م)<sup>3</sup>.

وعادة ما تشكل مدينة وهران محطة رئيسية لبعض المسافرين الأندلسيين القاصدين المغرب الأوسط أو المشرق الإسلامي لكن بعضهم يجدون أنفسهم أمام حتمية الإقامة في وهران لأسباب عديدة منها ما يخص الحالة الصحية للمسافر فعادة يقف المرض أو الإرهاق حاجز أمام السفر فيفرض على البعض منهم البقاء لمدة طويلة حتى تزول العلة والمرض.

ويبدو أن عددهم كان معتبرا لأن السفن السفرية والتي تحمل الحجيج عادة ما تكون كبيرة تحمل الألاف من الأشخاص بعضهم يضطر إلى قطع رحلته في المدن الواقعة في الطريق لسبب من الأسباب وخاصة القاهرة منها.

وقد وردت إشارات إلى هذه الوضعية في شهادات الرحالة الوافدين على وهران، ففي ق8ه/12م أورد الرحالة المدجن "ابن الصباح" أنه أجبره المرض على الإقامة بمدينة وهران مدة "عامين كاملين" حتى شفي وواصل رحلته<sup>4</sup>، وهذه الفترة ليست بالقصيرة مما يدل على أن المدينة كانت تتوفر على عدد لا بأس به من المرافق الضرورية للإيواء<sup>5</sup>، وحتى للإستشفاء مما جعلها من

<sup>1</sup> وقد اختار بعض العلماء الاستقرار في وهران، وذلك استجابة لرغبة السكان وتوفر وهران على الظروف المناسبة للاستقرار كما حدث للمتصوف محمد الهواري الذي قدم لها زائرا ثم أصبح من ساكنتها المستقرين.

<sup>2</sup> حدد الإدريسي المسافة بينهما بمرحلتين كبيرتين، المصدر السابق، ص 57.

<sup>3</sup> القلصادي؛ رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأحنان، ط02. الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص 111.

<sup>4</sup> ابن الصباح؛ المصدر السابق، ص 96.

<sup>5</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ص 329.

المدن المفضلة للراحة واسترجاع النقاهة عند المسافرين وحتى التجار الذين اعتادوا على مرافقتها وكرم أهلها ونستدل على ذلك بشهادة ابن الصباح الذي يؤكد أن البقاء في وهران لم يكن أول مرة له، وإنما أصبحت عادة في قوله "علي عادتنا"<sup>1</sup>، وهي نفس الشهادة التي يقدمها ويؤكد بها عبد الباسط عند مروره من وهران في قوله ". . . وعزمت علي السفر في البحر. . . والتوجه إلى تونس. . . ثم رأيت آثار الضعف باقية به، وأشار علي بعض خاص أصحابي بالإقامة حتى تقوى النية وتشتد القوة فأقمنا بها علي عادتنا. . ."<sup>2</sup>.

ويبدو أن المحطات التمدنية المتموضعة على الطرق الرئيسية عادة تحظى باهتمام السلطة الحضرية فتوفر الخدمات اللازمة للوافدين عليها حتى تجمع المكوس والأرباح من مختلف الأنشطة المرتبطة بها<sup>3</sup>. وهذا ما نجد له تفسير بتوفر مختلف المنشآت الحضرية في مدينة وهران خاصة في ق 10هـ/16م.

### 1/3/2 الهجرات الموريسكية في الفترة الثانية

وبعد اشتداد المحنة على الأندلسيين أصبحت وهران قبلة للسفن التي تحمل الأفواج البشرية من الموريسكيين الذين يريدون العبور إلى تلمسان<sup>4</sup> وإلى المدن الداخلية أو الإستقرار في المدينة، وقد جاز إليها من رجال السلطة الغرناطية الأمير الغرناطي محمد بن سعد مع أتباعه سنة 895هـ/1490م بعد فقدانه الأمل في البقاء على الأراضي الأندلسية التي تقلصت وتآكلت لتصل إلى حدود غرناطة وحصونها<sup>5</sup>.

وبسقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م هاجر الأندلسيون عبر مسارات كبرى إلى عدة مدن ساحلية في العدو فقد خرج من بقي من أهل غرناطة إلى وهران وبجاية ومازونة وغيرها من المدن<sup>6</sup>. واستقبلت وهران ما يقارب 22 ألف موريسكي خلال القرنين (9 و10هـ/15 و16م) ولضخامة

<sup>1</sup> ابن الصباح؛ المصدر السابق، ص 96.

<sup>2</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 59.

<sup>3</sup> أليفيا كونستيل، المرجع السابق، ص 198.

<sup>4</sup> زروق (محمد)؛ الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17. إفريقيا الشرق، سنة 1998. ص 129.

<sup>5</sup> مؤلف مجهول؛ كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب)، ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني ط 01. الناشر مكتبة الثقافة الدينية، سنة 1423هـ/2002م. ص 35.

<sup>6</sup> مؤلف مجهول؛ نبذة العصر، المصدر السابق، ص 44.

الرقم، وبسبب عدم قدرة المدينة على استيعابهم غادر عدد منهم إلى وجهات أخرى وذكر أن بحوالي 600 شخص توجهوا إلى تلمسان<sup>1</sup>.

وفي عام 1017م، وبسبب الطرد الإسباني للموريسكيين يتكرر نفس المشهد المأساوي للهجرة الجماعية الاضطرارية إلى أرض المغرب حيث: "خرجت ألوف منهم ( الموريسكيون) بفاس وألوف أخرى بتلمسان ووهران. ."<sup>2</sup>، والذين تعرض بعضهم حسب بعض الكتابات لعمليات النهب والمعاملة السيئة عند انتقالهم إلى المناطق الداخلية بسبب الأعراب والذين قاموا بالسلب والنهب<sup>3</sup> لإعتقادهم بأنهم نصارى<sup>4</sup> والتشكيك في ارتدادهم عن ديانتهم لتعرضهم للتنصير القسري قبل هجرتهم إلى المناطق المغاربية.

وهذه التهمة بتنصرهم يرجح أنها التصقت بهم لتشبههم بالنصاري في لباسهم وسلوكاتهم لطول مكوثهم مع النصاري مدة ليست بالقصيرة يمكن أن تؤثر على عقيدتهم وتصرفاتهم، خاصة أن تحاشيهم لمحاكم التفتيش واتباع أسلوب التخفي والتظاهر بالمسيحية من شأنه التأثير على ديانة بعضهم.

ونجد أن هذا التخوف تملك شعور الموريسكيين أنفسهم من التأثير بأخلاق وديانة المسحيين للتعود على المحاكاة والتقليد وجاء هذا التخوف على لسان أحدهم في قوله: ". . ومما يزيدني ألما أن المسلمين سيلبسون لباس النصاري، وسيأكلون من طعامهم، والله أسأل أن لا ينساقوا إلى دينهم بقلوبهم، وأن يكون صنيعهم مجرد تقية"<sup>5</sup>.

والملاحظ أن تلقي المعاملة السيئة للموريسكيين لم يكن في المجال الريفي المغاربي والمناطق البعيدة عن السيطرة المركزية للدول المستقبلية، بل كان في المدن كذلك؛ ولكنه لم يظهر بشدة وعنف إلا

<sup>1</sup> زروق ؛ المرجع السابق، ص 131.

<sup>2</sup> أبو العباس الناصري ؛ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ( الدولة المرينية )، القسم الثاني، دار الكتاب، الدار البيضاء ج04. سنة 1997/1418. ص106.

<sup>3</sup> محمد زروق ؛ المرجع السابق، ص 131

<sup>4</sup> محمد قشتيلوا ؛ حياة الموريكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، ط01. مطابع الشويخ (تطوان)، سنة 2001م. ص25.

<sup>5</sup> الدراجي ( عدنان خلف سرهيد) ؛ دراسات أندلسية موريسكية إسبانية، الناشر بيت الحكمة، العراق، السنة1440 هـ/2020م. ص 136.

عندما تفاقمت الهجرة على المدن الساحلية خاصة وما نتج عنها من ضغط سكاني ترتب عنه انعكاسات على الحياة الحضرية المعتادة لسكان تلك المدن، والتي تأثرت فئاتها وطبقاتها سلبا من التزاخم والمنافسة الحادة للعناصر الوافدة على الوظائف والموارد المختلفة للمدن المستقبلية لهم. فالعلماء مثلا أصبحوا يتنافسون ويتحاسدون على الوظائف من إمامة المساجد وغيرها، ونستشف ذلك من مواقف بعض العلماء من الموريسكيين، فعلى سبيل المثال نذكر ما جاء في تعليق لابن القاضي عند ترجمة لأحد العلماء من الطائفة الأندلسية كما يسميها: ". وهو رأس الطائفة الأندلسية الملعونة، ولقد شاهدت بمدينة مكناسة ثلثة عظيمة في الدين أجلسوه على كرسي بجامعها الأعظم، وهو يتكلم في التصوف بزعمه... وهو حي من أهل العصر، وله نظم لم أذكره بغضا في جانبه وطريقته وغيره على أهل السنة.. وإنما ذكرته لأحذر منه.."<sup>1</sup>.

#### 1/ 4/ أهل الذمة:

وجد أهل الذمة في المدن الزيبانية من يهود ومسيحيين وخاصة في المدن الساحلية لإرتباطها بنمط معيشتهم فالكثير منهم قدم كتجار، وبعد إنتهاء الأجل المحدد لإقامته يتحول إلى ذمي أو معاهد يدفع الجزية مقابل البقاء في هذه المدن وضمن حمايته<sup>2</sup>

#### 1/ 4/ اليهود:

وتشير الدراسات أن وجود اليهود في مدينة وهران كان على موجات هجرة عرفتها المنطقة بعد سقوط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، والملاحظ أن الوافدين اليهود كانوا على شكل عائلات صاحبت عائلات المسلمين الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الإسباني.

توافد عدد كبير من اليهود إلى مدينة وهران، وعرفوا باسم "المكورشيم" (ووردت كذلك باسم الميغوراشيم) (megorashim) والمهجرين)، والذين وجدوا قاعدة بشرية يهودية محلية في وهران والمعروفين باسم "توشبيم" (أو التوشايم) (toshavim) أي (البلديين)؛ ولذلك عرفت المدينة وجود طائفتين يهوديتين<sup>3</sup> (المكورشيم وتوشبيم).

ويمكن أن تتبع المحجرات الجماعية لليهود إلى مدينة وهران من خلال المسارات الكبرى

<sup>1</sup> ابن القاضي ؛ المصدر السابق، ج03. ص 167.

<sup>2</sup> فيلاي ؛ دراسات، المرجع السابق، ص 66.

<sup>3</sup> حاييم الزعفراني ؛ يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، الناشر مرسوم الرباط، ص306

لعمليات الطرد الاسباني للأندلسيين ومعهم اليهود وتبرز هنا فترتين مهمتين:

### 1/1/4/ 1 الهجرة الأولى من سنة 794هـ / 1391م:

حيث عرفت وهران والكثير من المدن المغرب الأوسط<sup>1</sup>، وخاصة الساحلية منها إستقبال عدد كبير من المهجرين اليهود القادمين من كاتالونيا وميورقة، وقد اصطلح على هذه الموجة البشرية من الهجرة "الطرد الصغير" (petite expulsion)<sup>2</sup>، مقارنة بالموجة الثانية الأكثر عددا سنة 1492 وما بعدها، وقد كانت لهم في هذه الفترة تقبل وترحيب في وهران وتلمسان وهنين<sup>3</sup>.

والملاحظ أن وهران استقطبت تدفق اليهود للوصول إلى الحاضرة تلمسان، والتي اعتبروها بمثابة "أورشليم منطقة وهران"<sup>4</sup>، ولا ندري لماذا نم استغلال التعبير الديني اليهودي للتدليل على منطقة المغرب الأوسط وحاضرتها تلمسان؟

ويبدو أن وجود روايات تاريخية ذات طابع ديني حول المنطقة تجعلها من الوجهات المفضلة للكثير منهم، وتذكر بعض المصادر الإسلامية ارتباط تلمسان ووهران بقصة سيدنا موسى عليه السلام، فالقرية التي ذكرت في القرآن في سورة الكهف اعتبرها البعض أنها تلمسان كما أن الصخرة العظيمة التي بظاهر وهران على باب البحر كان يعتقد أنها الصخرة التي ذكرت في القرآن في قوله تعالى "أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة"، ويقال حسب أهل تلمسان أن المسجد التي على ظهرها هو مسجد الجدار<sup>5</sup> الذي أقامه السيد الخضر حسب بعض التفاسير على حد قول عبد الباسط<sup>6</sup>، ورغم أن هذه الروايات أنكرها بعض المؤرخين مثل ابن خلدون<sup>7</sup> إلا أن الروايات التاريخية الدينية تلقى عادة القبول لدى فئات واسعة.

<sup>1</sup> وهذه المدن هي الجزائر وبجاية وتنس وهنين وتلمسان.

<sup>2</sup> Michel Abitbol ; Juifs D'Afrique du nord et expulsés d'Espagne après 1492 , Revue de l'histoire des religions ,tome 210,N°1,1993 ,p49

<sup>3</sup> Michel Abitbol ; op , cit ,p 63

<sup>4</sup> عبد الصمد حمزة ؛ المرجع السابق، ص 155.

<sup>5</sup> وذلك بسبب وجود أسن وحفر يزعم سكان تلمسان بأنه مكان الجدار.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 57.

<sup>7</sup> اعتبر ابن خلدون أن القصة المروية بعيدة عن الحقيقة لأنه حسب رأيه أن موسى عليه السلام لم يفارق المشرق، وأن الرواية من مقالات التشيع لتقديس بعض الأماكن التي تمهم وتنسب إليهم من أرض أو بلد أو علم أو صناعة. يمكن الرجوع للمصدر السابق، ج 07. ص 102.

من أفراد المجتمع وحتى من الوافدين على تلك المدن المقدسة والذين يتناقلون هذه الأخبار وينقلونها إلى الأماكن التي يجلون بها<sup>1</sup>، مما يجعل هذه المدن محل ترويج واستقطاب للعديد من الأشخاص الراغبين في استطلاع معالمها المقدسة، وخاصة من الجماعات المتدينة من مختلف الديانات. وبمرور الوقت نشأ مجتمع يهودي تلمساني متنامي يقابله مجتمعات يهودية تمدنية أخرى في المدن الزبانية وخاصة الساحلية، والتي عرفت منها عائلات يهودية، وخاصة من نخبها المحاخامية التي تولت الإشراف على الجماعات اليهودية، وذكر في وهران عائلة "عفراتي"، ومنهم البري عمران بن مرواس عفراتي Rabbi Amran Ben Merrouas، والذي لجأ إلى وهران بعد أحداث (794هـ/1391م)، وبقي بها مدة، واختير كرئيس للطائفة اليهودية، والتي شكلت جزء من ساكنة المدينة.

ومعظم اليهود المتواجدين في وهران ينحدرون من أصول إسبانية. وقد كانت لعمران عفراتي مراسلات مع الطوائف اليهودية الأخرى في المدن الأخرى، ويبدو أنه غادر وهران ليعود إلى العدو الأندلسية ويستقر في غرناطة<sup>2</sup>، وذلك قبل سقوطها.

ومن التجار اليهود المقيمين في وهران تذكر المصادر الأرشييفية "إبراهيم آرقيه" و"سالوم بنونو" واللدان كانت لهما تجارة مهمة في بلنسية في الفترة الممتدة من (817هـ/1414م إلى 821هـ/1418م)<sup>3</sup>، ويظهر من حجم تجارتهما أنهما من كبار التجار في وهران.

### 1/4/2 الهجرة الثانية بعد 898 هـ / 1492م:

فمنذ 898هـ/1492م توافد اليهود دون انقطاع إلى بلاد المغرب وبلغت ذروة الهجرة في صيف 1492<sup>4</sup>، بعد سقوط آخر معقل غرناطة، ولذلك فقد تنامي عددهم ومنه دورهم داخل المدينة وأصبحت لهم مواقف في عدة قضايا مرت بالمغرب الأوسط في تلك الفترة، فتذكر

<sup>1</sup> ومما جاء في التعريف بتلمسان عند الحموي " .. ويزعم بعضهم أنه البلد أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في القرآن، سمعته ممن رأى هذه المدينة.. " (المصدر السابق، ج 02. ص 52). ويتضح من ذلك ما يحمله المسافرون من روايات وتشهير للمدن التي يزورها وما تحمله من أساطير.

<sup>2</sup> حمزة ( عبد الصمد) ؛ أهل الذمة في الدولة الزبانية (633- 962هـ/ 1235- 1554م). دراسة سياسية، إقتصادية، ثقافية وهي رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الدراسية 1437- 1438هـ/ 2016 - 2017م. ص 251.

<sup>3</sup> Jacqueline Guiral ; Op. Cit. p 108

<sup>4</sup> Michel Abitbol ; op , cit , p 55

الكتابات التاريخية تنظيم أخبار وهران قصيدة رثائية تخليدا للذكرى الخامسة عشر من نكبة يهود توات على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في حملته الجريئة ضدهم سنة (898هـ/1492م)، وأصبحت هذه القصيدة تتلى في الصلوات تأبينا ليهود توات وللتعبير عن غضب شديد لتدنيس البيع أو البيعة كما وردت في القصيدة، ومما جاء فيها:

شيء آخر غير مقبول، الظالم المعروف

المغيلي، قاتل أهل توات وقورارة

والذي دنس البيعة

عمل مشين؟ أوه. خبر سيئ

توات أبيدت، ظهر العدو بعدها في درعة

دمر الكنيسة، من أجل هذا لبست المسوح

قطعت قلبي، وفي ضميري أنا الحزين لأجل إخواني<sup>1</sup>

والقصيدة تحمل إشارات هامة عن الحرية التي تمتع بها اليهود في المدن الساحلية الزيانية لما يشكلون من أهمية إقتصادية ودبلوماسية للدولة الزيانية، ويبدو أن هذا ما جعل هذه الأخيرة تتغاضى عن بعض سلوكياتهم، وأقوالهم وقصائدهم التي تحمل تجريح للمسلمين، ووصفهم "بالعدو"، خاصة أن تكرار هذه الممارسات لم تقلق السلطة على ما يبدو.

ويمكن الإشارة إلى أن تركيبة المجموعات اليهودية في وهران شملت جميع الطبقات، فمنهم الأثرياء من التجار، ومنهم الحرفيين والمتسولين، والباعة المتحولين وغيرهم<sup>2</sup>. ويبدو أن المهاجرين الجدد من الميغوراشيم قد فرضوا أنفسهم على الجماعات اليهودية الأقدم من التوشايم لسببين رئيسيين الأول لسبب نوعي خاص بالمستوى الثقافي والحضاري لهم خاصة طبقة الحاخامات.

والسبب الثاني لكثرتهم فأصبحوا يشكلون الأغلبية الساحقة للجماعات اليهودية<sup>3</sup>، وربما هذا ما جعل السلطة الزيانية في إحدى المرات تلجأ إلى تخفيض الجزية عن الميغوراشيم إلى النصف ولم تخفض للتوشايم مما جعلهم يحتجون على هذا التصرف في مختلف المدن الزيانية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد الصمد حمزة؛ المرجع السابق، ص، ص 225، 226.

<sup>2</sup> Michel Abitbol ; op , cit , p 53

<sup>3</sup> Michel Abitbol ; Ibid , p 67

<sup>4</sup> عبد الصمد حمزة؛ المرجع السابق، ص 138.

وقد استعان الإسبان باليهود في الإستيلاء على وهران عن طريق "أسطورا"، و"ابن زهوة" اللذان فتحا للإسبان أبواب مدينة وهران مقابل وعود قدمت لهما حيث تم الإبقاء عليهما بعد إحتلال المدينة كمكاسين على أسواق المدينة كما أوكلت لهما مهمة إستخلاص الغرامات من الساكنة<sup>1</sup>، كما منحوا لهم برج المرسى فأنزلوهم به تطبيقا لوعده سابق نظير تمكينهم من المدينة فأصبح البرج يحمل اسم "برج اليهودي"<sup>2</sup>

ويظهر أن الاستعانة باليهود على أبواب المدن الزيانية للتفتيش كانت من الأعمال التي كلفوا بها في الحقبة الزيانية في عهد السلطان أبي تاشفين<sup>3</sup>، ورغم أنها أزعجت الفقهاء ولكن على ما يبدو فإن السلطة الزيانية بقت تفضل توظيفهم على أبواب بعض مدنها إما لتفتيش أو لتحصيل الضرائب أو للمهمتين معا.

ورغم الخدمات التي قدمها اليهود للإسبان في المنطقة فإن حسب بعض الدراسات اليهودية تشير أنهم تعرضوا للتقتيل والتنكيل خاصة بين سنتي 915هـ/ 1509م و916هـ/ 1510م<sup>4</sup> والتي أعقبت إحتلال وهران حتى أن بعض يهود تلمسان تعرضوا إلى الأسر وتم بيعهم كعبيد، وبعضهم فدي في وهران وفاس، وآخرين تم ترحيلهم إلى إسبانيا<sup>5</sup>.

ويبدو أن هذه المعاملة السيئة لم تستمر طويلا، فتحسنت العلاقة واستقبلت وهران عدد وفير من المهجرين اليهود من إسبانيا إلى وهران حيث تذكر إحدى الدراسات التاريخية نقلا عن المؤرخ الإسباني أندريس بيرنالديز Andrés Bernalex عن انتكاسات كثيرة تعرض لها اليهود في عمليات ترحيلهم إلى وهران من القرصنة وتغيير إتجاه الرحلة إلى مدن ومناطق أخرى منها رحلة قافلة بحرية تحوي خمسة وعشرون قاربا (25قاربا) محملين بيهود أبحروا بإرشاد من القبطان كان بيرو كابرون Pero Cabron، ولكن الرحلة تم اعتراضها من طرف قرصان من أصل جنوي اسمه فراغوسو Fragoso غيرت وجهتها وتشتت القافلة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يحي بوعزيز ؛ المرجع السابق، ص 72.

<sup>2</sup> المازاري ؛ المرجع السابق، ص 211.

<sup>3</sup> ابن مرزوق التلمساني؛ المصدر السابق، ص 285.

<sup>4</sup> حاييم الزعفراني ؛ المرجع السابق، ص306.

<sup>5</sup> Michel Abitbol ; op , cit , p 53

<sup>6</sup> Michel Abitbol ; Ibid ,p 55



وقد استعان الإسبان باليهود في التوطين الإسباني داخل مدينة وهران، وكذلك لتسهيل الاتصال والتعامل مع الظهير الوهراني خارج الأسوار، فكان منهم عمال مهمتهم استخلاص الضرائب من القبائل المجاورة بمساعدة دواوير بني عامر والذين خضعوا لهم ولأوامرهم<sup>1</sup>. كما تم الاعتماد عليهم كوسطاء فاعلين للتعامل مع عدة مدن مغربية التي بها جاليات يهودية ذات صلات بنظيرتها في وهران<sup>2</sup>، وتذكر وثائق اسبانية أن يهود مزغران ومستغانم عقدوا معاهدة مع الإسبان سنة 917هـ/1511م مقابل السماح لهم ببيع سلعهم في أسواق وهران<sup>3</sup>، وهذا يعبر عن التقارب المصلحي المتعدد الأبعاد بين الإسبان في وهران واليهود في منطقة المغرب، وربما هذا ما ساهم في إستقطاب مدينة وهران لليهود من المدن القريبة منها، وعبر الطرق البرية وبمساعدة الباعة المتجولين<sup>4</sup>.

### 1/4/3 شخصيات يهودية بارزة في وهران:

وتشير الكتابات التاريخية إلى شخصيات يهودية معروفة في وهران كان لها دور قبل وبعد الاحتلال الإسباني لوهران، ومنهم من حافظ على نفوذه الدبلوماسي والمالي داخل المدينة وحتى في تلمسان، ومنهم يعقوب كانسينو (Jacob Cansino)، والذي خدم الإسبان منذ سنة 902هـ/1500م). وكانت له إقامة دائمة في وهران منذ سنة (918هـ/1512م) مع عائلته تنفيذاً لأوامر الملك فرديناند الكاثوليكي<sup>5</sup>.

وذكر كذلك "سلمان تورينو" الذي كان وسيط بين الزنانيين والإسبان بوهران لتحصيل جزء من مجموع الضريبة المحصلة من جمركة السلع الداخلة إلى وهران من باب تلمسان<sup>6</sup>. وما يميز اليهود في المدن الزنانية لباسهم الخاص بهم فهم يتعممون بعمامات صفراء<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> عبد الصمد حمزة ؛ المرجع السابق، ص 137.

<sup>2</sup> Jean Frédéric Schaud ; Les juifs du roi d'Espagne , Oran 1509/1669, Revue d'histoire modarne et contemporaine ,tome 47 n°03 juillet septembre 2000 p p 623 624

<sup>3</sup> حساني ؛ المرجع السابق، ص 262.

<sup>4</sup> Michel Abitbol ; op , cit 62

<sup>5</sup> وقد وفرت له السلطات الاسبانية منزلين لضم جميع عائلته Ibid. Michel Abitbol , p60

<sup>6</sup> حمزة عبد الصمد ؛ المرجع السابق، ص 135.

<sup>7</sup> الوزان ؛ المصدر السابق. ج.02. ص 20.

### 1 / 2/4/ المسيحيون:

والمسيحيون معظمهم قدم من أوروبا عبر البحر المتوسط إلى مدينة وهران لذلك فقد اختلفت انتماءاتهم الجغرافية وكذلك طبيعة نشاطهم في وهران لذلك برزت مجموعات مختلفة من حيث ماهية نشاطهم ووضعيتهم القانونية في وهران، فبرز التجار، ورجال الدين والأسرى إضافة إلى القناصل أما من الناحية الإثنية فبرز الجنويون والبنادقة والقطالونيين وغيرهم. وسنأخذ كل مجموعة ونحلل طبيعة وجودها وأدوارها في وهران

### 1/2/4/1 التجار:

من أوائل الجاليات المسيحية في مدينة وهران نجد التجار الإيطاليين وخاصة من بيشة التي تواجدهت بشكل رسمي في مدينة وهران منذ سنة 582 هـ/1186م<sup>1</sup>. ويتضح من الإتفاق أن وهران أصبحت منفذ رئيسي للتجار البزيين الذين لن يفوتوا الفرصة في التواجد القوي في المحطات المسموح لهم بالمتاجرة بها لذا فوجود جالية بيزية في وهران يكاد يكون مسلم به في هذه الفترة وقد خضعت المدينة لحكم أبو عنان المريني الذي ربط مع بيشة (بيزا) معاهدة سنة 1358 تسمح للتجار البيشيين بالحصول على فندق أو منشأة لاستغلالها داخل مدنه التي يسيطر عليها لذلك لا نستبعد تخصيص فندق لهم بوهران ويبدو أن العلاقات التجارية استمرت رغم الإضطرابات التي عرفتها المنطقة بسبب الصراعات، والحروب غير المنتهية بين الزيانيين والمرينيين، والتي انعكست على وهران فتارة تكون تحت حكم الزيانيين وتارة أخرى يتم إلحاقها بالدولة المرينية.

### 1 / 1/2/4/ الجنويون:

ارتبط الجنويون بالتجارة المتوسطية، واستطاعوا التحكم في جزء كبير من ثقل هذه التجارة مستغلين التغيرات التاريخية التي طرأت على خريطة المسالك الرئيسية للخطوط البحرية وتشير المصادر على حركيتهم الدائمة في ارتياد التجارة البعيدة المدى وربط ضفاف المتوسط ببعضه؛ مما ساهم في تنامي مصالحهم التجارية، والتي زادت عبر الوقت وتزايد معها عدد التجار الجنويين الذين شكلوا شبكات تجارية قوية و متماسكة ومنتشرة.

<sup>1</sup> رسائل موحدية، المصدر السابق، ص 174.

ويمكن التأكيد على طريق رئيسي بحري لتجار الجنويين ينطلق من جنوا وصولا إلى اسبانيا، ويمر بمدينة وهران<sup>1</sup>، ولتعزير هذا الطريق عمد التجار الجنويون على إنشاء إقامات دائمة في المحطات الرئيسية لرعاية تجارتهم وتجارهم، وكذلك لتدعيم الشبكات التجارية العائلية فاحتوت وهران على فندق خاص بهم عرف بـ: "دار الجنويين"<sup>2</sup>، ويبدو أنه كان مجهز بمرافق ملحقة مشكلة حي تجاري

**2/1/2/4/1 البنادقة:**

ويمكن الإشارة هنا أن مدينة وهران استقطبت إلى جانب تجار جنوة تجار البندقية الذين ظلوا يتعاطون التجارة مع المرسى الكبير ووهران إلى أن سقطت المدينة في أيدي الإسبان سنة 1509م/915هـ فأصبحوا لا يقصدونها بسبب تواجد الاسباني.

### 3/1/2/4/1 القطلونيون

يتضح من العلاقات التجارية بين الدولة العبد وادية ومملكة أراغون أنها عرفت نشاط متباين طيلة الفترة المدروسة على الرغم أن العلاقة بدأت مبكرا، وهذا ما أدى إلى حضور متنامي للجالية الأراغونية داخل مدنها، وخاصة وهران، والتي يهيمن على التجارة المتوسطة ويستفيد من عائدات مدينة وهران إضافة إلى ذلك فالوجود العسكري لأراغون ترجم في الجند المرتزقة الذي استعان بهم يغمراسن بن زيان في حاميته وقد قدر عددهم سنة 670هـ/1271م حوالي (500فارس).

ونعتقد أن جزء منهم استخدم لحماية المصالح الأراغونية في وهران على اعتبارها مركز مالي مهم لمملكة أراغونة كما يمكن الإشارة إلى أن السفن القطلونية الواردة إلى وهران استخدمت من طرف الزيبانيين في عدة مجالات، ومنها نقل الحجيج إلى البقاع المقدسة؛ ويذكر في هذا الصدد عبد الرحمان بن خلدون استعانة السلطان أبو تاشفين الزيباني بسفن "القيطلان" في حمل والده "أبي حمو الثاني" سنة 788هـ/1386م إلى الإسكندرية في طريقه إلى أداء فريضة الحج.

### 1 2/2/4/1 الأسرى:

ارتبط الأسر بنشاط القرصنة في البحر المتوسط وخاصة بعد سقوط غرناطة في ق10هـ/16م وقد شكل الأسرى أهمية في الاقتصاد الزيباني من ناحية توفير يد عاملة ماهرة لعدة صناعات من جهة ولقيمتها التجارية في حالة تحولها إلى سلعة مربحة للقداء أو للبيع في سوق النحاسية من جهة

<sup>1</sup> أليفيا ريمي؛ المرجع السابق، ص 88.

<sup>2</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج02. ص 30.

أخرى ويتضح ذلك من تمسك السلاطين الزيانيين بالاحتفاظ بالأسرى المسيحيين بحجة الحاجة الماسة لهم في الصناعة، ويعبر ذلك عن أبعاد السياسة الخارجية للدولة الزيانية التي تحاول تحين الأسرى في علاقاتها مع الدول المسيحية وظهر ذلك جليا في عهد السلطان عبد الرحمان بن موسى بن عثمان، والذي أوضح في رسالة جوايية موجهة إلى ملك أراغون في شأن الأسرى، ومما جاء فيها: "... وأما ما أشرتكم إليه من تسريح جميع ما عندنا من الأسرى، فذلك مما لا يمكن أن يكون، .. لأن تعلمون أن ما عمر بلادنا إلا الأسرى، وأكثرهم صناع متقنون في أنواع جميع الصناعات، ولو طلبتم ما يستغني عنه الحال في تسريح خمسة أو ستة لأسعفنا مطلبكم، وقضينا أربكم، وأما تسريح الجميع فصعب لأن ذلك يخلي المواضع، ويعطل ما يحتاج إليه من أنواع الصناعات، فإن أردتم أن تكون الصداقة بيننا وبينكم فيما عدا الأسرى، وتكون حالنا وحالككم واحد في ما تحتاجون إليه من قضاء الحوائج فحن نعمل إن شاء الله على ذلك"<sup>1</sup>.

وهران لموقعها على البحر المتوسط واستقبالها عدد كبير من الأندلسيين اللاجئين إليها شكلوا منهم مجموعات مارست القرصنة على السواحل الإسبانية وعلى الجزر المتوسطية مما ساهم في تزايد عدد الأسرى المسيحيين<sup>2</sup>. الذين شكلوا بدورهم فئة اجتماعية داخل المدن، وقد أدمج الأسرى في الحياة الاقتصادية والاجتماعية عن طريق العمالة فقد استغل بعض الأسرى المسيحيين في المدن المغاربية كعبيد للقيام بأعمال تخص الجانب الصناعي والحرفي مثل البناء وصناعة الأسلحة<sup>3</sup>، وكذلك اشتغل بعضهم الملاحة البحرية في المدن الساحلية وعرفوا باسم "عبيد المركب"، وهم الذين يسخرون في إجراء السفن<sup>4</sup>. أما في الجانب الاجتماعي فقد تكفل العبيد بأعمال منزلية، فكانت البيوت في تلمسان ولا نستبعد وجود ذلك في وهران الرقيق من الروميات والاسبانيات<sup>5</sup> ويبدو أن أعداد الأسرى تزايد في المدن الزيانية حيث أصبحوا يعدون بالآلاف<sup>6</sup>، وهذا ساهم في توسيع دائرة العبيد والاستفادة من امتيازات العمالة الزهيدة لمختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية

<sup>1</sup> العربي (لخضر)؛ المرجع السابق، ص 79.

<sup>2</sup> الوزان؛ المصدر السابق، ج 02. ص 30.

<sup>3</sup> فيلاي، تلمسان، المرجع السابق، ص 191.

<sup>4</sup> الجعماطي؛ المرجع السابق، ص /ص 401/392.

<sup>5</sup> فيلاي؛ تلمسان، المرجع السابق، ص 224.

<sup>6</sup> فيلاي، دراسات، المرجع السابق، ص 66.

## المبحث الثاني:

### 2 / تعداد السكان:

إن من أصعب الدراسات التاريخية هي التي تعنى بالدراسة الكمية للظاهرة الاجتماعية، وذلك راجع لقلة المادة المصدرية وغموض الوصف الدال على الكم وهذا ما جعل الباحثون يعتمدون على مقاربات حسابية متعددة للتقدير النسبي للسكان وخاصة للمدن على اعتبار أنها فضاء محدد وثابت فالسور يجعل منه مكان قابل للقياس رغم الصعوبات الطبوغرافية التي تعترضه من جهة وغياب شبه تام للدراسات التي تهتم بتقديرات حول مساحة المسكن أو عدد أفراد الأسرة في وهران سواء كانت أثرية أو تاريخية لذلك فالدراسة الكمية لسكان وهران ستعتمد على مقاربات إحصائية وجغرافية حديثة طرحت لتسليط الضوء على تاريخ المدن بمنظور رقمي يكون أكثر دقة، وواقعية من الروايات التاريخية التي بعضها يذكر أرقاما تحمل المبالغة، وعدم الواقعية في تحديد حجم السكان داخل الفضاء الحضري

وبالرجوع للفترة الزبانية تذكر المعطيات المصدرية بعض الأوصاف لتقدير حجم المدينة في القرن 9هـ/14م الخاصة بمقدار المدينة فقد وردت إشارة عند ابن الوردی (ت 852هـ/1447م) والذي أشاد بعدة مدن مشهورة في العدو واعتبرها متقاربة في المقادير، وذكر طنجة، فاس، تاهرت، وهران والجزائر والقيروان وغيرها<sup>1</sup>، ويبدو أن هذا الوصف مبالغ فيه يعبر عن تشابه في صيت هذه المدن وليس في تعدادها السكاني وحجم عمارتها.

وتشير بعض الدراسات ان مساحة مدينة وهران قبل سقوطها في يد الاسبان حوالي عشر هكتارات ( 10 هكتار)<sup>2</sup>، وذكر الوزان فان تعداد سكانها في هذه الفترة بلغ ستة آلاف كانون<sup>3</sup>(6000)، وهنا تختلف التقديرات حول عدد الأفراد المشكلين للأسرة الواحدة، ومما أشار له ديدي فإن ستة آلاف منزل تقدر بعشرين ألف نسمة (20.000 ن)<sup>4</sup>. أي بمعدل 3.33 نسمة (بالتقريب 3 أفراد) لكل منزل، ويبدو أن هذا الرقم لا يعبر عن عدد أفراد الأسرة الوهرانية على إعتبار أن الأسرة المغاربية المسلمة تجبذ الإنجاب، وتتميز بعض الأسر بتعدد الزوجات وغيرها

<sup>1</sup> ابن الوردی (سراج الدين)؛ خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق وتعليق وتقديم، أنور محمود زناقي، ص 13.

<sup>2</sup> Mohamed Bouchikhi , op cit , p 19

<sup>3</sup> الوزان ؛ المصدر السابق، ص 30.

<sup>4</sup> Didier: Op. Cit. p 07.

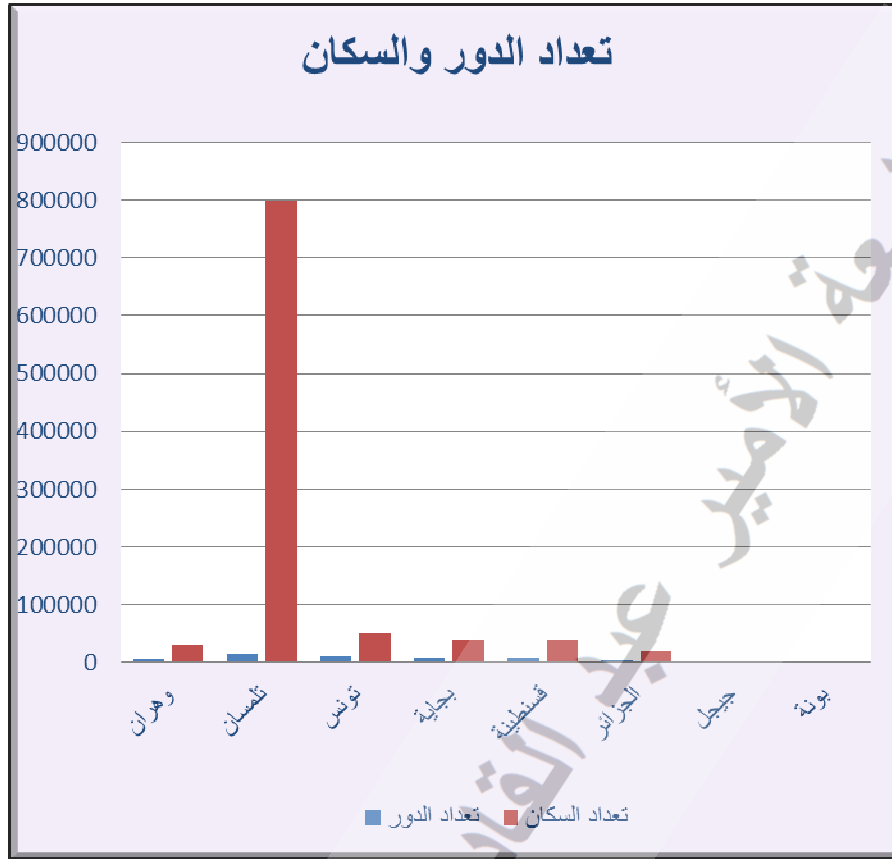
من الخصائص التي تبرز ذلك. بينما يرى المدني أن ستة آلاف دار تمثل نحو ثلاثين ألفا من السكان على اعتبار أن معدل خمسة أشخاص مكون لكل مسكن<sup>1</sup>، كمتوسط حسابي. ويقدم محمد حسن مقارنة بين تعداد الدور بين وهران وبعض المدن<sup>2</sup> أخذ معطيته من حسن الوزن ونأخذ الجدول التالي للتوضيح المقارنة مع إضافة حسابات عددية لساكنة المدن بالاعتماد على المعدلين السابقين:

المدينة	تعداد الدور	عدد السكان بمعدل 5 أشخاص
وهران	6000	30000
تلمسان	16000	80000
تونس	10000	50000
بجاية	8000	40000
قسنطينة	8000	40000
الجزائر	4000	20000
حيجل	500	2500
بونة	300	1500

والرسم البياني يوضح المقارنة بين مدن متعددة في ق 10/هـ/16م:

<sup>1</sup> المدني؛ المرجع السابق، ص 114.

<sup>2</sup> محمد حسن؛ المرسى الكبير بوهران، المرجع السابق، ص 607.



يظهر الرسم البياني تعداد كبير لسكان تلمسان مقارنة بالمدن الأخرى أما وهران فهي متقاربة مع المدن الساحلية في المغرب الأوسط.

### 3 / التراتب الاجتماعي والمستوى المعيشي:

#### 3/1 التراتب الاجتماعي:

من المفاهيم شائعة الاستعمال في الأجناس المصدرية الوسيطية للتعبير عن التراتب الاجتماعي مفهومي العامة والخاصة، لذلك سيكون من الموضوعي استخدام المفهومين لتحديد مستويات المجتمع الوهراني والتدليل على نوعيته ضمن فرعين أساسيين هما (العامة والخاصة)، ورغم أن المفهومين يحملان معاني متعددة حسب نوعية المصادر التي أوردتهما ففي كل جنس مصدري مفاهيم مركزية ومفاهيم ثانوية للمصطلحين إلا أن الإبقاء على مصطلحات ذلك العصر يتماشى مع طبيعة المرحلة التاريخية الوسيطية<sup>1</sup>.

الهالبي (محمد ياسر)؛ المصطلحات التاريخية ومفاهيمها، حصيلة تجربة، مجلة مقاربات، المجلد العدد 08. الناشر مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، واستراتيجيات التواصل، سنة 2011م. ص، ص 11، 12. الرابط الإلكتروني <https://search.mandumah.com/record/513323>.

والملاحظ أن المصطلحين العامة والخاصة ذكرت للتعبير على الترتيب الإجتماعي في وهران<sup>1</sup>

### 3/1/1 الخاصة:

تمثل الخاصة فئات إجتماعية وعلمية متميزة داخل المدينة والتي لها تأثير مباشر على ساكنة وهران وعادة يكونوا أصحاب ثروة ونفوذ أو من أهل العلم والتصوف<sup>2</sup>، وتتشكل الخاصة إذن من القضاة والتجار والعلماء والمتصوفة وكل من يتمتع بمكانة اجتماعية في المدينة.

وقد عرف في مدينة وهران أعيان انحدروا أو شكلوا فيما بعد بيوتات متميزة ومعروفة في الأوساط الشعبية للمدينة من هذه البيوتات ما أختص بالعلم والجاه والسلطة ومنها ما سلك طريق التصوف ثم الإفتاء، ونستدل على ذلك من بعض الإشارات التاريخية القليلة، ولكنها تسمح لنا بتتبع نسبي لبعض البيوتات.

يذكر الرحالة المصري عبد الباسط شخصية سلطوية في وهران هو مشرف وهران، والذي تمتع بحسه بقسط من الجاه والثراء، والمكانة<sup>3</sup>. إضافة إلى خطيب الجامع والذي تميز بمكانته الدينية والاجتماعية بالمدينة<sup>4</sup>، ومن أعيان وهران كذلك العدول<sup>5</sup>.

ومن البيوتات التي اختلفت بالتصوف ثم بالإفتاء والتأليف عائلة العالم المتصوف الهواري والتي اشتهرت بوهران بداية من منشأها المتصوف "محمد الهواري مرورا بأبنائه، وأحفاده، واشتهر منهم العالمان محمد بن أبي جمعة الوهراني (ت 910هـ/1505م)، والذي كان عالما اشتهر بفتوى موجهة لأهل الأندلس لتسهيل بقائهم بأراضيهم في شبه الجزيرة الإيبيرية، والعالم الآخر أخيه أبو العباس أحمد بن أبي جمعة المغراوي الذي اشتهر بتأليفه في التعليم "جواهر الإختصار والبيان فيما يعرض على المتعلمين وآباء الصبيان"، لتبقى هذه العائلة منارة للعلم والتأليف على يد

<sup>1</sup> ابن سعد التلمساني؛ روضة النسرين، تح يحي بوعزيز، ص 160.

<sup>2</sup> وقد ورد عند ابن سعد التلمساني أن الشيخ إبراهيم التازي هو أحدا من الخواص للتدليل على مكانته في التصوف ( روضة النسرين، ص 153). ونعتبر الشيخ التازي من أعيان مدينة وهران والمؤثرين فيها لذلك فهو من أشهر الخواص الذي جمع عدة دلالات مميزة في شخصيته.

<sup>3</sup> وصفه عبد الباسط بأنه من أهل العقل والرأي والتدبير، المصدر السابق، ص 62.

<sup>4</sup> عبد الباسط؛ المصدر نفسه، ص 47.

<sup>5</sup> ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 165.



الحفيد شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة (ت 929هـ/1523م) خلف مؤلف بعنوان " الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين"<sup>1</sup>

3/1/2 العامة:

اختلف المؤرخون والباحثون في تحديد تعريف دقيق للعامة فذكره ابن حزم أنهم عمار الأرض وفلاحيها ويصفهم الباحث أحمد بدر بأنهم سواد الناس في المدن، ويعرفهم باحث آخر بأنهم الطبقة التي تحصل على قوتها من عمل أفرادها، أما الباحث محمد عبود فيحدد مجال المصطلح العامة بكل من الفلاحين والعمال والعبيد والطبقة الوسطى الصغيرة ويعارض أحمد الطاهري وضع مقياس نظري محدد لها وذلك لارتباطها بمتغيرات الظرفية التاريخية<sup>2</sup>

ومن المصطلحات التي تعبر عن عامة وهران مصطلح برز في ثنايا النصوص التاريخية، وهو "أهل وهران" والذي استغل في مواضع مصدرية كثيرة للتعبير عن ساكنة وهران، وعامتهم وإن كان من الصعب تحديد المجال المفاهيمي للمصطلح فإنه يمكن رصد خصائصه ومدى اتحاده في الأوقات السارة والضارة، والملاحظ أن السمة المميزة والبارزة لأهل وهران هو التماسك والتلاحم والوقوف موقف واحد في القضايا المحورية التي مست مدينة وهران عبر تاريخها الوسيط، ففي الفترة الزبانية وقف أهل وهران مع خطيب جامعهم لحماية، ودعم السلطان المخلوع أبي حمو الثاني من طرف ابنه أبي تاشفين الثاني سنة 789هـ/1387م. ويشير عبد الرحمان بن خلدون أن أبا حمو الثاني لما سمع بالرهط الذين قدموا من تلمسان لقتله، أقفل باب القصر الموجود في القصبة وتدلى بجبل موصول من عمامته من جدران القصبة مستصرخا بأهل وهران والذين هبوا لحمايته من كل جهة مع خطيبهم وتمكنوا من إشالته حتى استقر بالأرض، واجتمعوا إليه لحمايته<sup>3</sup> ونصرته.

ويتضح من ذلك أن السلطان أبا حمو الثاني اختار أهل وهران لمساعدته على ضمان سلامته بدل البقاء في بالقصر والتحصن به بعد غلق بابه، مما يعبر عن ثقة هذا السلطان في عامة وهران

<sup>1</sup> بوعقادة ؛ الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7 و9هـ /13 و15م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم، جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله" السنة الجامعية 1435 - 1436هـ /2014 - 2015م. ص 767.

<sup>2</sup> القبوري العتبي ( فوزي بن عناد) ؛ التحولات الاجتماعية في قرطبة وأثرها في سقوط الخلافة الأموية ( 422/316هـ - 1030/928م). ط01. دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، سنة 1439هـ /2018م. ص 116.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون ؛ المصدر السابق، ج07. ص 192.

ووقوفهم إلى جانبه في هذه المحنة رغم ما يتوقع من احتمال انتقام السلطان أبي تاشفين الأول منهم، لكن وحدتهم وتلاحمهم كانت وراء مواقفهم الشجاعة والمتحدية للسلطة الجديدة وهذا السلوك كان صفة لأهلها حيث أشادت بهم المصنفات التاريخية وذكرت شهادتهم وعزة أنفسهم ونخوتهم<sup>1</sup> خاصة حميتهم مع الغريب<sup>2</sup>.

كما يمكن أن نلمح أن أهل وهران تشاركوا الأفراح والمسرات مع بعضهم البعض كعائلة واحدة فكانوا يتشاركون الطعام عند الاحتفال بحدث خاص حيث يأكل منه أغلب أهل البلد<sup>3</sup>، أو عند نهاية مصلحة عامة.

### 3 / 2 المستوى المعيشي:

إن تسليط الضوء على دراسة المستوى المعيشي في وهران يتطلب تحليل المعطيات العرضية الواردة في مختلف المصادر، والتي اهتمت بالمقارنة بين المدن من ناحية التحضر والتفاضل، فأورد ابن خلدون في مقدمته وجوب المقارنة بين المدن لفهم التفاضل بينها، واقترح مثالا لذلك مقارنة حال ساكنة فاس ونظيرتها في تلمسان ووهران، ويتأتى ذلك بمقارنة الأصناف المشتركة للقاضي مع القاضي، والتاجر مع التاجر، والصانع مع الصانع<sup>4</sup> وغيرهم.

ويبدو أن ابن خلدون كان واعيا بأسباب التفاوت الاجتماعي، والتي يرجعها في حقيقتها إلى تفاوت في الأعمال الخاصة بالدولة والمدينة التي ينتمي إليها الفرد، ويمكن أن نلمح بروز مستويين أساسيين لقياس المستوى المعيشي:

### 3 / 2 / 1 المستوى الأول:

خاص بالفئات التي تمارس وظائف سلطوية فيرتبط مدخولها بما تتقاضاه من الدولة؛ لذلك فهذا المستوى يعبر ويعكس بشكل مباشر مداخيل الدولة، ووضعيتها المالية ومدى ازدهارها.

<sup>1</sup> الحميري؛ المصدر السابق، ص 612.

<sup>2</sup> ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 79.

<sup>3</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 47.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، مج 02. ص 86.

### 3/2/2 المستوى الثاني:

خاص بالفئات التي لها نشاطات مختلفة داخل المدينة ويكون مدخولها متعلق بقيمة وحجم نشاطها الخاص بها كفئات مستقلة في مدخولها عن السلطة. لذلك فهي تعبر أكثر عن الأوضاع المالية والاقتصادية للمدن وقيمة الأعمال فيها، ومدى إزدهارها.

وبالرجوع إلى المقارنة التي طرحها ابن خلدون، نجد أنه يتخذ القاضي كمرجعية وأداة قياس ومقارنة للمستوى الأول على إعتبار أنه يتقاضى أجره من الدولة<sup>1</sup>، وقد جاء في ذلك: ". . . فحال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان، وهكذا كل صنف مع صنف أهله، وكذا أيضا حال تلمسان مع وهران أو الجزائر وحال وهران والجزائر مع دونهما إلى تنتهي إلى المدر الذين اعتمالهم في ضروريات معاشهم فقط، ويقصرون عنها، وما ذلك إلا لتفاوت الأعمال فيها فكأنها كلها أسواق للأعمال. . . فالقاضي بفاس دخله كفاء وخرجه، وكذا القاضي بتلمسان وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الأحوال أعظم وهما بفاس أكثر لنفاق سوق الأعمال بما يدعو إليه الترف. . ." <sup>2</sup>.

ثم يضيف: ". . . وهكذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنتهي كما قلناه إلى الأمصار التي لا توفي أعمالها بضرورتها ولا تعد في الأمصار إذ هي من قبيل القرى والمدر فلذلك تجد أهل هذه الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال متقاربين في الفقر والخصاصة. . . وهم لذلك مساكين محابيح إلا في الأقل النادر" <sup>3</sup>.

ويتضح من الوصف أن قاضي فاس تفوق في دخله ومستواه المعيشي على قاضي تلمسان مدينة ثم باقي القضاة من المدن الأخرى على غرار قاضي وهران مما يعطي الفارق الكبير بينها وبين المدن فمدينة فاس هي عاصمة لدولة قوية على عهد ابن خلدون كما أن المدينة عرفت بضخامتها واتساعها وكثرة مرافقها<sup>4</sup> مما يجعل المستوى المعيشي لموظفين الدولة المرينية أعلى من موظفين الدولة

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، مج 02. ص 266.

<sup>2</sup> ابن خلدون؛ مقدمة، دار ابن الهيثم، ص 292.

<sup>3</sup> ابن خلدون؛ مقدمة، المصدر نفسه. ص 292.

<sup>4</sup> المراكشي (عبد الواحد)؛ المصدر السابق، ص 358.

الزيانية التي قاضي حضرتهما أفضل حالا من قضاة المدن التابعة لها وذلك حسب أهمية المدن ونشاطاتها .

وعلى المستوى الثاني اختار ابن خلدون مرجعية رمزية للمقارنة، وهي تعبر بدقة على الطبقة الهشة والضعيفة التي مستواها المعيشي مرتبط بشكل وثيق بحالة المدينة الاقتصادية، ووضعية ساكنتها المالية والمعيشية، "فالسائل" يطرح حاجته الملحة على المجتمع لمساعدته وتوفيرها له.

ويذكر ابن خلدون أن السائل في فاس أحسن حالا من السائل في بتلمسان أو وهران، فهو "يسأل أثمان الأضاحي أيام العيد، وفي الأيام العادية يسأل عن أحوال الترف وسؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون وغيره"، ويعلق ابن خلدون على ذلك: "أن السائل بمثل هذا بتلمسان أو وهران لا ستنكر وعنف وزجر"<sup>1</sup>.

ويتضح من الوصف أن المستوى المعيشي للفقراء والمتسولين تتفاوت من مدينة لأخرى، وذلك حسب الوضعية المالية لساكنتها، ويبدو أن فقراء وهران لا يختلفون كثيرا عن فقراء تلمسان عكس القضاة وهذا يعبر أن عامة أهل تلمسان كانوا متقاربين في المستوى المعيشي مع عامة أهل وهران.

ولكن يبدو أن الفترة التي تلت ابن خلدون تحسنت أوضاع أهل وهران سواء موظفين الدولة، أو من يمارسون نشاطاتهم الخاصة ونلمح ذلك في إشارات واردة في كتابات الرحالة فحسب ما أورده عبد الباسط الذي زار وهران في أواخر ق 9هـ/15م فإن الأحوال المالية لخطيب المدينة تحسنت كثيرا عما كانت عليه ويتضح ذلك من خلال ما صرفه هذا الفقيه من أموال كثيرة على تعليم ابنه القرآن الكريم فقد أعطى للشيخ عبد الرحمان بن عزوز فقيه ولده الذي علمه القرآن مال قدر "مائة دينار ذهباً كل دينار زنة مثقال"<sup>2</sup>، إضافة إلى مصاريف أخرى تخص الوليمة العظيمة التي أقامها في المدينة احتفالاً بهذه المناسبة والتي يبدو أن تكلفتها ليست بالقليلة. كما أن وظيفة المشرف كانت مهمة لدى الزينيين، فكان أصحابها يتمتعون بمستوى معيشي مريح نتيجة للثروة التي يجنونها<sup>3</sup>. ويبدو أن نفس الحال ينطبق على الأستاذ في المدارس والعدول والأئمة لأنه حسب

<sup>1</sup> ابن خلدون؛ المصدر نفسه، مج 02. ص 87.

<sup>2</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 47.

<sup>3</sup> عبد الباسط؛ المصدر نفسه، ص 62.

حسن الوزن فإن هذه الطبقة تمر بعيشة بئيسة في مرحلة كونهم طلبة، فهم من أفقر الناس ولكن عندما يرتقون إلى درجة الفقهاء فيعينون في مناصبهم السابقة الذكر فتتحسن أوضاعهم، ويظهر ذلك في لباسهم<sup>1</sup> وغير ذلك من المظاهر البارزة للعيان

ويبدو أن الوضع الاجتماعي لوهران تراجع على المستوى العام في بداية القرن 10هـ/16م حيث لاحظ الوزن أن ساكنتها يعيشون من مدخولهم ولم يسد فيها الرخاء<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الوزن ؛ المصدر السابق، ج02. ص 24.

<sup>2</sup> الوزن ؛ المصدر نفسه، ج02. ص 30.

المبحث الرابع:

4 / مواصفات الوهرانيون بين الصفات الحميدة والانحرافات الاجتماعية:

4 / 1 أهل وهران والصفات الحميدة:

عرف الوهرانيون عبر التاريخ الوسيط وحتى الحديث بصفات أخلاقية تميزت بحب الغرباء وتقديم المساعدة لهم، وفي ذلك جاء:

وخالطت ناسا بعد ناس ولم نجد  
وحقك ناسا مثل ناسي وهران  
يسارع للخيرات منهم أفاضل  
مسارعة الوهلات في أرض وهران  
وأسأل منهم أن يدوموا على الوفا  
بحي لهم حتى أعود لوهران<sup>1</sup>

وهذه الأبيات تشيد ببعض الصفات الأخلاقية التي عرف بها أهل وهران بشهادات عديدة لرحالة وتجار ومن مواقف تاريخية عبرت عن خاصية الحضر خاصة. ومنها:

4 / 1/ 1 الشعور بالانتماء للهوية الحضارية لوهران:

من المواصفات التي ميزت أهل وهران حبهم لمدينتهم مما جعلهم يتعاونون ويساعدون بعضهم بعضا خاصة خارج الديار، وفي ذلك جاء: ". . وأهلها إذا تغرب أحد منهم في البلاد لم أر أحسن منه صحبة، ولا أملح ودا يود بعضهم بعضا بالصحبة والخلعة والمودة والحنانة والشفقة والرأفة وهذا مما يدل على الإيمان قال عليه السلام، حب الوطن من الإيمان، فكان أهل وهران يحبون بعضهم بعضا في الغربية، ويحبون الوطن. " <sup>2</sup>، وذلك رغم اختلاف انتمائهم القبلي والجغرافي فإن أهل وهران غلبوا الانتماء إلى مدينتهم أكثر من انتماءات أخرى.

وربما ما يفسر غلبة هذه الهوية الحضارية لسكان وهران هو ما شهدته المدينة من تحولات عميقة مست التركيبة السكانية لها - كما أوضحنا سابقا - وخاصة في فترتها الوسيطية الأخيرة التي واكبت

<sup>1</sup> ابن معمر ( محمد)؛ "مدينة وهران من خلال مخطوط الرحلة الحبيبية الوهرانية"، مجلة إنسانيات العدد 23. 24 سنة 2004. ص

<sup>2</sup> ابن الصباح؛ المصدر السابق، ص 95.

الهجرات الأندلسية الكبيرة إلى المدينة وما تحمله من بعد تمدني وحضري ساهم في تآكل واضمحلال الانتماءات القبلية القليلة وانصهار مختلف الانتماءات في هوية المدينة.

وكذلك يمكن إضافة استقبال واستقطاب مدينة وهران في فترتها الزبانية لأعداد معتبرة من الجماعات المهشة والمهمشة من العمق الريفي، والتي عانت من شتات وضعف قبائلها، وكذلك من اللاجئين الأندلسيين الذين تزايدت أعدادهم وتزايدت معهم محنتهم في المدن المستقبلية لهم، إضافة أن وهران هي محطة للمسافرين الذين عانى بعضهم من تقطع السبل بهم في المدينة واضطروا للإقامة المؤقتة بها ومن المارين على وهران نجد العدد الوفير من الحجيج القادمين في كل موسم من مختلف المدن والحواضر الإسلامية لأداء فريضتهم، فكانت وهران من محطات العبور في ركبهم، فهذه الحركة الدؤوبة لموجات بشرية متدفقة على المدينة سمحت بتفتح المدينة على عدة ثقافات وذهنيات أكسبت المدينة مزايا وسلوكيات إنسانية اختص بها المجتمع الوهراني الذي أصبح متقبلا للآخر ومتعايشا معه مما جعل بعض الوافدين يحولون إقامتهم المؤقتة في وهران إلى إقامة دائمة، ويندرجون ضمن أهل وهران وساكنتها نتيجة لسهولة اندماجهم في النسيج الاجتماعي، فأصبحوا يشعرون بانتمائهم الجديد للهوية الحضرية لوهران.

وتظهر هذه الهوية الحضرية - إن صح التعبير - في كتابات من تغرب من أهل وهران فمثلا الوهراني لا يتردد أن يذكر القارئ في كل مرة مقاماته المشهورة بانتمائه لوهران وشوقه إليها، كما نستشف من مقاماته أنه كان يرى نفسه أنه يمثل مدينته فإن عمل حسنا أو سيئا يؤثر ذلك على صورة وطنه وهران في نظر المشاركة، وفي هذا الصدد يورد: " . . . وإن رد هذا الرأي، ولم يقبل هذه المشورة، لعن وهران، وكل من جاء منها. " <sup>1</sup>. وحتى أن كتاباته تتميز بوجود كلمات عامية وهرانية ربما كان يريد بها استرجاع جزء من ذكرياته في وهران، والتي أصبح يفتقدها في ديار المشرق.

<sup>1</sup> ركن الذين الوهراني، المنامات، المصدر السابق، ص 109.

كما تبرز الهوية الوهرانية في عدة مواقف سياسية مرت بها المدينة، فنجد أهل وهران يتحدون في مناصرة طرف على طرف أثناء الخلافات والانشقاقات السلطوية داخل البيت الزياني، ويعبرون عن موقف مدينتهم من الصراعات الحاصلة آنذاك.

#### 4/ 1/ 2 إكرام الغرباء والضعفاء:

شبه أهل وهران بأهل مكة في كرمهم وجودهم للغريب والمسافر، فهم حريصين على إطعام الوافدين عليها، وخاصة ممن يطلعون على حالته الهشة مثل حالة المرض فإنهم لا يتركونه حتى يقضون حاجاته الضرورية، وذلك طيلة إقامته في المدينة. وخاصة لفئة العلماء، الذين حظوا بالكثير من الرعاية وحسن المعاملة من أهل وهران، وهنا يذكر ابن الصباح قصة مرضه الذي أقعده في وهران عامين فلم يترك بلا طعام ومساعدة مالية طيلة إقامته بها<sup>1</sup> مما جعله يثني على كرم أهلها. ونفس الشهادة أوردتها الوزان بقوله: ". ومهما يكن من أمر فإن أهلها ( وهران ) ظرفاء كرماء يحبون الغرباء"<sup>2</sup>

وربما هذه الصفات تجذرت في المجتمع الوهراني واستمرت في عاداتهم حتى أصبحت سمة متوارثة بينهم ونستدل عن ذلك بما جاء على لسان صاحب الرحلة الحبيبية الوهرانية في قصيدة تشيد بأخلاق الوهرانيين في ق 13هـ/ 19م، والتي سبق ذكرها.

والسؤال المطروح هنا يكمن في ماهية المصادر التي ساهمت في تموين الواردين على المدينة ؟ وما مدى إمكانياتها في استيعاب الأعداد غير القليلة من الواردين على وهران خاصة في فترات الذروة على غرار ركب الحجيج والمسافرين والتجار المارين على المدينة في سفن ضخمة تتطلب استيعاب يواكب أعدادها ؟ ثم موجات الهجرة القسرية للموريسكيين الفارين إلى وهران؟

جانب الحالات الفردية أهل وهران للغرباء لأسباب عديدة منها كون المدينة في طريق الحج وعابري السبيل الذين تلقوا الإحسان والإنفاق المستمر من أموال الوهرانيين وخاصة أموال الزكاة

<sup>1</sup> ابن الصباح ؛ المصدر السابق، ص 95.

<sup>2</sup> الوزان ؛ المصدر السابق، ج 02. ص 30.



التي تصرف في وجوه عديدة ومنها على عابري السبيل، كما كان للأحباس الخيرية دور فعال في توفير العديد من المرافق الضرورية للمسافرين وطلبة العلم من الإيواء والإطعام وغير ذلك.

ويمكن اعتبار الزاوية التازية من الكيانات الاجتماعية التي قدمت خدمات كبيرة للغرباء والضعفاء والمساكين، فقد سهلت التواصل الاجتماعي بين العائلات الوهرانية وزوار المدينة والمهمشين داخل أزقتها العتيقة، والذين اشتركوا في الحاجة إلى من يسد رمقهم ويقلل من معاناتهم اليومية لذلك ساهمت الزاوية التازية خاصة في عهد شيخها ابراهيم التازي في استقبال الطعام من الدور وتقديمه للمريدين على الزاوية من طلبة علم، علماء متصوفة وحتى التجار إلى جانبهم قدم الطعام كذلك للفقراء والبؤساء من وهران<sup>1</sup>.

والظاهر أن الطعام كان يقدم في جميع الأوقات وليس له وقت وموسم معلوم بل ارتبط بوجود العائلات الوهرانية التي تنافست على تقديم الطعام ومختلف الفواكه للزاوية من طلوع الشمس إلى صلاة العشاء<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن سعد التلمساني ؛ المصدر السابق، ص /ص 158 / 182.

<sup>2</sup> ابن سعد التلمساني ؛ المصدر نفسه، ص 182.

المبحث الخامس:

5 / المرأة الوهرانية:

1/ 5 حضور المرأة الوهرانية في الكتابات التاريخية:

من المواضيع الشائكة في البحث التي تفتقد للمعلومات المصدرية المباشرة موضوع المرأة الوهرانية ونشاطاتها لذلك حاولنا تتبع كل شاردة وواردة في هذا الموضوع لإعطاء صورة عن المرأة الوهرانية.

ومن الإشارات التي تطرقت لوصف نساء وهران ما أورده العبدري نقلا عن أبي الحسن بن علي بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكون، والذي نظم قصيدة ذكر فيها المدن التي مر بها في رحلته من قسنطينة إلى مراكش، احتوت ذكر المدن في صدور أبياتها بينما أعجازها خصصها لوصف محاسن نساء تلك المدن وما تميزت به من جمال وفتنة وفي نساء وهران جاء: ( من البحر الوافر):

وفي وهران قد أمسيت رهنا      لظامي الخصر ذي ردف روي.

ويبدو من الوصف أن القسنطيني اهتم بوصف الجمال الشكلي الجذاب لنساء وهران فهن نحيلات الخصر وذوات ردف مملوءة<sup>1</sup>. ويبدو أن هذا البيت الشعري ساهم في إعطاء صورة فاتنة عن بنات وهران لدى الكثير من المطلعين على القصيدة، ومن مختلف حواضر الغرب الإسلامي.

وهذه الصورة أصبحت عبر الوقت نمطية وجذابة للزواج بنساء وهران، وللتدليل على ذلك نورد مسألة وردت على الفقيه محمد بن مرزوق حول: "رجل تكلم في الزواج"، فأشير عليه "بنات وهران" فقال: "زواج نساء وهران علي حرام"، ثم غير رأيه فيما بعد "بالزواج من إحداهن"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> وعن القصيدة فقد كتبها ابن الفكون إلى أبي البدر بن مردنيش وهو بقسنطينة، وجاءت في 32 بيتا. يمكن الرجوع لكردي، وزارة الثقافة منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب سنة 2013، ص 147، 148. وكذلك ابن القاضي، المصدر السابق، ج 01. ص 236.

<sup>2</sup> بوعقادة ( عبد القادر) ؛ الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7 و9هـ / 13 و15م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم، جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله" السنة الجامعية 1435 - 1436هـ / 2014 - 2015م ص 118.

ومن هذه النازلة نستشف كذلك التردد من الزواج بنساء وهران مما يجعلنا نتساءل حول أسباب هذا التردد؟ هل هو خاص بأسباب شخصية أو من نظرة عامة حول المرأة الوهرانية<sup>1</sup>؟

ونلمح حضور للمرأة الوهرانية في الإحتفاء بالزاوية التازية، فكانت نساء وهران يحضرن الطعام لمريدين الزاوية باستمرار حتى أصبحت عادة يتنافسن فيها على تقديم ما لذ وطاب من الطعام للزاوية، ويبدو أن هذه العادة كانت تعرف ذروتها في ليلة المولد النبوي الشريف وفي بعض المناسبات الدينية الأخرى وذلك بسبب تزايد ضيوف الزاوية بأعداد كثيرة، وهذا ما يجعل الأعياد والمناسبات الدينية أفضل خيار لتقديم طعام النذور أو الصدقات<sup>2</sup> أو لطلب حاجة وغيرها. وكان الطعام يقدم عادة في قصعة بها ثريد<sup>3</sup> ولحم<sup>4</sup>.

ومن جهة أخرى يمكن التأكيد على أن نساء وهران قدمن الطعام للزاوية التازية، ولصاحبها إبراهيم التازي من منطلق رد الجميل والامتنان نظير الأعمال الجليلة التي قدمها التازي لهن ومنها إعفائهم من جلب المياه من خارج المدينة وزوال المشقة عليهن. فقد كن يعانين جراء ذلك<sup>5</sup>.

وكان الاعتقاد في الأولياء والزوايا جزء من متخيل ومن ثقافة المرأة الوهرانية، والتي حاولت إشراك وإدماج الأولياء في حياتها اليومية وفي مناسباتها السارة والضارة فعلى سبيل المثال كانت قبة

---

<sup>1</sup> سنعالج هذه الإشكالية في العنصر الخاص بموم المرأة الوهرانية والصعوبات التي أرقتها.  
<sup>2</sup> وقد وردت نوازل في هذا الشأن عن تقديم النساء للصدقات ليلة المولد النبوي. يمكن الرجوع لنازلة في المعيار. ج.07. ص114.

<sup>3</sup> الثريد هو من أصناف الطعام المشهورة في بلاد المغرب وله تسميات مختلفة ومنها العيش ويعد من السميد وعادة يحضر بأنواع مختلفة من اللحم من لحم البقر أو لحم الغنم وكذلك من لحم الدجاج والحمام كما يمكن تحضيره بالخضروات والحليب. يمكن الرجوع إلى كل من: المعيار ج.04. ص191. وكذلك ابن رزين تجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، رقم الناشر مركز القائمة باصفهان، ص - ص 31 - 51.

<sup>4</sup> وقد وردت هذه المعلومة عند الحديث على كرامات الشيخ الهواري الذي طلب قصعة ثريد. يمكن الرجوع لابن عودة، المرجع السابق، ص 69.

<sup>5</sup> ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 151.

سيدي عبد القادر بقمة جبل مرجاجو قبلة للعنصر النسوي حيث كن يقصدن هذا الموضوع أيام الجمع والأعياد وتقام في ساحته الحفلات والأعراس وتذبح رؤوس المواشي أحيانا ويطعم الناس وذلك تقربا وطلباً للشفاء.

وحسب الباحث يحي بوعزيز فقد استمرت هذه العادة وتجدرت في وهران فمئذ نشأتها سنة 828هـ/1425م استمرت مدة طويلة إلى تدهم القبلة سنة 1980<sup>1</sup>. وهذا يدل على الطابع الرمزي للولي الذي صاحب الإرث الثقافي للمرأة الوهرانية.

والمرأة الوهرانية كغيرها من نساء المنطقة امتهنت حرف وأعمال تتماشى مع بيئتها ووضعتها ومكانتها الاجتماعية، فالمرأة البدوية والريفية كان لها دور في عمليات الإنتاج الفلاحي من رعي<sup>2</sup> وغير ذلك حسب طبيعة نشاط قبيلتها أو قريتها عرفت بالعمل الجماعي الطوعي عن طريق مجالس يجتمعن فيها عند إحداهن لمساعدتها على غزل الصوف فيما يعرف "بالتويزة"<sup>3</sup>. فكانت على ما يبدو منتشرة لانتشار صناعة النسيج في وهران.

## 5/ 2 هموم المرأة الوهرانية:

من المواضيع المهمة التي غابت في المصادر الوسيطية في الغرب الإسلامي موضوع المرأة وما تحمله من إشكاليات حول أدوارها السياسية والاجتماعية وغيرها<sup>4</sup>، ولذلك يجد الباحث صعوبة في رصد أدوارها وإبراز مكانتها في المجتمع المعني بالدراسة وخاصة في كشف جوانب من همومها ومخاوفها ولكن رغم ذلك يمكن تتبع بعض الإشارات الواردة في ثنايا المصادر لتوضيح جوانب من حياتها وتسليط الضوء على جزء من همومها، وهو اجسها في الفترة المدروسة، فالمرأة الوهرانية عانت من صعوبات وهموم أثرت على حياتها الأسرية والاجتماعية، وخاصة فيما يخص الأمهات اللاتي

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 36.

<sup>2</sup> كرزاز ( فوزية) ؛ دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري ( ق 11 -

13م)، دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي للغرب الإسلامي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران ص 99

<sup>3</sup> وأعتبرت هذه العادة من العادات الحميدة التي تعبر عن الإعانة والرفق عند الفقهاء. العقباني التلمساني، تحفة، ص 77.

<sup>4</sup> كرزاز ؛ المرجع السابق، ص 11

عانين من قضايا اشتدت في أواخر العصر الوسيط، فقضية الأسر لأبنائهن كانت تطفو على سطح الأحداث فبرزت الأم الحزينة التي تلجأ إلى المتصوفة لتخليص فلذة كبدها من الأسر فقد لجأت إحداهن إلى الشيخ الهواري طالبة منه إرجاع ابنها لوهران بعد تعرضه للأسر على يد النصارى<sup>1</sup>.

كما يظهر مشهد آخر مشاعر أم أخرى أخذتها لوعة مقتل ابنها أن تطلب من زوجها "محمد الهواري" - السابق الذكر - الثأر ممن قتلوه ظلما وجورا حسب رأيها<sup>2</sup>، وان كانت هذه المرأة ذكرت في ثنايا الحديث عن الشيخ المتصوف الهواري فإننا نعتقد أن الكثير منهن تعرضن لفقدان أبناءهن بسبب كثرة الأخطار في البحر والبر.

وقد تحملت المرأة الوهرانية جزء من أعباء الحياة ومشقة قلة المرافق في المدينة خاصة في فترات تراجع عمراتها، فبسبب قلة المياه كانت المرأة الوهرانية تذهب باكرا لجلب الماء من العيون<sup>3</sup>، والذي كان مرهقا بسبب طول الانتظار من أجل السقيا التي تدوم من الصباح إلى المساء<sup>4</sup>، وذلك بسبب كون الماء بيض قليل وعليه نوبة وزحام<sup>5</sup>، وقد تمكن العالم إبراهيم التازي محل المشكلة، وأن يدخل الماء من جديد إلى وهران ويجنب المرأة الوهرانية الإرهاق والتعب.

ويبدو أن المرأة الوهرانية عانت كذلك في التنقل خارج المدينة، فتجنبت السفر إلى المدن الداخلية والقرى البعيدة إلا للضرورة بسبب كثرة الاعتداءات من الأعراب الذين عرفوا بغاراتهم وقطع طريق السفر، ففي أحيانا كثيرة تكون فيه المرأة الحضرية ضحية للسبي والإختطاف، فقد

<sup>1</sup> ابن عودة المزاري؛ المرجع نفسه، ص 70.

<sup>2</sup> ومما جاء في ذلك حسب ابن عودة المزاري أن زوجة الهواري أرادت أن يأخذ زوجها بثأر ابنها "فذهبت إلى دجاجة كانت لها فالليس صغار، وأخذت فلوسا منهم والشيخ ينظر، فجاءت الدجاجة وصارت تضربها على ولدها لتخلصه منها ولها صياح، فقالت له يا هواري انظر لهذه الدجاجة كيف أخذتها الغيرة على ولدها، وكيف بك لم تأخذك الغيرة على ولدك القليل ظلما وعدوانا، فعند ذلك غضب الشيخ". المرجع السابق، ص 73

<sup>3</sup> الشقراني؛ المرجع السابق، ص 63.

<sup>4</sup> ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 151.

<sup>5</sup> ابن عودة المزاري؛ المرجع السابق، ص 80.

تضمنت إحدى النوازل المطروحة على الفقهاء قضية "اعتداء أمراء العرب في المغرب الأوسط من الديلم وسعيد ورياح وسويد وبنو عامر وجماعاتهم بقطعهم الطرقات وسفك دماء الناس وانتهاب أموالهم بغير حق وأخذ حرم الإسلام أبكارا وثيبا، وذلك قهرا وغلبة"<sup>1</sup>.

ويتضح من ذلك صعوبة التنقل وخطورة السفر عن طريق البر في ظل غياب الأمن. وخاصة بعد احتلال الاسبان للمرسى الكبير سنة 911هـ / 1505م حيث امتدت اعتداءات الاسبان إلى داخل المنطقة الوهرانية القريبة من الساحل كما أن وجود الاسبان بالقرب من وهران عزل وصعب الطرق والمسالك القريبة من البحر هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنه أعطى للأعراب المتعاونة مع الاسبان القوة والسطوة على المجال الريفي الوهراني أكثر، وبالمثل فإن طريق البحر لم يكن آمنا بدوره، وذلك بسبب تهديدات القرصنة المسيحية والتي لم تكتفي بالخطف في البحر بل تعداه إلى الإعتداء على سكان القرى والبوادي، فكانت المرأة الريفية غنيمة لغزواتهم الخاطفة.

وتظهر إحدى الدراسات حادثة تعرض موكب عروس للإعتداء بين المرسى الكبير، ووهران من طرف قرصنة إسبان سنة 907هـ / 1507م، وتعرضت فيه العروس للاختطاف<sup>2</sup>، وهذا المشهد المأساوي يعبر عن مدى خطورة الوضع خارج أسوار المدن، والحصون بالنسبة للمرأة التي تجد نفسها فجأة تتحول من امرأة حرة وسعيدة إلى امرأة أسيرة مقهورة ومهمومة لتتواصل مأساتها خارج وطنها لتباع في سوق العبيد كأمة عند الإسبان.

وقد كانت من أسباب القرصنة المضادة للوهرانيين على السواحل الإسبانية الرد على الاعتداءات المتكررة لهم على المجال الوهراني والانتقام من حوادث الخطف والأسر<sup>3</sup>.

لذلك يمكن القول بأن المرأة الوهرانية ونخص بالذكر "المرأة الحرة" كانت تعيش - نسبيا - سحينة أسوار مدينتها انطلاقا من الصعوبات التي تتلقاها خارج مدينتها في السفر أو في العيش

<sup>1</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج06. ص 153.

<sup>2</sup> بوروية ؛ المرجع السابق، ص 41.

<sup>3</sup> بوروية ؛ المرجع نفسه، ص 41

في القرى والبادية ونلمح أن الأسرة الحضرية كانت تتجنب في أحيانا كثيرة السماح لبناتهم من الزواج بعناصر تعيش خارج المدينة<sup>1</sup> لأن ذلك يفرض على بناتهم التوجه للعيش في الريف وما يشكله من خطر، لذلك اشترط في بعض الزيجات بقاء البنت في مدينتها.

ويبدو أن خيارات المرأة الوهرانية الحرة في الزواج كانت مفتوحة على عناصر متنوعة على أساس انفتاح المدينة على التجارة الخارجية، فكثر التجار المسلمين من الأندلس ومن مختلف المدن الإسلامية الأخرى كما أن المدينة استقبلت هجرات أندلسية كبيرة، ولكن في المقابل يبدو أن نساء وهران عانين من تقنين الزواج لأسباب قاهرة، ومنها نشاط سوق الرق والاستفادة من الاماء مما يقلص تعدد الزوجات وزواج الأرمال، وكذلك فقدان الكثير من الرجال بسبب الأسر والحروب<sup>2</sup> والسفر<sup>3</sup>. إضافة إلى ارتفاع تكاليف الزواج ونفقاته<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المازوني، المصدر السابق، ج 02. ص 430.

<sup>2</sup> ويبدو أن هذه الحالة مست العديد من مدن الدولة الزيانية والعاصمة تلمسان، فالمنطقة ككل شهدت الحروب المستمرة والتي نتج عنه كثرة الأرمال حتى أن عدد النساء في تلمسان تفوق على عدد الذكور. فيلاي، تلمسان، المرجع السابق، ص 291.

<sup>3</sup> من المدن التي عرفت هجرة لعلمائها إلى حواضر العالم الإسلامي نجد وهران وخاصة أن رحلة طلب العلم تتطلب أن يكون الطالب غير مرتبط ومتفرغ للعلم وفي الكثير من الأحيان لا يعود الوهرانيون إلى مدينتهم ويفضلون الاستقرار في المدن التي قصدوها

<sup>4</sup> فيلاي؛ المرجع السابق، ص 291.

المبحث السادس:

6 / العادات والتقاليد:

6 / 1 العادات التي أوجدتها الزاوية الهوارية والتازية في وهران:

كان لظهور التصوف والزوايا في وهران دور في التأثير على سلوكيات ساكنة وهران الذين وجدوا في محمد بن عمر الهواري وإبراهيم التازي قدوة وطريق لفعل الخير والصدقة، فبرزت عادات<sup>1</sup> اجتماعية وثيقة اتبعها أهل وهران تكريماً للزاوية وروادها والتي نستشفها من المتفرقات التي أوردتها المصادر أن أهل وهران كانت لهم عادات منها:

6 / 1/ 1 إحياء ليلة المولد النبوي الشريف:

كانت من العادات الدينية المستحبة للدولة الزيانية الاحتفال بالمولد بالنبوي الشريف، وذلك في عهد أبي حمو موسى الثاني في منتصف ق 8 هـ / 14م، وقد دأب خلفاؤه على السير بهذا التقليد الديني، والذي حظي باهتمام كبير خاصة إحياء ليلة المولد حيث يحتفل به على المستوى الرسمي والشعبي<sup>2</sup> وتكون تلك الليلة مشهودة من أيام السنة.

وكانت العادة في مدينة تلمسان أن يحضر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف السلطان مما يضيف عليها أهمية سياسية واجتماعية لذلك نجد حضور مختلف الشرائح الاجتماعية من أمراء ووزراء ووجهاء وعلماء وشعراء ومن عامة الناس، ويتم تقديم أنواع من الأطعمة للحاضرين في هذه الليلة التي يكثر فيها الانشاد والتباري بالقصائد حتى مطلع الفجر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> والعادة لغة هي تكرار الشيء دائما أو غالبا على نهج واحد بدون علاقة عقلية أو هي ما استقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطباع السليمة، عمر بن عبدالكريم الجيدي؛ العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومها لدى علماء المغرب مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ص 35.

<sup>2</sup> فيلاي؛ تلمسان؛ المرجع السابق، ج 01، ص، ص 280، 281.

<sup>3</sup> وقد قدم لها وصف دقيق الباحث القدير عبد العزيز فيلاي ومما ذكره كذلك أنه يتم إيقاد الشموع الملونة، وتوزيع ماء الزهر والورد كما توزع الهدايا المتنوعة، وتؤدى الديون على المسجونين والأموات..، تلمسان؛ المرجع نفسه، ج 01، ص 282.



ومما لا شك فيه أن تلمسان كانت تستقطب عدد من الوافدين من مختلف مناطق الدولة للاحتفال بهذه المناسبة الدينية لما لها من قيمة دينية وشعبية وحتى سياسية مميزة في تلمسان، ولكن نستشف من الكتابات التاريخية أن إحياء هذه الليلة انتقل إلى مراكز استقطاب جديدة خارج العاصمة تلمسان وانتقل كذلك من الفضاءات الرسمية إلى الفضاءات الدينية الشعبية ممثلة في الزاوية فقد اشتهرت الزاوية التازية في إحياء ليلة المولد النبوي الشريف واستقطبت الوافدين من مختلف المناطق من المغرب الأوسط وحتى من علماء تلمسان العاصمة، والذين كانوا من مريدي الزاوية في هذه المناسبة السعيدة، وأصبحوا لا يفوتون الحضور إلى وهران لإحيائها متحدين أحيانا سوء أحوال الطقس في الشتاء، وخطورة إعتداءات الأعراب في الطريق<sup>1</sup>.

وقد أصبح الاحتفال بالمولد النبوي في وهران عادة مستحبة لعلماء تلمسان، وقد كانت للزاوية التازية ترتيبات تليق بطبيعة هذا الإحتفال الديني، والذي حافظ على تقديم الطعام والانشاد بقصائد دينية تثني على النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن العادات التي ارتبطت بشيوخ التصوف في وهران التحصن بقصائد المتصوفة التي تمدح الرسول صلى الله عليه وسلم مثل القصيدة اللامية للتازي<sup>2</sup>.

## 6/1/2 تقديم السماط:

كانت عادة تقديم الطعام المسمى بـ "السماط" بعد الإنتهاء من تنظيم تأليف أو أمر ديني من عادات الزاوية الهوارية ويقدم سماط من الطعام إما باللحم أو الفاكهة ويسمى "بالباروك"<sup>3</sup>، وقد سارت الزاوية التازية على خطى الزاوية الهوارية فتبنت إخراج الأطعمة المختلفة الألوان وبكميات كبيرة تكفي لإطعام الكثير من أهل البلد عند إتمام بناء مرفق فيه خير للعامة ومن ذلك إدخال

<sup>1</sup> ابن سعد تلمساني، المرجع السابق، ص/ص. 163/161.

<sup>2</sup> ابن مريم التلمساني؛ البستان، ص 60.

<sup>3</sup> ابن سعد التلمساني؛ روضة النسرين، تح يحي بوعزيز، ص 95.

الماء إلى وهران والذي أعتبر من الأيام المشهودة والمواسم والأعياد معدودة<sup>1</sup> ويبدو أن هذه العادة لم ترتبط فقط بالزاويتان بل انتشرت داخل العائلات الوهرانية كل حسب مستواه المعيشي، ومكانته الاجتماعية، وطبيعة العمل المنجز. ونلمح ذلك وصف أورده الرحالة عبد الباسط في الحفل الكبير الذي أقامه خطيب الجامع في بيته، وذلك احتفاءً بحفظ ولده للقرآن الكريم ووصفه "بالوليمة العظيمة". . لأجل ختم ولده القرآن العظيم وحضرها جماعة الأعيان بوهران"<sup>2</sup>. ويتضح أن هذا النوع من الولائم كان يقيم في الدور ويقدم في الزوايا أو الدور ولا نستبعد المساجد كذلك.

<sup>1</sup> ابن عودة المزاري ؛ المرجع السابق، ص 80.

<sup>2</sup> عبد الباسط ؛ المصدر السابق، ص 47.

المبحث السابع:

7 / الأخطار والأزمات السكانية التي عرفتها وهران:

1/7 الأمراض المعدية:

من بين الأخطار الحقيقية التي أثرت في ديموغرافيا المغرب عموما، وأدت إلى تراجع السكان كان الموت الدوري الذي يصيب عادة السكان ويرتبط بظهور الأوبئة والآفات التي تتكرر بمعدل مرة كل تسعة عشر سنة<sup>1</sup> تقريبا.

كما أن وقوع مدينة وهران على خط المسالك الرئيسية يجعلها عرضة للأمراض المعدية وخاصة الطاعون الذي ارتبط بحركية النقل البحري وسرع من انتشاره لمسافات بعيدة، وسبب انتقاله الواسع هو تكاثره عبر كائنات حية عديدة تتواجد عادة على السفن التجارية والسفيرية، فإلى جانب الإنسان نجد الفئران والبراغيث الحاملة للأمراض فالبراغيث تمكث في الحبوب المعدة لصنع الخبز أو في الأشياء الناعمة البيضاء مثل الملابس الصوفية مدة 15 يوما في انتظار عائل حيواني، والملاحظ أن قائمة السلع التي تمكث فيها هي من قائمة التجارة المتوسطية التي تمر على العديد من المدن وتحمل معها الأمراض المعدية<sup>2</sup>، والقادمة من مناطق مختلفة بعضها موبوءة.

ومن الأمراض المعدية التي حملها المسافرون معهم إلى وهران يذكر الجذام<sup>3</sup>، والذي ينتشر بالعدوى المباشرة مثل الجدري<sup>4</sup> ويبدو أن مدينة وهران استطاعت التعامل مع هذه الأمراض من

<sup>1</sup> جدلة (إبراهيم)؛ دراسات حول تاريخ بعض مدن إفريقية وقبائلها في العصر الوسيط (دراسات حول مدن تونس والقيروان وقفصة، وبنزرت وحمم الأنف وحول القبائل المنتشرة بإفريقية وعلاقتها بالحواضر والسلطة المركزية). ص 18.

<sup>2</sup> واتس (شلدون)؛ الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة الإمبريالية، ترجمة وتقديم أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة عماد الصبحي، العدد 1474. ط01. المركز القومي للترجمة، القاهرة، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، السنة 2010.. ص/ص 30/10.

<sup>3</sup> ابن الصباح؛ المصدر السابق، ص

<sup>4</sup> واتس؛ المرجع السابق، ص 16.

خلال منشآتها الصحية من جهة على غرار المستشفيات<sup>1</sup> وكذلك وجود من يمتهن الطب في المدينة<sup>2</sup>، وربما هذا ما جعل المدينة محطة للتداوي لبعض المسافرين الذين يعانون من بعض الأمراض.

ومن الطوائع التي أثرت في منطقة الغرب الإسلامي وأدت إلى تراجع كبير في سكان العمران والتمدن "الطاعون الجارف" كما أسماه ابن خلدون، وذلك في آخر المائة الثامنة (أواخر القرن 8هـ/14م)، وأرجعه إلى ما أحدثه الأعراب من تخريب لإمكانات المنطقة الزراعية مما أثر سلبا على البلدان والمدن<sup>3</sup>. ويبدو أن الطوائع والمجاعات ساهمت بشكل كبير في تآكل اليد العاملة خاصة في الجانب الفلاحي، وذلك بسبب هجرتها إلى المناطق الخصبة.

## 7/ 2 الانحراف الأخلاقي وخطورته على تماسك المجتمع الوهراني:

ككل مدينة حية ومنفتحة على الهجرة عبرت وهران على قضايا عصرها وانقلاباته الاجتماعية من تطورات وتغيرات مست تركيبته الاجتماعية في المجال الحضري خاصة في فترته الزبانية، ويبدو أن المشاكل الاجتماعية ارتبطت بطبيعة تركيبة ساكنة وهران وبكثافتهم المرتفعة في أواخر العصر الوسيط بسبب تزايد الهجرة الموريسكية لها كما أن هذه المشاكل اختلفت ما بين المجال التمديني والمجال الريفي الوهراني رغم ملاحظة التداخل والترايط بينهما في عدة مسائل برزت على شكل قضايا طرحت في النوازل الفقهية بشكل مستمر، ومتكرر مما يجعل البحث والتحري عنها من شأنه الكشف على جانب مهم من حياة وهران والصعوبات التي واجهتها في الفترة الزبانية.

ومن جهة أخرى فقد عبر نظام الحسبة وحيويته عن القضايا الشائكة التي عكرت الحياة الاجتماعية للدولة الزبانية، فهذا الجهاز المحوري في الحياة الاجتماعية أوكلت له معالجة مختلف القضايا المتعلقة بالصالح العام والمندرجة ضمن الآداب العامة من خلال احترام الأخلاق الإسلامية

<sup>1</sup> كاربخال؛ المصدر السابق، ج 01. ص 329.

<sup>2</sup> عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص

<sup>3</sup> ابن خلدون؛ المقدمة، المصدر السابق، مع 04. ص 33

في المعاملات والسلوكيات داخل المدن وذلك ضمن احترام قواعد فقهية بارزة أطرت للكثير من القوانين الحضرية التي من شأنها ضبط الحدود والحريات لجميع العناصر المكونة للنسيج الاجتماعي التمدني.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تم استنباط منها الدلالات التشريعية لتأطير المعاملات المختلفة وتطبيقها في المدن بصرامة وإتقان للحفاظ على المصالح العامة والخاصة، ولكن بضعف هذه السلطة تراجعت الحدود والضوابط لتنتشر عادات إجتماعية بعيدة عن أخلاقيات المجتمع الإسلامي وآدابه ونلمح ذلك خاصة في المصادر التي أحاطت بمختلف الإشكاليات الخاصة بالموضوع في الفترة الوسيطة لكنها في الغالب عاجلتها من منظور نظري مجرد لا يهتم كثيرا بالمكان والزمان على الرغم من أهميته، فأتت التفاصيل مقننة ومبهممة وعرضية في مواضع عديدة.

ولكن رغم ذلك لا يمكن الاستغناء عنها لأي باحث فهي مرجعية معرفية واقعية للاطلاع على حيثيات الحياة الاجتماعية في الفترة المدروسة وخاصة في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط والتي حظيت بالتأليف الموسوعي لمختلف المواضيع الاجتماعية.

### 7/ 1/2 شرب الخمر:

ويبدو أن بعض العادات التي حملتها الجماعات المستقرة في وهران سواء المسيحية أو اليهودية أثرت بشكل سلبي على ساكنة وهران ومنها إنتشار تعاطي الخمر في المدينة حتى لدى المسلمين، وقد نبهت النوازل بالأضرار التي جلبها اليهود معهم من شربهم للخمر<sup>1</sup>، ولم يكن اليهود فقط من يسمح لهم باستهلاك الخمر، فوجود النصارى كذلك ساهم في توريده للمدينة بكميات كبيرة، خاصة بالنسبة للمرسليين<sup>2</sup>.

وعادة ما كانت الفنادق هي الدوائر الضيقة التي يتاجر ويستهلك بها الخمر، فهو ضروري للقداس المسيحي كما يتم تعاطي الخمر في حانات الفنادق لذلك كان التزود به مسموحا تؤطره

<sup>1</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج08. ص 437.

<sup>2</sup> أوليفيا ريمي ؛ المرجع السابق، ص212

معاهدات بين المسيحيين والمسلمين<sup>1</sup>، وقد سمح للتجار المسيحيين بأخذ كميات محددة منه، فجنوة سمحت لكل تاجر من تجارها مع المغرب في ق 7/هـ/13م بالتزود بخمسة عشر برميلا من الخمر، وذلك في حالة قضائه في فصل الشتاء وكل برميل سعته ثلاثين لترا كما سمحت البندقية لتجارها الذين يتوجهون إلى بلاد المغرب في أواخر العصر الوسيط بالتزود بثلاثة براميل من الخمر<sup>2</sup>.

ولكن هذه الدوائر الضيقة اتسعت لتشمل فضاءات تجارية خارج الفنادق، ومما ساهم في ذلك عدة أسباب منها، ازدياد الهجرة اليهودية من اسبانيا إلى وهران ووجود جالية مسيحية معتبرة في المدينة من تجار ومثليهم، والذين شكلوا فئة لها جانب كبير من الحرية في ممارسة حياتهم العادية في مراكزهم الخاصة بهم. خاصة أنه لم يتم احترام تقنين بيعه في الأماكن المخصصة له.

لكن ليس فقط لأهل الذمة دور في تفشي تعاطي الخمر، فلا نستبعد كذلك أن من مسبباتها ازدياد الهجرة الموريسكية إلى وهران، وقد كانت للموريسكيين علاقة بتعاطي الخمر لظرف تاريخي حرج تعلق بقضية وجودية في أراضيه مسيحية فرضت عليهم التنصر والاتصاف بأخلاق وعادات المسيحيين، ومنها تعاطي الخمر، لذلك فاتباع التقية والتظاهر بالتنصر حسب الأخذ بفتاوى شجعت على بقائهم في أراضيه، ومنها ما أفتى به عالم وهران "أحمد بن أبي جمعة المغراوي" فقد سهل عليهم الاندماج.

ومما أجازته مفتي وهران للموريسكيين شرب الخمر إذ جاء في ذلك ". وإن أجبروكم على شرب الخمر، فاشربوه لا بنية استعماله. " <sup>3</sup>، وهذا ما يجعل بعضهم يتعود على ذلك وقد وردت إشارة إلى ذلك في مخاطبة لأحد الموريسكيين لأحدهم وتخوفه من تعود الموريسكيين على

<sup>1</sup> أوليفيا ريمي ؛ المرجع نفسه، ص 212.

<sup>2</sup> نشاط (مصطفى) ؛ جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، منشورات الزمن، طبع مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب. ص 28.

<sup>3</sup> الدراجي ؛ المرجع السابق. ص 138.

عادات النصارى وتجذرهما في سلوكياتهم<sup>1</sup>، وحسب رأي الناصري أن عامة أهل الأندلس الذين بقوا بعد سقوط غرناطة قد تخلقوا بأخلاق العجم وأثر فيهم ذلك أثرا ظاهرا لطول صحبتهم لهم ونشأ أعقابهم بين أظهرهم لذلك كانت تصدر منهم في بعض الأحيان تصرفات قبيحة في حق ولاية المسلمين من أهل المغرب وعامتهم خاصة إذا نالهم بعض الظلم<sup>2</sup>.

ويتضح من كل ذلك أن الأندلسيين تأقلموا مع ظروفهم القاهرة بعد سقوط غرناطة، ولاضطراهم للهجرة إلى مدن العدو حملوا معهم التغيرات التي طرأت على حياتهم فساهموا في نشرها رغم ممانعة العلماء من بعض السلوكيات إلا أن سلطة الضبط بدت عاجزة على كبح انتشارها لقوة الموجات البشرية المتدفقة على المدن.

والملاحظ أن الخمر الأوروبية كانت من النوع الرديء أو المتوسط ولكنها وجدت سوق نشطة في المدن وفاقت أسعارها ما كانت عليه بأوروبا، وعن طرق تسلسها إلى العامة فقد كانت على جزء يباع ضمن التجارة المحظورة وجزء آخر على شكل هدايا يتحصل عليها ساكنة المدن من التجار وغيرهم من الجماعات المسيحية<sup>3</sup>.

### 7/2/2 الموس وملامح من مشاكل الأسرة الوهرانية:

وما يمكن تأكيده أن انتشار بعض السلوكيات والعادات الدخيلة على أخلاقيات المجتمع الإسلامي في وهران كانت وراءه عوامل عديدة مرتبطة بالتحويلات والتغيرات الاجتماعية العميقة التي مست تركيبة السكان في المدينة وخارجها، فحركية الهجرة الموريسكية المتنامية وانفتاح المدينة على ثقافات أجنبية مختلفة في تركيبها الدينية والأخلاقية مع الساكنة المسلمة في وهران ساهم في التأثير السلبي على عاداتهم وسلوكياتهم ولا ننسى كذلك انفتاح آخر للمدينة على ظهورها من الأعراب وما يحملون من عادات غريبة على الحضر جعلت ساكنة وهران في فضاء إجتماعي

<sup>1</sup> الدراجي؛ المرجع نفسه، ص 136.

<sup>2</sup> الناصري؛ المرجع السابق، القسم الثاني، ج 06. ص 11.

<sup>3</sup> نشاط، المرجع السابق، ص /ص 31/28.

متعدد الروافد الإثنية والسلوكية والثقافية مما جعل التداخل والتواصل، والتفاعل في كثير من الأحيان يتخذ صبغة سلبية تأخذ منحى تصاعدي إن لم تجد سلطة شرعية وسياسية تحد من انتشارها لتتحول من سلوك فردي ومحدود إلى تصرفات شائعة بين فئات أوسع داخل المجتمع الوهراني وبالرجوع إلى واقع وهران في الفترة الوسيطية الأخيرة نلمح انحرافات اجتماعية طفت على السطح حسب ما أشارت إليه كتب النوازل والحسبة، فقد ذكر أبو راس الناصري أن وهران ذكرت عند صاحب الدرر المازونية في نوازل الطلاق والومس<sup>1</sup>.

7/2/2/1 الومس:

7/2/2/1 مفهومه اللغوي:

بفتح الواو والميم، وهو الفجور والموسمة هي المرأة الفاجرة<sup>2</sup>.

7/2/2/2 الومس بمنظور ديني عقابي لوهران:

ويعبر انتشار الومس عن انتشار الفساد والفسق في وهران، وهذا ربما ما يفسر تبني أهل وهران لدعاء الهواري ونسبوه إليه ليفسروا ما آلت إليه مدينتهم من فساد وبغي فتوقعوا إنزال العقاب بهم لابتعادهم عن الشرع والعفة<sup>3</sup> وعقابهم هو تعرضهم للغزو الإسباني، والمتمعن في مصطلحات هذا الدعاء يلمح إسقاط مختصر للحالة السياسية<sup>4</sup> والاجتماعية التي آلت إليها وهران في ق 9هـ/15م.

<sup>1</sup> الرجوع لمخطوط، شرح الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، مخطوط، عدد الأوراق 132 ورقة النسخ العربي الحرشاوي، تاريخ النسخ 14 اوت 1886. رقم المخطوط 3182. دائرة الحفظ والمخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة 11.

<sup>2</sup> أبو راس الناصري؛ عجائب الأسفار المرجع السابق، ص 68.

<sup>3</sup> وليست هذه الحالة خاصة بوهران، فهي من تصورات الناس تجاه مدتهم التي ينتشر بها الفساد والفسق. يمكن الرجوع لمهند مبيضين، الناس والمدينة في العصر العثماني دمشق في القرن 18، مجلة إضافات، العددان 20. 21. السنة 2012. 2013. ص 193.

<sup>4</sup> سبق الإشارة إليه في الفصل الأول.



لذلك يمكن الاستعانة بهذا الدعاء مرة ثانية للاستدلال به على الأمراض الاجتماعية التي عرفتها وهران في ق 9هـ/15م، ونص الدعاء "روحي يا وهران الفاسقة، يا كثيرة الجور والبغي والطارقة يا ذات الأهل الباغية السارقة إني بعثك بالبيعة الموافقة، لنصاري مألقة والجالقة، إلى يوم البعث والتالقة، مهما ترجعي فأنت الطالقة".<sup>1</sup>

وإن بينا سابقا أن هذا الدعاء لا يمكن أن يصدر من عالم اشتهر بعلمه وحبه لساكنة وهران أن يتمنى لهم عدو مسيحي يأخذ مدينتهم عقابا على جرم لم يقترفوه إلا أن الذاكرة الشعبية ومنتصوفة وهران أرادوا تلخيص ما آلت له مدينة وهران من تفكك واضمحلال الأخلاق العامة بسبب تراجع تطبيق السلطة السياسية للضوابط الشرعية بصرامة للحد من انتشارها.

كما نعتقد أن صفة الومس ارتبطت بوهران من خلال كتابات بعض العلماء في قصائدهم التي نظمت إحتفاءً بفتح وهران من طرف العثمانيين ومنهم أبو راس الناصري<sup>2</sup> الذي ألف منظومته السينية في التاريخ، وقد جاءت بعد فتح مدينة وهران والتخلص من مظاهر الشرك والومس، ومما ذكر في مطلعها:

طوامى الأبحر وأهل جزائرها  
بفتح وهران دار الشرك والومس.

<sup>1</sup> ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ص 73.

<sup>2</sup> هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن ناصر الناصري العسكري، تلقى علوما غزيرة كما يروي عن نفسه، ولقب بالحافظ خلف تأليف كثيرة بلغ عددها مائة واثنين وثلاثين تأليفا في التاريخ وتفسير القرآن وغيره، تخرج على يديه علماء كثيرون، فهو فقيه مازونة كان شاهدا على أحداث مهمة في التاريخ العثماني للجزائر، ووصفه حملة نابليون على مصر لتواجهه بها وغيرها من الأحداث توفي عام 1238هـ عن عمر يجاوز التسعين سنة، ودفن في مدينة معسكر. عن بلهاشمي بن بكار، كتاب حاشية رياض الزهدة على منظومة نسما ت رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة، وهو كتاب من أربع كتب جمعت ونشرت من طرف بلهاشمي بن بكار، طبع بمطبعة ابن خلدون، تلمسان، سنة 1381هـ /1961م. ص، ص 13، 14. كذلك يمكن الرجوع لبوشناق، المرجع السابق، ص /ص 213/215.

### 7/2/1/3 عوامل ومظاهر الومس بوهران:

وبالرجوع إلى ذكر الأسباب التي أدت إلى إنتشار الانحرافات الأخلاقية بوهران نجد أن لطبيعة نشاطها التجاري دور في ذلك، فهي معبر وسوق لتجارة الرق مما سمح بتوفر عدد وافر من الإماء سهل اقتناءها للقيام بالكثير من الأعمال المنزلية كما اتخذن كمحظيات للعناصر الأجنبية لوجودها بنسبة معتبرة في المدينة، وإن كنا لا نستبعد أن الحضور الأجنبي من أهل الذمة كان على شكل عائلات لكن ذلك لا ينطبق على كل العناصر خاصة التجار.

ويبدو حسب الإشارات التاريخية أن الأجانب من التجار قد منحوا جانب من الحرية في عاداتهم وعبادتهم، ولذلك فقد ساهموا في نشر بعض المظاهر السلبية المرتبطة بالبغي داخل الفنادق وخارجها بما أنهم سمح لهم بشرب الخمر والقيام باقتناء مختلف السلع، ومنها الإماء والسلعتين السابقتين (الخمر والنساء)، وهما سلوى للرجال الأجانب البعيدين عن أهاليهم وديارهم لمدة طويلة، فيجدون ملاذ لشهواتهم في الجانب الممنوح لهم من الحرية

ويبدو أن التصرفات السلبية للأجانب زادت عن الحد المسموح به فأقلقت بذلك سلطاتهم مما جعل من الضرورة أن تتدخل لتنظيم شهواتهم داخل المدن الإسلامية، فقامت مدينة مرسيلا سنة 1228م/ على سبيل المثال بالتنديد بشدة من البغاء المقام في الفنادق ببلاد الشام والاسكندرية وشمال إفريقيا حتى أنه فرض على قناصلهم في الفنادق المعنية بالمدن الإسلامية أن يقسموا بكتاب الأناجيل المقدسين ألا يرسلوا بغايا ولا يسمحوا لهن بالإقامة في الفنادق<sup>1</sup>.

وهذه الجاليات الأوروبية لم تكن هي الوحيدة التي أثرت في تردي الأخلاق العامة داخل المدينة فاتصال، وانفتاح المدينة على فضائها الريفي ساهم في ولوج العديد من مظاهر الترف السلي على المدينة، وخاصة من العناصر العربية من بني عامر فبعض عوائلهم هددت نمطية العادات الخاصة بالمجتمع الحضري الوهراني، وذلك باستحداث عادات هجينة يبدو أنها انتشرت مما أدى إلى

<sup>1</sup> أوليفيا ريمي ؛ المرجع السابق، 218.

استنكرها من طرف الشرع، والذي حذر منها ونهى على اتباعها في عدة مسائل نوازلية. ويتضح من إستقراء بعض الإشارات الواردة في كتب الحسبة والنوازل الزيانية بعض هذه العادات المنحرفة والمرتبطة بالاحتفالات، والأعراس في تلمسان ومدنها، والتي أصبحت تحظى بالكثير من الانحرافات والممارسات الدخيلة، وقد حذر منها علماء تلمسان، ومنها اجتماع النساء على احتفال أو تزين على رجل غير محرم يغنيهن ويطرهن<sup>1</sup>.

ويبدو أن ارتباط الأعراس بالملاهي والفجور واختلاط النساء بالرجال أصبحت معتادة في مناطق عديدة من بلاد المغرب، واعتبرت من عادات البوادي<sup>2</sup>، وقد أوضحت إحدى النوازل التي وردت عند الونشريسي مختلف المنكرات التي اجتمعت في الأعراس خاصة في الأرياف حيث أصبحت فضاءات للفساق يجلبون الخمر فيها ويشربونه ويحضرون النساء الزواني مختلطات معهم بالليل ويجتمع في موضع العرس الرجال معهم النساء وغيرها من المنكرات والغريب في كل ذلك تعامل فقهاء تلك المناطق مع هذه السلوكيات المنكرة بأنهم يعضون البصر عنها بحجة إدراجها ضمن "العادات" المتعارف عليها في المنطقة فهي بذلك تلقى قبول اجتماعي حسب رأيهم أما القواد المعنيون بضبط الأمور فتظهر النازلة شدة خوفهم من بطش وشر الفساق لذلك لا يستطيعون كبح هذه المنكرات<sup>3</sup>، وقد ذكر في معرض الحديث عن كرامات الشيخ الهواري وصف عرس أقامه الأعراب المقيمين بالقرب من وهران وقد حضره النساء والرجال ليتفرجوا على لعب الخيل<sup>4</sup>.

ونرصد من المعلومات التي قدمها الفقيه العقباني في كتابه "تحفة الناظر" بعض مظاهر الومس والفسق في المدن الزيانية والتي شاعت وارتبطت بالفضاءات العامة والمرافق التي تجذب وتستقطب العديد من النساء على غرار الحمام الذي أصبح مجالاً للمنكرات حتى أن العقباني

<sup>1</sup> ابن سعيد العقباني، المصدر السابق، ص 77.

<sup>2</sup> شرقي؛ مدينة وهران، المرجع السابق، ص 111.

<sup>3</sup> الونشريسي؛ المصدر السابق، ج 03، ص 251.

<sup>4</sup> ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 112.

رأى تحريمه في حالات عدم توفر شروط وضوابط التستر<sup>1</sup>، ويتضح من ذلك أن العقباني أراد سد الذرائع أمام المنكرات التي تحدث في المرافق العامة بسبب ما شاع من أفعال نساء منحرفات فاسقات يتحرشن ببعضهن<sup>2</sup>.

ويبدو أن الحدود الفقهية التي أطرت حياة المرأة اختلفت حسب سننها وحالتها القانونية بين الحرة والأمة، وحسب العرف الخاص بكل منطقة بشرط أن لا يتنافى العرف والتقاليد مع مقاصد الشريعة واتسمت الفتاوى الخاصة بالمرأة الحرة بالشدة والصرامة وفرض القيود للمحافظة على أخلاقيات المجتمع الحضري الذي تداخلت فيه سلوكيات غريبة عن دينه وعاداته المحلية خاصة بعد الهجرة المتنامية للجماعات الأندلسية بمختلف دياناتها وأعرافها.

ومن مظاهر بعض الانحرافات الاجتماعية كذلك هو عيش الرجل مع امرأة في الحرام دون زواج شرعي مدة سنين ثم يأتي ليتزوجها دون الأخذ بشروط الزواج<sup>3</sup>.

ويبدو أن انتشار المنكرات والانحرافات الأخلاقية تازمت أكثر وانتشرت في المجتمع الوهراني في أواخر العصر الوسيط مما أوجب التعامل معها بمرونة ولطف على حد قول أحد علماء وهران المتأخرين، وهو محمد شقرون الوهراني (ت 969هـ/1563) من سلالة الشيخ الهواري الذي أشار إلى ضرورة تغيير المنكر عند المنحرفين ولكن "بالتلطف والمحاولة في تعليمهم إياه بعد تسعة عقولهم"، وتجنب الشدة وتكفير العصاة وذلك لسلامة عقيدتهم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن سعيد العقباني ؛ المصدر السابق، ص 73.

<sup>2</sup> ابن سعيد العقباني ؛ المصدر نفسه، ص 72.

<sup>3</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج 04، ص 319.

<sup>4</sup> محمد شقرون الوهراني ؛ الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتوزيع والتحقيق، السنة 1412هـ/192م، ص 25.

### 3/2/7 ملامح من مشاكل الأسر الوهرانية:

ونستشف من نصوص الفتاوى التي وجهت لفقهاء وهران ملامح من واقع الأسرة في المغرب الأوسط عموماً ومدينة وهران خصوصاً، فهي عينة عن واقع المجتمع الزباني في تلك الفترة. ومن المسائل التي طرحت للفقهاء ابن مقلّاش قضايا متعلقة بالزواج والصدّاق والطلاق.

### 1/3/2/7 الزواج، الصدّاق:

يخضع الزواج الإسلامي لشروط وضوابط دينية لصحته، وأركانه الشرعية واضحة من ولي، الصدّاق والمهر، الشهود والعقد والصيغة<sup>1</sup>. كما يخضع الزواج للتقاليد والأعراف التي تتضمن مراسيم وخطوات الزواج وهي تندرج ضمن أعراف كل مجتمع وهذا ما جعل بعض المسائل تطفو على السطح فيما يخص صحة الزواج لذلك اجتهد فقهاء المنطقة في البحث عن مخرجات فقهية للقضايا المعقدة المطروحة في هذا المجال، والتي تتكرر باستمرار بسبب شيوع بعض العادات التي تتعلق بالزواج والصدّاق.

ومن الأعراف التي كانت بالمغرب الوسيط وأدت إلى اشكاليات دينية واجتماعية الحجر على البنت من طرف والدها، وما يتبعه أحياناً من إرخاء الستور<sup>2</sup>، هذه الوضعية سببت مشاكل وتوتر في العلاقات بين الزوجين خاصة لارتباطها باتمام الصدّاق من عدمه وغيرها من المسائل، والتي تتحول من اشكال بين الزوجين إلى توتر بين العائلات<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> فيلاي ؛ تلمسان، المرجع السابق، ص288.

<sup>2</sup> إرخاء الستور تعبير يريد به خليا وانفردا، وهذا اللفظ يقتضي أن بالخلوة يجب على الزوج إكمال الصدّاق.. وعند مالك الخلوة لا غير. يمكن الرجوع إلى أبي بكر بن العربي المعافري، المسالك في شرح موطأ مالك، علق عليه محمد بن الحسين السليمانى، عائشة بنت الحسين السليمانى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، مج 05. ص 471.

<sup>3</sup> وقد طرحت هذه المسائل على فقيه وهران ابن مقلّاش ذكرها الونشريسي، المعيار، ج04. ص، ص 317، 318.

## 7/ 2/3/2/ الطلاق:

من المسائل التي أثارت فقهاء المغرب في أواخر العصر الوسيط انتشار الطلاق داخل المجتمع الإسلامي في بلاد المغرب، وذلك لأنفه الأسباب مما جعل الكثير من الأسر تتراجع عن الطلاق وتحاول طرح القضية على الفقهاء، ومن هؤلاء الفقيه الوهراني ابن مقلّاش الذي طرح عليه عدة نوازل تمس الطلاق والتي تضمنها كتاب المعيار ونوازل مازونة.

تظهر نازلة عرضت على ابن مقلّاش أن: "رجل قال لزوجته طلقك طلقة لإسقاطك عني صداقك"، لكنها أنكرت ذلك. وما نستشفه من هذه النازلة ومن مختلف النوازل الأخرى التي عاجلت حالات مماثلة أهمية الصداق في استمرارية الزواج وفي إبعاد الطلاق، فالصداق حافظ على الرابطة الزوجية، ولو شكليا، وذلك لارتفاع قيمته المالية والعينية وبقائه يورق الزوج حتى بعد الزواج فالصداق ينقسم إلى دفعتين إحداهما مقدمة، والأخرى مؤجلة وغالبا ما كانت الدفعة المقدمة أقل من المؤجلة<sup>1</sup>، لذلك فإن مؤخر الصداق وقف حاجزا أمام تطليق الزوجة وحافظ على استمرار الزيجات كما أنه شكل في المقابل مخرج لبعض الزوجات لطلب الطلاق عن طريق التنازل عليه لصالح الزوج والذي لا يجد مانعا من تطليق زوجته دون التعرض لأعباء مالية.

ومما عرض على فقيه وهران ابن مقلّاش كذلك في مسائل الطلاق التساهل في تطليق الزوجة ثم التراجع عنه فيما بعد<sup>2</sup>. وهذا إن دل فإنه يدل على هشاشة العلاقة الزوجية حتى أنه يقع تحريم الزواج قبل أن يقع، ثم نجد الرجل يتزوج ما كان حرمه على نفسه سابقا، وهذا ما طرحته إحدى النوازل لرجل صرح بأن زواجه من نساء وهران عليه حرام ثم تراجع عن موقفه، وأراد الزواج من إحداهن<sup>3</sup>

<sup>1</sup> رابورت ( يوسف ) ؛ الزواج والمال والطلاق في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، نقله إلى العربية أحمد العدوي، ط01. مركز تراث للبحوث والدراسات، مصر، السنة 1437هـ / 2015م. ص175.

<sup>2</sup> الونشريسي ؛ المصدر السابق، ج 04. ص، ص 318، 319.

<sup>3</sup> بوعقادة ؛ المرجع السابق، ص 1018.

ومن الأسباب التي ساهمت في إنتشار الطلاق عموما في بلاد المغرب هو حالة الفقر التي تثير بعض المشاكل بين الزوجين<sup>1</sup>، وتهدد استمرار العلاقات الزوجية، كما نعتقد أن هناك الكثير من الصعوبات واجهت المجتمع الوهراني خاصة في أواخر العصر الوسيط بسبب ضعف الدولة الزيانية وكثرة الاعتداءات من الأعراب على المسافرين الوهرانيين وغيرهم، ولا نستبعد تعرض بعض المسافرين للسلب والنهب وغصب ممتلكاتهم وأموالهم، وقد تصل الاعتداءات أحيانا إلى سفك الدماء.

إضافة إلى اعتداءات البر فإن أعمال القرصنة المسيحية على سواحل وهران وقراها، والتي عادة ما تنتهي بأسر العديد من الوهرانيين أدى ذلك إلى فقدان الأسر الوهرانية سواء التمندية أو الريفية لعدد كثير من الرجال أو فقدان أموالهم وبضائعهم، ومن ثمة فإن فقدان الأب، والزوج، والابن بسبب الأسر أو بالقتل يعني تغييب المعيل والحامي الأول للأسرة فتسبب ذلك في ظهور مشاكل عديدة داخل الأسر والعائلات الوهرانية، ومنها مسائل النفقة، وتطبيق المرأة لغياب زوجها، وقضايا الارث وغيرها.

كما أن التضييق على المسافرين والتجار الوهرانيين وسلبهم أموالهم أدى دون شك إلى التضييق على معاش وحياة جزء من ساكنة وهران وأدى ذلك إلى تغيير ربما طبيعة نشاطها من التجارة والتنقل إلى نشاط آخر غيرها يكون أكثر أمنا وربحه ثابتا ولو كان حتى أقل لما تدره التجارة من أرباح.

كرزاز ؛ المرجع السابق ص 100<sup>1</sup> .

# خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر  
العلوم الإسلامية



ما يمكننا استخلاصه من الدراسة هو حيوية وهران وظهورها في الكثير من الأحداث التي شهدتها المغرب الأوسط والصفاف الجنوبية للبحر المتوسط، فهي مدينة جامعة لحضارات مختلفة وعبرت بأبعادها السياسية والإقتصادية والإجتماعية عن العلاقات بين مختلف الشعوب لذلك يمكن تحديد بعض نتائج البحث في الأفكار التالية والخاصة بالفترة المدروسة من ق 7/هـ/13م إلى ق 10/هـ/16م:

- من تتبع الجغرافيا التاريخية لوهران وحساسية الأحداث التي شهدتها جعل تاريخها الزباني مثقلا بالمتغيرات التي عبرت عن التحول العميق الذي مس المغرب الأوسط والفضاء المغاربي /المتوسطي فأصبحت أحداثه متسارعة جدا ومؤثرة على مناطق جغرافية واسعة تبدو للوهلة الأولى أنها بعيدة عن المنطقة المغاربية المتوسطية، ولكن في الواقع تداخلت المصالح الإقتصادية عن طريق حركية التجار والبضائع بين عدة مناطق فالتقت مساراتها التجارية في المدن الساحلية خاصة ؛ فكان ذهب المنطقة الصحراوية الإفريقية محل اهتمام أوروبا التي ربطت علاقات تجارية مع الدول المغاربية لضمان استمرار هذه التجارة المرهبة.

كما استنتجت أن حالة السلم والحرب ارتبطت بالتصادم بين الديانات السماوية أحيانا فكل طرف أراد خوض حرب مقدسة لتوسيع حدوده الإثنية، وأدى التوافق بين العالمين المسيحي والإسلامي إلى رواج التجارة ونشاطها، هذه الأخيرة أدجت العالمين في فضاء واسع لتبادل السلع والبضائع وكانت المدن قواعدها الثابتة في استمرار النشاط التجاري حتى في حالات الصراع والتوتر بين العالمين كما أن مدن المغرب الأوسط ساهمت في توثيق الروابط الإقتصادية والإجتماعية بين مختلف الدول الفاعلة في بلاد المغرب والمشرقية والأوروبية ودعمت العلاقات الحضارية بين الشعوب.

وكل هذه المعلومات استخلصتها من الدراسة، فوهران في العصر الزباني تعتبر نموذج وعينة تاريخية لإدراك تاريخ الغرب الاسلامي من زاوية التاريخ المحلي والذي يسمح بالوقوف على تفاصيل دقيقة في تاريخ الشعوب والدول ضمن مجال زمني يؤرخ لأواخر العصر الوسيط وبداية العصر

الحديث في الغرب الإسلامي.

- رغم تدهم مدينة وهران عدة مرات خلال الفترة الوسيطة التي سبقت الفترة الزيانية بسبب العداء القبلي أو السياسي أو المذهبي مع أهلها وحكامها إلا أن أهمية موقعها الجغرافي، وخاصة خصوصية مرساها الكبير، وموضعها البعيد عن مركزية القبائل الكبرى ضمن لها العودة إلى الحياة في كل مرة تتهدم وتحذف فيها من الخريطة العمرانية للمنطقة، فيعاد بناءها، وانبعائها من الأطلال في كل مرة.

- ارتبط مصير وهران في الفترة الزيانية بمصير العاصمة تلمسان، فالكثير من الأحداث السياسية المحورية التي شهدتها تلمسان عادة ما تلقي بظلالها مباشرة على وهران؛ فالعلاقة بينهما هي علاقة قوية ومصيرية، فمصير الواحدة منهما متعلق بمصير الأخرى.

- لم تستفد وهران كثيرا من التعمير الزياني بسبب تعرض تلمسان للتدمير والتخريب المتكرر الذي استنفذ من الحكام الزيانيين إمكانيات الدولة المالية، فكانت أولوية الحكام إعادة تحصين، وتعمير وتمدين الحاضرة تلمسان على حساب المدن الأخرى، لذلك أحيانا تستفيد من تعمير القوى السياسية المنافسة والمسيطرة عليها، فتعيد تأهيلها وتحصينها بهدف تملكها، وإحاقها بممالكهم كما حدث في عهد أبي الحسن المريني.

- في كل مرة يعاد تأهيل وهران حضاريا تزدهر، وتنمو سريعا فهي من المدن الحية التي يسهل دمجها في الدورة التجارية المتوسطية لموقعها الاستراتيجي المتميز، ولقربها من أقطاب المدن والطرق الرئيسية ولمؤهلاتها الطبيعية الأخرى.

- استغلت الدولة الزيانية مدينة وهران لتحصيل ثروة مالية هائلة من عائدات التجارة المتوسطية وقدمت تسهيلات مبالغ فيها للجاليات الأوروبية لضمان صيرورة مواردها المالية مما ساهم في إبتعاد الدولة الزيانية تدريجيا عن الإهتمام بتطوير أسطولها ( التجاري) والإعتماد على إيجار السفن الأوروبية وبالتالي فقدان المبادرة في الإبحار على خطوط تجارية بعيدة مع مختلف المدن المتوسطية كما أن التساهل مع الجاليات المسيحية واليهودية في وهران ساهم في تفشي سلوكيات غير أخلاقية داخل المدينة.

- عرفت وهران في فترة من تاريخها الزباني نوع من الحرية والإستقلالية عن طريق معارضتها للسلطة المركزية في تلمسان وإنشقاقها المؤقت عن الدولة لإنفراد أحد الأمراء الزبانيين بها، ولكن ذلك لم يدم طويلاً فلأهميتها الإقتصادية والإستراتيجية أعيد دمجها في إطار الدولة الزبانية، فهي تعتبر صمام أمان للدولة خاصة من الجانب الإستراتيجي الأمني والمالي.

- وهران الهوارية هو توصيف مناسب يتماشى مع ملامح الحياة في وهران في النصف الأول من ق9ه/16م، وذلك للتأثير الكبير الذي حظي به الشيخ المتصوف الهواري على يوميات ساكنة وهران وعلى السلطة داخل المدينة، فوهران لبست ثوب التصوف والزهد في عهده. وقد كان لشيخها الآخر إبراهيم التازي دور في تمدنها وتحضرها في فترة حياته التي كانت مليئة بالإنجازات العلمية والعمرانية لتصبح وهران في عهده من المدن الساحلية المفضلة للإستقرار والإقامة من طرف العلماء وغيرهم.

- كانت وهران ملجأ وموطن جديد للوافدين الأندلسيين الفارين من الإضطهاد المسيحي واعتبرت منطلق للكثير من الموريسكيين لممارسة الجهاد البحري والإغارة على السواحل الإسبانية، لإنقاذ المسلمين والإنتقام من الإسبان. وقد دفعت وهران والمرسى الكبير الثمن بتعرضها للحملات العسكرية الإسبانية انتهت بإحتلالها.

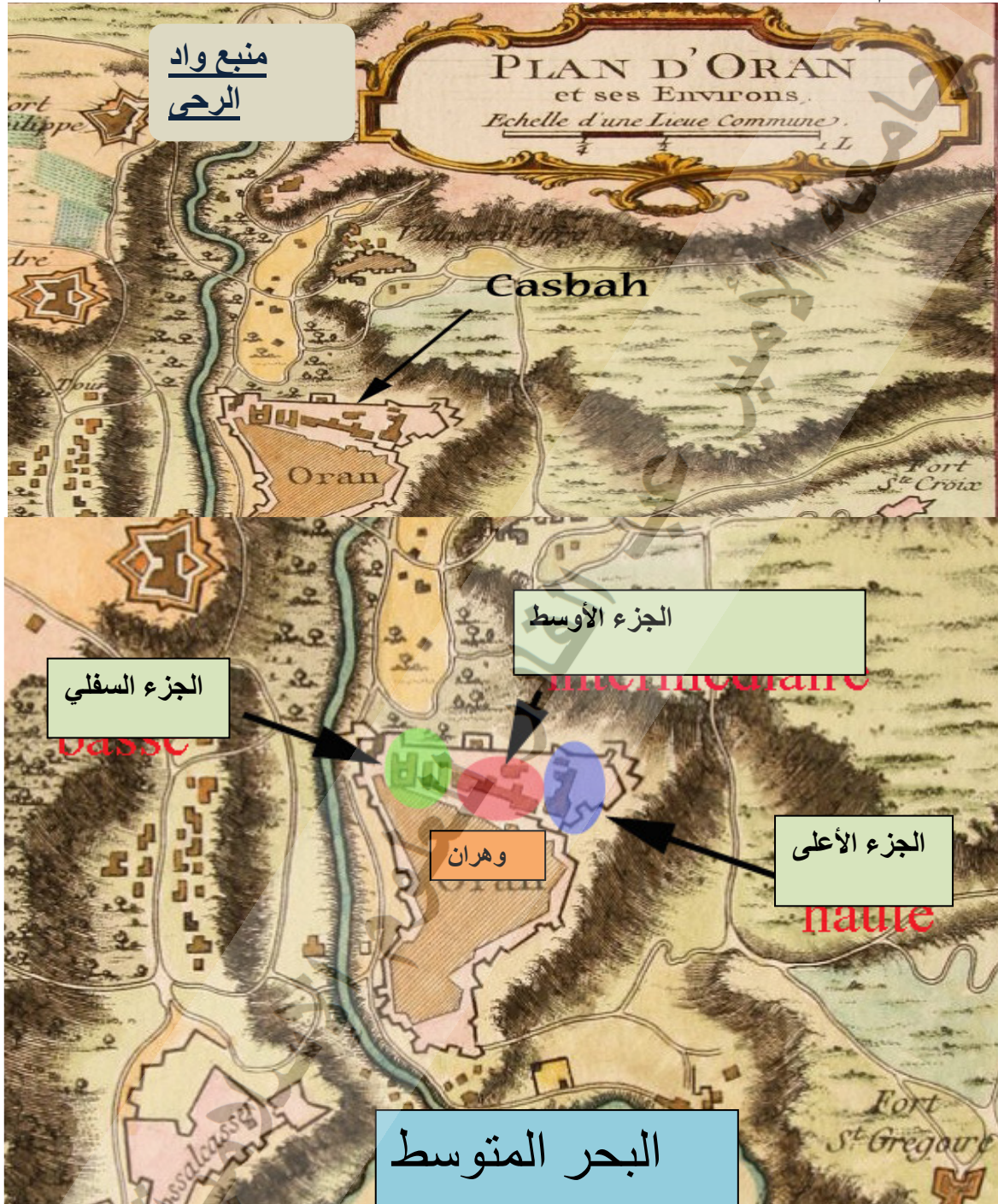
- طبيعة الحياة المدنية، والحضرية في وهران عبرت عن إنفتاح المدينة على مختلف الديانات والأعراق فأهلها يتسمون بتقبل الآخر، والتعايش، وتبادل المصالح مع مختلف الأجناس. فهي مدينة تحمل عمق قبائل الغرب الإسلامي وملامح جنوب أوروبا، فموروثها الثقافي هو نتاج تلاقح وامتزاج حضاري وإنساني عميق.

- يعتبر تاريخ وهران في العصر الوسيط وخاصة المتأخر منه نموذج مصغر، ومفصل لفهم التغيرات في موازين القوى المسيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط بصعود القوى الأوروبية وإنعكاس ذلك على المجالات الإقتصادية والاجتماعية على المنطقة المتوسطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الملاحق

## ملحق رقم 01:



مخطط مدينة وهران وضواحيها لسنة 1764م، يظهر منبع واد الرحي في موضع رأس العيون، ومصبه في البحر المتوسط كما تبرز قصبة وهران الزيانية قرب باب تلمسان من الجهة الجنوبية الغربية للمدينة ومدينة وهران تأخذ شكل يشبه المثلث قاعدته على طول واد الرحي وقمته باتجاه الجبل.



واجهة الجبل الذي أقيمت عليه نواة مدينة وهران في سفح  
"جبل مرجاجو"، والصورة تظهر مناعته وصعوبة ارتقائه مما  
شكل مناعة لها وحصانة للمدينة من جهتها الشمالية الغربية  
والجهة الغربية.



نموذج شارع من المدينة القديمة في وهران ( سيدي الهواري) ويظهر  
الانحدار لوقوع جزء منها على جبل مرجاجو



منظر للكنيسة والتي كانت إحدى المسجدين الجامعين في مدينة وهران  
الزبانية، وقد حولت إلى كنيسة بعد الاحتلال الإسباني للمدينة سنة (915هـ  
/ 1509م).





# المختصر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن

المكان	الصفحات
أراغون	ص 62، 63، 66، 73، 74، 85، 152، 154، 178، 181، 185، 197، 233، 234.
أرزاو، أرزيو	ص 22، 146، 155، 203.
اسكوبرش	ص 41، 158.
اسبانيا	ص 99، 110، 115، 192.
أرشكول	ص 53.
أزمور	ص 113.
آسفي	ص 113، 183.
افريقية	ص، 174
إفكان	ص 36، 37.
أفلندة	ص 176.
الإسكندرية	ص 88، 174، 175، 190، 192، 203.
الأندلس	ص 27، 29، 30، 32، 34، 38، 39، 45، 90، 96، 125، 115، 128، 151، 133، 155، 160، 163، 221.
البرتغال	ص 178.
البطحاء	ص 49، 83، 203.
البندقية	ص 116، 127، 176، 192.
الجزائر	ص 21، 80، 81، 87، 109، 127، 128، 169، 176، 182، 183، 184، 186، 190، 191، 236، 241.
السبخة الكبرى	ص 20
ألكانتي	ص 108، 115.
ألكوديا	ص 181.
الشلف	ص 33.
ألشي	ص 108، 115.

القل	ص 183، 185، 186.
القيروان	ص 167.
المرية	ص 151، 157، 158.
الزاب	ص 33.
السوس الأقصى	ص 29.
الكدية	ص 182، 183.
المرسى الكبير	ص 21، 34، 41، 112، 114، 116، 117، 119، 120، 148، 149، 153، 154.
المغرب الأقصى	ص 37، 46، 54، 55.
المنكب	ص 203.
الونشريس	ص 51، 80، 218.
أودغيست	ص 168.
أوليل	ص 168.
إبيزا	ص 182.
بجانة	ص 41.
بجاية	ص 75، 78، 88، 89، 96، 109، 129، 148، 171، 173، 174، 175، 176، 182، 183، 185، 186، 188، 190، 191، 192، 204، 224.
برشك	ص 182، 183، 185، 186.
بسكرة	ص 245.
بسطة	ص 203.
برشلونة	ص 181.
بلاد الجريد	ص 77.
بلنسية	ص 85، 125، 180، 181، 184، 187، 189، 188، 190.
بونة	ص 116، 182، 183، 185، 186، 236.
بيزا	ص 46.

ص 55، 168، 219.	تازا
ص 76، 84، 220.	تاسالت (تسالة)
ص 30، 31، 32، 37، 53، 54.	تاهرت
ص 78.	تدلس
ص 167.	تغازى
ص 28، 33، 46، 65، 120، 158، 182، 183، 184، 185، 191.	تنس
ص 147.	تمسامان
ص 41، 46، 47، 50، 51، 54، 56، 57، 58، 60، 61، 64، 65، 70، 71، 72، 74، 77، 78، 80، 81، 84، 83، 86، 87، 88، 90، 99، 101، 102، 120، 125، 144، 165، 161، 177، 185، 190، 191، 192، 197، 199، 202، 204، 225، 227، 228، 230، 234، 236، 241.	تلمسان
ص 77، 167.	توزر
ص 72، 96، 102، 158، 166، 173، 174، 175، 181، 182، 183، 185، 186، 191، 192، 203، 204، 236.	تونس
ص 169.	توات
ص 170.	تومبكتو
ص 45.	تينمل
ص 87.	جبل تيطري
ص 134.	جبل أغبال
ص 20، 21، 22، 27، 71، 124، 125، 134، 139، 250.	جبل مرجاجو) جبل هيدور)
ص 203.	جدة
ص 186.	جزر يابسة
ص 116، 174، 180، 192.	جنوة
ص 182، 183، 236.	جيحل

حزرزة	ص 216، 219.
درعة	ص 167
دلس	ص 182، 183، 184.
رأس الإبرة	ص 20.
رأس فالكون	ص 20.
سبنة	ص 22، 34، 112، 158، 174، 175، 190، 191، 192، 204، 205.
سجلماسة	ص 62، 63، 75، 167، 168، 169، 170، 171.
سردانية	ص 85.
شرشال	ص 185، 186.
طرابلس	ص 77، 130، 174، 183، 203.
غاناوكاو	ص 168.
غرناطة	ص 103، 104، 127.
فاس	ص 89، 167، 168، 185، 241.
فلورنسا	ص 177، 178.
قرطاجنة	ص 114.
قرطبة	ص 38.
قرية تانيت	ص 47.
قسطيلة	ص 128، 200.
قسنطينة	ص 90، 174.
قشتالة	ص 104، 105، 121، 152، 178.
قطلوننة	ص 181، 196، 227، 233.
قورسكة	ص 85.
كاناستيل	ص 22.
كرسيف	ص 160.
كرشتل	ص 22، 124، 127.

ليون	ص 97، 104.
مازونة	ص 224.
ماسة	ص 113.
مالقة	ص 108، 185.
مديونة	ص 219.
مرتفعات بوصفر	ص 20، 22.
مرسى موسى	ص 34.
مرسية	ص 118،
مرسليا	ص 174، 175، 190، 191، 192.
مزگران	ص 99، 127، 231.
مستغانم	ص 99، 129، 182، 183، 184، 185، 188، 231.
مسرخين	ص 119.
مسينا	ص 175، 192.
مشانة	ص 156.
مصر	ص 180.
مكناسة	ص 32.
ملوية (واد)	ص 49، 54، 133، 134، 135، 138، 139، 140، 141، 143، 144.
مليانة	ص 22، 88.
منورقة	ص 110، 196.
ميورقة	ص 85، 110، 118، 179، 182، 184، 187، 227.
ندرومة	ص 76، 78، 82.
نفضة	ص 77، 176، 158، 180.
نهر شلف	ص 51.
هضبة بئر الجير	ص 20، 22.
هضبة مولاي	ص 20.



# المصادر والمراجع

جامعة الأمير  
علي بن  
القادر  
للعلوم  
الإسلامية



## قائمة المصادر والمراجع

### • القرآن الكريم.

#### -المخطوطات:

• التوجيني. عبد الرحمان:

عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس، المخطوط رقم 3323. عدد الأوراق 155، المكتبة الوطنية الجزائرية "الحامة" مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة.

• الجامعي الفاسي. أبو زيد عبد الرحمان :

فتح وهران، رقم المخطوط 2521. عدد الأوراق 60، المقياس 175x220، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

الراشدي. أحمد بن يوسف:

بستان الأزهار في مناقب الأخيار ومعدن الأنوار، رقم المخطوط 1707. عدد الأوراق 114 المقياس 213x305. المكتبة الوطنية الجزائرية ( مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة ).

• الزياني. محمد بن يوسف:

دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران، الناسخ البشير بن قدور محمودي، تاريخ النسخ 1380هـ/1961م، رقم المخطوطات 3324 المكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، دائرة الحفظ والمخطوطات عدد الأوراق 124.

• الناصر. محمد أبو راس ت 1823/1238:

شرح الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، الناسخ، الحرشاي، تاريخ النسخ 14 أوت 1886، رقم المخطوط 3182، المكتبة الوطنية الجزائرية -الحامة-، دائرة الحفظ والمخطوطات عدد الأوراق 132 ورقة.

#### - المصادر المطبوعة:

1. ابن أبي بكر الزهري. أبو عبد الله. ت في أواسط ف 12/6:

كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق الناشر، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد

مصر.

2. ابن أبي زرع. علي الفاسي (ت 726هـ/1326م):

- . الأنييس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ؛ دار المنصور للطباعة والورقة - الرباط - سنة 1973.
- الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والورقة (الرباط).
3. ابن الآبار. محمد بن عبد الله القضاعي ت 658هـ/1259م:
- التكملة لكتاب الصلة (القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قدارة زيدان في مجريط سنة 1886.1889)، عني بطبعه وتعليق حواشيه، الشيخان الفريد بال، وابن أبي شنب طبع بالمطبعة الشرقية للأخوين فونتانا.
4. ابن الأثير. عز الدين أبي الحسن بن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت 630/1232):
- الكامل في التاريخ، اعتنى به محمد العرب، المكتبة العصرية (صيدا)
5. ابن الأحمر. اسماعيل ت 807/1404:
- روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط 3. المطبعة الملكية (الرباط)، سنة 1423هـ/2003م.
6. ابن الحاج النميري (حي 768هـ/1367م):
- فيض العباب وافاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب " دراسة واعداد محمد بن شقرون دار الغرب الاسلامي. ط 1. سنة 1990. بيروت (لبنان)
7. ابن الخطيب. لسان الدين الغرناطي ت 776/1374:
- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي، واحمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع، دار الكتاب (الدار البيضاء) سنة 1964م.
8. ابن الأزرقي، أبو عبد الله محمد الغرناطي الوادي آشي (ت 896/1490):
- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق، علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ج 01. سنة 1429هـ/2008م.
9. ابن البيطار، أبي محمد عبد الله بن أحمد المالقي:
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط 01. دار الكتب العلمية، بيروت، ج 03. السنة 1412هـ/1992.

10. ابن الشماخ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 833هـ / 1429م)  
الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، سنة 1984
11. ابن الصباح. عبد الله، القرن 14/8:  
أنساب الأخبار، وتذكرة الأخيار، هذبها وأصلح خللها وعلق حواشيها، محمد بن شريفة، دار أبي فراق للطباعة والنشر، الرباط، سنة 2008.
12. ابن القاضي، أحمد بن محمد بن أبي العافية (ت 1615/1025):  
درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، المكتبة العتيقة تونس.
13. ابن القاسم الأنصاري السبتي، محمد (حي 1441/825):  
إختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ط. 02. الرباط، سنة 1403هـ / 1983م
14. ابن القطان المراكشي. أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي. عاش منتصف ق 13/7:  
نظم الجمان (لترتيب ما سلف من أخبار الزمان)، درسه وقدم له وحققه، محمود علي المكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1990.
15. ابن الوردي، سراج الدين (ت 861هـ / 1457م):  
خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق وتعليق وتقديم، أنور محمود زناقي.
16. ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك ت 1182/578:  
كتاب الصلة (في تاريخ علماء الأندلس)، اعتنى به ووضع فهرسه صلاح الدين الهواري المجلد الأول، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، سنة 1423هـ 2003م.
17. ابن حوقل. أبو القاسم النصيبي ت 977/367:  
صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان). 1992.
18. ابن خلدون. أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي ت 1378/780:  
بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور عبد الحميد حاجيات،

- ج 1، المكتبة الوطنية، الجزائر، سنة 1400هـ/1980م.
19. ابن خلدون. أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي ت 1406/808:
- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ ز الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية)، بيروت، سنة 1413هـ/1992م.
20. المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، سنة 2005/1426.
- ابن خلكان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت 1379/781:
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، المجلد الرابع، دار صادر (بيروت).
21. ابن رزين التجيبي ( ت 692هـ/1292م):
- فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، رقم الناشر مركز القائمة باصفهان
22. ابن سباهي. محمد بن البروسوي ( ت 997هـ/1589م):
- أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرواحية، ط01. دار الغرب الإسلامي، سنة 1427هـ/2006م.
23. ابن سعود الخزاعي. علي بن محمد (:):
- كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية، تح إحسان عباس، ط01. دار الغرب الإسلامي بيروت، سنة 1405هـ/1985م.
24. ابن سعيد المغربي. علي بن موسى ت 1286/685:
- المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه، شوقي ضيف ج 2. دار المعارف، مصر.
25. بابن صاحب الصلاة (ت 594 / 1198م):
- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ؛ المستخرجة من أكسفورد ؛ عبد الهادي التازي السفر الثاني دار الأندلس، للطباعة والنشر (1313هـ - 1964م).
26. ابن سعد. محمد بن سعيد الأندلسي التلمساني ( ت 1495/901 ) :
- روضة النسرین في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرین، تحقيق يحيى بوعزيز، المؤسسة الوطنية

- للإشهار، الجزائر، سنة 2004.
27. ابن عبد الله الغبريني. ابو العباس أحمد بن أحمد (ت714 / 1314):  
عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الطبعة الثعالبية، مكتبة الجزائر  
المحمية، سنة 1910/1328.
28. ابن عذاري المراكشي. ق 14/8 المتوفي بعد 712هـ/1312م:  
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، دار الثقافة.
29. ابن عميرة الضبي. أبو جعفر أحمد بن يحيى الحميدي. ت 1203/599:  
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي)، قدم له  
وضبطه وشرحه ووضع فهرسه صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صدا- بيروت، سنة  
(1426هـ - 2005م).
30. ابن عميرة المخزومي، أبو المطرف أحمد (ت 658هـ/1259م):  
تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق، محمد بن عمر ط 01. دار الكتب لعلمية، بيروت (لبنان)  
سنة 1428هـ / 2007.
31. ابن فضل الله العمري. شهاب الدين احمد بن يحيى ت 1348/ 749:  
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، يصدره فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين  
جوخوشا، ايكاردنو بياور، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ألمانيا  
الاتحادية، سنة (1408هـ / 1988م).
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيق، كامل سلمان الحيواري ط 01. دار  
الكتب العلمية، بيروت، ج 04. سنة 2010
32. ابن قنفذ. أبو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني. ت 1418/ 821:  
الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق، محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد تركي الدار  
التونسية للنشر، سنة 1968.
33. ابن محرز الوهراني. ركن الدين محمد (من أهل القرن 12/6):  
منامات الوهراني، ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، ط 01. منشورات الجمل  
كولونيا، ألمانيا. سنة 1998.

34. ابن مرزوق. أبو عبد الله محمد التلمساني. ت 1379/781:
- المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429هـ/2008.
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1401هـ / 1981م.
35. ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب التلمساني ق 17/11:
- البيستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
36. ابن ممتي أسعد الوزير الأيوبي ت 606هـ/1209م:
- كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوربال عطية، ط 01. طبع على نفقة الجمعية الزراعية الملكية بإشارة حضرة سمو الأمير عمر طوسون، الناشر مكتبة مدبولي (القاهرة). سنة 1411هـ/1991م
37. ابن موسى الأندلسي. أبو الحسن علي ت 685/1286:
- الغصون الياض في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم البياري، ط 2. دار المعارف بمصر.
38. ابن يوسف الحكيم، أبو الحسن علي ( من أهل ق 8هـ/14م):
- الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة، تح حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج 06. العدد 01 - 02 مدريد، السنة 1378هـ /1958م
39. أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر. ت 1331/732:
- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
40. أبو بكر، ابن العربي المعافري ( ت 1149/543):
- المسالك في شرح موطأ مالك، علق عليه محمد بن الحسين السليماني، عائشة بنت الحسين السليماني، دار الغرب الاسلامي، بيروت.
41. أبو حامد الأندلسي الغرناطي ( ت 565هـ/1170):
- تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق، إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب.

42. أبو حمو موسى الثاني الزياني (ت 791هـ / 1389م):  
 واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود بوترة، ط01، دار الشيماء، الجزائر، سنة 2002.
43. الادريسي، أبو عبد الله الشريف. ت 1164/560:  
 نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق اسماعيل العربي، نشر الجزء الخاص بالقارة الافريقية وجزيرة الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1983.
44. الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت 957/346):  
 المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحيني، مراجعة، محمد سفيق غربال.  
 البادسي، عبد الحق بن اسماعيل بن أحمد الخزري البادسي (حي سنة 1322/722):  
 المقصد الشريف والمنزح اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد اعراب ط2،  
 المطبعة الملكية، الرباط، سنة 1414هـ/1993م.
45. البكري، أبو عبيد (ت سنة 1094/487):  
 المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك يطلب من  
 مكتبة المثنى ببغداد.
46. التنبكي احمد بابا (ت 1626/1036):  
 كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدياج، دراسة وتحقيق ؛ الأستاذ محمد مصلح ج1 فضالة،  
 المحمدية (المغرب)، سنة 1421هـ.
47. التنسي. محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التلمساني (ت 1493/899) :  
 نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعباد، الجزائر، المؤسسة الوطنية  
 للكتاب، 1405هـ/1985.
48. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 1344/794):  
 تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
49. الحفناوي، أبو القاسم:  
 تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة (تونس). سنة  
 1402هـ/1982م.

50. الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي ت 1228/626:  
معجم البلدان، المجلد الخامس 05، دار صادر، بيروت. 1397هـ/1977.
51. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (1095/488):  
جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سنة 1966
52. الحميري محمد بن عبد المنعم، محمد بن عبد الله ت 1326 / 726:  
الروض المعطار في خبر الاقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة )، حققه إحسان عباس مكتبة لبنان، طبع على مطابع هيدلبرغ، بيروت 1984.
53. العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد البلنسي. ق 13/7:  
الرحلة المغربية، تحقيق، احمد بن جدو، نشر كلية الآداب، الجزائر.
54. العقباني. ابو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني 1455/860:  
كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر تحقيق علي الشنوفي من Bulletin d'études orientales. العدد 19. 1965، 1966.
55. القلصادي. أبو الحسن علي البسطي ت 1486/891:  
رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد ابو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع تونس، سنة 1978.
56. المازوني (أبو زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني التلمساني ت 1429/883):  
الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق حساني مختار، نشر مخبر المخطوطات جامعة الجزائر سنة 2004م.
57. الماوردي. أبو الحسن بن حبيب (ت 1058/450):  
كتاب درر السلوك في سياسة الملوك، تحقيق ودراسة وتعليق، عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض، سنة 1417هـ/ 1997م
58. المراكشي. عبد الواحد ت 1346/647:  
المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين) ضبطه وصححه وعلق حواشيه وانشأ مقدمته ؛ محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة 1368هـ/1949م.
59. المقدسي. أبو عبد الله محمد بن احمد محمد بن أحمد بن أبي بكر. ت 990/380:



- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 2003/1424.
60. المقرئ. أبو العباس أحمد التلمساني ت 1631/1041:  
نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت 1388هـ/1968.
61. الوزان الفاسي. الحسن بن محمد ت 1554/957:  
وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، ج1، وج02. دار الغرب الإسلامي بيروت (لبنان) سنة 1983م.
62. الونشريسي. أبو العباس أحمد ابن يحيى ت بفاس سنة 1508/914:  
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، ج2. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (1401هـ / 1981م)
63. الوهراني، محمد شقرون بن أحمد بن بوجمعة (ت 1063/969) :  
الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتوزيع والتحقيق، السنة 1412هـ / 192م.
64. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت 897/284):  
البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، ط01. دار الكتب العلمية، بيروت، (لبنان)، سنة 1422هـ/2002م
65. كاربخال، مارمول من رحالة ق10 هـ/16م:  
إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي، محمد زنيبر وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، طبع بمطابع المعارف الجديدة، الرباط، ج02. السنة 1989/1409.
66. سريانتس (ت 1616م) ؛  
دون كيجوته، ترجمة عن الإسبانية، عبد الرحمان البدوي، ط01. دار المدى للثقافة والنشر بيروت ج01. السنة 1998.

67. مؤلف مجهول. بقيد الحياة عام 1192/588  
 الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة، مصر وبلاد المغرب  
 (ق6هـ - 12م) نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد.. وزارة الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
68. مؤلف مجهول، يرجح أنه من القرن 14/8:  
 تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوبايا، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان)، سنة  
 2007. ص 199
69. مؤلف مجهول:  
 جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضي، تح صلاح جرار، مج 02، دار النشر والتوزيع الأردن،  
 سنة 1410 هـ / 1989 م.
70. مؤلف مجهول:  
 نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة، ونزوح الأندلسيين إلى المغرب) ضبطه  
 وعلق عليه، الفريد البساني ط01. الناشر الثقافة الدينية، مكتبة لسان العرب، سنة 1423هـ/  
 2002 م.
71. مؤلف مجهول، من أهل ق8هـ/14م:  
 الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد  
 الحديثة، الدار البيضاء، سنة 1399/1979.
72. مؤلف مجهول، يرجع التأليف لسنة 712هـ/1312م:  
 مفاخر البربر، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوبايا، دار اقرأ للطباعة سنة 2001.
73. وفيات الونشريسي، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، الناشر شركة نوابغ الفكر القاهرة سنة  
 2009.
74. رسائل موحدية تحقيق ودارسة غراوي(أحمد)، مجموعة جديدة، ج1، جامعة ابنو طفيل  
 كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم 02.
75. رحلة ابن خلدون (1352-1401)، عارضها بأصولها وعلق حواشيها بن تاويت  
 محمد الطنجي حررها وقدم لها، نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع - بيروت سنة  
 2003.

76. *Abdel basit b, halil, « deux bécits de voyage inédits en Afrique du nord aux xve siècle, Et Aorne thèse complémentaire pour le Dactoratés-let très, Robert Bru schvig,paris ,lavose editeurs,1936,*

المراجع:

1. ابن التمكروتي:  
النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق، عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية الرباط، سنة 1423هـ/2002م.
2. ابن قرية، صالح وآخرون:  
تاريخ الجزائر الوسيط من خلال المصادر (سلسلة المشاريع الوطنية للبحث)، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م. سنة 2007م.
3. ابن بكار، بلهاشمي:  
كتاب حاشية رياض النزهة على منظومة نسيمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة، وهو كتاب من أربع كتب جمعت ونشرت من طرف بلهاشمي بن بكار طبع بمطبعة ابن خلدون، تلمسان، سنة 1381هـ/1961م
4. أبو راس الناصر، محمد بن أحمد:  
عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق المخطوط من طرف، محمد غانم مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية صدر من منشورات، ORASC.
5. أبو مصطفى، كمال:  
جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - من خلال نوازل الونشريسي - الناشر مؤسسة شباب الجامعة.
6. أحمد. مصطفى بوضيف:  
- القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، 1982م.

- المجتمع العربي الإسلامي، عالم المعرفة، صدرت السلسلة في يناير 1980. بإشراف احمد مشاري العدواني، الكويت، سنة 1990.
7. أرينال، مرثيديس غارثيا:  
شحات أهل الأندلس ( المهاجرون الأندلسيون )، ترجمة محمد فكري عبد السميع،  
مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمان، العدد 1085، ط01. سنة 2006.
8. الجعماطي، عبد السلام:  
دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، ط01. الناشر دار  
الكتب العلمية لبنان، سنة 2012.
9. الجيدي، عمر بن عبد الكريم:  
العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومها لدى علماء المغرب مطبعة فضالة المحمدية  
المغرب.
10. الخزاعي:  
أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الدار العربية  
للموسوعات
11. الدراجي، عدنان خلف سرهيد:  
دراسات أندلسية موريسكية إسبانية، الناشر بيت الحكمة، العراق، السنة 1440  
هـ/2020م
12. الزعفراني، حاييم:  
يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، الناشر مرسوم الرباط.
13. الزياني، أبو القاسم:  
الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، دار نشر المعرفة، الرباط، سنة 1412/1991.
14. السويسي، محمد:  
أنماط العمران البشري بإفريقية وجزيرة المغرب حتى العهد الحفصي مركز النشر الجامعي، سنة  
2001.
15. الشريف، محمد:

- سبته الإسلامية، دراسات في تاريخها الإقتصادي والإجتماعي (عصر الموحدين والمرينيين) منشورات جمعية تطاون - أسمير، سنة 2006.
16. الشقراني الراشدي، أحمد بن عبد الرحمان:  
القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط تح، ناصر الدين سعيدوني ط02. البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 2013م.
17. الطمار، محمد بن عمرو:  
. تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة وحضارة الجزائر)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر).  
. المغرب الاوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 2010.
18. العبودي، جاسم:  
ناظر الاحباس في الاندلس والمغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين حسب المعيار المعرب  
للوشرسي الاندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة،  
القسم الخامس، سنة 1996.
19. العروي، عبد الله:  
محمل تاريخ المغرب، ط3، الناشر المركز الثقافي العربي، سنة 1996.
- خليل إبراهيم الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالاندلس في عري الإمارة  
والخلافة، ط01. دار البشائر الإسلامية، بيروت ( لبنان )، سنة 1425هـ / 2004م
20. القبلي، محمد:  
حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط، مقدمات أولية وقضايا، نشر الفنك سنة 1998.  
الدار البيضاء (المغرب).
21. القبوري العتيبي، فوزي بن عناد:  
التحولات الاجتماعية في قرطبة وأثرها في سقوط الخلافة الأموية ( 422/316هـ -  
1030/928م). ط01. دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، سنة  
1439هـ / 2018م.
22. الكبيسي، خليل إبراهيم:  
دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالاندلس في عري الإمارة والخلافة، ط01.

- دار البشائر الإسلامية، بيروت ( لبنان )، سنة 1425هـ /2004م
23. المزاري، بن عودة:
- طلوع سعد السعود في أخبار وهران ز الجزائر واسبانيا وفرنسا، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2. سنة 1990.
24. المدني، أحمد التوفيق:
- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م. دار البصائر، سنة 2007م.
25. الميللي، محمد مبارك:
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 2. دار الغرب الإسلامي (بيروت).
26. الناصري. محمد أبو راس:
- فتح الاله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته (معنون كذلك بحياة أبي راس الذاتية والعلمية )، حققه وضبطه، وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1990،
27. الناصري، أبو العباس:
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ( الدولة المرينية)، القسم الثاني، دار الكتاب الدار البيضاء ج04. سنة 1997/1418
28. بالباس، ليو بولدو تورس:
- المدن الاسبانية الإسلامية، ترجمة من الاسبانية، اليودورو دي لابنيا، راجعه نادية محمد جمال الدين، عبد الله بن إبراهيم العمير، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض (العربية السعودية )، سنة العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي 300هـ350هـ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر 1427هـ2006م 1423هـ2003م.
29. برنشفيك، روبرا:
- تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م نقله إلى العربية حمادي الساحلي ج1، دار الغرب الإسلامي.
30. بروديل، قرنان:
- المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وايجاز، مروان أبي سمراء، ط01. دار المنتخب العربي

- للدراستات والنشر والتوزيع بيروت (لبنان)، سنة 1413هـ/1993م.
31. بريكة، مسعود:  
النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9هـ/13-15م). ط01. دار ميم للنشر، الجزائر  
السنة 2014
32. بعيزيق، صالح:  
بجاية في العهد الحفصي (دراسة اقتصادية واجتماعية)، منشورات كلية الآداب جامعة تونس،  
سنة 2006.
33. بلغيث، محمد الامين:  
دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، سنة 1426هـ/2006.
34. بنمليح. عبد الاله:  
الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، سنة 2004
35. بنميرة، عمر:  
الثقافة والفقهاء والمجتمع (نماذج من المغرب الوسيط)، الناشر جذور للنشر.
36. بورويبة، رشيد:  
وهراڤ فن وثقافة، وزارة الاعلام
37. بوعزيز، يحيى:  
مدينة وهران عبر التاريخ، ط2. دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع.
38. بونابي. الطاهر:  
التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين /12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة  
والنشر.
39. بيكر، باتريشيا:  
المنسوجات للإسلامية، ترجمة صديق محمد جوهر، ط01. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث،  
سنة 1432هـ/2011م.
40. تركي، عبد المجيد:  
قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي (نصوص ودراسات)، دار الغرب الإسلامي، بيروت

- (لبنان) سنة 1409هـ/1988م.
41. جدالة، إبراهيم:  
دراسات حول تاريخ بعض مدن إفريقية وقبائلها في العصر الوسيط ( دراسات حول مدن تونس والقيروان وقفصة، وبنزرت وحمم الأنف وحول القبائل المنتشرة بإفريقية وعلاقتها بالحوضر وبالسلطة المركزية).
42. حافظي، حسن علوي:  
سجل ماسية وإقليمها في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية. سنة 1418هـ/1997م.
43. حساني، مختار :  
موسوعة تاريخ المدن الجزائرية، (مدن الغرب). الناشر، دار الحكمة، ج04. السنة 2007م.
44. حسن. محمد:  
المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج1. المجلد 2. تونس، سنة 1999
45. حليمي. عبد القادر:  
جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية واقتصادية)، ط01، سنة 1968.
46. دي ايبالنا، ميكيل:  
الموريسكيون في إسبانيا، وفي المنفى، ترجمة جمال عبد الرحمان، العدد 922. ط01. (المشروع القومي للترجمة)، القاهرة، سنة 2005.
47. ذنون طه. عبد الواحد:  
أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس، وصور من التواصل الحضاري مع المشرق ط01، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، سنة 1436هـ/2014م.
48. رابورت، يوسف:  
الزواج والمال والطلاق في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، نقله إلى العربية أحمد العدوي، ط01. مركز تراث للبحوث والدراسات، مصر، السنة 1437هـ / 2015م.
49. زغروت، فتحي:



- الجيش الإسلامي وحركة التغيير (في دولتي المرابطين والموحدين)، المغرب والأندلس، دار التوزيع والنشر الإسلامية  
50. زروق. محمد:  
الأندلسيون وهجرتهم في بلاد المغرب خلال القرنين 16 و17م. ط3. إفريقيا الشرق سنة 1998م.
51. سالم السيد. عبد العزيز:  
المغرب الكبير. 2. العصر الإسلامي (تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة 1981م.
52. سعيدان:  
علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من ق14، دراسة ووثائق (رسائل ومعهادات) وتعليق وتحليل. منشورات سعيدان، سوسة (تونس)، نوفمبر، 2002.
53. سعيدوني. ناصر الدين:  
دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط02. البصائر للنشر والتوزيع (الجزائر).
54. سيزيج. فليب:  
الرموز في الفن الأديان والحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، ط01. الناشر دار دمشق سوريا سنة 1992
55. شعباني، نور الدين:  
محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر
56. عثمان. محمد عبد الستار:  
المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
57. عمار المهاجي. قدور ابراهيم:  
الشيخ ابراهيم التازي الوهراني، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف (1426هـ/2005م).
58. عمارة. علاوة:  
دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

59. عنان، محمد عبدالله:  
دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، العصر الرابع، الناشر  
مكتبة الخانجي القاهرة، مطبعة المدني، سنة 1417هـ/1997م.
60. غوثيه. أ. ف:  
ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني ط02. طبع الكتاب سنة 1970.
61. فاليرين، دومنيك:  
بجاية ميناء مغاربي 1067 / 1510، ترجمة عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة  
العربية ج02. الجزائر.
62. فتحة. محمد:  
النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9 الهجري 15.12  
ميلادي)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء سنة 1999.
63. فيلاي. عبد العزيز:  
. العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،  
الجزائر، سنة
- . تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية اجتماعية، ثقافية)، ج1، موفم  
للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2002، 1982.
- . دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، الجزائر، سنة 2012
64. قشتيلو، محمد :  
حياة الموريكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، ط01. مطابع الشويخ (تطوان)  
سنة 2001م.
65. كاسترو، أميركو:  
إسبانيا في تاريخها (المسيحيون والمسلمون واليهود)، تر علي إبراهيم منوفي، مر حامد أبو  
أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 522. القاهرة، السنة 2003
66. كراز، فوزية:

- دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري (ق 11 - 13م)، دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي للغرب الإسلامي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران.
67. كولان :
- الأندلس، لجنة الترجمة من دائرة المعارف الإسلامية، ابراهيم خورشيد وغيره، دار الكتاب اللبناني، دار الكتب المصري، ط1، سنة 1980.
68. مؤنس، حسين:
- معالم تاريخ المغرب والأندلس، الناشر دار الرشاد، القاهرة.
69. مخلوف محمد بن محمد:
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
70. مقييس. بشير:
- مدينة وهران (دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة 1983.
71. نشاط. مصطفى:
- جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، منشورات الزمن، طبع مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب
72. لوبيز. روبرت:
- ثورة العصور الوسطى التجارية (950-1350م)، ترجمة وتقديم، محمود أحمد أبو صبرة، مراجعة صلاح الدين حسن السوري، منشورات ELGA سنة 1997.
73. لي تورنو. روجي:
- حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، سنة 1982.
74. مبيضين، لمهند:
- الناس والمدنية في العصر العثماني دمشق في القرن 18، مجلة إضافات، العددان 20. 21. السنة 2012. 2013 منشورات الزمن، طبع مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب.
75. مارسيه. جورج:

بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة عن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل، راجعه واستخرج نصوصه مصطفى أبو ضيف احمد توزيع منشأة المعارف الإسلامية.

76. مالتسان. هاينريش فون:

ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة أبو عبد العيد دودو، ج 2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1979.

77. مؤنس. حسين:

معالم تاريخ المغرب والأندلس، الناشر دار الرشاد، القاهرة.

78. مونيوت اي غفيريا، خوسي:

تاريخ ثورة الموريسكيين ( وطردهم من اسبانيا وعواقبه على سائر أقاليم المملكة)، ترجمة عبد العزيز السعود، ط01. منشورات ليتوغراف، طنجة، سنة 2010

79. نوبهض. عادل:

معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ( مؤسسة نوبهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت (لبنان).

80. واتس، شلدون:

الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة الإمبريالية، ترجمة وتقديم أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة عماد الصبحي، العدد 1474. ط01. المركز القومي للترجمة، القاهرة، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، السنة 2010

81. رحلة ج. أو. هابنسرايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس ( 1145هـ / 1732)، تر، تقديم

ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي

82. هوبكنز؛ النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر، أمين توفيق الطيبي، الدار

العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1980.

- مراجع بلغات أجنبية:

*André Vauchez, Bénédicte Sére ; Les Chrétiens D'occident face aux juifs et aux musulmans au moyen age XI- XV siècle centre sévres recherches de science religieuse 2012/2 tome*

Abitbol Michel. *Juifs maghrébins et commerce transsaharien (VIIIe- XVe siècles)*. In: *Revue française d'histoire d'outre-mer*, tome 66, n°242-243, 1er et 2e trimestres 1979

Arezki Chouitem ; *L' Occupation d'Oran par les Espagnols en 1509*, *Revue d'histoire méditerranéenne* , Numéro 02, Juin 2020

Augustin Bernard ; *Oran ,étude de géographe et d'histoire urbaines* *Annales de géographie*, t ,48. N°274. 1939

Henri Léon fey ; *histoire d'Oran (avant ; pendant et après la domination espagnole ; édition dar el- gharb*

*Bulletins la Société archéologique de Sousse*, imprimerie française, Boulevard pichor

Barker ( Hannah) ; *Egyptian and Italian Merchant in the black sea slave trade 1260/1500*

Benhima ( Yassir) ; *Espace Et Société rurale au Maroc Médiéval Stratégies Territoriales et Structures de L'habitar: L'exemple de la région de Safi* ,2003

Benkada (Saddek) ; *Oran , La ville et son urbanisme au XVIIIème siècle , le cas de la plaza mayor*

Eugene Cruck ; *ORAN ET Les Témoins de son passé, récits historiques et anecdotes avec un plan de la ville* , 1956.

Richard L. Lawless. *Revue de L'occident Musulman et de la Méditerranée*. N°20. 1975

Charles Emmanuel Dufourcq ; *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII et XIV siècles: presses universitaires de France. 108: boulevard saint germain: paris*

Javier Albarran ; *Departnento De Historia Antigua , Medieval y Paleografia y Diplomática , Journal of Medieval Worlds Univesidad Avténoma De Madrid* (2019) 1

*IMAGO TEMPORIS Medium Aevum 13* (2019) XIII: Editor Flocel Sabaté Scientific board Stefano Asperti, Martin Aurell, Attila Barány, Dominique Barthélemy, Edicions de la Universitat de Lleida, 2019 Layout: Edicions i Publicacions de la UdL Cover design: cat &cas ISSN , [www.medieval.udl.cat](http://www.medieval.udl.cat)

Ismet Terki Hassiane ; *Oran au XVIII siècle: Désarroi à la clairvoyance politique de l'Espagne* ,*Revue Algérienne d'anthropologie et de sciences sociales* 23-24/2004

*commandant l. demaeght ; géographie comparée de la Maurétanie césarienne correspondant à la province d'Oran.*

Dhina , atallah;; les etats de l'occident musulman aux XIII. XIV siècles ,office des publication,universitaire ,Alger

*ED , Déchaud ; Les ports de l'Oranie ( extrait du bulletin de la société de géographe et d'archéologie de la province d'oran ) , tome xxviii , imprimerie typographique et lithographique. L. fouque place kléber. 1908*

*Las. Incripciones de Oràn y Mazalquivir ; Noticias Historicas sobre ambas plazas. desde la conquista basta su abandono en 1702 par el general C. Ximenez de Sadoval*

*Mohammed Bouchikhi ; Pression Démographique , environnement et développement global de la ville d'Oran , cahiers de la méditerranée ,N °51. tome02. 1995*

*Michel Abitbol ; Juifs D'Afrique du nord et expulsés d'Espagne après 1492 , Revue de l'histoire des religions ,tome 210,N°1,1993*

*Mikel de Epalza ; Costas alicantinas y costas Magrebies el espacio maritimo Musulman segun los textos Arabes , en el volumen 3, de esta revista sharq al Andalus Estudios Arabes 1986*

*Corneille Nicolas Marchand Libraire Demeurant a L'enfeigne ; Description De la mer méditerranee ( Guillaune Dérnard , pilote 1608) du Livre à eferire , Lan M. DC. VII. Amsterdam.*

*Jean Frédéric Schaud ; Les juifs du roi d'Espagne , Oran 1509/1669, Revue d'histoire modarne et contemporane ,tome 47 n°03 juillet septembre 2000*

*Jennifer Vanz, Le Maghreb Médiéval Des Cartes Marines De l'image mentale d'un espace aux enjeux politiques et commerciaux Éditions de la Sorbonne | « Hypothèses » 2016*

*Javier Albarran ; Departamento De Historia Antigua , Medieval y Paleografia y Diplomática , Journal of Medieval Worlds Univesidad Avténoma De Madrid (2019) 1*

*Histoire du Commerce de Marseille , publiée par la chambre de commerce de marseille , sous la direction de gaston rambert, Tome I ( Le moyen age jusqu'en*

1294, Librairie plon ,Paris

Oran et L'Algérie en 1887 , Notices historiques Scientifique et économiques , Tome II ,Association Française pour L'Avancement des Sciences Congres D'Oran1888

Serge Gubert , Maria Dolores Lopez Pèrez ; La Corona de Aragon y el Magreb el siglo XIV (1331 1410) Annales Histoire sciences sociales. 55°années , N 3. 2000

Vincent Lagardere ; Le commerce des céréales entre Al – Andalus et le Maghreb aux XI et XII siècles. L'Occident Musulman et L'Occident Chretien au moyen age ,coordonné par , Mohammad Hamman ,Ière édition 1995. eduteur publication de la faculté des lettres , Rabat

Génes et L'Afrique du Nord vers 1450 , les voyages « PER Coseriam. Anuario de Estudios Medievales , vol,21(1991

Lawless lrichard ; Revue de l'occident Musulman et de la Méditerranèe ,N 20 1975

#### - المجالات:

- المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية المتوسطة، العدد الثاني، شتاء 1436هـ / 2015م.
- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد العاشر، محرم 1430، جانفي، جامعة الأمير عبد القادر
- مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، سنة 1414هـ/1993م. وهران.
- مجلة دعوة الحق المغربية، العدد 370.
- مجلة حوليات التراث، العدد 11. جامعة مستغانم، السنة 2011م
- مجلة عصور الجديدة، مج10. العدد 02. السنة 1441هـ/2020
- مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب.
- مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج02، العدد الأول، يناير 2019
- مجلة الباحث، المطبعة المركزية للجيش، العدد 03. سنة 1985.
- مجلة البحث العلمي، المجلد /العدد ع 42. الناشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد
- الخامس، السنة 1995.
- مجلة مقاربات، المجلد العدد 08. الناشر مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية،

- واستراتيجيات التواصل، سنة 2011م.
- مجلة الثقافة العدد 91. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ورشة أحمد زيانا، الجزائر، سنة 1406هـ.
- مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 04، تاريخ ديسمبر 2009
- مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، نيسان 2016.
- مجلة ذخائر للعلوم الإنسانية، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، العدد الأول، جوان 2017.
- مجلة ليكسوس، العدد الثامن، نوفمبر 2016. ص56.
- مقالات متعددة لمجموعة من الأساتذة، تحت عنوان، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال الملتقى الدولي للتاريخ المنظم يومي 24.23. أبريل في جامعة منتوري سنة 2001.
- أشغال الندوة التاريخية المنظمة من 24 إلى 26 فبراير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء، المغرب.
- أعمال اليوم الدراسي "الذاكرة والهوية" كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بنمسليك، المغرب، السنة 2013.
- دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر 2009
- . *Revue Africaine, N°02, Décembre 1856.*
- الرسائل الجامعية:
- الأسطل، رياض محمود :
- الصراع الإسلامي وأثره في حركة التجارة الدولية (906 - 1143 هـ / 1500 - 1730م)
- رسالة دكتوراه، جامعة السند، باكستان، سنة 1412 هـ / 1991م.
- العربي، لخضر:
- واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني ( 633 هـ / 1235م - 962 هـ / 1554م ) رسالة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، السنة الجامعية 1428 هـ - 2017م / 1439 هـ - 2018م.



- بختاوي، خديجة:  
التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عمالة وهران ( 1870/1939)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية 1432/1433  
2012/2011  
بودواية. مبخوت:  
العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - السنة الجامعية 1426 - 1427 هـ / 2005 - 2006 م  
بأقة. رشيد:  
نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلادي (من السادس إلى التاسع الهجري)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الدراسية 2006.2007.  
بصديقي، عبد الكريم:  
البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين ( 6 - 9 هـ / 12 - 15 م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، السنة الجامعية 1438 - 1439 هـ / 2017 - 2018 م  
حمزة، عبد الصمد:  
أهل الذمة في الدولة الزيانية (633 - 962 هـ / 1235 - 1554 م). دراسة سياسية، إقتصادية ثقافية وهي رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الدراسية 1437 - 1438 هـ / 2016 - 2017 م.  
دحماني، سهام:  
النظام الضريبي للدولة الزيانية ( 633/1236 - 962/1554)، أطروحة دكتوراه جامعة قسنطينة 02. عبد الحميد مهري - السنة الجامعية 2017 - 2018.  
دكاني. نجيب:  
الوجود الاسباني على السواحل الجزائرية ورد الفعل الجزائري خلال القرن السادس عشر كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2001/2002.  
شرقي رزقي:  
التقييس الرسمي ببلاد المغرب الإسلامي ( دراسة أثرية ومقاربات تحليلية لأدواته المتبقية)، أطروحة دكتوراه في آثار المغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، السنة

الجامعية 2006 - 2007م

شرقي وردة:

مدينة وهران خلال العصر الوسيط ( 290هـ/902م - 915هـ/1509م). دراسة منوغرافية، مذكرة ماجستير كلية الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة سنة 1433هـ - 1434هـ/2012 - 2013م

غرادين، مغنية:

نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة ( ق 5هـ - 7هـ/11م-13م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان السنة الجامعية 1436هـ-1437هـ/2015-2016م.

- قواميس وأطالس ومعاجم وموسوعات:

قاموس الجغرافية القديمة تأليف أحمد زكي بك، المطبعة الكبرى الأميرية، ببلاق، مصر المحمية، سنة (1317-1899)

أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، سنة 2010.

المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المثري لقالترهنتس، ط2. ترجمة عن الألمانية كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية.

قاموس ألف وواحد مثل وهران (غرب الجزائر). زهرة لباني وآخرون، دار الأديب.

موسوعة تاريخ الأندلس. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1. سنة 1996/1416.

دوزي. رينهارت، المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل ط01. الدار العربية للموسوعات، بيروت (لبنان)، سنة 1433هـ/2012م.

ف. ويستنفلد *wustenfled* جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة عبد المنعم ماجد، عبد الحسن رمضان، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، سنة 1980.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات
05	مقدمة
20	مدخل
20	1 / . جغرافية وهران و دلالة تسميتها:
20	1/1 موقع وهران
20	1/1/1 الموقع الفلكي .
20	2/1/1 الموقع الجغرافي
22	2/1 طبوغرافية وهران .
23	3/1 الطبونيميا ما بين الأصل التاريخي ودلالته.
23	1/3/1 الروايات التاريخية الخاصة بالتسمية .
24	2/3/1 التركيب اللغوية ودلالاتها
25	2. الخلفية التاريخية لوهران قبل إلحاقها بالدولة العبد وادية.
25	1/2 وهران من ق 3هـ/9م الى ق 5هـ/11م
26	1/1/2 تأسيس المدينة.
30	2/1/2 وهران من ق 3هـ/9م إلى ق 4هـ/10م.
37	3/1/2 نفوذ صنهاجي على وهران ثم عودة زناتة.
40	2/2 وهران خلال القرنين 5 و6هـ/11 و12م
41	1/2/2 وهران في العهد المرابطي .
43	2/2/2 وهران والأطماع الموحدية.
44	3/2/2 مصرع تاشفين المرابطي .
46	4/2/2 وهران في العهد الموحدى .
الفصل الأول :	
الحياة السياسية لوهران الزيرية	

49	المبحث الأول: 1 / . نشأة الدولة العبد الوادية وإشكالية البعد عن الساحل.
49	1/1 . مجالات بنو عبد الواد وأوضاعهم قبل تأسيس الدولة
49	1/1/1 . المجال الجغرافي وأهميته .
61	1/1/2 . أوضاعهم قبل قيام الدولة.
55	2/1 . الدولة العبد الوادية وإشكالية النشأة والتنظير.
56	1/2/1 . ظروف النشأة.
59	1/2/2 . شخصية يغمراسن ودورها في نشأة الدولة والتنظير لها .
59	1/2/2/1 . يغمراسن وإشكالية تأسيس الملك أو الدولة.
62	1/2/2/2 . تنظيره للدولة العبد الوادية.
64	1/2/3 . علاقة بنو عبد الواد بالساحل.
66	1/2/4 . عوامل اختيار تلمسان عاصمة للدولة.
67	المبحث الثاني: 2 / . وهران الزبانية ومحنة القرن 7هـ/13م .
69	2/1 . صورة وهران في مصادر ق 7هـ/13م.
69	2/2 . الاضطرابات التي مرت بها وهران في هذا القرن.
72	2/3 . تطابق الصورة مع الواقع .
73	2/4 . إشكالية ممثل السلطة في وهران .
74	المبحث الثالث: 3 / . وهران ما بين الزبانيين والمرينيين في القرن 8هـ/14م.
74	3/1 . الفترة الزبانية.
75	3/2 . الحكم المريني وتزايد أهمية وهران.
75	3/2/1 . وهران في عهد أبي الحسن المريني ودوره في تحصينها.
77	3/3 . استرجاع بنو عبد الواد لوهران.
81	3/4 . السيطرة المرينية من جديد.
81	3/5 . عودة الدولة العبد الوادية واسترجاع وهران.
85	3/5/1 . أهمية وهران في عهد أبي حمو الثاني.

87	2/5/ 3 . دعم أهل وهران لأبي حمو الثاني.
90	المبحث الرابع: 4 / . وهران الزبانية في ق 9هـ/14م: (ما بين التدخلات الحفصية وتجربة الانفصال)
90	1/ 4 . الأطماع الحفصية على الدولة العبد الوادية.
91	2/ 4 . تجربة الانفصال وإشكالية السلطة في المدينة .
96	3/ 4 . عودة وهران لسلطة تلمسان .
97	4/ 4 . الوظائف الحضرية في وهران.
97	1/4/ 4 . المشرف
98	2/4/4 . المشارف
99	3/4/ 4 . خطيب الجامع.
100	4/4/ 4 . العدول .
100	5/4/4 إشكالية ممثل السلطة الزبانية في وهران
104	المبحث الخامس: 5 / وهران في القرن 10هـ/16م .
104	1/ 5 . موقف وهران من محنة الأندلس .
104	1/1/ 5 . القرصنة والجهاد البحري.
104	1/1/1/ 5 . القرصنة مفهومها ،وبداياتها في وهران.
106	2/1/1/ 5 . الجهاد البحري بين المقاربة الدلالية والواقع.
110	2/1/ 5 . فتاوى التقية والدور البارز لمفتي وهران .
112	3/1/ 5 وهران والأطماع البرتغالية.
114	2/ 5 . الإحتلال الإسباني للمرسى الكبير ،ووهران .
114	1/2/ 5 . أسباب إحتلال وهران والمرسى الكبير.
114	1/1/2/ 5 . الأسباب الدينية.
115	2/1/2/ 5 . الأسباب الإستراتيجية والأمنية .
116	3/1/2/ 5 . الأسباب الإقتصادية
117	2/2/ 5 . إحتلال المرسى الكبير.

119	3/2/ 5 . معركة مسرغين ،وانعكاساتها .
120	4/2/ 5 . الأوضاع العامة قبل احتلال وهران.
121	5/2/ 5 . الاحتلال الإسباني لوهران.
122	3/ 5 . وهران الإسبانية.
125	1/3/ 5 . وهران معبر لتهجير الموريسكيين ،وفضاء لتبادل الأسرى.
126	2/3/ 5 . تأثير سقوط وهران على الدولة الزيانية .
127	3/3/ 5 . وهران والأترك .
130	4/3/ 5 . التوسع الإسباني على المدن الساحلية.
<p>الفصل الثاني:</p> <p>الحياة الإقتصادية في وهران</p>	
133	المبحث الأول: 1 / الفلاحة .
133	1/ 1 توفر ظروف الانتاج الفلاحي .
133	1/1/ 1 استخدام الأرض .
133	1/1/1/1 الأرض السهلية .
135	2/1/1/ 1 الأرض الجبلية .
138	2/1/ 1 الشبكة الهيدروغرافية .
138	1/ 2/ 1/ 1 واد الرحي وأهميته .
139	1/1/2/1/ 1 واد الرحي .
139	2/1/2/1/ 1 أهميته .
140	2/2/1/ 1 تراجع مياهه وانعكاسات ذلك على النشاط الفلاحي والصناعي .
140	2/ 1 تربية الحيوانات والصيد البحري .
143	المبحث الثاني : 2 /الصناعة و المهن .
143	1/ 2الصناعات والحرف في وهران بين الإمكانيات المتاحة والواقع .
143	1/1/ 2الصناعات الغذائية .
143	2/1/ 2 الصناعات الخاصة بالصوف والجلود .

144	2 / 1 / 3 الصناعة النسيجية .
147	2 / 1 / 4 الصناعات والمهن المرتبطة بالساحل.
147	2 / 1 / 4 بناء السفن.
148	2 / 1 / 4 الحمالون.
148	2 / 1 / 2 / 4 النوع الأول .
148	2 / 1 / 2 / 4 النوع الثاني.
150	2 / 1 / 3 الصيادون.
150	2 / 1 / 6 مهن وصناعات أخرى في وهران.
151	المبحث الثالث: 3 / التجارة .
151	3 / 1 الأهمية التجارية لوهران ما بين الخلفية التاريخية والمؤهلات الجغرافية.
151	3 / 1 / 1 الخلفية التجارية لوهران قبل الزيانيين.
152	3 / 1 / 2 المؤهلات الجغرافية لمراسي وهران (مراسي وهران وموقعها على شبكة المسالك والطرق البحرية) .
153	3 / 1 / 2 / 1 مراسي وهران .
153	3 / 1 / 2 / 1 / 1 المرسى الكبير و أهميته.
154	3 / 1 / 2 / 1 / 2 مرسى مدينة وهران .
155	3 / 1 / 2 / 1 / 3 مرسى أرزوا - أرزيو .
155	3 / 1 / 2 / 2 / 1 موقع وهران على مسالك التجارة البحرية .
155	3 / 1 / 2 / 2 / 1 من وهران إلى الأندلس .
156	3 / 1 / 2 / 2 / 1 / 1 النوع الأول (هو الخط المباشر).
156	3 / 1 / 2 / 2 / 1 / 2 النوع الثاني ( عن طريق المساحلة).
157	3 / 1 / 2 / 2 / 2 جدول لقياس المسافات بين سواحل وهران و مختلف المدن الساحلية المتصلة معها بمسالك بحرية.
159	3 / 1 / 2 / 2 / 3 خرائط توضيحية لوهران والمرافئ التي تربطها طرق بحرية معها.
160	3 / 2 / الملامح الأساسية لتجارة وهران في الفترة الزبانية .

160	3 / 2/1 الفترة الأولى .
160	3 / 2/2 الفترة الثانية .
162	3 / 3 صادرات وهران ما بين المنتجات المحلية وتجارة الوساطة.
162	3 / 3/1 الصادرات الفلاحية والحرفية .
162	3 / 3/1/1 الصادرات الفلاحية .
162	3 / 3/1/1/1 الحبوب.
163	3 / 3/1/1/1/1 القمح .
164	3 / 3/1/1/2 الأصواف والماشية.
165	3 / 3/1/1/3 تصدير الأصباغ.
165	3 / 3/2 الصادرات الحرفية .
165	3 / 3/2/1 المنسوجات الصوفية.
167	3 / 4 دور وهران في تجارة الوساطة.
167	3 / 4/1 مسلك ترانزيت.
171	3 / 4/2 ذهب السودان ما بين الجودة والطلب.
172	3 / 4/3 العبيد السود.
172	3 / 4/4 منتجات أخرى.
172	3 / 5 وهران محطة في التجارة المتوسطة .
172	3 / 5/1 التجارة مع الإمارات الإيطالية .
172	3 / 5/1/1 مع بيزا وجنوة .
176	3 / 5/1/2 مع البندقية .
177	3 / 5/1/3 مع فلورنسا .
177	3 / 5/2 التجارة مع أراغون.
179	3 / 5/2/1 مملكة أراغون ما بين التهديد العسكري والمصالح التجارية.
178	3 / 5/2/2 تجارة العبيد بين الأراغونيين والزيانيين
181	3 / 5/2/3 حركية وحجم التجارة الكتالونية الأراغونية عبر وهران.



190	3/ 5/ 3 التجارة مع مرسليليا.
192	6/ 3 واردات وهران ما بين السلع المشابهة وأخرى مختلفة .
192	1/6/ 3 السلع الواردة من المدن الأندلسية.
192	1/1/6/ 3 المنتوجات الغذائية .
192	1/1/1/6/ 3 زيت الزيتون والتين.
193	2/6/ 3 واردات وهران من المدن المسيحية.
194	1/2/6/ 3 سلع وبضائع تستورد لوجود الجاليات الاجنبية.
193	2/2/6/ 3 تجارة الخمر في وهران .
195	3/2/6/ 3 من المستفيد من تجارة وهران ؟
197	3/6/ 3 حجم تجارة وهران المتوسطة.
198	7/ 3 التنظيمات والمنشآت التجارية .
198	1/7/ 3 التنظيمات التجارية.
198	1/1/7/ 3 المشرف.
199	2/1/7/ 3 المحتسب.
199	3/1/7/ 3 أمير الباب.
200	2/7/ 3 المنشآت الإقتصادية.
200	1/2/7/ 3 الأسواق.
204	2/2/7/ 3 الفنادق.
206	3/2/7/ 3 الديوانة الجمركية.
207	8/ 3 بعض المشاكل التي طرحت.
207	1/8/ 3 مغارم الأبواب.
208	2/8/ 3 المكاييل والموازين والمقاييس في المغرب الأوسط.
210	3/8/ 3 الغش في المكاييل.
<p>الفصل الثالث :</p> <p>الحياة الاجتماعية .</p>	

213	المبحث الأول 1 / التركيبة السكانية لوهرا. .
213	1/ 1 المجتمع الوهراي ( بين الدلالة العرقية والانتماء الحضري. .
213	2/ 1 إشكالية التركيبة السكانية للمدينة وكونها عاكسة لظهيرها القبلي). .
214	1/ 2/ 1 قبل الفترة الزبانية. .
214	1/ 2/ 2 أثناء الفترة الزبانية. .
214	1/ 2/ 2/ 1 القبائل الزبانية منتجعين ام حضريين. .
215	1/ 2/ 2/ 2 علاقة الظهير بتعمير مدينة وهران. .
220	1/ 2/ 2/ 3 القبائل العربية . .
221	1/ 3/ 1 بوابة البحر منفذ بشري نشيط لتعمير وهران. .
221	1/ 3/ 1 تحليل الهجرة الأندلسية . .
222	1/ 1/ 3/ 1 الهجرة الأندلسية في الفترة الأولى (من ق 7هـ/ 13م إلى ق 9هـ/ 15م). .
224	1/ 1/ 3/ 2 الهجرات الأندلسية الموريسكية في الفترة الثانية. .
226	1/ 4/ 1 أهل الذمة . .
225	1/ 4/ 1 اليهود. .
227	1/ 1/ 4/ 1 الهجرة الأولى لليهود سنة 794هـ/ 1391م. .
228	1/ 1/ 4/ 2 الهجرة الثانية بعد 898هـ/ 1492م. .
231	1/ 1/ 4/ 3 شخصيات يهودية بارزة في وهران. .
232	1/ 4/ 2 المسيحيون . .
232	1/ 2/ 4/ 1 التجار . .
232	1/ 1/ 2/ 4/ 1 الجنويون. .
233	1/ 1/ 2/ 4/ 2 البنادقة . .
233	1/ 1/ 2/ 4/ 3 القطلونيون. .
233	1/ 2/ 4/ 2 الأسرى. .
235	المبحث الثاني : 2 / تعداد السكان .
237	المبحث الثالث : 3 / التراتب الاجتماعي والمستوى المعيشي

237	1/ 3 التراتب الاجتماعي .
238	1/1/ 3 الخاصة .
239	2/1/ 3 العامة.
240	2/ 3 المستوى المعيشي .
240	1/2/ 3 المستوى الأول.
241	2/2/ 3 المستوى الثاني .
244	المبحث الرابع : 4 /مواصفات الوهرايون بين الصفات الحميدة والانحرافات الاجتماعية.
244	1/ 4 أهل وهران والصفات الحميدة .
244	1/1/ 4 الشعور بالإنتماء للهوية الحضارية لوهران .
246	2/1/ 4 إكرام الغرباء والضعفاء.
248	المبحث الخامس : 5 /المرأة الوهرانية.
248	1/ 5 حضور المرأة الوهرانية في الكتابات التاريخية .
250	2/ 5 هموم المرأة الوهرانية.
254	المبحث السادس: 6 / العادات والتقاليد.
254	1/ 6 العادات التي أوجدتها الزاويتين الحوارية والتأزفة.
254	1/1/ 6 إحياء ليلة المولد النبوي الشريف.
255	2/1/ 6 تقديم السماط.
257	المبحث السابع : 7 /الأخطار والأزمات السكانية التي عرفتها وهران.
257	1 / 7 الأمراض المعدية.
258	2/ 7 الانحراف الأخلاقي وخطورته على تماسك المجتمع الوهراني.
259	1/2/ 7 شرب الخمر
261	2/2/ 7 الومس.
262	1/2/2/ 7 المفهوم اللغوي .
262	2/2/2/ 7 الومس بمنظور ديني عقابي لوهران.

264	3/2/2/ 7 عوامل ومظاهر الومس بوهران.
267	3/2/ 7 ملامح من مشاكل الأسرة الوهرانية .
267	1/3/2/ 7 الزواج والصداد
268	2/3/2/ 7 الطلاق .
271	خاتمة.
275	الملاحق.
280	فهرس الأماكن.
287	قائمة المصادر والمراجع
313	فهرس المحتويات
	الملخصات.

## ملخص :

تتمحور إشكالية الدراسة حول تاريخ وهران في أواخر العصر الوسيط خلال العهد الزياني، والتي تميزت بتصادم القوى السياسية في منطقة المغرب الأوسط، وتبادل المصالح الاقتصادية بين ضفتي المتوسط. وقد كان لوهران الزيانية دور مهم في الحياة السياسية للدولة، كما أنها شكلت ممر تجاري نشط للإقتصاد الزياني، وذلك لخصوصية موقعها على البحر المتوسط من جهة، ولقربها من العاصمة تلمسان، وعدة مدن مغربية وأندلسية مهمة من جهة ثانية. مما جعلها تستقطب العديد من المهجرات من الداخل المغربي، ومن البحر خاصة من الأندلسيين.

وقد تضمن البحث مدخلا وثلاثة فصول؛ فالمدخل يوفر المعطيات الجغرافية، والتاريخية قبل الفترة الزيانية. والفصل الأول يتضمن علاقة وهران بالسلطة المركزية، وأهميتها الإستراتيجية في أمن الدولة واستقرارها، أما الفصل الثاني فيعرض بالتحليل لإمكانيات وهران الاقتصادية ودورها في الدورة التجارية للزيانيين، والفصل الثالث يبرز الحياة الإجتماعية في وهران من ناحية التركيبة السكانية والمهجرات، ومكانة المرأة في المجتمع وغيرها من ملامح الحياة الإجتماعية.

## Résumé :

La problématique de l'étude s'articule autour de l'histoire d'Oran à la fin du Moyen Âge à l'époque Zianide, caractérisée par l'affrontement des forces politiques au Maghreb central et l'échange d'intérêts économiques entre les deux rives de la Méditerranée. Oran des Zianides avait un rôle important dans la vie politique de l'Etat, car elle formait un corridor commercial actif pour l'économie Zianide, en raison de la particularité de sa situation sur la Méditerranée d'une part, et de sa proximité avec la capitale Tlemcen. et plusieurs villes maghrébines et andalouses importantes d'autre part. ce qui l'a fait attirer de nombreuses migrations de l'intérieur Maghrébin et de la mer, en particulier les Andalous.

La recherche comprenait une entrée et trois chapitres. L'entrée fournit les données géographiques et historiques avant la période Zianide. Le premier chapitre comprend la relation d'Oran avec l'autorité centrale et son importance stratégique dans la sécurité et la stabilité de l'État. Le deuxième chapitre présente une analyse du potentiel économique d'Oran et de son rôle dans le cycle commercial des Zianides. Le troisième chapitre met en lumière la vie sociale à Oran à partir de la démographie, les migrations, la place des femmes dans la société et d'autres caractéristiques de la vie sociale.

## **Abstract :**

The problematic of the study revolves around the history of Oran at the end of the middle Ages during the Zianids period, characterized by the clash of political forces in the central maghreb and the exchange of economic interests between two shores of the Mediterranean oran, zianid had an important role in the political life of the State, because it formed an active trade corridor for the Zianids economy, due to the particularity of its location on the Mediterranean on the one hand, and its proximity to the capital tlemcen, and several important Maghreb and andalusian towns on the other hand. which made it attract many migrations from the Maghreb interior and from the sea, in particular the andalusians.

The research consisted of an entry and three chapters. The entry provides geographic and historical data prior to the Zianids period. The first chapter includes Oran's relationship with the central authority and its strategic importance in the security and stability of the state. The second chapter presents an analysis of Oran's economic potential and its role in the Zianids business cycle. The third chapter sheds light on social life in oran based on demography, migrations, the place of women in society and other characteristics of social life.